كتاب الأغاني

الجزء الثالث

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل

لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو قَيس بنُ الخطيم[١] بن عديّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر، ويُكنى قيس أبا يزيد.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا محمد بن موسى بن حَمَّاد، قال حدَّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أُنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم:

بَيـنَ شُكـولِ[٢] النِّسـاءِ خِلْقَتُـها حـذْواً[٣] فَـلا جَـبْلَـةٌ[٤] وَلا قَـضَـفُ[٥]

[المنسرح]

فقال: لولا أن أبا يزيد قال: حَذْواً ما درى الناس كيف يخشون هذا الموضع.

[أخذه بثأر أبيه وجده]

وكان أبوه الخطيم قُتِل وهو صغير، قتلَهُ رجلٌ من بني حارِثة بن الحارث بن الخَزْرَج، فلما بلغ قَتَل قاتلَ أبيه، ونشِبَتْ لذلك حروبٌ بين قومه وبين الخزرج وكان سببها.

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخْفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثَعلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل قال: كان سبب قتل الخطيم أنَّ رجلاً من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يُقالُ له مالك اغتاله فقتَلَهُ، وقيسٌ يومئذٍ صغير، وكان عديّ أبو الخطيم أيضاً قُتِلَ قبله، قتله رجلٌ من عبد القيس، فلما بلغ قيس بن الخطيم وعَرَفَ

(١) الخَطْمُ الأَثَرُ على الأَنف كما يُخْطَمُ البعير بالكَيّ. يقال: خَطَمْتُ البعير، وهو أَن يُوسَمَ بخَطٍّ من الأَنف إلى أحد خَدَّيْه، وبعير مَخْطومٌ، ومعنى قوله تَخْطِمُه أي تسِمُه بِسِمَةٍ يُعْرفُ بها، وسُمّيَ أبوه بهذا الاسم لضربة كانت خطمت أنفه.

(٢) شكول النساء: ضروب النساء.

(٣) حَذَوْتُ النَّعل بالنعل حَذْواً، إذا قدَّرْتُ كلَّ واحِدةٍ على صاحبتها. يقال: حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ. قال ابن السكيت: حَذَوْتُهُ، أي قعدتُ بِحِذائِهِ.

(٤) من المجاز: امرأة جبلة: عظيمة الخلق. وجبل الرأس: غليظها. وسيف جبل ومجبال: لم يرقق.

(٥) رجل قضيف: قليل اللحم، وامرأة قضيفة، وقضف قضافة، وفيه قضف.

أخبارَ قومِهِ وموضعَ ثأره لم يزل يلتمس غِرَّة من قاتل أبيه وَجدّه في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيَثْرِب فقتلَهُ، وظفر بقاتل جَدّه بذي المَجاز[١]، فلما أصابه وَجَده في رَكْبٍ عظيم من قومِهِ، ولم يَكُنْ معه إلا رَهْطٌ من الأوْسِ، فخرج حتى أتى حُذَيفة بن بَدْر الفزاريّ، فاستنجده فلم يُنْجِدْه، فأتى خِداش بن زُهير فنهض معه ببني عامر حتى أتَوْا قاتل عديّ، فإذا هو واقفٌ على راحلته في السوق، فطعنه قيس بحربةٍ فقتَلَهُ، ثم استمرّ. فأراده رهطُ الرجل، فحالت بنو عامر دونَه؛ فقال في ذلك قيس بن الخطيم:

ثَـأَرْتُ عَـدِيّـاً وَالـخَـطـيـمَ فَـلَـم أُضِـع ... وِلايَـةَ أَشـيـاخٍ جُـعِـلـتُ[٢] إزاءَهـا
ضَـرَبـتُ بِـذي الـزُجَّـيْـنِ[٣] رِبـقَـةَ[٤] مالِـكٍ ... فَـأُبـتُ بِـنَـفـسٍ قَـد أَصَـبْـتُ شِـفـاءَهـا
وَسامَحَني[٥] فيها ٱبنُ عَمرِو بنِ عامِرٍ ... خِـداشٌ فَـأَدّى نِـعـمَـةً وَأَفـاءَهـا
طَـعَـنـتُ ٱبـنَ عَـبـدِ الـقَـيسِ طَـعـنَـةَ ثـائِـرٍ ... لَـهـا نَـفَـذٌ لَـولا الـشُّـعـاعُ أَضـاءَهـا[٦]
مَـلَـكـتُ[٧] بِـها كَـفّـي فَـأَنـهَـرتُ[٨] فَـتـقَـهـا ... يَـرى قـائِـمـاً مِـن خَـلـفِـهـا مـا وَراءَهـا

[الطويل]

---

(١) ذو المجاز: موضع بعرفة، كان في الجاهلية سوقاً من أسواق العرب.

(٢) جعلت إزاءها: صُيِّرت القيم عليها.

(٣) الزجّ: الحديدة في أسفل الرمح.

(٤) الربقة، والربقة، الأخيرة عن اللحياني، والربق، كل ذلك: الحبل والحلقة تشد بها الغنم في أعناقها. وقيل: الربقة: الحلقة تشد بها الغنم الصغار لئلا ترضع. والجمع: أرباق، ورباق.

(٥) هو سمح بين السماح و السماحة من قوم سمحاء، وهي سمحة من نسوة سماح، ورجل مسماح من قوم مساميح. وسامحني بكذا، وتسامح في كذا وتسمح. «وأسمحت قرونته» إذا تبعته نفسه وأطاعته.

(٦) قال قيس بن الخطيم:

طَعَنْتُ ابنَ عبدِ القيس طَعْنَةَ ثائِرٍ ... لـهـا نَـفَـذٌ لـولا الـشُّـعـاع أضـاءَهـا

أراد بالنَّفَذ المنفَذ.

يقول: نَفَذَت الطَّعْنة: أي جاوزَت الجانبَ الآخر حتى يُضيءَ نَفَذُها خَرْقَها، ولولا انتشار الدم الفائر لأبصَرَ طاعنُها ما وراءَها، أراد أنّ لها نَفَذاً أضاءها لولا شُعاعُ دَمِها، ونَفَذُها نُفُوذُها إلى الجانب الآخر.

(٧) يقال: لو ملكت أمري لكان كيت وكيت، وملك عليه أمره إذا استولى عليه، وملّكته أمره وأملكته: خليته وشأنه. وملّكت فلانة أمرها إذا طلقت. وسمعت كذا فلم أملك أن قلت كذا، وما تمالك أن فعل كذا. وهذا حائط لا يتمالك. وهذا ملاك الأمر: قوامه وما يملك به. والقلب ملاك الجسد. وركب ملاك الطريق وملكه: وسطه. وملكت كفّي بالسيف إذا شدّ القبض عليه.

(٨) أَنْهَرْتُ الدمَ، أي أَسَلْتُهُ، وأَنْهَرْتُ الطعنةَ: وسَّعتها.

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضَّل. وأما ابن الكَلْبيّ فإنه ذكر أنَّ رَجُلاً من قُرَيش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عَمَّار بن ياسِر، وكان عالماً بحديث الأنصار، قال: كان من حديث قيس بن الخطيم أنَّ جَدَّه عديّ بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن صَعْصَعة يقال له مالك، وقتل أباه الخَطيمَ بن عديّ رجل من عبد القيس ممن يسكن هَجرَ؛ وكان قيس يوم قُتِلَ أبوه صبيّاً صغيراً، وقُتِل الخَطيم قبل أن يَثْأرَ بأبيه عديّ؛ فخشيَتْ أمُّ قيس على ابنها أن يخرجَ فيطلبَ بثأر أبيه وجدَّه فيَهْلِك، فعمدَتْ إلى كومةٍ من تراب عند باب دارهم، فوضَعَتْ عليها أحجاراً وجعلَتْ تقول لقيس: هذا قبر أبيك وجدّك، فكان قيس لا يشكّ أن ذلك على ذلك. ونشأ أيِّداً شديدَ الساعدين، فنازعَ يوماً فتى من فتيان بني ظفر، فقال له ذلك الفتى: واللَّه لو جعلْتَ شدّةَ ساعديك على قاتل أبيك وجدِّك لكان خيراً لك من أن تُخرجها عليّ؛ فقال: ومن قاتل أبي وجدِّي؟ قال: سَلْ أمَّك تخبرْك؟ فأخذَ السيفَ ووضعَ قائمهُ على الأرض وذُبابَهُ[١] بين ثدييه وقال لأمه: أخبريني من قتل أبي وجَدّي؟ قالت: ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء؛ فقال: واللَّه لتُخْبرينَنّي[٢] من قتلهما أو لأتَحامَلَنَّ على هذا السيف حتى يَخْرُجَ من ظهري؛ فقالت: أمَّا جَدّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك، وأمّا أبوك فقتله رجل من عبد القَّيس ممن يسكن هَجرَ؛ فقال: واللَّه لا أنتهي حتى أقتلَ قاتلَ أبي وجَدّي؛ فقالت: يا بُنيّ إن مالكاً قاتِلَ جَدّك من قوم خِداش بن زُهَير، ولأبيك عن خداش نعمةٌ هو لها شاكر، فأْتِهِ فاستشرْه في أمرك واستعِنْه يُعِنْك؛ فَخَرَجَ قيسٌ من ساعته حتى أتى ناضِحه[٣] وهو يسقي نخله، فضرب الجَرير[٤] بالسيف فقطعه، فسقطت الدلو في البئر، وأخذ برأس الجمل فحمل على غِرَارَتَيْن من تمر، وقال: من يَكفيني أمر هذه العجوز؟ (يعني أمَّه) فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[٥] حتى تموت ثم هو له، وإنْ عِشْتُ فمالي عائد إليَّ وله منه ما شاء أن يَأْكُلَ من تمره؛ فقالَ رجل من قومه: أنا له، فأعطاه الحائط ثم خَرَجَ يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلَّ عليه بِمَرِ الظَّهْران[٦]،

---

(١) ذبابه: حدّ طرفَه.

(٢) هكذا وردت في الأصل من غير توكيد، وهذا الوجه يجيزه الكوفيون.

(٣) النَّضح بفتح الضاد: الحوضُ الصغير وجمعه أنضاح: قُلت: ويسمى نضيحاً أيضاً قاله أبو عُبيد. قال: والنّاضح: البعير الذي يستقي الماء والأنثى ناضحة.

(٤) الجَرِيرُ: حَبْلٌ، قالَه شَمِرٌ، وجَمْعه أَجِرَّةٌ وجُرّانٌ.

(٥) الحائط: البستان.

(٦) الظهران: واد قرب مكة عند قرية يقال له «مر» تضاف إليه فيقال مر الظهران.

فصار إلى خبائه فلم يجدْه، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه، ثم نادى امرأةَ خداش: هل من طعام؟ فأَطْلَعَتْ إليه فأعجبها جماله، وكان من أحسن الناس وجهاً؛ فقالت: واللَّه ما عندنا من نُزُلٍ[١] نرضاه لك إلاَّ تمراً؛ فقال: لا أُبالي، فأخرجي ما كان عندكِ؛ فأرسلت إليه بقُبَاعٍ[٢] فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردَّ شِقَّها الباقيَ في القُباعِ، ثم أمر بالقباع فأُدْخِل على امرأة خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس، فقال: هذا رجل متحرِّم[٣]. وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رُطَباً؛ فلما رأى خداش رِجْله وهو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفك؟ قالَتْ: نعم؛ قال: كأن قدَمَهُ قدم الخَطيم صديقي اليَثْربي؛ فلما دنا منه قرع طُنُبَ[٤] البيت بسنان رمحه واستأذن، فأذن له خداش فدخل إليه، فَنَسَبَهُ[٥] فانتسب وأخبره بالذي جاء له، وسأله أن يُعِينَهُ وأن يشيرَ عليه في أَمرِهِ؛ فرَّحب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده، وقال: إن هذا الأمر مازِلْتُ أتوقَّعه منك منذ حين. فأمَّا قاتل جدّك فهو ابن عم لي وأنا أُعينك عليه، فإذا اجتمعا في نادينا جَلَسْتُ إلى جَنْبِهِ وتحدَّثْتُ معه، فإذا ضَرَبْتُ فخذه فَثِبْ إليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قُمْتُ على رأسه لمَّا جالسه خداشٌ، فحين ضرب فخذَهُ ضربت رأسه بسيف يُقَالُ له: ذو الخُرْصين، فثار إليَّ القوم ليقتلوني، فحال خداش بينهم وبيني وقال: دَعُوه فإنه واللَّه ما قَتَلَ إلا قاتلَ جدّه. ثم دعا خداشٌ بجمل من إبله فركبه، وانطلق مع قيس إلى العَبْديّ الذي قتل أباه، حتى إذا كانا قريباً من هَجَر أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دُلَّ عليه قال له: إنّ لصّاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي، فسألْتُ مَنْ سيدُ قومه فدُلِلْتُ عليك، فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه؛ فإن اتَّبعك وحده فستنال ما تريد منه، وإن أخرج معه غيره فاضحك، فإن سألك ممَّ تضحك فَقُلْ: إنَّ الشريفَ عندنا لا يصنع كما صَنَعْتَ إذا دُعي إلى اللص من قومه، إنَّما يخرج وحدَهُ بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى كلَّ شيء أخذ هيبةً له، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك، وإن أبى إلاَّ أن يمضوا معه فأْتِني به، فإني أرجو أن تَقْتُلَهُ وتَقْتُلَ أصحابه. ونَزِلَ خداش تحت ظل شجرة، وخرج قيس حتى أتى العبديّ فقال له ما أمره خداش فأحْفَظَهُ، فأمر أصحابَهُ

---

(١) النُّزُل: ما يُهيّأ للقوم والضّيف إذا نزلوا.

(٢) القُباعُ، بالضم: مكيال ضخم. والقُباعيُّ من الرجال: العظيمُ الرأْسِ مأْخوذ من القُباع، وهو المِكيالُ الكبير. ومِكيالٌ قُباعٌ: واسع.

(٣) تَحرَّمَ منه بحُرْمَةٍ: تحمى وتمنع.

(٤) الطُّنُبُ: حَبلُ الخِباء والسُّرادق ونحوهما.

(٥) نسبه: طلب أن ينتسب.

فَرَجِعوا ومضى مع قيس؛ فلما طلع على خداش، قال له: اخترْ يا قيس إما أن أُعِينك وإما أن أَكْفِيكَ؛ قال: لا أريد واحدة منهما، ولكن إن قتلني فلا يُفْلِتَنَّك؛ ثم ثار إليه فطَعَنَهُ قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانَهُ، فلما فرغ منه قال له خداش: إنا إن قررنا الآن طلبنا قومه، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتَلِهِ، فإنَّ قومَهُ لا يظنون أنك قتلته وأقمت قريباً منه، ولكنهم إذا افتقدوه اقْتَفَوا أثرَهُ، فإذا وجدوه قتيلاً، خرجوا في طلبنا في كل وجه، فإذا يئسوا رجعوا. قال: فدخلا في داراتٍ من رمال هناك، وفقَد العبديّ قومهُ فاقتفوا أثرَه فوجدوه قتيلاً، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا، فكان من أمرهم ما قال خداش. وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا، فلم يتكلما حتى أتيا منزل خداش، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع الى أهله. ففي ذلك يقول قيس:

تذكَّر ليلى حُسْنَها وصفاءَها ... وبانَتْ فما إن يستطيعُ لقاءها
ومِثْلُكِ قد أصبيْتُ ليست بكَنَّةٍ[1] ... ولا جارةٍ أفضَتْ إليَّ خِباءَها
إذا ما اصطبَحْتُ أربعاً خطَّ مِئزري[2] ... وأتبعْتُ دَلوي في السَّماح رِشاءَها[3]
ثَأَرتُ عديّاً والخَطيمَ فلم أُضِعْ ... وصيَّة أشياخٍ جُعِلْتُ إزاءَها

[الطويل]

وهي قصيدة طويلة.

[اعجاب بشعره]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدَّثني يعقوب بن اسرائيل قال حدَّثنا زكريا بن يحيى المِنقريّ قال حدَّثنا زِياد بن بَيان العُقَيليّ قال حدَّثنا أبو خَوْلَة الأنصاريّ عن أَنَس بن مالك قال: جَلَسَ رسولُ اللَّه ﷺ في مجلس ليس فيه إلا خَزْرَجي ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني قوله:

أَتَعرِفُ رَسماً كَاطِّرادِ[4] المَذاهِبِ[5] ... لِعَمرَةَ وَحشاً غَيرَ مَوقِفِ راكِبِ

[الطويل]

---

(١) الكَنَّةُ، بالفتح: امرأَة الابن أَو الأَخ، والجمع كَنائِنُ.
(٢) يريد أنه اذا شرب أربعاً اختال حتى جرَّ ثوبه من الخيلاء.
(٣) يريد أنه بلغ من السماح منتهاه. يقال: أتبع الدلو رشاءها وأتبع الفرس لجامها إذا بذل آخر مجهوده.
(٤) الاطِّراد: تتابع بريقها ولمعانها.
(٥) المَذَاهِبُ: جُلُودٌ كانَتْ تُذْهَبُ، وَاحِدُهَا مُذْهَبٌ، تُجْعَلُ فيه خُطُوطٌ مُذْهَبَةٌ فَتَرَى بَعْضَها في إثْرِ بَعْضٍ، فكَأَنَّهَا مُتَتابِعَةٌ.

فأنشده بعضهم إياها، فلما بلغ إلى قوله:

أُجالِدُهُم[١] يَومَ الحَديقَةِ[٢] حاسِراً كَأَنَّ يَدي بِالسَّيفِ مِخراقُ[٣] لاعِبِ

[الطويل]

فالتفت إليهم رسول اللَّه ﷺ فقال: «هل كان كما ذكر»؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شَمَّاس وقال له: والذي بَعَثَك بالحق يا رسول اللَّه، لقد خرج إلينا يوم سابع عُرْسه عليه غِلالة ومِلْحفة مورّسة[٤] فجالدنا كما ذكر. هكذا في هذه الرواية.

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال حدَّثني عَمِّي مصعب قال: لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بُعاث[٥] فإنَّه كان عظيماً، وإنَّما كانوا يخرجون فيترامَوْن بالحجارة ويتضاربون بالخشب.

قال الزُّبيرُ وأنشدْتُ محمد بن فَضالة قول قيس بن الخطيم:

أُجالِدُهُم يَومَ الحَديقَةِ حاسِراً كَأَنَّ يَدي بِالسَّيفِ مِخراقُ لاعِبِ

[الطويل]

فَضَحِكَ وقال: ما اقتتلوا يومئذٍ إلا بالرطائب والسَّعَف.

قال أبو الفرج: وهذه القصيدة التي استنشدهم إياها رسول اللَّه ﷺ من جيِّدِ شعر قيسِ بن الخطيم، ومما أنشده نابغة بني ذُبْيان فاستحسنه وفضَّلَهُ وقدَّمَهُ من أجله.

[أنشد النابغة من شعره فاستجاده]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زهير قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: قال أبو غُزَيَّة قال حَسَّان بن ثابت: قَدِمَ النابغةُ المدينةَ فدخل السُّوقَ فَنَزِلَ عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم اعتمد على عصاه، ثم أنشأ يقول:

عَرَفْتُ مَنازِلاً بِعُرَيتِناتٍ[٦] فَأَعلى الجِزعِ لِلحَيّ المُبِنِّ[٧]

[الوافر]

---

(١) أجالدهم: أصارعهم.

(٢) الحديقة: قرية في أعراض المدينة في طريق مكة، كانت بها واقعة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام.

(٣) المِخْراقُ: منديل أو نحوه يلوى فيضرب به، أو يلف فيفزع به، وهو لعب يلعب به الصبيان.

(٤) أورس الرمث: إصفرّ ثمره فهو وارس ومورس. ورداء مورّس، وملاءة مورّسة: مصبوغة بالورس. وقدح ورسيّ: من الأثل. وحمامٌ ورسيّ: أصفر. وزعفران وارس. وصخرة وارسة بالطحلب.

(٥) يوم بُعاثٍ يوم معروف من أيام الأوس والخزرج في الجاهلية.

(٦) عُريتنات: وادٍ ذكره ياقوت الحموي في معجمه.

(٧) المبن: المقيم.

فَقُلْتُ: هلك الشيخ ورأيْتُهُ قد تبع قافيةً مُنْكَرةً. قال ويقال: إنَّه قالها في موضِعِه، فما زال يُنْشِدُ حتى أتى على آخرها، ثم قال: ألا رجلٌ يُنْشِدُ؟ فتقدَّمَ قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده:

أَتَعرِفُ رَسماً كَاطِّرادِ المَذاهِبِ[1]

حتى فرغ منه؛ فقال: أنت أشعر الناس يابن أخي. قال حسان: فدخلني منه، وإنِّي في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما، ثم تقدَّمْتُ فجلست بين يديه؛ فقال: أنشِدْ فواللَّه إنَّك لشاعر قبل أن تتكلم، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدتُهُ؛ فقال أنت أشعر الناس. قال الحسن بن موسى: وقالت الأوْس: لم يَزِدْ قيسُ بن الخطيم النابغة على:

أَتَعرِفُ رَسماً كَاطِّرادِ المَذاهِبِ

ـ نصف البيت ـ حتى قال أنت أشعر الناس.

[صفاته الجثمانية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهَير قال حدَّثنا الزُّبيرُ قال: قال سُلَيمان بن داود المُجَمِّعيّ: كان قيسُ بن الخطيم مقرونَ الحاجبين أدعج[2] العينين أحمر الشفتين بَرّاق الثنايا كأن بينهما بَرْقاً، ما رأته حليلة رجل قطُّ إلاَّ ذهب عقلُها.

[أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا محمد قال حدَّثنا الزُّبيرُ قال حدَّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجَمِّعيّ قال: قال حَسَّان بن ثابت للخَنْساء: أُهْجي قيسَ بن الخطيم؛ فقالت: لا أَهجو أحداً أبداً حتى أراه. قال: فجاءته يوماً فوجدته في مَشرقَةٍ[3] ملتفاً في كساء له، فنخَسَتْهُ بِرجلها وقالت: قُمْ، فقام؛ فقالت: أدبِرْ، فأدبر؛ ثم قالت: أقْبِلْ، فأقبل. قال: واللَّه لكأنَّها تعترض عبداً تشتريه، ثم عاد إلى حاله نائماً؛ فقالت: واللَّه لا أَهجو هذا أَبداً.

---

(١) هذا البيت:

أَتَعرِفُ رَسماً كَاطِّرادِ المَذاهِبِ لَعَمرَةَ وَحشاً غَيرَ مَوقِفِ راكِبِ

(٢) عين دعجاء: بينة الدعج وهو شدّة السواد مع شدة البياض.

(٣) المَشْرَقَةُ: موضع القُعود في الشمس.

[عرض عليه رسول اللَّه الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة]

قال الزُّبيرُ وحدَّثني عمي مصعب قال: كانت عند قيس بن الخطيم حَوَّاء بنت يزيد بن سِنان بن كُرَيز بن زَعُوراء فأسلَمَتْ، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها، فلما قَدِمَ قيس مكة عَرَضَ عليه رسول اللَّه ﷺ الإسلام، فاستنظره قيس حتى يَقْدُم رسول اللَّه ﷺ المدينة؛ فسأَلَهُ رسول اللَّه ﷺ، أن يجتنب زوجتَهُ حواءَ بنت يزيد، وأوصاه بها خيراً، وقال له: إنَّها قد أسلمت؛ ففعل قيس وحفظ وصيَّة رسول اللَّه ﷺ؛ فبلغ رسول اللَّه ﷺ، فقال: «وفى الأُدَيْعِجُ».

قال أبو الفرج وأحسب هذا غلطاً من مصعب، وأن صاحب هذه القصة قيس ابن شَمَّاس، وأمَّا قيس بن الخطيم فَقُتِلَ قبل الهجرة.

[قتله الخزرج بعدما هدأت الحرب بينهم وبين الأوس]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش النحويّ عن أبي سَعيد السكَّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل: أنَّ حربَ الأوْسِ والخَزْرجِ لمَّا هدأت، تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم، فتوامروا[١] وتواعدوا على قتله؛ فخرج عشيَّةً من منزله في مُلاءَتين يريد مالاً له بالشَّوْط[٢] حتى مرَّ بأُطُم[٣] بني حارثة، فَرُمِيَ من الأطم بثلاثةِ أسهم، فوقع أحدها في صدره، فصاحَ صَيْحَةً سمعها رَهْطه، فجاؤوا فحملوه الى منزله، فلم يَرَوْا له كُفْئاً إلا أبا صَعْصَعَة يزيد بن عَوْف بن مُدرك النجَّاريّ، فاندسَّ إليه رجل حتى اغتاله في منزله، فضرب عُنُقَهُ واشتمل على رأسه، فأتى به قيساً وهو بآخر رمق، فألقاه بين يديه، وقال: يا قيس قد أدركْتُ بثأرك؛ فقال: عَضضْتَ بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة! فقال: هو أبو صعصعة، وأراه الرأسَ! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات.

[مهاجاته حسان بن ثابت]

أَجَـدَّ بِـعَـمـرَةَ غُـنـيـانُـهـا[٤]

[المتقارب]

---

(١) توامروا: لغة غير فصيحة في تآمروا، الرجالُ ثلاثةٌ: رجلٌ إذا نزل به أَمرٌ ائْتَمَرَ رَأْيَهُ؛ قال شمر: معناه ارْتَأَى وشاور نفسه قبل أَن يواقع ما يريد.

(٢) الشوط: بستان بالمدينة.

(٣) ما هو إلا أطم من آطام المدينة وهي حصونها.

(٤) البيت على الشكل التالي:

أَجَـدَّ بِـعَـمـرَةَ غُـنـيـانُـهـا فَـتَـهـجُـرَ أَم شَـأنُـنـا شـانُـهـا

فيما قيل: قاله قيس في عَمرة بنت رَواحة، وقيل: بل قاله في عَمرة: امرأةٍ كانت لحَسَّان بن ثابت، وهي عَمرة بنت صامد بن خالد. وكان حَسَّان ذكر ليلى بنت الخطيم في شعره، فكافأه قيس في ذلك، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الرَّبيع[١].

فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهير قال أخبرنا الزُّبيرُ قال حدَّثني مُصْعَبٌ قال: مرَّ حسَّان بن ثابت بليلى بنت الخَطيم ـ وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحِلف في قريش ـ فقال لها حسَّان: اظعَني فالحقي بالحيِّ فقد ظعَنوا، وليت شعري ما خلَّفكِ وما شأنُكِ: أقلَّ ناصرُك أم راث رافدُك؟ فلم تكلِّمهُ وشتمه نساؤها؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه:

لَقَد هاجَ نَفسَكَ أَشجانُها ... وَعاوَدَها اليَومَ أَديانُها[٢]
تَذَكَّرتُ لَيلى وَما ذِكرُها ... وَقَد قُطِعَت مِنكَ أَقرانُها[٣]
وَحَجَّلَ[٤] في الدارِ غِربانُها ... وَخَفَّ مِنَ الدارِ سُكّانُها
وَغَيَّرَها مُعصِراتُ الرِّياحِ ... وَسَحُّ الجَنوبِ وَتَهتانُها
مَهاةٌ مِنَ العِينِ تَمشي بِها ... وَتَتبَعُها ثَمَّ غِزلانُها
وقَفْتُ عليها فساءلتها ... وَقَد ظَعَنَ الحَيُّ ما شانُها[٥]
فَعَيَّت وَجاوَبَني دونَها ... بِما راعَ قَلبِيَ أَعوانُها

[المتقارب]

وهي طويلة. فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أوّلها:

أَجَدَّ بِعَمرَةَ غُنيانُها

وفخر فيها بيوم الربيع وكان لهم فقال:

وَنَحنُ الفَوارِسُ يَومَ الرَّبيعِ ... قَد عَلِموا كَيفَ فُرسانُها
حِسانُ الوُجوهِ حِدادُ السُّيو ... فِ يَبتَدِرُ المَجدَ شُبَّانُها

[المتقارب]

---

(١) يوم الربيع: يوم من أيام الأوس والخزرج. والربيع موضع من نواحي المدينة.
(٢) الأديان: جمع دين وهو الداء.
(٣) القَرَنُ: الحبل يُقْرَنُ به البعيرانِ، والجمع أَقْرانٌ، وهو القِرَانُ وجمعه قُرُنٌ.
(٤) الحَجْل، مجزوم، مَشْيُ المُقيَّد.
(٥) ورد هذا البيت في الديوان على الشكل التالي:

وَساءَلتُ مَنزِلَةً بِالحِمى ... وَقَد ظَعَنَ الحَيُّ ما شانُها

وهي أيضاً طويلة.

[غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال أخبرنا الأصمعيّ قال حدَّثني عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا أبو غَسَّان عن أبي السائب المخزوميّ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه قال ذُكِرَ لي عن جعفر بن مُحرز السَّدُوسيّ، قالوا: دَخَلَ النُّعْمان بن بشير الأنصاريّ المدينةَ أيام يَزِيد بنِ معاوية وابن الزُّبير، فقال: واللَّه لقد أَخْفَقَتْ[1] أذناي من الغناء فأسمعوني؛ فقيل له: لو وجَّهت إليّ عَزَّة فإنها من قد عرفت! قال: إي وربِّ البيت، إنها لمَنْ يزيد النفسَ طيباً والعقل شَحْذاً، ابعثوا إليها عن رسالتي، فإنْ أَبَتْ صِرنا إليها؛ فقال له بعضُ القوم: إنَّ النُّقلة تشتدُّ عليها لِثِقل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها؛ فقال النعمان: وأين النجائب عليها الهوادج! فوَّجَهَ إليها بنجيب فَذَكَرَتْ علَّة، فلما عاد الرسول الى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبرَ بها، قوموا بنا؛ فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرقوها، فأذِنَتْ وأكرمَتْ واعتذرَتْ، فَقَبِلَ النعمانُ عُذرَها وقال: غنِّيني فغنَّتْهُ:

أَجَدَّ بِعَمرَةَ غُنيانُها ... فَتَهجُرَ أَم شَأنُنا شانُها

[المتقارب]

فأشير إليها أنَّها أمّه فسكتَتْ؛ فقال: غنِّيني فواللَّه ما ذكرتِ إلا كرماً وطِيباً! لا تغنِّيني سائرَ اليوم غيره؛ فلم تزل تغنِّيه هذا اللحن فقطْ حتى انصرف.

وتذاكروا هذا الحديثَ عند الهيثم بن عديّ، فقال: ألا أزيدكم فيه طريفةً! قلنا بَلى يا أبا عبد الرحمن؛ قال: قال لَقيط: كُنْتُ عند سعيد الزُّبيريّ قال سَمِعْتُ عامراً الشعبيّ يقول: إشتاق النعمانُ بن بشير إلى الغناء فصار إلى منزل عَزَّة، فلمَّا انصرف إذا امرأةٌ بالباب منتظرة له، فلما خرج شَكَتْ إليه كثرةَ غِشيان زوجها إياها، فقال لها النعمانُ بن بشير: لأقضيَنَّ بينكما بقضية لا تُرَدُّ عليّ، قد أحلَّ اللَّه له من النساء مَثْنَى وثُلاث ورُباع، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل. فهذا يدلّ على أنَّ المعنيَّةَ بهذا الشعر عمرة بنت رواحة.

وأما ما ذُكِرَ أنه عَنى عَمْرة امرأةَ حسان بن ثابت، فأخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدَّثنا أحمدُ بن زهير قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكار عن عمه: أنَّ قيس بن الخطيم لما ذكر

(١) أخفقت: أوحشت أذناي من الغناء لطول عهدها به.

حسَّان أخته ليلى في شعره ذكر امرأته عمرة، وهي التي يقول فيها حسان:

أَزمَعَت عَمْرَةُ صَرماً فَابتَكِر[١]

[الرمل]

[حسان بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا أحمد قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني عمِّي مصعب قال: تزوَّج حسَّان عمرةَ بنت الصامت بن خالد بن عطية الأوْسِية ثم إحدى بني عمرو بن عوف، فكان كلُّ واحد منهما معجَباً بصاحبه، وإنَّ الأوْسَ أجاروا مخلَّد بن الصامت الساعديّ فقال في ذلك أبو قيس بن الأسْلت:

أجرتُ مخلَّداً ودفعْتُ عنه وعند اللَّه صالح ما أتيْتُ

[الوافر]

فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرةَ، فعيَّرته بأخواله وفَخِرَتْ عليه بالأوْسِ؛ فَغَضِبَ لهم فطلقها، فأصابها من ذلك نَدم وشدّة؛ ونَدِمَ هو بعدُ فقال:

صوت

أَزْمَعَتْ عَمرَةُ صَرماً فَابتَكِر إِنَّما يُدْهَنُ[٢] لِلقَلبِ الحَصِر[٣]

لا يَكُن حُبُّكِ هَذا ظاهِراً لَيسَ هَذا مِنكِ يا عَمْرَ بِسِرّ

سَأَلَت حَسَّانَ مَن أَخوالُهُ إِنَّما يُسأَلُ بِالشَّيءِ الغُمُر[٤]

قُلتُ أَخوالي بَنو كَعبٍ إِذا أَسلَمَ الأَبطالُ عَوراتِ الدُّبُرْ

[الرمل]

يريد يُدْهَن القلبُ، فأدخل اللامَ زائِدَةً للضرورة. عمر: ترخيم عمرة. والسر: الخالص الحسن. غنَّت في هذه الأبيات عَزَّة المَيْلاء ثاني ثَقيل بالبِنْصر من رواية حَبَش.

---

(١) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

أَجمَعَت عَمرَةُ صُرماً فَابتَكِر إِنَّما يُدهِنُ لِلقَلبِ الحَصِر

(٢) المُداهَنةُ والإدْهانُ: المصانعة واللين، وقيل: المداهنة: إظهار خلاف ما تضمر، والإدهانُ: الغش.

(٣) الحصر: الضيق، في قلبه، ولسانه، ويديه حصر أي ضيق، وعيٌّ، وبخل.

(٤) الغُمْرُ: مَنْ لم يُجَرِّب الأُمُورَ وهو الجاهلُ الغِرُّ. قال ابن سِيدَه: ويُقْتَاسُ من ذلك لِكُلّ مَنْ لا غَناءَ عِنْدَه ولا رَأْي.

وتمام القصيدة:

رُبَّ خـالٍ لِـيَ لَـو أَبـصَـرتِـهِ سَبِطِ المِشيَةِ في اليَومِ الخَصِرْ
عِـنـدَ هَـذا البـابِ إِذ ساكِـنُـهُ كُـلُّ وَجهٍ حَسَنِ النُّقبَةِ[١] حُرّ
يـوقِـدُ الـنـارَ إِذا مـا أُطْـفِـئَـت يُعمِلُ القِدرَ بِأَثباجِ[٢] الجُزُرْ[٣]
مَـن يَـغُـرُّ الـدَّهـرُ أَو يَـأمَـنُـهُ مِن قَبيلٍ بَعدَ عَمرو[٤] وَحُجُرْ[٥]
مَـلَـكـا مِـن جَـبَـلِ الـثَّـلـجِ[٦] إِلـى جـانِـبَـيْ أَيـلَـةَ[٧] مِـن عَـبـدٍ وَحُـرّ
ثُـمَّ كـانـا خَـيـرَ مَـن نـالَ الـنَّـدى سَبَقا الناسَ بِإِقساطٍ[٨] وَبِرّ
فـارِسَـيْ خَـيـلٍ إِذا مـا أَمـسَـكَـت رَبَّـةُ الـخِـدْرِ بِـأَطـرافِ الـسُّـتُـرْ
أَتَـيـا فـارِسَ فـي دارِهِـمُ فَـتَـنـاهَـوا بَـعـدَ إِعـصـارٍ[٩] بِـقُـرّ
ثُـمَّ نـادَوْا يـا لَـغَـسَّـانَ اصـبِـروا إِنَّـهُ يَـومُ مَـصـالـيـتَ[١٠] صُـبُـرْ
إجـعَـلـوا مَـعـقِـلَـهـا أَيـمـانَـكُـم بِالصفيحِ المُصطَفى غَيرِ الفُطُرْ[١١]

---

(١) النُّقبة بالضم: أول ما يبدأ من الحرب، والنُّقْبَةُ أيضاً: اللون والوجه وهو المقصود. قال ذو الرمّة يصف ثوراً:

ولاحَ أَزْهَـرُ مـشـهـورٌ بـنُـقْـبَـتِـهِ كـأَنَّـه حـيـن يَـعْـلـو عـاقِـراً لَـهَـبُ

(٢) ثَبَجُ كل شيء: مُعظمه ووسطه وأعلاه. والجمع: أثباج، وثُبُوج.

(٣) الجُزُر: مفردها جَزُور، وهو ما يُجْزر من النُّوق أو الغنم. يقصد الشاعر: إذا أطفئت نيران الناس من الجدب أوقد ناره وأطعم.

(٤) عمرو من ملوك غسان.

(٥) و قال ابن قتيبة: وكان للنعمان بن الحارثة ثلاثة بنين. حجر بن النعمان وبه كان يكنى أبوه وعمرو بن النعمان. والنعمان بن النعمان وكلهم كان ملكاً. وفيهم يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

مـن يـغـر الـدهـر أو يـأمـن مـن قـبـيـل بـعـد عـمـرو وحـجـر
مـلـكـا مـن جـبـل الـثـلـج إلـى جـانـبـي أيـلـة مـن عـبـد وحـر

(٦) جبل الثلج هو جبل بدمشق. ويقال إن هذا الإسم أطلق على اسم جبل يشرف على جبل البيرة.

(٧) أيلة ما بين الحجاز والشام.

(٨) الإقْسَاطُ: العَدْلُ في القِسْمَة والحُكْم.

(٩) الإعصار: الريح التي تثير السَّحاب. أعصرتِ الرياح فهي مُعْصِرات، أي: مثيرات للسحاب. والإعصار: الغبار الذي يستدير ويسطع.

(١٠) المصاليت: جمع مصلات وهو الشجاع.

(١١) تَفَطَّرَ الشيءُ: تشقَّق. وسيفٌ فُطارٌ. أي فيه تشقُّقٌ.

بِضِرابٍ تَأْذَنُ[١] الجِنُّ لَهُ ... وَطِعانٍ مِثلِ أَفواهِ الفُقُرْ[٢]
وَلَقَد يَعلَمُ مَن حارَبَنا ... أَنَّنا نَنفَعُ قِدماً وَنَضُرّ
صُبُرٌ لِلمَوتِ إِن حَلَّ بِنا ... صادِقو البَأسِ غَطاريفُ[٣] فُخُرْ
وَأَقامَ العِزُّ فينا وَالغِنى ... فَلَنا مِنهُ عَلى الناسِ الكُبُرْ[٤]
مِنهُمُ أَصلي فَمَن يَفخَر بِهِ ... يَعرِفِ الناسُ لِفَخرِ المُفتَخِرْ
نَحنُ أَهلُ العِزِّ وَالمَجدِ مَعاً ... غَيرُ أَنكاسٍ[٥] وَلا ميلٍ عُسُرْ
فَاسأَلوا عَنّا وَعَن أَفعالِنا ... كُلَّ قَومٍ عِندَهُم عِلمُ الخَبَرْ

[الرمل]

قال الزُّبيرُ فحدَّثني عمي قال: ثم إنَّ حَسَّان بن ثابت مرَّ يوماً بِنسوة فيهنَّ عَمْرة بعد ما طلَّقها، فأعرضَتْ عنه وقالت لامرأة منهنَّ: إذا حاذاك هذا الرجلُ فاسأليه مَنْ هو وانسُبيه وانسبي أخوالَهُ وهي متعرَّضة له، فلما حاذاهنَّ سألتْهُ مَنْ هو ونسَبتْهُ فانتسب لها، فقالت: فَمَنْ أخوالُك؟ فأخبرها، فبصَقَتْ عن شِمالِها وأعرَضَتْ عنه؛ فحدَّد النظرَ إليها وعَجِبَ من فعلها وجعلَ ينظرُ إليها، فَبَصُرَ بامرأته وهي تضحك فعرفها الأمر وعلم أن الأمر من قِبَلِها أتى، فقال في ذلك:

قالَت لَهُ يَوماً تُخاطِبُهُ ... رَيَّا الروداف غادَةُ الصُّلبِ[٦]
أَمّا المُروءَةُ والوَسامَةُ أَو ... حُشمُ الرِّجالِ فَقَد بَدا، حَسْبي[٧]

---

(١) من المجاز: فلان أذن من الآذان إذا كان سمعة، وهي أذن وهما أذن.
(٢) الفُقْرُ: لغة في الفَقْرِ، مثل الضُّعْفُ والضَّعْفُ. والفَقيرُ: حَفيرٌ يحفَر حول الفَسيلة إذا غُرست. تقول منه: فَقَّرْتُ للوَدِيَّةِ تَفْقيراً. وفَقَّرْتُ الخَرَزَ أيضاً: ثقّبته.
(٣) غطاريف: الأسياد الشرفاء.
(٤) الكُبْرُ: رفعه في الشرف، قال المدار بن منقذ:
ولي الأعظم من سلافها ... ولي الهامة فيها والكُبُرْ
يعني سلاف عشيرته.
(٥) النكس: الضعيف الدنيء.
(٦) ورد هذا البيت في الديوان على الشكل التالي:
قالت له يوماً تُخاطِبُهُ ... نُفُجُ الحقيبة، غادةُ الصُّلْب
(٧) ورد هذا البيت في الديوان على الشكل التالي:
أَمّا المُروءَةُ والوَسامَةُ أَو ... رَأيُ الرِّجالِ فَقَد بَدا حَسبي

فَـوَدِدتُ أَنَّـكَ لَـو تُـخَـبِّـرُنـا مَـن والِـداكَ وَمَـنـصِـبُ[١] الـشَّـعْـبِ[٢]
فَـضَـحِـكـتُ ثُـمَّ رَفَـعـتُ مُـتَّـصِـلاً صَـوتـي كـرفـع الـمَـنـطِـقِ الـشَّـغـبِ[٣]
جَـدّي أَبـو لَـيـلـى وَوالِـدُهُ عَـمـرٌو وَأَخـوالـي بَـنـو كَـعـبِ
وَأَنـا مِـنَ الـقَـومِ الَّـذيـنَ إِذا أَزَمَ[٤] الـشِّـتـاءُ بـحـلـقـةِ الـجَـدبِ
أَعـطـى ذَوُو الأَمـوالِ مُـعـسِـرَهُـم وَالـضـارِبـيـنَ بِـمَـوطِـنِ الـرُّعـبِ

[الكامل]

قال مصعب: وأبو ليلى الذي عناه حسَّان: حَرَام بن عمرو بن زَيْد مَناة.

ومما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم

صـوت

حَـوراءُ مَـمـكـورةٌ[٥] مـنـعَّـمـةٌ كَـأَنَّـمـا شَـفَّ وَجـهَـهـا نُـزُفُ[٦]
تَـنـامُ عَـن كُـبـرِ شَـأنِـهـا فَـإِذا قـامَـت رُوَيـداً تَـكـادُ تَـنـقـصـفُ[٧]
أوحـشَ مـن بـعـد خُـلَّـةٍ سـرِفُ[٨] فـالـمـنـحـنـى فـالـعـقـيـقُ فـالـجُـرُفُ[٩]

[المنسرح]

---

(١) المنصب: الأصل والمحتد.

(٢) الشَّعْبُ: ما تَشَعَّبَ من قبائل العرب والعجم، والجمعُ الشعوبُ. والشُّعوبيَّةُ: فِرْقَة لا تُفَضِّلُ العربَ على العجم. وأما الذي في الحديث: أنَّ رجلاً من الشُّعوب أَسْلَمَ، فإنّه يعني من العجم. والشَّعْبُ: القبيلة العظيمةُ، وهو أبو القبائل الذي يُنْسَبونَ إليه، أي يَجْمَعُهُمْ ويَضُمُّهُمْ. وحكى أبو عبيد عن ابن الكلبيّ عن أبيه: الشَّعْبُ أكبر من القبيلة، ثم الفصيلةُ، ثم العِمارَةُ، ثم البَطْنُ، ثم الفَخِذُ.

(٣) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

فَـضَـحِـكـتُ ثُـمَّ رَفَـعـتُ مُـتَّـصِـلاً صَـوتـي أَوانَ الـمَـنـطِـقِ الـشَّـغـبِ

(٤) أزم: الأَوازم، وواحدُها: أزمة: الأَنْيابُ. وأَزَمْتُ يدَ الرّجلِ أزِمُها أَزْماً. وهو أَشَدُّ العَضّ. وأَزَمَ علينا الدّهرُ يأزِمُ أَزْماً، إذا ما اشتدّ وقل خَيْرُه.

(٥) امرأة ممكورة: مستديرة الساقين. وقيل: هي المدمَجة الخَلْق الشديدة البَضْعة.

(٦) البيت في الديوان على الشكل التالي:

تَـغـتَـرِقُ الـطَّـرفَ وَهـيَ لاهِـيَـةٌ كَـأَنَّـمـا شَـفَّ وَجـهَـهـا نُـزُفُ

النزف بضم فسكون وحرك هنا للضرورة: خروج الدم. أراد الشاعر في هذا البيت وصف لونها، الذي يميل إلى بياض مع صفرة.

(٧) ورد في الديوان «تنغرف» بدل «تنقصف». (٨) سرف: موضع على ستة أميال من مكة المكرمة.

(٩) المنحنى والعقيق والجرف: أسماء مواضع.

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث. والغناء لِقَفا النَّجَّار ولحنه المختار ثاني ثقيل، هكذا ذكر يحيى بن عليّ في الاختيار الواثقيّ. وهو في كتاب إسحاق لقفا النجَّار ثقيل أوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ولعلَّهُ غير هذا اللحن المختار.

[الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمر بن عوف وسبب ذلك]

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حربٍ كانت بينهم وبين بني جَحْجَبى وبني خَطْمَةَ، ولم يشهدْها قيس ولا كانت في عصره، وإنما أجاب عن ذكرها شاعر منهم يُقالُ له: دِرْهم بن يَزيد. قال أبو المنهال عُتيبةُ بن المِنهال: بَعَثَ رجلٌ من غَطفان من بني ثَعلبة بن سعد بن ذُبيان إلى يَثْرب بفرسٍ وحُلَّةٍ مع رجل من غَطفان وقال: ادفعهما إلى أعز أهل يثرب ـ قال وقيل: إنَّ الباعث بهما عبدُ يا ليل بن عمرو الثَّقَفيّ[1]. قال وقيل: بل الباعثُ بهما عَلْقمة بن عُلاثة ـ فجاء الرسولُ بهما حتى ورد سوق بني قَيْنُقاع فقال ما أُمِرَ به، فوثب إليه رجلٌ من غَطفان كان جاراً لمالك بن العَجْلان الخَزْرجيّ يُقالُ له كعب الثَّعْلبيّ، فقال: مالك بن العجلان أعزُّ أهل يثرب؛ وقام رجل آخر فقال: بل أُحَيْحَةُ بن الجُلاَح أعزُّ أهل يثرب، وكثر الكلام؛ فَقَبِلَ الرسول الغطفانيّ قولَ الثعلبيّ الذي كان جاراً لمالك بن العجلان ودفعهما إلى مالك؛ فقال كعب الثعلبيّ: ألم أَقُلْ لكم: إنَّ حَلِيفي أعزُّكم وأفضلكم فَغَضِبَ رجلٌ من بني عمرو بن عَوْف يُقَالُ له سُمَير فرَصَدَ الثعلبيّ حتى قتله، فأُخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس: إنكم قتلتم منَّا قتيلاً فأرسِلوا إلينا بقاتلِه؛ فلما جاءهم رسول مالك ترامَوْا به: فقالت بنو زيد: إنَّما قتلته بنو جحجبى: إنما قتلتْه بنو زيد؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قُتِلَ فيها صاحبُكم ناس كثير، ولا يُدرى أيُّهم قَتَله؛ وأمر مالك أهلَ تلك السوق أن يتفرَّقُوا، فلم يبقَ فيها غير سُمَيْر وكعب، فأرسل مالك إلى بني عمرو بن عوف بالذي بلَغَهُ من ذلك وقال: إنَّما قَتَلَهُ سميرٌ، فأرسلوا به إليَّ أقتله؛ فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل سُميراً بغير بيِّنة؛ وكثُرَتْ الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يُعطوه سُميراً ويأبَون أن يُعطوه إياه. ثم إن بني عمرو بن عوف كَرِهوا أن يُنسبوا بينهم وبين مالك حرباً، فأرسلوا إليه يَعْرضون عليه الدِّية فقبِلَها؛ فأرسلوا إليه: أَن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلاَّ نصف الدية، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سميراً؛ فأبت بنو

(١) عبد ياليل: رجل كان في الجاهلية، وزعموا أن ياليلَ صنَم. وقال قومٌ من أهل اللغة: كلُّ اسمٍ كان فيه إيلُ فهو منسوبٌ إلى اللَّه عزّ وجلّ، مثل: شُرَحْبِيلُ ونحوه.

عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية، ثم دَعوه أن يَحْكُمَ بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رَوَاحة ففعل؛ فانطلقوا حتى جاؤوه في بني الحارث بن الخزرج، فقضى على مالك بن العجلان أنه ليس له في حليفة إلا دية الحليف، وأبى مالك أن يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب، واستنصر قبائل الخزرج، فأبَتْ بنو الحارث بن الخزرج أن تَنْصُرَهُ غضباً حين ردَّ قضاء عمرو بن امرئ القيس؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خِذْلانَ بني الحارث بن الخزرج له وحَدَبَ بني عمرو بن عوف على سُمير، ويحرِّضُ بني النجَّار على نُصْرتِهِ:

إنَّ سُـمَـيْـراً أرى عـشـيـرَتَـهُ ... قـد حَـدِبـوا دونَـهُ وقـد أنِـفُـوا
إنْ يَـكُـنِ الـظّـنُّ صـادقـاً بـبـنـي الـنّـ ... ـجّـار لا يَـطْـعَـمـوا الـذي عُـلِـفـوا
لا يُـسـلِـمـونـا لـمـعـشـر أبـداً ... مـا دام مـنّـا بِـبَـطْـنِـهـا شَـرَفُ
لـكـن مَـوالـيَّ قـد بـدا لـهـمُ ... رأيٌ سِـوى مـا لـديَّ أو ضَـعُـفـوا

[المنسرح]

يقال: عُلفوا الضيمَ إذ أقرُّوا به، أي ظنِّي أنهم لا يقبلون الضيم.

صـوت

بَـيْـنَ بَـنـي جُـحَـجَـبَـى، وبَـيْـنَ بَـنِـي ... زيـدٍ، فَـأَنّـي لـجـاريَ الـتَّـلَـفُ؟
يـمـشـون فـي الـبَـيْـض[1] والـدُّروع كـمـا ... تـمـشـي جِـمـالٌ مَـصـاعـبٌ[2] قُـطُـفُ[3]
كـمـا تَـمْـشـي الأسـودُ [فـي] رَهَـج[4] ال ... مـوت إلـيـه وكـلُّـهـم لَـهِـفُ

[المنسرح]

غنَّى في هذه الأبيات مَعبد خفيفَ ثقيلٍ عن إسحَاق، وذكر الهشاميّ أنَّ فيه لحناً من الثقيل الأوَّل للغريض.

وقال درهم بن يزيد بن ضُبَيْعة[5] أخو سُمير في ذلك:

(١) البيض: جمع بيضة وهو ما يلبس على الرأس كالخوذة للوقاية من الحرب.
(٢) المصاعب: جمع مصعب وهو الفحل الذي لم يركب ولم يمس حتى صار صعباً.
(٣) القِطَافُ: مَصْدَرُ القَطُوفِ من الدَّوَابِّ والإبل وهو البَطِيْءُ المُقارِبُ الخَطْوِ.
(٤) الرَّهَجُ: الغُبار.
(٥) درهم بن زيد بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. =

يا قومِ لا تقتُلوا سُميراً فإنّ القتلَ فيه البَوارُ والأسفُ
إنْ تقتلوه ترِنَّ[1] نِسوتُكم على كريمٍ ويَفْزَعُ السَّلَفُ
إني لعَمْرُ الذي يَحُجُّ له النا س ومَن دون بيتهِ سَرِفُ
يمينُ برٍّ باللَّهِ مجتهدٍ يحلِفُ إن كان يَنفَعُ الحَلِفُ
لا نرفَعُ العبدَ فوقَ سُنَّتِهِ ما دام مِنَّا بِبَطْنِها شرَفُ
إنَّك لاقٍ غداً غُواةَ بني عمِّي فانظر ما أنت مُزدَهِفُ[2]
فابدِ سِيمَاكَ يعرِفوكَ كما يُبدونَ سِيمَاهُمُ فَتَعتَرِفُ

[المنسرح]

معنى قوله «فأبْد سيماك»: أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يُغَيِّر لباسه ويتنكَّر لئلاَّ يُعرف فيُقْصَد.

وقال درهم بن يزيد في ذلك:

يا مالِ لا تَبْغِيَنْ ظُلامَتَنا يا مالِ إنا معاشِرٌ أُنُفُ
يا مالِ والحقُّ إن قَنِعْتَ به فيهِ وفينا لأمرِنا نَصَفُ
إنَّ بُحَيراً عبدٌ فَخُذْ ثَمَناً فالحقُّ يُوفَى بهِ وَيُعتَرَفُ
ثم اعلَمَن إن أردْتَ ضَيْمَ بَنِي زَيدٍ فإنِّي ومَنْ له الحَلِفُ
لأصبَحَنْ دارَكم بِذِي لَجَبٍ جَوْنٍ لهُ من أمَامِهِ عَزَفُ[3]
البيضُ حِصْنٌ لهم إذا فَزِعُوا وسابغاتٌ[4] كأنَّها النَّطَفُ[5]

= شاعر جاهلي، من اليهود، رجل جد وإقدام، معطاء سخي، يطرح عن نفسه ما قد يملكه من الشوق إلى المحبوبات، وكان يعرف الملوك، ويحبون وفادته إليهم، لا يعطي لنفسه راحة إلا قليلاً من الليل.

(١) الرَّنَّةُ: الصوت. يقال: رَنَّتِ المرأة تَرِنُّ رَنيناً، وأَرَنَّتْ أيضاً: صاحت. وفي كلام أبي زُبيدٍ الطائي: شَجْراؤُهُ مُغِنَّة، وأَطْيارُهُ مُرِنَّة. وأَرَنَّتِ القوسُ: صوَّتتْ. ورَنَّنْتُها أنا تَرْنيناً. والمُرِنَّةُ: القوس. والمِرْنانُ مثله. والرَنَنُ: شيء يصيح في الماء أيَّامَ الصيف.

(٢) ازْدُهِفَ به: أي ذُهِبَ به، وازْدَهَفَه: ذهب به وأهلكه.

(٣) عزف: الضرب والصوت وحرك للضرورة.

(٤) سَبَغَت النعمة تَسْبُغُ سُبُوْغاً: أي اتسعت. وقال الليث: كل شيء طال إلى الأرض فهو سابغ، وناقة سابِغَة الضُّلوع، وعجيزة سابغة.

(٥) نطف الماء ينطف. وسقاني نطفةً عذبة ونطفاً ونطافاً عذاباً وهي الماء الصافي قلّ أو كثر. ورجل نطف بيّن النّطف والنّظافة.

والـبـيـضُ قـد ثُـلِّـمَـت مـضـارِبُـهـا بـهـا نُـفـوسُ الـكُـمـاةِ تُـخـتَـطَـفُ
كـأَنَّـهـا فـي الأكُـفِّ إذْ لَـمَـعَـت ومِـيـضُ بَـرقٍ يَـبـدُو ويَـنـكَـسِـفُ

[المنسرح]

وقال قيسُ بن الخطيم الظَّفَريّ أحد بني النَّبيت في ذلك، ولم يدركه وإنَّما قاله بعد هذه الحرب بزمان، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور:

رَدَّ الـخَـلـيـطُ الـجِـمـالَ فَـانـصَـرَفـوا مـاذا عَـلَـيـهِـم لَـو أَنَّـهُـم وَقَـفـوا
لَـو وَقَـفـوا سـاعَـةً نُـسـائِـلُـهُـم رَيـثَ(١) يُـضَـحِّـي جِـمـالَـهُ(٢) السَّـلَـفُ(٣)
فـيـهِـم لَـعـوبُ(٤) الـعَـشـاءِ آنِـسَـةُ ال دَلِّ عَـروبٌ(٥) يَـسـوؤهـا الـخُـلُـفُ
بَـيـنَ شُـكـولِ الـنِّـسـاءِ خِـلـقَـتُـهـا قَـصـدٌ فَـلا جَـبـلَـةٌ وَلا قَـضَـفُ
تَـنـامُ عَـن كُـبـرِ شَـأنِـهـا فَـإِذا قـامَـت رُوَيـداً تَـكـادُ تَـنـغَـرِفُ(٦)
تَـغـتَـرِقُ الـطَّـرفَ وَهـيَ لاهِـيَـةٌ كَـأَنَّـمـا شَـفَّ وَجـهَـهـا نُـزُفُ
حَـوراءُ(٧) جَـيـداءُ(٨) يُـسـتَـضـاءُ بِـهـا كَـأَنَّـهـا خـوطُ(٩) بـانَـةٍ(١٠) قَـصِـفُ(١١)
قَـضـى لَـهـا الـلَّـهُ حـيـنَ صَـوَّرهـا ال خـالِـقُ أَلاّ يُـكِـنَّـهـا سَـدَفُ(١٢)

---

(١) الرَّيْثُ: البُطْءُ، رَاثَ يَرِيْثُ رَيْثاً. واسْتَرَثْتُ فلاناً: اسْتَبْطَأْته. والرَّيِّثُ: البَطِيْءُ.
(٢) يُضحي جماله: يرعى الجمال عند الضحى.
(٣) السَّلُوفُ: الناقةُ تكون في أَوائل الإبل إذا وردت الماء. ويقال: سَلَفَت الناقةُ سُلُوفاً تقدّمت في أَول الوِرْد.
(٤) لعوب: تسمَرُ مع السُّمارِ وتلهو.
(٥) عَرُوب هِي الضَّحَّاكَةُ وهُم مِمَّا يَعِيبُونَ النسَاءَ بالضَّحِك الكَثِيرِ ج عُرْبٌ بضَمٍّ فسُكُون وبضَمَّتَيْن.
(٦) غَرَفْتُ الشي فانْغَرَفَ، أي قطعته فانقطع.
(٧) حَوَرَاء: شِدَّةُ بياض العين في شدّة سوادِها.
(٨) الجيدُ: العُنقُ؛ والجمع أَجْياد. والجَيَد بالتحريك: طول العُنُق وحُسْنُه؛ رجلٌ أَجْيَدُ، وامرأة جَيْداءُ؛ والجمع جودٌ.
(٩) قَدّ كالخوط وهو الغصن الناعم. وتقول: كم وراء هذه الحيطان، من قدود كالخيطان.
(١٠) البانُ: ضربٌ من الشجر طيِّب الزهر. واحدتها بانَةٌ.
(١١) قصف القناة والعود: كسره فقصف قصفاً وانقصف.
(١٢) أسدفت المرأة: أرخت قناعها. ومن المجاز: أسدف الليل: أظلم. وجاء فلان في السدف والسدفة، ومنه رأيت سدفه
أي شخصه من بعيد كما تقول: رأيت سواده.

خَوْدٌ[١] يَغِثُّ الحَديثُ ما صَمَتَتْ وَهوَ بِفيها ذو لَذَّةٍ طَرِفُ[٢]
تَخزُنُهُ وَهوَ مُشتَهًى حَسَنٌ وَهوَ إِذا ما تَكَلَّمَت أُنُفُ[٣]
[المنسرح]

وهي طويلة يقول فيها:

أَبلِغ بَني جَحجَبى وَإِخْوَتَهم زيراً بِأَنّا وَراءَهُم أُنُفُ
إِنّا وإِنْ قَلَّ نَصرُنا لَهُمُ أَكبادُنا مِن وَرائِهِم تَجِفُ
لَمّا بَدَت نَحونا جِباهُهُمُ حَنَّت إِلَينا الأَرحامُ وَالصُحُفُ
نَفلي بِحَدِّ الصَفيحِ هامَهُمُ وَفَلُّنا هامَهُم بِنا عُنُفُ
يَتبَعُ آثارَها إِذا اِختُلِجَت سُخنٌ عَبيطٌ عُروقُهُ تَكِفُ
إِنَّ بَني عَمِّنا طَغَوْا وَبَغَوْا وَلَجَّ مِنهُم في قَومِهِم سَرَفُ
[المنسرح]

فردَّ عليه حسَّان بن ثابت ولم يدرك ذلك:

ما بالُ عَينيكَ دُمعُها يَكِفُ مِن ذِكرِ خَوْدٍ شَطَّت بِها قَذَفُ[٤]
بانَت بِها غَربَةٌ تَؤُمُّ بِها أَرضاً سِوانا وَالشَّكلُ مُختَلِفُ
ما كُنتُ أَدْري بِوَشْكِ بَيْنِهِمُ حَتّى رَأَيْتُ الحُدوجَ تَنْقَذِفُ[٥]
دَعْ ذا وَعَدِّ القَريضَ في نَفَرٍ يَرْجُون مَدْحِي وَمدحِيَ الشَّرَفُ[٦]
إِن تَدْعُ قومي لِلمَجدِ تُلْفِهُمُ[٧] أَهلَ فِعالٍ يَبدوا إِذا وُصِفوا

(١) الخَوْدُ: الشابة ما لم تصر نصفاً، وتجمع خَوْدات.
(٢) الطرف: المستطرف المحبوب.
(٣) الأنف: المستأنف الجديد.
(٤) شطّت بهم نيّة قذفٌ: بعيدة. وسير قذاف. وناقة قذاف: يراد السرعة وبلغ قذفة الجبل وقُذَفَه وقُذُفاتِه وقَذَفَه وقُذُفَه وأقذافَه: أعاليه ونواحيه البعيدة.
(٥) عجز البيت في الديوان على الشكل التالي:
حَتّى رَأَيْتُ الحُدوجَ قَد عَزَفوا
(٦) عجز البيت في الديوان على الشكل التالي:
يَدعونَ مَجدي وَمِدحَتي شَرَفُ
(٧) صدر البيت في الديوان على الشكل التالي:
إِن أَدعُ في المَجدِ أَلقَهُم سَلَفاً

إن سُـمَـيـراً عـبـدٌ طـغـى سَـفَـهـاً ساعـده أعـبُـدٌ لـهـم نَـطَـفُ

[المنسرح]

قال: ثم أَرسلَ مالكُ بن العجلان إلى بني عمرو بن عوف يُؤذِنُهُم بالحربِ، ويَعِدُهُم يوماً يلتقون فيه، وأمر قومَهُ فتهيَّؤوا للحرب، وتحاشد الحيَّان وجمع بعضُهُم لبعض. وكانت يهودُ قد حالفَتْ قبائل الأوْس والخزرج، إلا بني قُرَيظة وبني النَّضير فإنهم لم يحالفوا أحداً منهم، حتى كان هذا الجمعُ، فأرسَلَتْ إليهم الأوس والخزرج، كلٌّ يدعوهم إلى نفسه، فأجابوا الأوس وحالفوهم، والتي حالفَتْ قُرَيْظة والنَّضير من الأوس أوسُ اللَّه وهي خَطْمَةُ وواقفُ وأُمَيَّةُ ووائل، فهذه قبائل أوس اللَّه. ثم زحفَ مالكٌ بمن معه من الخزرج، وزَحَفَتْ الأوس بمن معها من حلفائها من قُرَيظة و النَّضير، فالْتقوا بفضاء كان بين بئر سالِم وقُبَاء، وكان أوَّل يوم التَّقَوْا فيه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انصرفوا وهم منتصِفون جميعاً، ثم التقَوْا مرة أخرى عند أُطُم بني قَيْنُقاع، فاقتتلوا حتى حَجَزَ الليل بينهم، وكان الظَّفرُ يومئذٍ للأوس على الخزرج، فقال أبو قَيْس بن الأسْلَت في ذلك:

لَـقَـد رأيْـتُ بـنـي عـمـرو فـمـا وهَـنـوا عـنـد الـلـقـاء ومـا هَـمُّـوا بـتـكـذيـبِ

ألا فِـدًى لَـهُـمُ أمِّـي ومـا ولَـدَتْ غـداةَ يَـمْـشُـون إرقـالَ الـمَـصـاعِـيـبِ

بـكـلِّ سَـلْـهَـبـةٍ كـالأيْـمِ مـاضـيـةٍ وكـلِّ أبـيـضَ مـاضـي الـحـدّ مـخـشـوبِ

[البسيط]

ـ أصل المخشوب: الحديث الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوباً؛ فشبهها بالحية في انسلالها ـ قال: فَلَبِثَ الأوسُ والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سُمير يتعاودون القتالَ في تلك السنين، وكانت لهم فيها أيامٌ ومواطِنُ لم تُحْفَظْ، فلما رأت الأوس طول الشرّ وأنَّ مالكاً لا يَنْزِع[1]، قال لهم سُوَيد بن صامت الأوسيّ ـ وكان يقال له الكامل في الجاهلية، وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سمَّوْه الكامل، وكان سويدٌ أحد الكَمَلة ـ : يا قوم، أرْضوا هذا الرجل من حليفه، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتل بعضكم بعضاً ويطمع فيكم غيركم، وإن حَمَلْتم على أنفسكم بعضَ الحَمْلِ. فأرسلت الأوْس إلى مالك بن العجلان يدعونه إلى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المُنْذر بن حرام أبو حسَّان بن ثابت، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر، وهو في البئر التي

(١) نزع عن الأمر نزوعاً: كفّ عنه.

يُقالُ لها سُمَيحة[١]، فقالوا: إنّا قد حكَّمناك بيننا؛ فقال: لا حاجةَ لي في ذلك؛ قالوا: ولِمَ؟ قال: أخاف أن تردّوا حُكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرىء القيس؛ قالوا: فإنّا لا نردّ حكمك فاحكم بيننا؛ قال: لا أحكم بينكم حتى تُعطوني مَوْثِقاً وعهداً لَتَرْضَونَّ بحكمي وما قَضَيْتُ به وَلَتُسْلِمُنَّ له؛ فأعطوه على ذلك عهودَهم ومواثيقهم، فحكم بأن يُودَى حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنَّة فيهم بعده على ما كانت عليه؛ الصريح على دِيته والحليفُ على دِيته، وأن تُعَدَّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يكون بعضٌ ببعض ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى بين الفريقين، فرضي بذلك مالكٌ وسلَّمت الأوسُ وتفرَّقوا على أنَّ على بني النجَّار نصفَ دية جار مالكٍ معونةً لإخوتهم، و على بني عمرو بن عوف نصفها؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يخرجوا إلا الذي كان عليهم، ورأى مالكٌ أنه قد أدرك ما كان يطلب، ووُدي جاره ديةَ الصريح. ويقال: بل الحاكم المنذر أبو ثابت.

(١) هي بئر في المدينة وقيل بناحية قديد.

ذكر طويس وأخباره

[اسمه وكنيته]

طُوَيْس لقبٌ غَلَبَ عليه، واسمه عيسى بن عبد اللَّه، وكنيته أبو عبد المُنْعِم وغيرَّها المخنثون فجعلوها أبا عبد النَّعيم، وهو مَوْلى بني مَخْزوم. وقد حدَّثني جَحْظَةُ عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد: قال سعد بن أبي وقَّاص: كُنِيَ طُوَيْس أبا عبد المُنْعِم.

[أول من غنى بالعربية في المدينة]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن المُسَيّبي ومحمد بن سَلاَّم الجُمَحيّ، وعن الواقديّ ابن أبي الزِّناد؛ وعن المدائني عن زيد بن أَسْلم عن أبيه، وعن ابن الكلبي عن أبيه وعن أبي مِسْكين. قالوا: أول من غنَّى بالعربي بالمدينة طويسٌ، وهو أوَّل من ألقى الخَنَث بها، وكان طويلاً أحول يُكنى أبا عبد المنعم، مولى بني مخزوم، وكان لا يضرب بالعود. إنما كان ينقرُ بالدُّف، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها، وكان يُتَّقى للسانه.

[شؤمه]

قالوا: وسُئِلَ عن مولده فذكر أنه وُلِدَ يوم قُبِضَ رسول اللَّه ﷺ، وفُطِمَ يوم مات أبو بكر، وخُتِنَ يوم قُتِلَ عمر، وُزوِّجَ يوم قُتِلَ عثمان، ووُلِدَ له [ولد][1] يوم قُتِلَ عليّ رضوان اللَّه عليهم أجمعين. قال وقيل: إنَّهُ وُلِدَ له ولد يوم مات الحسن بن عليّ عليه السلام. قال: وكانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالنَّميمة. قالوا: وأوَّل غناء غنَّاه وهزِجَ به:

صـــوت

كـــيـــف يـــأتـــي مـــن بـــعـــيـــدٍ وهـــو يُـــخْـــفِـــيـــه الـــقـــريـــبُ

(١) ليست موجودة في جميع النسخ.

نـــازحٌ بـــالـــشـــأم عـــنَّـــا وهـــو مِـــكْـــســـالٌ هَـــيـــوبُ
قـــد بَـــرانـــي الـــحـــبُّ حـــتـــى كُـــدْتُ مـــن وجْـــدِي أذوبُ

[مجزوء الرمل]

[الغناء لطويس هزج بالبنصر]

قال إسحاق: أخبرني الهَيْثم بن عديّ قال: قال صالح بن حسَّان الأنصاريّ أنبأني أبي قال: اجتمع يوماً جماعةٌ بالمدينة يتذاكرون أمرَ المدينة إلى أن ذكروا طويساً، فقالوا: كان وكان؛ فقال رجلٌ منَّا: أمَّا لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسَرُّون به علماً وظرفاً وحُسْنَ غناء وجودةَ نَقْرٍ بالدفِّ، ويُضحك كلَّ ثكلى حَرَّى؛ فقال بعض القوم: واللَّه إنه على ذلك كان مشؤوماً؛ وذكر خبرَ ميلاده كما قال الواقديّ، إلا أنَّه قال: وُلِدَ يومَ مات نبيُّنا ﷺ، وفُطِمَ يومَ مات صدِّيقُنا، وخُتِنَ يوم قُتِلَ فاروقُنا، وزُوِّجَ يوم قُتِلَ نورُنا، ووُلِدَ له يوم قُتِلَ أخو نبينا؛ وكان مع ذلك مخنَّثاً يَكيدُنا ويَطْلِبُ عَثَراتنا؛ وكان مُفْرِطاً في طولِهِ مُضْطَرِباً في خَلْقِهِ أحولَ. فقال رجل من جِلَّة أهل المجلس: لَئِن كان كما قُلْتَ لقد كان مُمْتعاً فَهِماً يُحْسِنُ رِعايةَ من حَفِظَ له حقَّ المجالسة، ورعايةَ حُرْمَة الخدْمة، وكان لا يحمل قول من لا يَرعى له بعض ما يَرعاه له.

[كان يحب قريشاً ويحبونه]

ولقد كان مُعظِّماً لمواليه بني مخزوم ومَنْ والاهم من سائر قريش، ومُسَاْلِماً لمن عاداهم دون التَّحْكيك به؛ وما يلام من قال بعلم وتكلَّم على فهم، والظالم المَلُوم، والبادىء أظلم. فقال رجلٌ آخر: لئن كان ما قلتَ لقد رأيْتُ قُرَيْشاً يَكْتَنِفونه ويُحْدِقونَ به ويُحبُّون مجالسته ويُنْصتون إلى حديثه ويتمنَّوْنَ غناءه، وما وضعه شيء إلا خَنَثُه ولولا ذلك ما بقي رجلٌ من قُرَيش والأنصار وغيرهم إلا أدناه.

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال حدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدَّثني إسماعيل بن جامع عن سِياط قال: كان أوَّل من تَغنَّى بالمدينة غناءً يدخلُ في الإيقاع[1] طويس، وكان مولدُهُ يوم مات رسول اللَّه ﷺ، وفِطامُهُ في اليوم الذي تُوُفِّي فيه أبو بكر، وختانُهُ في اليوم الذي قُتِلَ فيه عمر، وبناؤه بأهلِهِ في اليوم الذي قُتِلَ فيه عثمان، ووُلِدَ له يوم قُتِلَ علي رضوان اللَّه

(١) الإيقاعُ منْ إيقاع ألْحَانِ الغِنَاءِ، وهُوَ أن يُوقِعَ الألْحَانَ ويُبَيِّنَها تَبْييناً.

عليهم أجمعين، وَوُلِدَ وهو ذاهِبُ العين اليمنى. وكان يُلَقَّب بالذائب، وإنما لُقِّبَ بذلك لأنَّه غنَّى:

قَـدْ بـرانـي الـحُـبُّ حـتـى كِـدْتُ مـن وَجْـدي أَذُوبُ

[مجزوء الرمل]

[مروان بن الحكم والنغاشي المخنث]

أخبرني الحسين عن حمَّاد عن أبيه قال أخبرني ابنُ الكلبيّ عن أبي مِسكين قال: كان بالمدينة مخنَّثٌ يُقالُ له النُّغاشيّ، فقيل لمَرْوانَ بنِ الحَكَم: إنَّه لا يقرأ من كِتابِ اللَّه شيئاً، فَبَعَثَ إليه يومَئِذٍ، وهو على المدينة، فاستقرأه أمَّ الكتاب؛ فقال: واللَّه ما معي بناتُها، أو ما أقرأُ البنات فكيف أقرأ أُمّهنَّ! فقال: أتهزأ لا أُمَّ لك! فأمر به فَقُتِلَ في موضع يقال له بَطِحان[1]، وقال: من جاءني بمخنَّثٍ فله عشرة دنانير.

[طلبه مروان في المخنثين ففر منه حتى مات]

فأُتِيَ طويسٌ وهو في بني الحارث بن الخَزْرَجِ من المدينة، وهو يُغَنِّي بشعر حَسَّان بن ثابت:

لَـقَـد هـاجَ نَـفـسَـكَ أَشـجـانُـهـا وَعـاوَدَهـا الـيَـومَ أَديـانُـهـا

تَـذَكَّـرْتُ هِـنـداً وَمـا ذِكـرُهـا[2] وَقَـد قُـطِـعَـت مِـنـكَ أَقـرانُـهـا

وَقَـفْـتُ عـلـيـهـا فـسـاءلـتـهـا[3] وَقَـد ظَـعَـنَ الـحَـيُّ مـا شـانُـهـا

فَـصَـدَّتْ وجـاوب مـن دونِـهـا بِـمـا أوجـع الـقـلـب أَعـوانُـهـا[4]

[المتقارب]

فأُخْبِرَ بمقالة مَرْوان فيهم؛ فقال: أما فضَّلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل فيَّ وفيهم أمراً واحداً! ثم خرج حتى نزل السُّوَيداء ـ على ليلتين من المدينة في طريق الشام ـ فلم يَزَلْ بها عُمْرَهُ، وعُمِّر حتى مات في ولاية الوَليد بن عبد الملك.

---

(١) بَطِحان: واد من ثلاثة أودية في المدينة.

(٢) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي:

تَـذَكَّـرْتُ لَـيـلـى وَمـا ذِكـرُهـا

(٣) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي:

وَسـاءَلـتُ مَـنـزِلَـةً بِـالـحِـمـى

(٤) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

فَـعَـيَّـت وَجـاوَبَـنـي دونَـهـا بِـمـا راعَ قَـلـبِـيَ أَعـوانُـهـا

[هيت المخنث وبادية بنت غيلان]

قال إسحاقُ وأخبرني ابن الكلبيّ قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعَوَانةُ قالا: قال هِيتُ المخنَّث لعبد اللَّه بن أبي أُمَيَّة: إنْ فَتَحَ اللَّهُ عليكم الطائِفَ فَسَل النبيَّ ﷺ بادية بنت غَيْلان بن سَلَمة بن معتِّب، فإنَّها هَيْفاءُ شَموعٌ[1] نجلاء، إنْ تكلَّمت تغنَّت، وإنْ قامَتْ تثنَّت، تُقْبِلُ بأربع وتُدْبِرُ بثمان[2]، مع ثَغْر كأنَّهُ الأُقْحُوان، وبين رجليها كالإناءِ المَكْفُوء، كما قال قيس بن الخطيم:

تَـعْـتَـرِقُ الـطَّـرفَ وَهـيَ لاهِـيَـةٌ كَـأَنَّـمـا شَـفَّ وَجـهَـهـا نُـزُفُ
بَـيـنَ شُـكـولِ الـنِّـسـاءِ خِـلـقَـتُـهـا قَـصـدٌ فَـلا جَـبـلَـةٌ وَلا قَـضَـفُ

[المنسرح]

فقال النبيُّ ﷺ: «لقد غَلْغَلْتَ النظر ياعدوّ اللَّه»، ثم جَلاَه عن المدينة إلى الحمى. قال هشام: وأوّلُ ما اتُّخِذَت النُّعوش[3] من أجلها. قال: فلما فُتِحَت الطائف تزوَّجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بُرَيهة. فلم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى قُبِضَ النبيّ ﷺ؛ فلما وُلِي أبو بكر رضي اللَّه عنه كُلِّمَ فيه فأبى أن يرُدَّهُ؛ فلما ولي عمر رضي اللَّه عنه كُلِّمَ فيه فأبى أن يردَّه وقال: إنْ رأيته لأضربنَّ عنقه؛ فلما وُلِيَ عثمانُ رضي اللَّه عنه كُلِّمَ فيه فأبى أن يردَّه؛ فقيل له: قد كَبِرَ وضَعُفَ واحتاج؛ فأذِنَ له أن يدخل كلَّ جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه. وكان هيتٌ مولًى لعبد اللَّه بن أبي أُمَيَّة بن المُغيرة المخزوميّ، وكان طُويس له؛ فمن ثَمَّ قَبِلَ الخَنَث.

وجَلَسَ يوماً فغنَّى في مجلس فيه ولدٌ لعبد اللَّه بن أبي أمية:

تَـعْـتَـرِقُ الـطَّـرفَ وَهـيَ لاهِـيَـةٌ

إلى آخر البيتين؛ فأشير إلى طويس أن اسكتْ؛ فقال: واللَّه ما قيل هذان البيتان في ابنة غَيْلان بنِ سَلمة وإنما هذا مَثَلٌ ضربه هيتٌ في أمّ بُرَيهة؛ ثم التفت إلى ابن عبد اللَّه فقال: يابن الطاهر، أَوَجَدْتَ عليّ في نفسك؟ أُقْسِمُ باللَّه قسماً حقاً لا أغنِّي بهذا الشعر أبداً.

---

(١) جاؤوا بالسرج والشموع، وبالفتاة الشموع. وأشمع السراج: سطع نوره. وفتاة شموع: مزاحة طروب.

(٢) تدبر بثمان: يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع وإذا أدبرت ثمان.

(٣) النَّعْش: سرير الميت، منه. والنَّعْشُ: شبيه بالمحفة، كان يحمل عليها الملك إذا مرض.

[ضافه عبد اللَّه بن جعفر فأكرمه وغناه]

قال إسحاق وحدَّثنا أبو الحسن الباهليُّ الراويةُ عن بعض أَهل المدينة، وحدَّثنا الهَيثمُ بنُ عَديّ والمدائنيّ، قالوا: كان عبد اللَّه بن جعفر معه إخوانٌ له في عشيَّة من عشايا الربيع، فراحت عليهم السماءُ بمطر جَوْدٍ فأسال كل شيء؛ فقال عبد اللَّه: هل لكم في العقيق[1]؟ ـ وهو منتزه أهل المدينة في أيام الرَّبيع والمَطَر ـ فركبوا دوابَّهم ثم انتهوا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يَرْمي بالزَّبد مثل مَدِّ الفُرات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء، فقال عبد اللَّه لأصحابه ليس معنا جُنَّة نستجِنّ بها وهذه سماءٌ خَليقة أن تَبُلَّ ثيابنا، فهل لكم في منزل طُويس فإنَّهُ قريب منَّا فنستكنَّ فيه ويحدِّثَنا ويُضْحِكَنا؟ وطُويس في النظَّارة يسمع كلام عبد اللَّه بن جعفر؛ فقال له عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت: جُعِلْتُ فِداءَكَ! وما تريد من طُويس عليه غضب اللَّه: مُخَنَّثٌ شائِنٌ لمن عرفه؛ فقال له عبد اللَّه: لا تَقُلْ ذلك، فإنَّه مليحٌ خَفيفٌ لنا فيه أُنْس؛ فلما استوفى طويس كلامهم تعجَّل إلى منزله فقال لامرأته: وَيْحَك! قد جاءنا عبد اللَّه بن جعفر سيدُ الناس، فما عندكِ؟ قالت: نذبَح هذه العَنَاق[2]، وكانت عندها عُنَيِّقَةٌ قد ربَّتها باللبن، واختَبَزَ خُبْزاً رُقاقاً؛ فبادر فذبحها وعَجَنَتْ هي. ثم خرج فتلقَّاه مُقْبِلاً إليه؛ فقال له طُوَيس: بأبي أنت وأمي؛ هذا المطرُ، فهل لك في المنزل فتستكنُّ فيه إلى أن تكُفَّ السماء؟ قال: إياك أُريدُ؛ قال: فامْضِ يا سيدي على بركة اللَّه، وجاء يمشي بين يديه حتى نَزِلوا، فتحدَّثوا حتى أدرك الطعام؛ فقال: بأبي أنت وأمي، تُكْرِمُني إذ دخلْتَ منزلي بأن تتعشَّى عندي؛ قال: هات ما عندك؛ فجاءه بعَنَاقٍ سمينةٍ ورُقاق، فأكل وأكل القوم حتى تملَّؤوا[3]، فأعجبه طِيبُ طعامه، فلما غسلوا أيديهم قال: بأبي أنت وأمي، أتمشَّى معك وأُغَنِّيكَ؟ قال: افعل يا طويس؛ فأخذ مِلْحَفَةً فاتزر بها وأرخى لها ذنبين، ثم أخذ المُرَبَّع[4] فتمشَّى وأنشأ يغنِّي:

يا خَليلي نابَني سُهدي ... لَم تَنم عَيني ولم تكدِ
كَيفَ تَلحوني عَلى رجلٍ ... آنسٍ تلتذّه كَبِدي
مِثلُ ضوءِ البدرِ طَلْعَتُهُ ... لَيسَ بالزّميلةِ النكدِ[5]

[المديد]

---

(١) واد من أودية المدينة.
(٢) العَناق: الحَرَّة. والعَناق: الأنثى من المعز.
(٣) تملؤوا: امتلؤوا من الطعام.
(٤) المربع: آلة من آلات الطرب، يريد دفه لتربيعه.
(٥) يُنسب هذا الشعر لخولة بنت ثابت. وهي شاعرة جاهلية. وهي أخت شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت. لها شعر غزل في عمارة بن الوليد المخزومي.

فَطُرِبَ القومُ وقالوا أحسنْتَ واللَّه يا طويس. ثم قال: يا سيدي، أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا واللَّه، ما أدري لمن هو، إلا أني سَمِعْتُ شعراً حسناً؛ قال: هو لفارعة بنت ثابت أختِ حَسَّان بن ثابت وهي تتعشَّق عبدَ الرحمن بن الحارث ابن هشام المخزوميّ وتقول فيه هذا الشعر؛ فنكَّسَ القومُ رؤوسهم، وضَرَبَ عبدُ الرحمن برأسه على صدره[١]، فلو شُقَّتِ الأرضُ له لدخل فيها.

[عرّض بسعيد بن عبد الرحمن في شعرٍ غناه فأغضبه]

قال وحدثني ابنُ الكَلْبيّ والمدائنيُّ عن جَعْفَرِ بن مُحْرز قال: خَرَجَ عُمَرُ بن عبد العزيز، وهو على المدينة، إلى السُّوَيداء وخرجَ الناسُ معه، وقد أُخِذَتْ المنازل، فَلَحِقَ بهم يَزيدُ بن بَكْر بن دأب اللَّيْثيّ وسَعيدُ بن عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت الأنصاريّ، فلقيهما طويس فقال لهما: بأبي أنتما وأُمِّي! عرِّجا إلى منزلي؛ فقال يَزيدُ لسعيدٍ: مِلْ بنا مع أبي عبد النَّعيم؛ فقال سعيد: أين تذهب مع هذا المخنَّث! فقال يزيد: إنَّما هو منزلُ ساعة فما لا، واحتمل طويسٌ الكلامَ على سعيد، فأتيا منزله فإذا هو قد نَضَحه ونصَّعَهُ[٢]، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء؛ ثم قال سعيد: لو أسمعتنا يا أبا عبد النعيم! فتناول خريطةً[٣] فاستخرج منها دُفّاً ثم نَقَرَهُ وقال:

يا خَليلي نابَني سُهدي ... لَم تَنم عَيني ولم تَكَدِ
فَشَرابي ما أُسيغُ وما ... أَشْتَكِي ما بِي إلى أحدِ
كَيفَ تَلْحوني عَلى رجلٍ ... آنِسٍ تلتذُّه كبِدِي
مِثلُ ضوءِ البدرِ صورتُهُ ... لَيسَ بالزُّمَّيلةِ النكدِ
مِن بَني آلِ المُغيرة لا ... خامِلٍ نَكسٍ ولا جَحِدِ
نَظَرَتْ يَوماً فَلا نَظَرَتْ ... بَعدَهُ عَيني إلى أحدِ

[المديد]

ثم ضرب بالدفِّ الأرض، فقال سعيد: ما رأيْتُ كاليوم قطّ شعراً أجودَ ولا غناءً أحسن منه؛ فقال له طويس: يابن الحُسام، أتدري مَنْ يقوله؟ قال: لا؛ قال: قالته عَمَّتُكَ خَوْلةُ بنت ثابت تُشَبِّب بعُمارة بن الوليد بن المُغيرة المخزومي؛ فخرج سعيد وهو يقول: ما رأيْتُ كاليوم قطُّ مثل ما استقبلني به هذا المخنَّث! واللَّه لايُفْلِتُني! فقال

(١) ضرب برأسه على صدره: أطرق استحياءً وخجلاً.
(٢) نضحه ونصعه: يريد أنه رشه بالماء ونظفه.
(٣) خريطة: وعاء من أدم.

يزيدُ: دَعْ هذا وأمِتْه ولا ترفع به رأساً. قال أبو الفرج الأصبهاني: هذه الأبيات، فيما ذكر الحَرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بَكَّار، لابن زهير المخنَّث.

[مدح ابن سريج غناءه]

قال إسحاق وحدَّثني الهيثم بن عديّ عن ابن عَيَّاش، وابنُ الكلبيّ عن أبي مِسْكين، قالا: قَدِم ابنُ سُرَيج المدينةَ فغنَّاهم، فاستظرف الناس غناءَهُ وآثروه على كلّ مَنْ غنّى؛ وطلع عليهم طُوَيس فسمعهم وهم يقولون ذلك، فاستخرج دُفّاً من حِضْنِهِ ثم نقر به وغنَّاهم بشعر عُمارة بن الوَليد المخزوميّ في خَوْلة بنت ثابت، عارضها بقصيدتها فيه:

يا خَليلي نابَني سُهدي ... لَم تَنم عَيني ولم تَكَدِ

وهو:

تناهى فيكمُ وَجْدي ... وصدَّعَ حُبُّكم كَبْدي
فقلبي مُسْعَرٌ حُزناً ... بذات الخالِ في الخدِّ
فما لاقى أخو عشقٍ ... عَشيرَ العُشْر من جَهْدي

[المديد]

فأقبل عليهم ابن سُرَيج فقال: واللَّه هذا أحسن الناس غناءً.

أخبرني وَكِيعٌ محمدُ بن خَلَف قال حدَّثنا إسماعيلُ بن مجمِّع قال حدَّثني المدائنيُّ قال: قَدِمَ ابنُ سُرَيج المدينةَ فَجَلَسَ يوماً في جماعةٍ وهم يقولون: أنت واللَّه أحسن الناس غناء، إذ مرَّ بهم طُوَيس فسمِعهم وما يقولون: فاستلَّ دفّه من حِضْنِهِ ونَقَرَهُ وتغنّى:

إنَّ المُجَنَّبةَ[1] التي ... مَرَّتْ بنا قبل الصَّباح
في حُلَّةٍ مَوْشِيَّةٍ ... مَكِّيَّةٍ غَرْثى الوِشاحِ[2]
زين لمشهد فِطرِهم ... وتزينُهُم يومَ الأضاحي

[مجزوء الكامل]

---

(١) المجنبة: وصف من جنبه إذا أبعده.

(٢) الغَرَثُ: الجوع، وقد غَرِثَ بالكسر يَغْرَثُ فهو غَرْثانٌ، وقومٌ غَرثى وغَراثى، مثل صَحارى، وغِراث. وامرأة غَرْثى ونسوةٌ غِراثٌ. وامرأة غَرْثى الوشاح، لأنها دقيقة الخصر لا يملأ وشاحها، فكأنَّه غَرثانُ. والتغريث: التجويع. يقال: غَرَّثَ كلابه، أي جوَّعها.

ـ الشعر لابن زُهَير المُخنَّث. والغناءُ لطُوَيس هَزَجٌ، أخبرنا بذلك الحَرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبيرِ بن بَكَّار ـ فقال ابنُ سُرَيج: هذا واللَّه أحسنُ الناسِ غناءً لا أنا.

[تبع جارية فزجرته]

قال إسحاقُ حدَّثني المدائنيّ قال: حُدّثْتُ أنَّ طويساً تَبِع جاريةً فراوغَتْهُ فلم ينقطع عنها، فَخَبَّتْ[1] في المشي فلم ينقطع عنها؛ فلما جازَتْ بمجلسٍ وقَفَتْ ثم قالَتْ: يا هؤلاء، لي صديقٌ ولي زوجٌ ومولى يَنْكَحُني، فسلوا هذا ما يريد منِّي! فقال أُضيِّقُ ما قد وسَّعوه. ثم جعل يتغنَّى:

أفِقْ يا قلبُ عن جُمْلِ ... وجُمْلٌ قطَّعَتْ حَبْلي
أفق عنها فقد عُنِّيْتَ حولاً في هَوى جُمْلِ
وكيف يُفيقُ محزونٌ ... بِجُمْلٍ هائمُ العقلِ
بَراهُ الحُبُّ في جملٍ ... فحَسْبي الحبُّ من ثِقْلِ
وحَسْبي فيكِ ما ألقى ... من التَّفْنيد والعَذْلِ
وقِدماً لامني فيها ... فلم أَحْفِلْ بهم أهلي

[مجزوء الوافر]

[حديث طويس والرجل المسحور]

قال إسحاق وقال المدائنيّ قال مَسْلَمة بن مُحارب حدَّثني رجلٌ من أصحابنا قال: خرجنا في سَفْرةٍ ومعنا رجلٌ، فانتهينا إلى وادٍ فدعَوْنا بالغداء، فمدَّ الرجلُ يدَهُ إلى الطعام فلم يَقْدِرْ عليه، وهو قبل ذلك يأكلُ معنا في كلِّ منزل، فخرجنا نسألُ عن حاله فَلَقِينا رجلاً طويلاً أحولَ مُضطربَ الخَلْقِ في زيِّ الأعراب، فقال لنا: مالكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا، فأخبرنا خَبَرَ الرجل؛ فقال: ما اسم صاحبِكم؟ فقلنا: أُسَيد؛ فقال: هذا وادٍ قد أُخِّذَت سِباعه فارحلوا، فلو قد جاوزتُم الوادي استمرَّ[2] صاحبكم وأكل. قلنا في أنفسنا: هذا من الجنِّ، ودخلتْنا فَزْعةٌ؛ فَفَهِمَ ذلك وقال: لِيُفْرِخْ روعكم[3] فأنا طويس. قال له بعضُ مَنْ معنا من بني غِفَار أو من بني عَبْس: مرحباً بك يا أبا عبد النعيم، ما هذا الزَّيّ! فقال: دعاني بعض أوِدَّائي من الأعراب فخرجْتُ إليهم وأحببْتُ

(١) خبت: أسرعت.
(٢) استمر: قوي واستقام أمره.
(٣) عن ابن الأعرابي ـ : قال: فرخ الرجل ـ إذا زال فزعه وأطمأن.

أن أتخطَّى الأحياء فلا يُنْكرُوني. فسألْتُ الرجُلَ أن يغنِّينا؛ فاندفع ونَقَرَ بدفٍّ كان معه مربَّع، فلقد تخيَّلَ لي أنَّ الوادي يَنْطِقُ معه حسناً، وتعجَّبنا من علمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا.

وكان الذي غَنَّى به شعر عُرْوة بن الوَرْد[١] في سلمى امرأته الغِفارِّية حيث رَهَنَها على الشراب:

سَقَوني الخَمرَ[٢] ثُمَّ تَكَنَّفوني ... عُداةُ اللَّهِ مِن كَذِبٍ وَزورِ
وَقالوا لَستَ بَعدَ فِداءِ سَلمى ... بِمُفْنٍ ما لَديكَ وَلا فَقيرِ
فَلا واللَّه لَو مُلِّكْتُ أمري ... وَمَن لَي بِالتَّدَبُّرِ في الأُمورِ[٣]
إِذاً لَعَصيتُهُمْ في حُبِّ سَلْمى ... عَلى ما كانَ مِن حَسَكِ الصُدورِ[٤]
فَيا لِلنَّاسِ كَيفَ غُلِبْتُ أمري ... عَلى شَيءٍ وَيَكرَهُهُ ضَميري

[الوافر]

[قصة عروة وامرأته سلمى الغفارية]

قال إسحاق وحدَّثني الواقديّ قال حدَّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال:

لما غَزَا النبيُّ ﷺ بني النَّضِير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خَيْبَر يضربون بدُفوفٍ وَيَزمرون بالمزامير وعلى النساء المُعَصْفَراتُ وحُليُّ الذهب مُظْهرين لذلك تجلُّداً، ومرَّتْ في الظُّعُنِ[٥] يومئذٍ سلمى امرأة عُرْوة بن الوَرْدِ العبسيّ، وكان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف، وكانت سلمى من بني غِفار، فسباها عروة من قومها وكانت ذات جمالٍ فولَدَتْ له أولاداً وكان شديدَ الحُبِّ لها وكان ولدُهُ يُعَيَّرون بأمِّهم ويسمَّوْن بني الأخيذة ـ أي السَّبيَّة ـ فقالت: ألا ترى ولدك يُعَيَّرون؟ قال: فماذا تَرَين؟

(١) عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان. من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، توفي سنة ٣٥ ق.هـ.

(٢) ورد في الديوان «النسيء» بدل «الخمر».

(٣) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:
أَلا وَأَبيكَ لَو كَاليَوم أَمري ... وَمَن لَكَ بِالتَدَبُّرِ في الأُمورِ

(٤) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:
إِذاً لَمَلَكتُ عِصمَةَ أُمِّ وَهبٍ ... عَلى ما كانَ مِن حَسَكِ الصُدورِ

(٥) يُقالُ: مرت الظعن والأظعان والظعائن وهي الجمال عليها الهوادج.

قالت: أرى أن تَرُدَّني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوِّجونك فأَنْعَم لها[١]، فأرسَلَتْ إلى قومِها أن ألقَوه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكَر ويَثْمَل فإنه لا يُسألُ حينئذٍ شيئاً إلا أعطاه؛ فَلقوه وقد نزل في بني النَّضير فسقَوه الخمرَ، فلما سَكِرَ سألوه سلمى فردَّها عليهم ثم أَنْكَحُوه بعدُ. ويُقالُ: إنما جاء بها إلى بني النَّضير، وكان صُعلوكاً يُغيرُ، فسقَوه الخمرَ، فلما انتشى منعوه ولاشيء معه إلا هي فرهنها، ولم يزل يشرب حتى غَلِقَتْ[٢]؛ فلما قال لها: انطلقي قالت: لا سبيل إلى ذلك، قد أَغْلَقْتني. فبهذا صارت عند بني النَّضير. فقال في ذلك:

سَقَوني الخَمرَ ثُمَّ تَكَنَّفوني ... عُداةُ اللَّهِ مِن كَذِبٍ وَزورِ

[الوافر]

هذه الأبيات مشهورة بأن لِطُويس فيها غناءً، وما وجدْتُهُ في شيء من الكتب مجنَّساً فتُذكَر طريقته.

[تحريشه بالغناء]

قال إسحاق وحدَّثني المدائنيُّ قال: كان طويسٌ وَلِعاً بالشعر الذي قالته الأوْس والخزرج في حروبِهم، وكان يريد بذلك الإغراء فَقَلَّ مجلسٌ اجتمع فيه هذان الحَيَّان فغنَّى فيه طُوَيسٌ إلا وقَعَ فيه شيء؛ فنُهيَ عن ذلك، فقال: واللَّه لا تركْتُ الغناء بشعر الأنصار حتى يوسِّدوني التُّرابَ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به، فكان يُبْدي السرائرَ ويُخْرِجُ الضغائن، فكان القومُ يتشاءمون به.

وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصْبَر عن حديثه ويُسْتَشهد على معرفته، فغنَّى يوماً بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو:

رَدَّ الخَليطُ الجِمالَ فَانصَرَفوا ... ماذا عَلَيهِم لَو أَنَّهُم وَقَفوا

لَو وَقَفوا ساعَةً نُسائِلُهُم ... رَيثَ[٣] يُضَحّي جِمالَهُ السَّلَفُ

فَلَيتَ أَهلي وَأَهلَ أَثلَةَ في ... الدّار قَريبٌ مِن حَيثُ تَختَلِفُ

[المنسرح]

فلما بلغ إلى آخر بيت غنَّى فيه طويسٌ من هذه القصيدة وهو:

---

(١) أنعم: قال لها نعم.

(٢) من المجاز: غلق الرهن في يد المرتهن إذا لم يقدر على افتكاكه.

(٣) ريث: الإبطاء.

أَبـلِـغ بَـنـي جَـحـجَـبـى وَقَـومَـهُـمُ خَـطـمَـةَ أَنّـا وَراءَهُـم أُنُـفُ
[المنسرح]

تكلَّموا وانصرفوا وجرت بينهم دماءٌ، وانصرف طويسٌ من عندهم سليماً لم يكلَّم ولم يُقَلْ له شيء.

[سبب الحرب بين الأوس والخزرج]

قال إسحاق فحدَّثني الواقِديّ وأبو البَخْتَريّ، قالا: قال قيس بن الخَطيم هذه القصيدة لشَغَبٍ أثاره القومُ بعد دهر طويل. ونذكُرُ سبب أوّلِ ما جرى بين الأوس والخزرج من الحرب: قال إسحاقُ قال أبو عبد اللَّه اليَزيدي وأبو البَخْتريّ، وحدّثني مشايخ لنا قالوا. كانت الأوسُ والخزرج أهلَ عزٍّ ومَنَعةٍ وهما أخوانِ لأبٍ وأمّ وهما ابنا حارثةَ بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وأمُّهما قَيْلَة بنت جَفْنة بن عُتَيْبة بن عمرو؛ وقُضاعة تذكر أنها قَيْلة بنتُ كاهِل بن عُذْرةَ بن سعد بن زيد بن سُود بن أَسْلم بن الحاف بن قُضاعة. وكانت أوَّلُ حرب جرت بينهم في مولًى كان لمالك بن العَجْلان قتله سُمَير بنُ يزيد بن مالك، وسُمَير رجل من الأوس ثم أَحدُ بني عمرو بن عوف، وكان مالك سيدَ الحيَّين في زمانه، وهو الذي ساق تُبَّعاً إلى المدينة وقتل الفِطْيون[١] صاحب زُهْرة[٢] وأذلَّ اليهود للحيِّين جميعاً، فكان له بذلك الذكرُ والشرفُ عليهم، وكانت ديةُ المَوْلى فيهم ـ وهو الحليفُ ـ خَمْساً من الإبل، ودية الصريح عشراً، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف: ابعثوا إليّ سُمَيراً حتى أقتله بمولاي فإنا نكره أن تَنْشَبَ بيننا وبينكم حربٌ؛ فأرسلوا إليه: إنا نُعطيك الرضا من مولاك فخذ منا عَقْلَه[٣]، فإنك قد عرفت أن الصريح لا يُقْتَلُ بالمولى؛ قال: لا آخذ في مولاي دون دية الصريح، فأبوا إلا ديةَ المولى. فلما رأى ذلك مالكُ بن العَجْلان جَمَعَ قومَهُ من الخزرج، وكان فيهم مُطاعاً، وأمرهم بالتهيُؤ للحرب. فلما بلغ الأوس استعدّوا لهم وتهيَّؤوا للحرب واختاروا الموت على الذلِّ؛ ثم خرج بعضُ القوم إلى بعض فالتقوا بالصَّفينة بين بئر سالم وبين قُباء (قرية لبني عمرو بن عوف) فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعضُ القوم

(١) الفِطْيَوْن الملِك، وهذا اسمٌ عِبرانيٌّ أيضاً. وكان الفِطيَوْن تَمَلَّك بيثربَ فقتلَه رجلٌ من الأنصار قبل أن يُسَمَّوْا بهذا الإسم في الجاهليّة الأولى؛ وله حديث. وقد شهدَ بعضُ ولدِ الفِطْيَون بدراً، واستشهِد بعضُهم يومَ اليمامة. فمن ولد الفِطيَون: أبو المُقْشَعِرّ، واسمه أَسِيد بن عبد اللَّه، كان من رجالهم.

(٢) زهرة: القبيلة المعروفة التي ينتسب اليها عبد الرحمن بن عوف الزهريّ.

(٣) عقله: ديته.

من بعض. ثم إنَّ رجلاً من الأوس نادى: يا مالك، نَنْشُدك اللَّه والرَّحِمَ ـ وكانت أمّ مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف ـ فاجعل بيننا وبينك عَدْلاً من قومِك فما حَكَمَ علينا سلَّمْنا لك؛ فارعوى[1] مالكٌ عند ذلك، وقال نعم؛ فاختاروا عمرو بن امرىء القيس أحدَ بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به، واستوثق منهم، ثم قال: فإني أقضي بينكم: إن كان سُمَير قتل صَريحاً من القوم فهو به قَوَدٌ، وإنْ قَبِلوا العَقْلَ فلهم دية الصريح؛ وإن كان قتل مولًى فلهم دية المولى بلا نقص، ولا يُعطى فوق نصف الدية، وما أصبْتُم منا في هذه الحرب ففيه الديةُ مُسَلَّمةً إلينا، وما أصبنا منكم فيها علينا فيه ديةٌ مسلَّمة إليكم. فلما قضى بذلك عمرو بن امرىء القيس غضب مالك بن العجلان ورأى أن يَرُدَّ عليه رأيه، وقال: لا أقبل هذا القضاء؛ وأمرَ قومَهُ بالقتال، فجمع القومُ بعضَهُم لبعضٍ ثم التَّقوا بالفضاء[2] عند آطام بني قيْنُقاع، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم تداعوا إلى الصلح فحكَّموا ثابت بن حَرام بنَ المُنْذِر أبا حَسَّان بن ثابت النَّجَّاريّ، فقضى بينهم أن يَدُوا مَوْلى مالك بن العجلان بدية الصريح ثم تكون السُّنَّةُ فيهم بعده على مالكٍ وعليهم كما كانت أوَّل مرّة: المولى على ديته؛ والصريح على ديته؛ فرضي مالك وسلَّم الآخرون. وكان ثابت إذ حكَّموه أراد إطفاء النائرة[3] فيما بين القوم ولَمَّ شَعَثِهم[4]، فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبت عليه الأوسُ أن تؤدي إلى مالكٍ أكثر من خمسٍ وأبى مالكٌ أن يأخذَ دونَ عَشْرٍ. فلما أخرج ثابتٌ الخَمْسَ أرضى مالكاً بذلك ورَضِيَتِ الأوسُ، واصطلحوا بعهدٍ وميثاقٍ ألا يُقتل رجلٌ في دارِهِ ولا مَعْقِلِه ـ والمعاقل: النخل ـ فإذا خرجَ رجل من دارِهِ أَوْ مَعْقِلِه فلا دية له ولا عَقْل. ثم انظروا في القتلى فأيُّ الفريقين فَضَل على صاحبه وَدَى له صاحبه. فأفْضلت الأوسُ على الخزرج بثلاثة نَفَر فوَدَتْهُم الأوسُ واصطلحوا. ففي ذلك يقول حَسَّان بن ثابت لما كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك:

وَأَبـي فـي سُـمَـيـحَـةَ الـقـائِـلُ الـفـا صِـلُ يَـومَ ٱلـتَـفَّـت عَـلَـيـهِ الـخُـصـومُ

[الخفيف]

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدته وهي طويلة:

رَدَّ الـخَـلـيـطُ الـجِـمـالَ فَـانـصَـرَفـوا مـاذا عَـلَـيـهِـم لَـو أَنَّـهُـم وَقَـفـوا

[المنسرح]

(١) ارْعَوَى فلانٌ عن الجهْلِ ارعِواءً حسناً، ورَعْوَى حسنة وهو نزوعه عن الجهل وحسن رجوعه.
(٢) الفضاء: موضع في المدينة.
(٣) بينهم نائرة: عداوة وشحناء، وأطفأ اللَّه تعالى هذه النائرة.
(٤) الشعث: التفرق.

[أنشد عمر بن عبد العزيز شيئاً من شعره]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكَّار قال حدَّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يُنْشِدُ قولَ قيس بن الخطيم:

بَينَ شُكولِ النِّساءِ خِلقَتُها ... قَصدٌ فَلا جَبْلَةٌ وَلا قَضَفُ
تَنامُ عَن كُبرِ شَأنِها فَإِذا ... قامَت رُوَيداً تَكادُ تَنقَصِفُ
تَغتَرِقُ الطَّرفَ وَهيَ لاهِيَةٌ ... كَأَنَّما شَفَّ وَجهَها نُزُفُ

[المنسرح]

ثم يقول: قائلُ هذا الشعر أنسب[1] الناس.

ومما في المائة المختارة من أغاني طويس

صوت

يا لِقَومي قَد أَرَّقَتني الهُمومُ ... فَفُؤادي مِمّا يُجِنُّ سَقيمُ
أَندُبُ الحُبَّ في فُؤادي فَفيهِ ... لَو تَراءى لِلناظِرينَ كُلومُ[2]

[الخفيف]

يُجنّ: يُخفى، والجُنَّة من ذلك، والجنّ أيضاً مأخوذ منه. وأندب: أبقى فيه نَدَباً وهو أثر الجرح؛ قال ذو الرُّمّة[3]:

---

(١) يقال هذا الشِّعْرُ أَنْسَبُ أَي أَرَقُّ نَسِيباً وتشبيباً، كأَنّهم قد قالُوا: نَسِيبٌ ناسِبٌ، كشِعْرٍ شاعرٍ على المبَالغة، فبُنِيَ هذا منه.

(٢) هذان البيتان لعبيد اللَّه بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي، ابن قيس الرقيات. شاعر قريش في العصر الأموي. كان مقيماً في المدينة. خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد اللَّه) فأقام سنة وقصد الشام فلجأ إلى عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب فسأل عبد الملك في أمره، فأمّنه، فأقام إلى أن توفي سنة ٨٥هـ..

(٣) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، وُلِدَ سنة ٧٧هـ، من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرُّمة. كان شديد القصر دميماً، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء على الأطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيماً بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيراً، امتاز بإجادة التشبيه، توفي سنة ١١٧هـ.

تُـريـكَ سُـنَّـةَ[١] وَجـهٍ غَـيـرَ مُـقـرِفَـة مَـلـسـاءَ لَـيـسَ بِـهـا خـالٌ وَلا نَـدَبُ

[البسيط]

الشعر لابن قيس الرُّقيات فيما قيل. والغناءُ لطويس، ولحنه المختار خفيفُ رمل مطلق في مجرى الوسطى، قال إسحاق: وهو أجود لحن غَنَّاه طويس، ووجدته في كتاب الهشاميّ خفيفَ رمل بالوسطى منسوباً إلى ابن طُنْبورة. قال وقال ابن المكيّ: إنه لحكم، وقال عمرو بن بانة: إنه لابن عائشة أوّله هذان البيتان، وبعدهما:

مـا لِـذا الـهَـمِّ لا يَـريـمُ فُـؤادي مِـثـلَ مـا يَـلـزَمُ الـغَـريـمَ الـغَـريـمُ

إِنَّ مَـن فَـرَّقَ الـجَـمـاعَـةَ مِـنّـا بَـعـدَ خَـفـضٍ وَنِـعـمَـةٍ لَـذَمـيـمُ

[الخفيف]

انقضَتْ أخبارُ طُويس.

صـوت

من المائة المختارة من صنعة قفا النجار

حُـجِـبَ الأُلـى كُـنَّـا نُـسَـرَّ بـقـربِـهـم يـا لـيـت أنَّ حِـجَـابَـهُـم لـم يُـقْـدَرِ

حُـجِـبـوا ولـم نَـقـضِ الـلُّـبـانـة مـنـهُـمُ ولـنـا إلـيـهـم صـبـوةٌ لـم تُـقْـصِـرِ[٢]

ويُـحـيـطُ مِـئـزرُهـا بِـرِدْفٍ كـامـلٍ رابـي الـمَـجـسَّـةِ[٣] كـالـكـثـيـب الأعـفـر

وإذا مَـشَـتْ خِـلْـتَ الـطـريـقَ لـمـشـيـهـا وَحِـلاً كـمـشـي الـمُـرْجـحِـنّ[٤] الـمـوقـر[٥]

[الكامل]

لم يقع إلينا قائل الشعر. والغناء لقفا النجَّار، ولحنه المختار من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ويُقالُ: إنَّ فيه لحناً لابن سُريج. وذكر يحيى بن

---

(١) سنة الوجه: صورته وجماله.

(٢) لم تقصر: لم تكف ولم تنته.

(٣) الجَسُّ: المَسُّ باليَد، كالاجْتِساس، وقد جَسَّهُ بيدِه واجْتَسَّه، أي مَسَّه وَلَمَسه. ومَوْضِعُه الذي تقعُ عليه يداه إذا جَسَّه: المَجَسَّة، كالمجَسِّ، ويقال: مَجَسَّتُه حارَّةٌ. ومعنى رابي المجسة: أنه عظيم سمين حيث يجس.

(٤) امرأة مُرْجَحِنَّة إذا كانت سمينة، فإذا مشت تَفَيَّأَتْ في مِشْيتها. وفي حديث علي، عليه السلام: في حُجُراتِ القُدُس مُرْجَحِنِّين؛ من ارْجَحَنَّ الشيءُ إذا مال من ثِقَله وتحرَّك؛ ومنه حديث ابن الزبير في صفة السحاب: وارْجَحَنَّ بعد تَبَسُّقٍ أَي ثَقُل ومال بعد علُوِّه.

(٥) الموقر: الذي يحمل الأثقال.

عليّ بن يحيى في الاختيار الواثقيّ أنَّ لحن قفا النجَّار المختار من الثقيل الأوَّل.

صـوت

من المائة المختارة

أفِقْ يادارمِيُّ فقد بُلِيتا وإنَّك سوف تُوشِكُ أن تموتا
أراك تَزيدُ عشقاً كلَّ يومٍ إذا ما قلت إنك قد بَريتا

[الوافر]

الشعر والغناء جميعاً لسعيدٍ الدارميّ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

ذكر الدَّارميّ وخبره ونسبه وكان من الشعراء وأرباب النوادر

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال حدَّثني أبو أيوب المدينيّ قال حدَّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه قال: الدارميّ من ولد سُوَيد بن زيد الذي كان جَدُّه قتل أسعد بن عمرو بن هِنْد، ثم هَرَبوا إلى مكة فحالفوا بني نَوْفَل بن عبد مَناف.

وكان الدَّارميّ في أيام عمر بن عبد العزيز وكانت له أشعار ونوادر، وكان من ظُرفاءِ أهل مكة، وله أصوات يسيرة. وهو الذي يقول:

ولـــمـــا رأيـــتُـــكَ أولـــيـــتـــنـــي ال قـبـيـحَ وأبـعـدْتَ عـنِّـي الـجـمـيـلا
تَـــرَكْـــتُ وِصَـــالَـــك فـــي جـــانـــبٍ وصـــادفْـــتُ فـــي الـنـاس خِـلاًّ بَـديـلا

[المتقارب]

[شبب بذات خمار أسود]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال حدَّثني إسحاق ابن إبراهيم عن الأصمعيّ، وأخبرني عمِّي قال حدَّثنا فَضْل اليزيدي عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ، وأخبرني عمِّي قال حدَّثنا أبو الفضل الرِّياشيّ عن الأصمعيّ، قال وحدَّثني به النُّوْشَجانيّ عن شيخ له من البصريّين عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد، ولم يقل عن ابن أبي الزناد غيره: أنَّ تاجراً من أهل الكوفة قَدِمَ المدينةَ بخُمُر[1] فباعها كلها وبَقِيَتْ السودُ منها فلم تَنْفُق[2]، وكان صديقاً للدَّارميّ، فشكا ذاك إليه، وقد كان نَسَكَ[3] وترك الغناءَ

(١) الخِمَارُ للمرأَة، وهو النَّصِيفُ، وقيل: الخمار ما تغطي به المرأَة رأسها، وجمعه أَخْمِرَةٌ وخُمْرٌ وخُمُرٌ. والخِمِرُّ، بكسر الخاء والميم وتشديد الراء: لغة في الخمار.

(٢) وأنفق المال: صرفه. وفي التنزيل: (و إذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم اللَّه) أي: أنفقوا في سبيل اللَّه وأطعموا وتصدقوا.

(٣) من المجاز: رجل ناسك وذو نسكٍ: عابد، وهو من النّسّاك: العبّاد. وقضى مناسك الحجّ: عباداته.

وقولَ الشعر؛ فقال له: لاتهتمّ بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع؛ ثم قال:

صـوت

قُـلْ لـلـمَـلـيـحـةِ فـي الـخِـمـارِ الأَسـوَدِ ... مـاذا صَـنَـعـتِ بـراهـبٍ مُـتَـعَـبِّـدِ
قـد كـانَ شَـمَـرَّ لـلـصَـلاة ثـيـابَـهُ ... حـتّـى وَقَـفـتِ لـه بـبـابِ الـمـسـجـدِ

[الكامل]

وغنَّى فيه، وغنَّى فيه أيضاً سِنانٌ الكاتب، وشاع في الناس وقالوا: قد فتك[1] الدارميّ ورجع عن نُسكِهِ؛ فلم تبقَ في المدينة ظريفةٌ إلا ابتاعت خِماراً أسود حتى نَفِذَ ما كان مع العراقيّ منها؛ فلما عَلِمَ بذلك الدارميّ رَجَعَ إلى نسكِهِ ولَزِمَ المسجد.

فأما نسبة هذا الصوت فإنَّ الشعر فيه للدارميّ والغناء أيضاً، وهو خفيفُ ثقيل أوَّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لسنانٍ الكاتب رملٌ بالوسطى عن حَبَش. وذكر حَبَش أن فيه لابن سُريج هَزَجاً بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثني أبو هَفَّان قال: حَضَرْتُ يوماً مجلس بعض قوّاد الأتراك وكانت له سِتارةٌ فنُصِبَتْ، فقال لها: غنِّي صوتَ الخمار الأسود المليح، فلم ندرِ ما أراد حتى غنَّتْ:

قُـلْ لـلـمَـلـيـحـةِ فـي الـخِـمـارِ الأَسـوَدِ

ثم أمسك ساعةً ثم قال لها غنِّي:

إنِّـي خـريـتُ وجِـئْـتُ أنـتـقـلـه

فَضَحِكَتْ ثم قالَتْ: هذا يشبهك! فلم ندرِ أيضاً ما أراد حتى غنَّت:

إِنَّ الـخَـلـيـطَ أَجَـدَّ مُـنـتَـقَـلُـه[2]

[الكامل]

---

(١) فتك: مجن.

(٢) البيت هو:

إِنَّ الـخَـلـيـطَ أَجَـدَّ مُـنـتَـقَـلُـه ... وَلِـذاكَ زُمَّـت غُـدوَةً إِبِـلُـه

وهو لأعشى همدان، وهوعبد الرحمن بن عبد اللَّه بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني. شاعر اليمانيين، بالكوفة وفارسهم في عصره. ويعد من شعراء الدولة الأموية. كان أحد الفقهاء القراء، وقال الشعر فعرف به وكان من الغزاة أيام الحجاج، غزا الديلم وله شعر كثير في وصف بلادهم ووقائع المسلمين معهم. ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه واستولى على =

[بخله وظرفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمد قال حدَّثني محمد بن أخي سَلْم الخزاعي قال حدَّثني الحِرْمازيّ قال زَعَمَ لي ابن مَوْدود قال: كان الدارميّ المكيّ شاعراً ظريفاً وكانت مُتَفَتِّيات[١] أهل مكة لا يطيبُ لهنَّ متنزَّه إلا بالدارميّ، فاجتمع جماعةٌ منهنَّ في منتزه لهنَّ، وفيهنَ صديقةٌ له، وكلُّ واحدة منهنَّ قد واعدَتْ هَوَاها[٢]، فخرجن حتى أتَيْنَ الجُحْفَةَ[٣] وهو معهنَّ؛ فقال بعضهنَّ لبعض: كيف لنا أن نَخْلَو مع هؤلاء الرجال من الدارميّ؟ فإنا إن فعلنا قطَّعَنا في الأرض[٤]! قالت لهُنَّ صاحبتُهُ: أنا أكفيكُنَّه؛ قلن: إنا نريد إلا يلومنا؛ قالت: عليَّ أن ينصرف حامداً، وكان أبخل الناس، فأتته فقالت: يا دارميّ، إنا قد تَفِلْنا[٥] فاجلب لنا طِيباً؛ قال نعم هو ذا، آتي سوقَ الجُحْفة آتيكنّ منها بطيبٍ؛ فأتى المكارين فاكترى حماراً فصار عليه إلى مكة وهو يقول:

أنا بالله ذي العزِّ وبالرُّكنِ وبالصَّخره
من اللائي يُرِدنَ الطِّيبَ في اليُسر وفي العُسْره
وما أقوَى على هذا ولو كُنْت على البَصْره

[الهزج]

فمكث النسوةُ ما شئن. ثم قَدِمَ من مكة فلقِيتهُ صاحبتُهُ ليلةً في الطَّواف، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجَعَلَتْ تُعاتبه على ذَهابِهِ ويُعاتِبُها، إلى أن قالت له: يا دارميّ، بحقِّ هذه البَنِيَّة[٦] أتُحِبُني؟ فقال نعم، فبِربِّها أتُحِبّيني؟ قالت نعم؛ قال: فيا لكِ الخيرُ فأنتِ تُحبِّيني وأنا أُحبُّك، فما مَدْخلُ الدراهم بيننا!

= سجستان معه وقاتل رجال الحجاج الثقفي. ثم جيء به إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه سنة ٨٣هـ.

(١) متفتيات: وصف من تفتت الجارية إذا راهقت فخُدِرَت ومُنِعَتْ من اللعب مع الصبيان.

(٢) ابن سيده: الهَوى العِشْق، يكون في مداخل الخير والشر.

(٣) الجُحْفة: ميقات أهل الشام في الإحرام واسمها مَهيعة سميت جُحْفة لان السيل أجتحف أهلها.

(٤) يريد من خلا قوله: يريد أن يمزق أعراضهنّ وينشر ذلك في الأرض بين الناس.

(٥) وتَفِلِ الشيءُ تَفَلاً: تغَيَّرت رائحته. والتَّفَل: ترك الطيِّب. رجل تَفِل أي غير مُتَطَيِّب بَيِّن التَّفَل، وامرأة تَفِلة ومِتْفال؛ الأخيرة على النسب.

(٦) البنية: مكة المكرمة.

[الدارميّ وعبد الصمد بن علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال حدَّثني عمِّي قال: كان الدارميّ عند عبد الصمد بن عليّ يُحَدِّثُهُ، فأغفى عبد الصمد فعطَسَ الدارميُّ عَطْسَةً هائلةً، ففَزِعَ عبد الصمد فَزَعاً شَدِيداً وغَضِبَ غضباً شديداً، ثم استوى جالساً وقال: يا عاضَّ كذا من أمه أتُفَزِّعني! قال: لا واللَّه ولكن هكذا عُطاسي! قال: واللَّه لأنقَعنَّك في دمك أو تأتيَّني ببيِّنة على ذلك؛ قال: فخرج ومعه حَرَسيٌّ[1] لا يدري أين يذهب به، فلقيه ابن الريَّان المكيّ فسأله؛ فقال: أنا أشهد لك؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد؛ فقال له: بم تشهد لهذا؟ قال: أشهد أني رأيتُهُ مرَّةً عطس عطسةً فسقط ضرسه؛ فضحك عبد الصمد وخَلَّى سبيلَهُ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمد قال حدَّثنا الزُّبيرُ قال: قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميّ: لو صَلَحَتْ عليك ثيابي لكسوتك؛ قال: فَدَيتك! إن لم تصلُحْ عليَّ ثيابك صَلَحَتْ عليَّ دنانيرك.

[الدارميّ مع نسوة من الأعراب]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهير قال حدَّثنا الزُّبيرُ، ونَسَخَت من كتاب هارون بن محمد: حدَّثنا الزُّبيرُ قال حدَّثني يونس بن عبد اللَّه الخيَّاط قال: خرج الدارميّ مع السُّعاة[2]، فصادف جماعةً منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم، فأتى بها في ثوبه، وأحاط به أعرابيات فجعلن يسألنه وألحَحْنَ عليه وهو يردّهنَّ؛ فعرفتْهُ صبية منهنَّ فقالت: يا أخواتي، أتدرين من تسألن منذُ اليوم؟ هذا الدارميّ السآل. ثم أنشدت:

إذا كُنْتَ لا بدَّ مُسْتَطْعِماً فدَعْ عنك مَنْ كان يَستطعِمُ

[المتقارب]

فولّى الدارميّ هارباً مِنْهُنَّ وهن يتضاحكنَ به.

[الدارميّ والأوقص القاضي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال أخبرني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدَّثنا

---

(١) الحرس: الأعوان.

(٢) سَعى الرجل يَسْعى سَعْياً، أي عدا، وكذلك إذا عمل وكسَب. وكلّ مَن وليَ شيئاً على قوم فهو ساعٍ عليهم، وأكثر ما يقال ذلك في وُلاةِ الصَّدقة. يقال: سَعى عليها، أي عمل عليها؛ وهم السُّعَاةُ. والمَسْعاةُ: واحدة المَساعي في الكرم والجود.

مصعب الزبيريّ قال: أتى الدارميُّ الأوقصَ القاضيَ بمكة في شيء فأبطأ عليه فيه، وحاكمه إليه خَصْمٌ له في حقٍّ، فحبسه به حتى أدَّاه إليه. فبينا الأوقص يوماً في المسجد الحرام يُصَلِّي ويدعو ويقول: يا ربّ أعتق رقبتي من النار، إذ قال له الدارميّ والناس يسمعون: أوَلك رقبةٌ تُعْتَق لا واللَّه ما جعل اللَّه، وله الحمد، لك من عتقٍ ولا رقبة! فقال له الأوقص: ويلك! ومن أنت؟ قال: أنا الدارميّ، حبستَني وقتلتني؛ قال: لا تقل ذلك وائتني فإني أعوّضك فأتاه ففعل ذلك به.

[نادرة له مع عبد الصمد بن علي]

أخبرني الحرميُّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدَّثني الزبير بن بكَّار قال حدَّثني عمي قال: مدح الدارميّ عبد الصمد بن عليّ بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له؛ فلما فرغ أُدْخِلَ إليه رجل من الشُّراة[1]؛ فقال لغلامه: أَعْطِ هذا مائة دينار واضرب عُنُقَ هذا؛ فوثب الدارميُّ فقال: بأبي أنت وأمي! بِرُّك وعقوبتُك جميعاً نَقْد! فإن رأيْتَ أن تبدأ بقتل هذا، فإذا فرغ منه أمرته فأعطاني فإني لن أَريمَ[2] من حضرتك حتى يفعل ذلك؛ قال: ولم ويلك؟ قال: أخشى أن يغلَطَ فيما بيننا، والغلط في هذا لا يُستقال؛ فضَحِكَ وأجابه إلى ما سأل.

[نادرة له في مرضه]

أخبرني الحرميّ قال حدَّثنا الزُّبيرُ قال حدَّثني عمِّي قال: أصابت الدارميَّ قرحةٌ في صدره، فدخل إليه بعضُ أصدقائه يَعوده. فرآه قد نَفَثَ من فيه نَفْثاً أخضر، فقال له: أبْشِر، قد اخضرَّت القرحة وعُوفيتَ؛ فقال: هيهات! واللَّه لو نَفَثْتُ كُلَّ زُمُرُّدَةٍ في الدنيا ما أفلتُ منها.

صـــوت

من المائة المختارة

يـا رَبْـعَ سَـلْـمـى لـقـد هـيَّـجْـتَ لـي طـرَبـا زِدْتَ الـفـؤاد عـلـى عِـلَّاتِـهِ وَصـبـا

(١) الشراة: الخوارج، سموا بذلك لقولهم: «إننا شرينا أنفسنا في طاعة اللَّه».
(٢) أريم: أبرح.

ربـعٌ تـبـدَّل مـمـن كـان يـسـكـنـه عُـفْـرَ الـظِّـبـاء وظُـلْـمـانـاً[1] بـه عُـصْـبـا[2]

[البسيط]

الشعر لهلال بن الأسعر المازنيّ، أخبرني بذلك وَكيعٌ عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه. وهكذا هو في رواية عَمْرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ. ومن لا يعلم ينسُبُهُ إلى عمر بن أبي ربيعة وإلى الحارث بن خالد ونُصَيب، وليس كذلك. والغناء في اللحن المختار لعزّور الكوفيّ، ومن الناس من يقول عَزُّون بالنون وتشديد الزاي، وهو رجلٌ من أهل الكوفة غير مشهور ولا كثير الصنعة، ولا أعلم أنِّي سَمِعْتُ له بخبرٍ ولا صنعةٍ غير هذا الصوت. ولحنُ هذا المختار ثقيلٌ أوَّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وهكذا في الاختيار الواثقي. وذكر عمرو بن بانة أنَّ فيه لابن عائشةَ لحناً من الثقيل الأول بالبنصر. وفي أخبار الغريض عن حَمَّاد أنَّ له فيه ثقيلاً أول. وقال الهِشاميّ: فيه لعبد اللَّه بن العبَّاس لَحنٌ من الثقيل الثاني. وذكر حبش أن فيه لحُسَين بن مُحرز خفيف رملٍ بالبنصر.

(١) الظَّليمُ: الذَّكَرُ من النَّعام، والجمع الظِّلْمانُ، والعَدَدُ أظْلِمةٌ.

(٢) العصب: الجماعات.

أخبار هلال ونسبه
وهو شاعر أموي شجاع أكول

هو، فيما ذكر خالد بن كُلْثوم، هِلالُ بن الأسْعَر بن خالد بن الأرقَم بن قسيم بن ناشرة بن رِزام بن مَازن بن مالك بن عمرو بن تَميم. شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية، وأظنه قد أدرك الدولةَ العباسية، وكان رجلاً شديداً عظيمَ الخَلْق أكُولاً معدوداً من الأكَلَةِ. قال أبو عمرو: وكان هلال فارساً شجاعاً شديدَ البأسِ والبطشِ أكثرَ الناس أكلاً وأعظمهم في حربٍ غَنَّاءً. هذا لفظ أبو عمرو.

[أريحية المغيرة]

وقال أبو عمرو: وعَمَّرَ هلال بن أَسْعَر عُمْراً طويلاً ومات بعد بَلايا عِظام مَرَّتْ على رأسه. قال: وكان رجل من قومه من بني رِزام بن مالك يقال له المُغيرة بن قَنْبَرْ يَعولُهُ ويُفْضِلُ عليه ويحتمل ثقله وثِقْلَ عياله فهلَكَ، فقال هلال يَرْثيه:

ألا ليت المُغِيرة كان حيّاً ... وأَفنى قبله الناسَ الفَناءُ
ليَبْكِ على المُغيرة كُلُّ خيلٍ ... إذا أَفْنى عَرائكَها[1] اللقاءُ
ويَبْكِ على المغيرة كُلُّ كَلٍّ ... فقيرٍ كان يُنعشهُ العطاءُ
ويَبكِ على المغيرة كلُّ جيشٍ ... تَمُورُ[2] لدى معاركه الدِّماءُ
فتى الفتيان فارسِ كلِّ حربٍ ... إذا شالَتْ[3]، وقد رُفِعَ اللِّواءُ

(١) عَرَكْتُ الأديم عَرْكاً: دَلَكْتُهُ. وعرِكْتُ القوم في الحرب عَرَكاً. قال جرير:

قد جرّبت عَرَكي في كلّ مُعْتَرَك

واعترك القوم للقتال والخصومة، والموضع المُعْتَرَكُ، والمعركة. وعريكة البعير: سنامه إذا عَرَكَهُ الحمل.

(٢) مار الشيء يمور إذا تردد في عرضٍ كالدّاغصة في الركبة. والدم يمور على وجه الأرض إذا انصبّ فتردد عرضاً.

(٣) شَالَتِ النَّاقَةُ بِذَنَبِها، تَشُولُهُ شَوْلاً، بالفَتْحِ، وشَوَلَاناً، مَحرَّكَةً، وفي بعضِ النُّسَخِ، شَوَالاً، بالفَتْحِ، وهو غَلَطٌ، وأَشَالَتْهُ، إِشَالَةً: رَفَعَتْهُ.

لـقـد وارى جـديـدُ[١] الأرض مـنـه خِـصـالاً عَـقْـدُ عِـصْـمـتـهـا الـوفـاءُ
فـصـبـراً لـلـنـوائـب، إن أَلَـمَّـتْ إذا مـا ضـاق بـالـحَـدَثِ الـفـضـاءُ
هِـزَبـرٌ[٢] تَـنْـجَـلـي الـغَـمْـراتُ عـنـه نـقـيّ الـعِـرْض هـمَّـتُـه الـعَـلاءُ
إذا شَـهِـدَ الـكـريـهـةَ خـاضَ مـنـهـا بُـحُـوراً لا تـكـدِّرهـا الـدِّلاءُ
جـسـورٌ لا يـروَّعُ عـنـد رَوْعٍ ولا يَـثْـنـي عـزيـمَـتَـهُ اتـقـاءُ
حَـلِـيـمٌ فـي مَـشـاهـده إذا مـا حُبَا[٣] الـحُـلَـمـاءِ أطلـقـهـا الـمِـراءُ[٤]
حَـمِـيـدٌ فـي عـشـيـرتـه، فَـقِـيـدٌ[٥] يَـطـيـب عـلـيـه فـي الـمـلإ الـثـنـاءُ
فـإنْ تـكـن الـمـنـيَّـةُ أقْـصـدتْـهُ[٦] وحُـمَّ[٧] عـلـيـه بـالـتـلـفِ الـقـضـاءُ
فـقـد أَوْدى بـه كـرمٌ وخِـيـرٌ[٨] وعَـوْدٌ بـالـفـضـائـلِ وابـتـداءُ
وجـودٌ لا يَـضُـمُّ إلـيـه جـوداً مُـراهِـنُـهُ إذا جَـدَّ الـجِـراءُ

[الوافر]

[كان عادي الخلق صبوراً على الجوع]

وقال خالد بن كُلْثوم: كان هلال بن الأسعر، فيما ذكروا، يَرد مع الإبل فيأكلُ ما وَجَد عند أهله ثم يَرْجَعُ إليها ولايتزوَّد طعاماً ولا شراباً حتى يرجع يومَ ورودِها، لا يَذُوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شَرَاباً، وكان عاديّ الخَلْقِ[٩] لا تُوصف صفتُهُ.

[حكايات عن قوته]

قال خالد بن كلثوم فحدَّثنا عنه من أدركهُ: أنه كان يوماً في إبلٍ له، وذلك عند

(١) يُريد بجديد الأرض قبره الذي جدّ منها وحفر ليدفن فيه.
(٢) الهِزَبْرُ: الأسدُ.
(٣) حبا: جمع حبوة، وهي الثوب الذي يحتبى به.
(٤) المراء: المخاصمة والمجادلة والملاجة.
(٥) تقول: ما افتقدته منذ افتقدته أي ما تفقّدته منذ فقدته. ومات فلان غير فقيد ولا حميد وغير مفقود ولا محمود أي غير مكترث لفقده، وأفقدك اللّه كل حميم.
(٦) أقصدته: أصابته.
(٧) حُمَّ الأَمرُ: قُضِيَ. وقدَّرُوا احتَمَمْتُ الأمرَ اهتَمَمْتُ، قال: كأنّه من اهتمام بحَميم وقَريب. والحِمامُ: قَضاءُ المَوْت. والحميم: الماء الحارُ.
(٨) الخِيرُ: الشَّرف، عن ابن الأعرابيّ.
(٩) عاديّ الخلق: عملاق ضخم الجسم، نسبة إلى عاد.

الظَّهيرة في يوم شديد وَقْع الشمس مُحْتَدِم الهاجرة وقد عَمَدَ إلى عصاه فطرحَ عليها كساءَه ثم أدخلَ رأسه تحت كسائه من الشمس، فبينا هو كذلك إذ مرَّ بِهِ رجلان أحدهما من بني نَهْشَل والآخر من بني فُقَيم، كانا أشدَّ تَميمِيَّيْن في ذلك الزمان بطشاً، يُقال لأحدهما الهَيَّاج، وقد أقبلا من البحْرين ومعهما أنْواطٌ[١] من تمر هَجَرَ[٢]، وكان هلالٌ بناحية الصِّعابِ[٣]؛ فلما انتهيا إلى الإبل، ولا يعرفان هلالاً بوجهه ولا يعرفان أن الإبل له، ناديا: يا راعي، أعندك شرابٌ تسقينا؟ وهما يُظنَّانه عبداً لبعضهم؛ فناداهما هلالٌ ورأسه تحت كسائه: عليكما الناقة التي صفتها كذا في موضع كذا فأنِيخاها فإن عليها وَطْبين[٤] من لبنٍ، فاشربا منهما ما بدا لكما. قال فقال له أحدهما: وَيْحَكَ! انهض ياغلام فأْت بذلك اللبن! فقال لهما: إنْ تكُ لكما حاجةٌ فستأتيانِها فتجدان الوطبين فتشربان؛ قال فقال أحدهما: إنك يابن اللَّخْناء لغليظ الكلام، قُمْ فاسقنا، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال. وقال لهما، حيث قال له أحدهما: «إنَّك يابن اللخناء لغليظ الكلام»، أراكما واللَّه ستَلْقَيانِ هَواناً وصَغاراً؛ وسمعا ذلك منه، فدنا أحدهما فأهوى له ضَرْباً بالسَّوْط على عَجُزه وهو مضطَجع، فتناول هِلالٌ يده فاجتذبه إليه ورماه تحت فَخِذه ثم ضغَطَهُ ضَغْطَةً، فنادى صاحبه: وَيْحَكَ أَغِثْني قد قتلني! فدنا صاحبُهُ منه، فتناوله هلالٌ أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى، ثم أخذ برقابهما فجعل يَصُكُّ[٥] برؤوسهما بعضاً ببعض لا يستطيعان أن يمتنعا منه؛ فقال أحدهما: كُنْ هِلالاً ولا نُبالي ماصَنعْتَ؛ فقال لهما: أنا واللَّه هلالٌ، ولا واللَّه لا تُفْلِتان منِّي حتى تُعْطياني عهداً وميثاقاً لا تخيسان[٦] به: لتأتيان المِرْبَد[٧] إذا قَدِمتما البصرة، ثم لتُناديان بأعلى أصواتكما بما كان منِّي ومنكما؛ فعاهداه وأعطياه نَوْطاً من التمر الذي معهما، وقَدِما البصرةَ فأتيا المِرْبد فناديا بما كان منه ومنهما.

وحدَّث خالد عن كُنَيف بن عبد اللَّه المازنيّ قال: كُنْتُ يوماً مع هلال ونحن

(١) المَنُوطُ: جرابٌ صغيرٌ يُجْعلُ فيه التَّمْر وما شاكله.
(٢) قيل ناحية البحرين كلها هجر.
(٣) الصعاب: اسم جبل بين اليمامة والبحرين، وقيل: رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك.
(٤) الوَطْبَ: سِقاءُ اللَّبن، وجَمْعُهُ: وِطابٌ وأوطابٌ. وقيل: وَطبَة ووُطُوب.
(٥) يصك: يضربهم ضرباً عنيفاً.
(٦) خاسَ يَخيسُ خَيْساً: وهو أن يبقى الشيء في موضع فيفسد ويتغير كالجوز والتمر الخائسِ واللَّحْمِ ونحوه، فإذا أنتن قيل: أَصَلَّ فهو مُصِلٌّ، ويقال يخيس: يغدر.
(٧) المربد: من أشهر محال البصرة، كانت سوقاً للإبل، ثم تحولت إلى مسكن للناس.

نَبغي إبلاً لنا، فدفعنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبْنا وعطشنا، وإذا نحن بفتيةٍ شَبابٍ عند ركيَّة[١] لهم وقد وردَتْ إبلُهُم، فلما رأَوْا هلالاً استَهْوَلوا خَلْقَه وقامتَه، فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدُهما: يا عبد اللَّه، هل لك في الصِّراع؟ فقال له هلال: أنا إلى غير ذلك أحوجُ؛ قال: وما هو؟ قال: إلى لبنٍ و ماءٍ فإنَّني لَغِبٌ ظَمآنُ؛ قال: ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعْطينا عهداً لَتُجيبنَّنا إلى الصراع إذا أرَحتَ[٢] ورَوِيت؛ فقال لهما هلال: إنني لكم ضيفٌ، والضيفُ لا يُصارعُ آهله ورَبَّ منزله، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم: إعْمِدوا إلى أشد فحل في إبلكم وأهيبه صولةً وإلى أشدِّ رجل منكم ذراعاً، فإن لم أقبِض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنعُ الرجل ولا البعير حتى أُدخل يد الرجل في فم البعير، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني، وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسرُ من ذلك. قال: فعَجِبوا من مقالته تلك، وأومؤوا إلى فحل في إبلهم هائجٍ صائلٍ قطم[٣]؛ فأتاه هلالٌ ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مِشْفَره فضغطها ضغطةً جَرْجرَ[٤] الفحل منها واستخذى ورغا، وقال: ليُعْطني من أحببتم يده أُولِجْها في فم هذا الفحل. قال: فقال الشيخُ: يا قوم تنكَّبوا هذا الشيطان، فواللَّه ماسَمِعْتُ فلاناً ـ يعني الفحل ـ [٥] جرجر منذ بَزَلَ[٦] قبل اليوم، فلا تعرضوا لهذا الشيطان. وجعلوا يَتْبعونه وينظرون إلى خَطوه ويَعْجَبون من طول أعضائِهِ حتى جازهم.

[صارع في المدينة عبداً بأمر أميرها]

قال وحدَّثنا مَنْ سَمِعَ هلالاً يقول: قَدِمْتُ المدينة وعليها رجلٌ من آل مَرْوان، فلم أَزَلْ أَضَعُ عن إبلي وعليها أحمال للتجار حتى أخذ بيدي وقيل لي: أجِب الأميرَ. قال: قُلْتُ لهم: ويْلَكُم! إبلي وأحمالي! فقيل: لا بأس على إبلك وأحمالك. قال: فانطُلِقَ بي حتى أُدْخِلْتُ على الأمير، فسلَّمْتُ عليه ثم قُلْتُ: جُعِلْتُ فداك! إبلي

(١) الركية: البئر المحفورة.
(٢) أراح الرجل: رجعت إليه حيويته بعد التعب والإعياء.
(٣) القَطَمُ، بالتحريك: شهوة اللحم والضِّراب والنكاح قَطِمَ يَقْطَم قَطَماً فهو قَطِمٌ بيِّن القَطَم أي اهتاجَ وأَراد الضراب وهو شدة اغتلامه، ورجل قَطِم: شَهْوان للحم. وقَطِمَ الصقْر إلى اللحم: اشتهاه، وقيل: كل مُشتهٍ شيئاً قَطِمٌ، والجمع قُطُمٌ. والقَطِمُ: الغضبان.
(٤) الجَرْجَرَةُ: صوت يُرَدِّدُهُ البعير في حَنجرته، فهو بعير جَرْجارٌ، كما تقول: ثرثر الرجل فهو ثرثار.
(٥) كان من الأجدر أن يقال الفلان، فأئمة اللغة قالوا: بأن الفلان والفلانة يكنى بهما عن غير الآدميين.
(٦) بزل ناب البعير مثل شق وفطر.

وأمانتي! قال: فقال: نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدِّيها إليك. قال فَقُلْتُ عند ذلك: فما حاجةُ الأمير إليَّ جعلني اللَّه فداه؟ قال فقال لي ـ وإلى جنبه رجل أصفر، لا[1] واللَّه ما رأيْتُ رجلاً قط أشدّ خَلْقاً منه ولا أغْلَظَ عُنقاً، ما أدري أطوله أكثر أم عرضُه ـ : إن هذا العبد الذي تَرى لا واللَّه ما ترك بالمدينة عربيّاً يُصارِعُ إلا صَرَعَهُ، وبلغني عنك قُوَّةٌ، فأردْتُ أن يُجريَ اللَّه صَرْع هذا العبد على يديك فتُدْرِكَ ما عنده من أوتار العرب. قال فَقُلْتُ: جعلني اللَّه فداءَ الأمير، إني لَغِبٌ نَصِبٌ جائعٌ، فإن رأى الأمير أن يدعني اليوم حتى أضع عن إبلي وأُؤدِّي أمانتي وأُريح يومي هذا وأجيئهُ غداً فليفعل. قال فقال لأعوانه: انطلقوا معه فأعينوه على الوَضْع عن إبله وأداء أمانته وانطلِقوا به إلى المطبخ فأشبِعوه؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به. قال: فظلِلْتُ بقية يومي وبتُّ ليلتي تلك: بأحسن حالٍ شِبعاً وراحةً وصلاح أمر؛ فلما كان من الغد غدوتُ عليه وعليَّ جُبَّةٌ لي صوفٌ وبتٌّ[2] وليس عليَّ إزار إلا أني قد شددْتُ بعمامتي وسطي، فسلَّمْتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، وقال للأصفر: قُمْ إليه، فقد أرى أنه أتاك اللَّه بما يُخزيك؛ فقال العبدُ: اتزر يا أعرابيّ؛ فأخذت بَتِّي فاتَّزرت به على جُبَّتي؛ فقال: هيهات ـ هذا لا يثبُت، إذا قبضْتُ عليه جاء في يدي؛ قال فقلت: واللَّه مالي من إزار؛ قال: فدعا الأميرُ بملْحَفة مارأيت قبلها ولا علا جلدي مثلُها، فشدَدْتُ بها على حَقْوي[3] وخلعت الجُبَّة؛ قال: وجعل العبدُ يَدورُ حولي ويريد خَتْلي وأنا منه وجِلٌ ولا أدري كيف أصنع به، ثم دنا مني دَنْوَةً فنقَد[4] جبهتي نَقْدَةً حتى ظنَنْتُ أنه قد شجَّني وأوجعني، فغاظني ذلك، فَجَعَلْتُ أنظر في خَلْقِهِ بِمَ أقبضُ منه، فما وجدْتُ في خلقه شيئاً أصغرَ من رأسه، فوضعْتُ إبهاميّ في صُدغه وأصابعي الأُخر في أصل أذُنه، ثم غمزته غمزةً صاح منها: قتلتَني! قتلتني! فقال الأمير: اغمس رأسَ العبد في التراب؛ قال فَقُلْتُ له: ذلك لك عليّ؛ قال: فَغَمَسْتُ واللَّه رأسَه في التراب ووقع شبيهاً بالمَغْشيّ عليه، فَضَحِكَ الأميرُ حتى استلقى وأمر لي بجائزةٍ وكُسوةٍ وانصرَفْتُ.

[فراره إلى اليمن]

قال أبو الفرج: ولهلالٍ أحاديثُ كثيرةٌ من أعاجيبِ شدَّته. وقد ذكره حاجب بن

(١) «لا» هذه زائدة، والعرب تستخدمها قبل القسم تمهيداً لنفي الجواب.

(٢) ابن سيده: والبَتُّ كِساءٌ غليظٌ، مُهَلْهَلٌ، مُرَبَّع، أَخْضرُ؛ وقيل: هو من وَبَرٍ وصُوفٍ، والجمع أَبُتٌّ وبِتاتٌ. التهذيب: البَتُّ ضرْبٌ من الطَّيالِسة، يسمّى السَّاجَ، مُرَبَّعٌ، غليظ، أَخضر، والجمع: البُتُوتُ.

(٣) شد إزاره على حقوه أي على خصره.

(٤) نقد: نقر بإصبعه.

ذبيان فقال لقوم من بني رباب من بني حنيفة في شيء كان بينهم فيه أربعُ ضربات بالسيف، فقال حاجب:

وقـائـلـةٍ وبـاكـيـةٍ بـشـجـوٍ لَـبِـئـس الـسـيـفُ سـيـفُ بـنـي ربـابِ
ولـو لاقـى هـلالَ بـنـي رزام لـعـجَّـلـه إلـى يـوم الـحـسـابِ

[الوافر]

وكان هلالُ بن الأسعر ضربه رجل من بني عنزة ثم من بني جِلاَّن يُقالُ له عُبَيد بن جري في شيء كان بينهما، فشجَّه وخمشه[1] خماشةً، فأتى هلالٌ بني جَلاَّن فقال: إنَّ صاحبكم قد فعل بي ما ترَوْن فخذوا لي بحقِّي، فأوعدوه وزجروه؛ فخرج من عندهم وهو يقول: عسى أن يكون لهذا جزاءٌ حتى أتى بلادَ قومه؛ فمضى لذلك زمنٌ طويلٌ حتى درَسَ ذكره؛ ثم أن عبيد بن جريّ قدِم الوقبى ـ وهو موضع من بلاد بني مالك ـ فلما قدمها ذكرَ هلالاً وما كان بينه وبينه فتخوَّفه؛ فسأل عن أعزِّ أهل الماء، فقيل له: مُعاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة بن سيَّار بن رِزام بن مازن؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء، فعقد عُبَيد بن جريّ طرف ثيابه إلى جانب طُنُبِ بيت معاذ ـ وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطُنُب بيته للمستجير به أن يُجيرَه وأن يطلب له بظُلامته ـ وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء، فقيل: رجلٌ استجار بآل مُعاذ بن جَعْدة. ثم خرج عبيد بن جريّ ليستقي، فوافق قدوم هلال بإبله يوم وروده، وكان إنما يقدمها في الأيام، فلما نظر هلال إلى ابن جريّ ذكر ما كان بينه وبينه، ولم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده، فانتزع المِحْورَ[2] من السَّانِية[3] فعلاه به ضربةً على رأسه فصُرِعَ وقيذاً[4]، وقيل: قَتَلَ هلالُ بن الأسعر جارَ معاذ بن جعدة! فلما سمع ذلك هلال تخوّف بني جعدة الرِّزاميِّين، وهم بنو عمه، فأتى راحلته ليركبها.

قال هلال: فأتتني خَوْلة بنت يزيد بن ثابت أخي بني جَعْدة بن ثابت، وهي جَدةُ أبي السفَّاح زهيدِ بن عبد اللَّه بن مالك أمّ أبيه، فتعلَّقَتْ بثوب هلال، ثم قالت: أيْ عدوَّ اللَّه قتلت جارنا! واللَّه لا تُفارقني حتى يأتيَكَ رجالنا! قال هلالُ: والمحورُ في

(١) خمش وجهه. وبوجهه خموش، ولا يستعمل إلا في الوجه.
(٢) المِحْوَرُ: الحديدة الّتي يدور فيها لسانُ الإبزِيم في طَرَف المِنْطَقة وغيرها، والحديدة التي تدور عليها البكرة يُقال لها: المِحْوَرةُ.
(٣) السانية: الدلو العظيم مع أدواتها.
(٤) الوقيذ: الشَّدِيدُ المَرَضِ المُشْرِفُ على المَوْتِ.

يدي لم أضعه؛ قال: فهممت أن أعلو به رأس خولة، ثم قلت في نفسي: عجوز لها سن وقرابة قال: فضربتها برجلي ضربةً رَمَيْتُ بها من بعيدٍ، ثم أتيْتُ ناقتي فأركبها ثم أضربها هارباً. وجاء مُعاذ بنُ جعدة وإخوته ـ وهم يومئذ تسعة إخوة ـ وعبد اللَّه بن مالك زوج لبنت معاذ ويُقالُ لها جُبَيلة، وهو مع ذلك ابن عمتهم خَوْلة بنت يزيد بن ثابت، فهو معهم كأنه معضهم؛ فجاؤوا من آخر النهار فسمِعُوا الواعية[١] على الجَلاَّنيّ وهو دَنِفٌ لم يَمُتْ، فسألوا عن تلك الواعية فأُخْبِروا بما كان من استجارة الجَلاَّني بمعاذ بن جعدة وضرب هلال له من بعد ذلك؛ فركَبَ الإخوةُ التسعةُ وعبدُ اللَّه بن مالك عاشرهم، وكانوا أمثالَ الجبال في شدَّةِ خلقهم مع نَجْدتهم، ورَكِبوا معهم بعشرةِ غِلْمةٍ لهم أشدَّ منهم خَلْقاً لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضع يريدُهُ من رَميَّته، حتى تبعوا هلالاً؛ وقد نَسَلَ[٢] هلال من الهرب يومه ذلك كلَّه وليلته، فلما أصبح أمنَهم وظنَّ أن قد أبْعد في الأرض ونجا منهم؛ وتَبِعوه، فلما أصبحوا من تلك الليلة قصُّوا[٣] أَثره، وكان لا يَخفى أثره على أحد لعظم قَدَمه، فلَحِقُوه من بعد الغد، فلما أدركوه وهم عشرون ومعهم النَّبْل والقِسِيّ والسيوف والتَّرَسَة[٤]، ناداهم: يا بني جعدة، إنِّي أنشدُكم اللَّه! أن أكون قَتَلْتُ رَجُلاً غريباً طلبته بترَةٍ تقتلوني وأنا ابن عمّكم! وظنَّ أنَّ الجلاني قد مات، ولم يكن مات إلى أن تَبِعوه وأخذوه؛ فقال معاذ: واللَّه لو أيقنَّا أنه قد مات ما ناظرنا بك[٥] القتل من ساعتنا ولكنَّا تركناه ولم يمت، ولسنا نُحِبُّ قتلك إلاَّ أن تَمْتَنِعَ منا، ولا نُقْدِمُ عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا؛ فقاتلهم وامتنع منهم، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه: لا تَرْموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف، ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه؛ ففعلوا ذلك، فما قَدَروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين، ودقُّوا ضِلعين من أضلاعه وأكثروا الشَّجاج في رأسِهِ، ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه، فوضعوا في رجله أدْهم[٦]، ثم جاؤوا به وهو معروض على بعير حتى انتهوا به إلى الوَقَبى[٧] فدفعوه إلى الجَلاَّني ولم يَمُت بعد، فقالوا: انطلقوا به معكم

(١) ارتفعت الواعية: الصراخ على الميت. وسمعت واعية القوم: أصواتهم.

(٢) نسل الذئب إذا أسرع بإعناق، كما يقال: انسلّ في عدوه وهو الخروج بسرعة كنسول الريش.

(٣) قصُّوا أثره: تتبعوا أثره.

(٤) التَّرسَةُ: جمعُ تُرْسٍ. وكُلُّ شيءٍ تَتَرَّستَ به فهو مِترَسَةٌ لكَ. ويُقال إنه صفيحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف.

(٥) ناظرنا بك القتل: ما أخرناه.

(٦) الأدهم: القيد.

(٧) الوقبى: ماء لبني مازن.

إلى بلادكم ولا تُحدثوا في أمره شيئاً حتى تنظروا ما يُصْنَعُ بصاحبكم، فإن مات فاقتلوه وإن حَيي فأعلمونا حتى نحمل لكم أرْش[١] الجناية. فقال الجلاَّنيون: وَفَتْ ذمّتكم يا بني جَعْدة، وجزاكم اللَّه أفضل ما يجزي به خِيارَ الجيران، إنا نتخوّف أن يَنْزعه منَّا قومكم إن خلَّيتم عنَّا وعنهم وهو في أيدينا؛ فقال لهم مُعاذ: فإني أحمله معكم وأشيِّعكم حتى تَرِدوا بلادكم، ففعلوا ذلك، فَحُمِلَ معروضاً على بعير وركبت أخته جماء بنت الأسعر معه، وجعل يقول: قتلتْنِي بنو جعدة! وتأتيه أخته بمغرة[٢] فيشربها فيُقالُ: يُمْشِي[٣] بالدَّم، لأن بني جعدة فرثوا[٤] كبده في جوفه. فلما بلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل قال الجلاَّنيُّون لمعاذ وأصحابه: أدام اللَّه عزَّكُم، وقد وفيتم فانصرفوا. وجعل هلال يُريهم أنه يمشي في الليلة عشرين مرَّة. فلما ثَقُلَ الجلاَّنيُّ وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبحَ ميِّتاً، تبرَّز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدهم كأنه يقضي حاجةً، ووضعَ كساءَه على عصاه في ليلة ظلماء، ثم اعتمد على الأدهم فحطَمَهُ، ثم طار تحت ليلته على رجليه، وكان أدلّ الناس فتنكب الطريق التي تُعرف ويُطلب فيها وجعل يسلُكُ المسالك التي لا يُطمع فيها. حتى انتهى إلى رجل من بني أُثاثَةَ بن مازِن يقال له السِّعر بن يزيد بن طَلْق بن جُبيلة بن أُثاثة بن مازِن، فحمله السِّعر على ناقة له يقال لها مَلْوة، فركبها ثم تجنَّب بها الطريقَ فأخذ نحو بلاد قيس بن عَيْلان، تخوّفاً من بني مازن أن يتبعوه أيضاً فيأخذوه، فسار ثلاثَ ليال وأيامَها حتَّى نزل اليوم الرابع، فَنَحَرَ الناقة فأكل لحمها كُلَّه إلا فَضْلةً فَضَلَتْ منها فاحتملها، ثم أتى بلادَ اليمن فوقع بها، فلبث زماناً وذلك عند مُقام الحجاج بالعراق، فبلغ إفلاتُه من بالبصرة من بَكْر بن وائل، فانطلقوا إلى الحجَّاج فاستعدَوْه وأخبروه بقتله صاحبهم؛ فبعث الحجاج إلى عبد اللَّه بن شُعْبة بن العَلْقم، وهو يومئذٍ عَريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم، فقال له: لتأتينّي بهلال أو لأفعلنَّ بك ولأفعلن؛ فقال له عبد اللَّه بن شُعبة: إن أصحاب هلال وبني عمِّه قد صنَعوا كذا وكذا: فاقتصَّ عليه ما صنعوا في طلبه وأخذِه ودفعه إلى الجلاَّنيِّين وتشييعهم إيَّاه حتى ورَدوا بلادَ بَكر بن

(١) الأرشُ: ديةُ الجراحات. قال حماس: الأرش: ثمن الماء إذا ورد عليك قوم فلا تمكنهم من الماء حتى تأخذ الثَّمن.

(٢) المَغْرَةُ: الطينُ الأحمرُ، وقد يحرَّك. والأمْغَرُ: الأحمرُ الشعرِ والجلدِ، على لون المَغْرَةِ.

(٣) من المجاز: مشى بطنه، وأمشاه الدّواء، واستمشيت بالدواء، وشربت مشواً، ومشيت مشياً كثيراً من الدواء، ومنه: مشت المرأة: كثرت أولادها مشاءً.

(٤) الفَرْثُ: السِّرقين ما دامَ في الكَرِش. يقال: ضَرَبْتُه حتى فَرَثْتُ كَبِدَه في جَوْفه أي فتَّتُّها. وأفْرَثْتُ الكَرِش والجُلَّةَ: نَثَرْتُ فَرثَها وتَمْرَها.

وائل؛ فقال له الحجَّاج: ويلك ما تقول؟ قال: فقال بعض البَكريِّين: صَدَقَ، أصلحَ اللَّه الأميرَ؛ قال: فقال الحجَّاج: فلا يُرغِم اللَّه إلا أنوفَكم، إشهدوا أني قد آمنْتُ كلَّ قريب لهلال وحَميم وعَريف ومَنَعْتُ من أخذ أحدٍ به ومن طلبه حتَّى يظفَرَ به البَكريِّون أو يموت قبل ذلك. فلما وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رِزام بن مازن بشعر يعاتبهم فيه ويُعَظِّم عليهم حقَّه ويذكر قرابته، وذلك أنّ سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدّم، فقال معاذ: لا أرضى واللَّه أن يُحَمَل لجاري دمٌ واحدٌ حتى يُحْمَلَ له دمٌ ولجواري دمٌ آخر، وإن أراد هلال الأمان وَسْطَنا حمل له دم ثالث؛ فقال هلال في ذلك:

بَنِي مازنٍ لا تطردوني فإنَّني ... أخوكم وإن جَرَّت جرائرَها[1] يدي
ولا تُثْلِجُوا أكبادَ بكر بن وائلٍ ... بترك أخيكم كالخليع المُطرَّدِ
ولا تجعلوا حِفظي بِظَهرٍ وتحفَظوا ... بعيداً ببغضاء يروح ويغتدي
فإنَّ القريب حيثُ كان قريبُكُم ... وكيف بقطع الكَفّ من سائر اليدِ
وإن البعيد إن دنا فهو جاركم ... وإن شطَّ عنكم فهو أَبعدُ أَبعدِ
وإني وإن أوجدتموني[2] لحافظ ... لكم حفظَ راض عنكُم غير مُوجَدِ
سيَحْمي حِماكم بي وإن كُنْتُ غائباً ... أغرُّ إذا ما ريع لم يتبلَّدِ
وتَعلم بكر أنَّكم حيثُ كُنْتُمُ ... وكُنْتُ من الأرض الغريبة مَحتدي
وأني ثقيلٌ حيثُ كُنْتُ على العِدا ... وأني وإن أُوحِدْتُ لَسْتُ بأوحدِ
وأنهمُ لمَّا أرادوا هَضيمتي ... مُنُوا[3] بجميع القلب عَضبٍ[4] مُهنَّدِ
حُسام متى يعزِمْ على الأمر يأتِهِ ... ولم يتوقَّفْ للعواقب في غدِ
وهم بَدأوا بالبَغي حتى إذا جُزوا ... بأفعالهم قالوا لجازيهُمُ قَدِ[5]
فلم يَكُ منهم في البديهة[6] مُنْصِفٌ ... ولم يكُ فيهم في العواقب مُهتدي

(١) الرجلُ على نفسه جَريرةً أي جنايةً، وتُجمَعُ على جَرائِر.
(٢) أوجدتموني: أغضبتموني.
(٣) مَنَيْت الرجل مَنْياً ومَنَوْتُه مَنْواً أَي اختبرته، ومُنِيتُ به مَنْياً بُلِيت، ومُنِيتُ به مَنْواً بُلِيت، ومانَيْتُه جازَيْتُه.
(٤) سيف عضب. وشاة عضباء: مكسورة القرن.
(٥) قدِ: اسم فعل بمعنى يكفي.
(٦) البَدْهُ: استقبالك إنساناً بأَمْرٍ مُفاجَأَةً والاسم البديهة و البُديهةُ أول الرأي وبادَهَني مُبادَهَةً، أي: باغَتَني مباغَتَةً. والبُداهةُ والبديهةُ: أوّلُ جَرْيِ الفَرَس. تقول: هو ذو بَدِيهةٍ وبَداهةٍ.

ولـم يـفـعَـلـوا فـعـلَ الـحـلـيـم فـيُـجْـمِـلـوا ... ولـم يـفـعـلـوا فِـعْـلَ الـعـزيـز الـمـؤيَّـدِ
فـإن يَـسْـرِ لـي إيـعـادُ بَـكـرٍ فـربّـمـا ... مَـنَـعْـتُ الـكَـرى بـالـغـيـظِ مـن مُـتـوَعِـدِ
ورُبَّ حِـمـى قـوم أَبَـحْـتُ ومَـوردٍ ... وردْتُ بـفـتـيـان الـصـبـاح ومـوردِ
وسَـجْـفٍ[١] دَجُـوجي[٢] من الليل حالكٍ ... رفـعْـتُ بـعَـجْـلى الـرِّجـل مَـوّارةِ الـيـدِ[٣]
سـفـيـنـةِ خَـوّاضٍ بُـحـورَ هُـمـومـه ... قـلـيـل الـتـيـاث[٤] الـعـزم عـنـد الـتـردّدِ
جَـسـور عـلـى الأمـر الـمـهـيـب إذا ونـى ... أخـو الـفـتْـكِ ركَّـابٍ قَـرى[٥] الـمـتـهـدِّدِ

[الطويل]

وقال وهو بأرض اليمن:

أقـولُ وقـد جـاوزْتُ نُـعْـمـى ونـاقـتـي ... تَـحِـنُّ إلـى جَـنْـبِـيْ فُـلَـيـج مـع الـفَـجْـرِ
سـقـى الـلَّـه يـا نـاقَ الـبـلادَ الـتـي بـهـا ... هـواكِ، وإن عـنَّـا نـأتْ، سَـبَـلَ[٦] الـقَـطـرِ
فـمـا عـن قِـلًـى منَّـا لـهـا خَـفَّـتِ الـنَّـوى ... بـنـا عـن مَـراعـيـهـا وكُـثْـبـانِـهـا الـعُـفْـرِ
ولـكـنَّ صـرفَ الـدَّهـرِ فـرّق بـيـنـنـا ... وبـيـن الأداني، والـفـتـى غَـرضُ الـدَّهـرِ
فَـسَـقْـيـاً لـصـحـراء الإهـالـة[٧] مَـرْبـعـاً ... ولـلـوَقَـبـى مـن مَـنـزلٍ دَمِـثٍ[٨] مـثـري[٩]
وسَـقْـيـاً ورَعْـيـاً حـيـث حَـلَّـتْ لـمـازنٍ ... وأيَّـامِـهـا الـغُـرّ الـمـحـجَّـلـة الـزُّهـرِ

[الطويل]

---

(١) السَجْفُ والسِجْفُ: الستْرُ. وأَسْجَفْتُ الستر، أي أرسلته.

(٢) هو من الداج، وليس من الحاج؛ وهم الذين يمشون معهم من أجير أو حمال أو نحوهم من دج دجيجاً، بمعنى دبّ دبيباً، ومنه الدجاج. وليل دجوجي: مظلم. ودججت السماء: تغيمت. وفارس مدجج: شاك. وقد تدجج في شكته: تغطّى بها.

(٣) يريد الشاعر بقوله «موارة اليد»: الناقة: لأنّ يدها كثيرة التردد في عرض جنبها، يعني أنها سهلة السير سريعته.

(٤) قال الليث: اللوثاء: التي تلوث النبات بعضه على بعض، كما يلوث التبن بالقت؛ وكذلك التلوث بالأمر. قلت: والسحابة اللوثاء: البطيئة.

(٥) القرى: الظهر، وقيل: وسطه.

(٦) السبل: المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض.

(٧) صحراء الإهالة: موضع ذكره ياقوت الحموي، واعتبر من الأماكن الخطرة.

(٨) الدَّماثةُ: اللِّينُ، والدَّمْثُ المكان السَّهْلُ. والدَّميث: السَّهْل الخُلُق، وقد دَمِثَ دَمَثاً، والاسْمُ الدَّماثة.

(٩) شهر ثري، وشهر تري، وشهر مرعي أي تكون الأرض ندية أولاً، ثم ترى الخضرة، ثم يطول النبات حتى يصلح للراعية. وثرى المطر التراب يثريه، وهو مثري، وثريَ التراب فهو ثرٍ، وثريت التراب: نديته، وثريت السويق.

قال خالدُ بن كُلْثوم: ولما دُفِعَ هلالٌ إلى أَولياء الجَلاَّنيّ ليقتلوه بصاحبهم جاء رجلٌ يُقالُ له: حُفيدٌ كان هلال قد وتَرَهُ فقال: واللَّه لأؤنِّبنَّه ولأُصَغِّرنّ إليه نفسَه وهو في القيود مَصْبورٌ[١] للقتل، فأتاه فلم يَدعْ له شيئاً مما يكره إلا عدَّه عليه. قال: وإلى جنب هلالٍ حَجَر يملأ الكفَّ، فأخذه هلالٌ فأهوى بِهِ للرجل فأصاب جبينه فاجتَلَفَ[٢] جُلْفةً من وجهه ورأسه، ثم رمى بها وقال: خذ القصاص منِّي الآن، وأنشأ يقول:

أنا ضَرَبْتُ كَرِباً وزَيدا وثابتاً مَشَّيْتُهم رُوَيدا
كما أفدْتُ حَيْنَه عُبَيدا وقد ضَرَبْتُ بعده حُفَيدا

[الرجز]

قال: وهؤلاء كلُّهم من بني رِزام بن مازن، وكلُّهم كان هلالٌ قد نكَأَ فيهم[٣].

[أدى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه]

قال خالدُ بن كلثوم: ولما طال مُقامُ هلالٍ باليمن نَهَضَت بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بني رِزام بن مازن رَهْط هلال ورهط مُعاذ بن جَعْدة جارِ الجَلاَّنيّ المقتول، فقالوا: إنكم قد أسأتم بابن عمّكم وجُزْتم الحدَّ في الطلب بدم جاركم، فنحن نحملُ لكم ما أردتم، فحمل دَيْسَمُ بنُ المِنْهالِ بن خُزَيمةَ بن شِهات بن أُثاثة بن ضِباب بن حُجَيَّة بن كابِيَةَ بن حُرْقُوص بن مازن الذي طلب معاذُ بن جَعْدة أن يُحمَلَ لجاره، لفضل عزّه وموضعه في عشيرته، وكان الذي طلب ثلثَمائةِ بعيرٍ؛ فقال هلال في ذلك:

إنَّ ابن كابية المرزَّأَ[٤] دَيْسماً واري الزنادِ بعيدُ ضوءِ النارِ
مَنْ كان يحملُ ماتحمَّل ديسمٌ من حائلٍ فُنُقٍ[٥] وأمِّ حوارِ

(١) قال الليث: الصبر: نقيض الجزع والصبر: نصب الإنسان للقتل، فهو مصبور. والصبَّر: أن تأخذ يمين إنسان، تقول: صبرت يمينه، أي حلَّفته، وكلُّ من حبسته لقتل أو يمين فهو قتل صبْرٍ، ويمين صبر. وفي حديث النبي ﷺ أنه نهى عن قتل شيء من الدواب صَبراً.
(٢) الجَلْفُ: القَشْر. جَلَفَ الشيءَ يَجْلُفُه جَلْفاً: قَشَرَه، وقيل: هو قَشْرُ الجلد مع شيء من اللحم، والجُلْفَةُ: ما جَلَفْت منه، والجَلْفُ أَجْفَى من الجَرْفِ وأَشدُّ اسْتِئصالاً.
(٣) نكأت القرحة: قرفتها بعد البرء فنكستها.
(٤) إنه لكريم مرزأ: يصيب الناس من ماله ونفعه.
(٥) ناقة فَنَقٌ: جسيمة حسنة الخلق، وبعير فَنَقٌ، والجميع أفناقٌ. والفَينقُ: الفحل المقرم الذي لا يؤذى ولا يركب. وجارية فُنَقَةٌ وفُنُقٌ: فنقها أهلها تَفنيقاً وفِناقاً، وهي مِفناقٌ.

عَـيَّـتْ بـنـو عـمـرو بـحـمـل هـنـائـدٍ[١] فـيـهـا الـعِـشـارُ[٢] مَـلاَبـيءُ الأبـكـارِ
حـتـى تَـلاَفـاهـا كـريـمٌ سـابـقٌ بـالـخـيـر حـلّ مـنـازل الأخـيـارِ
حـتـى إذا وردَتْ جـمـيـعـاً أَرْزَمـت[٣] جَـلاَّنَ بـعـد تَـشَـمُّـسٍ ونِـفـارِ
تَـرعـى بـصـحـراءِ الإهـالـة رُؤبَـةً[٤] والـعُـنـظُـوانَ[٥] مَـنَـابـتَ الـجَـرجـارِ[٦]

[الكامل]

[أعان قمير بن سعد على بكر بن وائل]

وقال خالد بن كلثوم: كان قُميرُ بن سَعْد مُصَدِّقاً على بكر بن وائل، فوجَدَ منهم رجلاً قد سرق صدقته، فأخذه قُميرٌ ليحبسه، فوثَبَ قومُهُ وأرادوا أن يحولوا بين قُميرٍ وبينه وهلالٌ حاضرٌ، فلما رأَى ذلك هلالٌ وثَبَ على البكريِّين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنُفُهما[٧] ويُناطِحُ بين رؤوسهما، فانتهى إلى قُميرٍ أعوانه فقَهَروا البكريِّين؛ فقال هلالٌ في ذلك:

دعـانـي قُـمَـيـرٌ دَعْـوةً فـأجـبـتُـهُ فـأيُّ امـرىءٍ فـي الـحـرب حـيـن دَعـانـي
مـعـي مِـخْـذَمٌ قـد أخـلـصَ الـقَـيْـنُ حَـدَّه يُـخَـفِّـضُ عـنـد الـرَّوْعِ رَوْعَ جَـنـانـي
ومـا زِلْـتُ مـذ شَـدَّتْ يـمـيـنـيَ حُـجْـزتـي[٨] أُحـارِبُ أو فـي ظِـلّ حـربٍ تـرانـي

[الطويل]

[حبسه]

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزيّ قال حدَّثنا حَكيم بن سعد عن زُفَر بن هبيرةَ قال: تقاومَ هلالُ بنُ أسعر المازني، وهو أَحد بني

(١) لعلّ الشاعر قد تجاوز قواعد اللغة، إذا كان مقصوده جمع هُنَيْدةُ: وهي مِائَةٌ من الإبل، معرفة لاتَنْصرِفُ، ولا يدخلها أل ولا تجمع ولا واحد لها من جنسها . هنّدتِ المرأة فلاناً، أي: أَوْرَثَتْهُ عِشْقاً بالمُغازلة والمُلاطفة.
(٢) عَشَّرْتُهُم تعشيراً: أخذت العُشْر من أموالهم، وبالتخفيف أيضاً، وبه سُمِّيَ العشَّار عشّاراً.
(٣) أرزمت الناقة: حنت إلى ولدها.
(٤) الرُّؤْبَةُ من الأرْض: المَكْرُمَةُ للنَّبَات، وجَمْعُها رُؤَبٌ، وبه سُمِّيَ رُؤْبَةُ بن العَجّاج.
(٥) رجلٌ عنظوانٌ، أي فحَّاشٌ. والعنظوانة: الجرادة الأنثى. والعنظوان: ضربٌ من النبات إذا أكثر منه البعير وجع بطنه.
(٦) قال أبو حنيفة: الجَرْجَار: عشبة لها زهرة صفراء، لها رائحة طيبة.
(٧) يكنفهما: يضمهما.
(٨) الحجزة: معقد الإزار.

رِزام بن مازن، ونُهيسٌ الجَلاَّني من عنزة وهما يسقيان إبلهما، فخذف[١] هلالٌ نُهيساً بمحورٍ في يده فأصابه فمات، فاستعدى ولدُه بلالَ بن أبي بُردة على هلالٍ فحبسه فأسلمه قومُهُ بنو رِزام وعمل في أمره دَيسمُ بن المنهال أحدُ بني كابيةَ ابنِ حُرقوص فافتكّه بثلاث ديات، فقال هلالٌ يمدحه:

تـدارَكَ دَيـسـمٌ حـسـبـاً ومـجـداً ... رِزامـاً بـعـدمـا انـشـقـت عَـصَـاهـا
هـمـو حـمـلـوا الـمـئـينَ فـألـحـقـوهـا ... بـأهـلـيـهـا فـكـان لـهـم سَـنَـاهـا
ومـا كـانـت لـتـحـمِـلَـهـا رِزامٌ ... بـأسـتـاهٍ مُـعَـقَّـصَـة لِـحـاهـا
بـكـابـيـةَ بـن حُـرقُـوصٍ وجـدٌّ ... كـريـمٍ لا فـتـى إلا فَـتَـاهـا

[الوافر]

[الحديث عن هلال في نهمه وكثرة أكله]

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهري قالا حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدَّثني نصر بن عليّ الجَهْضَميّ قال حدَّثنا الأصمعيّ، وأخبرني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمِل الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا فضل بن الحسن قال حدَّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال حدَّثنا المُعْتَمِر بن سُليمان قال: قُلْتُ لهلال بن أَسْعَر: ما أَكْلةٌ أكلتها بلغتني عنك؟ قال: جُعْتُ مرَّةً ومعي بعيري فنحرتُهُ وأكلته إلا ما حملتُ منه على ظهري، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل: ثم أردْتُ امرأتي فلم أقدر على جماعها؛ فقالت لي: ويحك كيف تصل إليَّ وبيني وبينك بعيرٌ! قال المعتمر: فقُلْتُ له: كم تكفيك هذه الأكلة؟ قال: أربعةَ أيام. وحدّثني به ابن عَمَّار قال حدَّثني عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدَّثني أحمد بن مُعاوية عن الأصمعيّ عن مُعْتمر بن سليمان عن أبيه قال: قُلْتُ لهلال بن الأسْعَر ـ هكذا قال ابن أبي سعد: معتمر عن أبيه وقال في خبره: فقلت له ـ ؛ كم تكفيك هذه الأكلة؟ فقال: خَمْساً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدَّثنا نصر بن عليّ قال حدَّثني الأصمعي قال حدَّثني شيخ من بني مازِن قال: أتانا هلال بن أسعر المازنيّ فأكل جميعَ ما في بيتنا، فبعثنا إلى الجيران نقترضُ الخبز فلما رأى الخبز قد اختلف عليه قال: كأنَّكم أرسلتم إلى الجيران، أعندكم سَويقٌ[٢]؟ قُلْنا: نعم،

(١) الخَذْفُ: رميك بحصاة أو نواةٍ تأخذها بين سبابتيك وتَخْذِفُ بها أي ترمي. والمِخْذَفة من خشبٍ ترمي بها بين إبهامك والسبابة.

(٢) السويق: دقيق الحنطة والشعير.

فجئْتهُ بجراب طويل فيه سَويقٌ وببَرْنِيَّة[١] نبيذٍ، فصبَّ السويقَ كلَّه وصبَّ عليه النبيذَ حتى أتى على السَّويق والنبيذ كله.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن موسى قال حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ: أن هلالَ بن أسعر مرَّ على رَجُلٍ من بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانِهِ رُطَباً في زواريق[٢]، فجلسَ على زَوْرقٍ صغير منها وقد كُثِبَ[٣] الرّطبُ فيه وغُطِّيَ بالبَوّاري[٤]؛ قال له: يابن عمّ آكُلُ من رُطَبك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ما يكفيني؟ قال: ما يكفيك؛ فجلس على صدر الزورقِ وجعل يأكلُ إلى أن اكتفى، ثم قام فانصرف، فكُشِفَ الزورقُ فإذا هو مملوءٌ نوًى قد أكل رُطَبَه وألقى النوى فيه.

قال المدائنيّ وحدَّثني من سأله عن أعجب شيء أكله، فقال: مائتي رغيف مع مَكُّوك[٥] ملح.

أخبرني أحمدُ بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سَعْد قال حدَّثني الحسن بن علي بن منصور الأهوازيّ، وكان كَهْلاً سَرِيّاً مُعدَّلاً، قال حدَّثني شبان النِّيليذ عن صَدقَة بن عُبيد المازنيّ قال: أولَمَ عليّ أبي لما تزوّجت فعمِلْنا عشر جِفانٍ[٦] ثريداً من جَزور. فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازنيّ، فقدَّمنا إليه جَفنةً فأكلها ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر، ثم استسقى فَأُتِيَ بقرْبةٍ من نبيذ فوَضَعَ طَرَفَها في شِدْقِهِ ففرَّغَها في جوفِهِ، ثم قام فخرج؛ فاستأنفنا عملَ الطعام.

[حدث أبو عمرو بن العلاء أنه لم ير أطول منه]

أخبرني الجوهريّ قال حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن علي عن الأصمعيّ قال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء قال: رأيْتُ هلال بن أسعر ميتاً ولم أره حيّاً، فما رأيْتُ أحداً على سرير أطول منه.

---

(١) البَرنيّة: شِبهُ فخّارةٍ ضَخمةٍ خَضْراءَ من القَوارير الثِّخانِ الواسعةِ الأَفْواه.
(٢) زواريق: جمع زورق
(٣) كثب الطعام وغيره: جمعه.
(٤) البُورِيُّ والبُورِيَّةُ والبُورِيَاءُ والبارِيُّ والبَارِياءُ والبارِيَّةُ، كلُّ ذلك الحَصِيرُ المَنْسُوجُ، وفي الصّحاح: التي من القَصَبِ. وإلى ربيعةِ يُنْسَبُ أبو عليٍّ الحَسَنُ بنُ الرَّبيعِ بنِ سُليمانَ البَوّارِيُّ، البَجَلِيُّ الكُوفِيُّ، شيخُ البُخَارِيِّ ومُسلِمٍ، وقال عبد الغنيِّ بنُ سعيدٍ: روَى عنه أَبو زُرْعَةَ وأبو حاتمٍ، وقال ابن سَعْدٍ: تُوُفِّيَ سنَةَ ٢٢١.
(٥) المكوك: مكيال معروف لأهل العراق، وهو يسع صاعاً ونصف صاع.
(٦) الجَفْنة: أعظم ما يكون من القصاع.

[غنى مخارق الرشيد فأعتقه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمد بن يزيد قال حدَّثني بعض حاشية السلطان قال:

غنّى إبراهيمُ الموصليّ الرشيد يوماً:

يا ربعَ سَلْمى لقد هيَّجْتَ لي طربا زِدتَ الفؤاد على علاَّته وَصَبا

[البسيط]

ـ قال: والصنعة فيه لرجل من أهل الكوفة يُقالُ له عَزُّون ـ فأُعجب به الرشيدُ وطُرِبَ له واستعاده مراراً؛ فقال له الموصليّ: يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مُخارق، فإنه أخذه عنّي وهو يفضُلُ فيه الخلق جميعاً ويفضُلُني، فأمر بإحضار مُخارقٍ، فأُحْضِرَ فقال له غنِّني:

يا ربعَ سَلْمى لقد هيَّجْتَ لي طربا زِدتَ الفؤاد على علاَّته وَصَبا

[البسيط]

فغنَّاه إياه؛ فبكى وقال: سَلْ حاجتك! قال مخارق: فَقُلْتُ: تُعتقُني يا أمير المؤمنين من الرقِّ وتُشرِّفني بولائك، أعتقك اللَّه من النار، قال: أنتَ حرّ لوجه اللَّه، أعِدِ الصوتَ؛ قال: فأعدتُهُ، فبكى وقال: سل حاجتك، فقُلْتُ: يا أمير المؤمنين ضيْعةٌ تُقيمُني غلَّتُها؛ فقال: قد أمرْتُ لك بها، أعِدِ الصوت؛ فأعدته فبكى وقال: سل حاجتك؛ فقُلْتُ: يأمرُ لي أميرُ المؤمنين بمنزلٍ وفرشه وما يُصلِحُهُ وخادم فيه؛ قال: ذلك لك، أعِدْه؛ فأعدتُهُ فبكى وقال: سل حاجتك؛ قُلْتُ: حاجتي يا أمير المؤمنين أن يُطيلَ اللَّه بقاءك ويُديمَ عزَّك ويجعلني من كلِّ سوء فداءك؛ قال: فكان إبراهيم الموصليّ سببَ عتقه بهذا الصوت.

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وَكيعٌ قال حدَّثني هارون بن مُخارق، وحدّثني به الصُّوليّ أيضاً عن وكيع عن هارون بن مُخارق قال: كان أبي إذا غنَّى هذا الصوت:

يا ربعَ سَلْمى لقد هيَّجْتَ لي طربا زِدتَ الفؤاد على علاَّته وَصَبا

[البسيط]

يقول: أنا مولى هذا الصوت؛ فقُلْتُ له يوماً: يا أبت، وكيف ذلك؟ فقال: غنَّيْتُهُ مولاي الرشيد فبكى وقال: أحسَنْتَ، أعِدْ فأعدْتُ؛ فبكى وقال: أحسنت! أنت حرّ لوجه اللَّه وأمر لي بخمسة آلاف دينار، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي، وذكر قريباً مما ذكره المبرّد من باقي الخبر.

حدِّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي الدُّنيا قال حدَّثني إسحاق النَّخَعيّ عن حُسين بن الضَّحَّاك عن مُخارِق: أن الرشيد أقبل يوماً على المغنين وهو مضطجع، فقال: مَنْ منكم يُغنِّي:

يا ربعَ سَلْمى لقد هيَّجْتَ لي طربا زِدتَ الفؤاد على علاَّته وَصَبا

[البسيط]

قال: فقمت فقلت: أنا، فقال: هاته؛ فغنيتُهُ فَطُرِبَ وشرب، ثم قال: علي بهَرْثَمَة، فقُلْتُ في نفسي: ما تُراه يريد منه! فجاؤوا بهرثمة فأُدخِلَ إليه وهو يَجرُّ سيفه، فقال: يا هرثمة، مُخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته؟ فقال: أبو المهنَّا؛ فقال: انصرف فانصرف؛ ثم أقبل عليّ فقال: قد كنيتك أبا المهنَّا لإحسانك، وأمر لي بمائة ألف درهم، فانصرفْتُ بها وبالكنية.

صـوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

وَخِلٍّ كُنتُ عَينَ الرُشدِ مِنهُ إذا نَظَرَتْ وَمُستَمِعاً سَميعا
أَطافَ بِغَيِّهِ فَعَدَلتُ عَنهُ وَقُلتُ لَهُ أَرى أَمراً فَظيعا

[الوافر]

الشعر لِعْروة بن الوَرْد، والغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقيل بالبِنْصر عن عمرو بن بانة. وفيه لإبراهيم ماخوريّ بالوُسطى عن عمرو أيضاً.

أخبار عروة بن الورد ونسبه

[نسبه]

عُرْوةُ بن الوَرْد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد اللَّه بن ناشِب بن هريم بن لُدَيم بن عوذ بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قَيْس بن عِيلان بن مُضَر بن نِزار، شاعرٌ من شعراء الجاهلية وفارس من فُرْسانِها وصُعْلوكٌ[١] من صعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد.

[كان يلقب بعروة الصعاليك]

وكان يُلَقَّبُ عروةَ الصعاليك لجَمْعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاشٌ ولا مَغْزًى، وقيل: بل لُقِّبَ عُروةَ الصعاليك لقوله:

لَحى اللَّهُ صُعلوكاً إذا جَنَّ لَيلُهُ ... مُصافي المُشاشِ[٢] آلِفاً كُلَّ مَجزَرِ
يَعُدُّ الغِنى مِن نَفسِهِ[٣] كُلَّ لَيلَةٍ ... أَصابَ قِراها مِن صَديقٍ مُيَسَّرِ[٤]
وَلِلَّهِ صُعلوكٌ صَفيحَةُ وَجهِهِ[٥] ... كَضَوءِ شِهابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ

[الطويل]

---

(١) الصُّعْلُوك: الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري: ولا اعتماد. وقد تَصَعْلَكَ الرجل إذا كان كذلك؛ قال حاتم طيِّء:

غَنِينَا زَماناً بالتَّصَعْلُكِ والغِنى، ... فكُلّاً سقاناه، بكَأسَيْهِما، الدهرُ
فما زادنا بَغْياً على ذي قرابةٍ ... غِنانا، ولا أَزْرَى بأَحْسابنا الفَقْرُ

أَي عِشنا زماناً. وتَصَعْلَكت الإبل: خرجت أَوبارها وانجردت وطَرحتها.

(٢) المُشاشُ: كلُّ عظم لا مُخّ فيه يُمْكنك تتبّعُه. ومَشّه مَشّاً وامْتَشَّه وتَمَشّشَه ومَشْمَشَه: مصّه مَمْضُوغاً. الليث: مَشَشْت المُشاشَ أَي مصَصْتُه مَمْضوغاً.

(٣) ورد في الديوان «نفسه» بدل «دهره».

(٤) إذا سَهُلت ولادة المرأة قيل: أَيْسرت، ويسر الرجل: سهُلَت ولادة إبله وغنمه ولم يُعطب منها شيء.

(٥) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي:

وَلَكِنَّ صُعلوكاً صَفيحَةُ وَجهِهِ

[شرف نسبه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال بلغني أن معاوية قال: لو كان لِعُرْوة بن الوَرْدِ وَلَدٌ لأحبَبْتُ أن أتزوَّجَ إليهم.

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهَيثم بن فِراس قال حدَّثني العُمَريّ عن الهَيثم بن عَديّ، وحدَّثنا إبراهيمُ بن أيوبَ عن عبد اللَّه بن مُسلم قالا جميعاً: قال عبد الملك بن مَرْوان: ما يَسُرَّني أنَّ أحداً من العرب ولَدني ممَّن لم يلِدْني إلا عُرْوة بن الورد لقوله:

إِنِّـي ٱمْـرُؤٌ عـافـي إِنـائِـيَ شِـركَـةٌ وَأَنـتَ ٱمْـرُؤٌ عـافـي إِنـائِـكَ واحِـدُ
أَتَـهـزَأُ مِـنّـي أَن سَـمِـنْـتَ وَأَن تَـرى بِـجـسـمـيَ مـسَّ الـحَـقِّ وَالـحَـقُّ جـاهِـدُ
أُفـرِّقُ جِـسـمـي فـي جُـسـومٍ كَـثـيـرَةٍ وَأَحْـسـو قَـراحَ الـمـاءِ وَالـمـاءُ بـارِدُ

[الطويل]

[أقوال الثناء فيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني عمر بن شبَّة قال: بلغني أن عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه قال للحطيئة: كيف كُنْتُم في حربكم؟ قال: كُنَّا ألفَ حازم، قال: وكيف؟ قال: كان فينا قيس بن زُهير وكان حازِماً وكُنَّا لا نَعصيه، وكُنَّا نُقْدم إقدام عنترة، ونأتَمُّ بشعر عُرْوة بن الوَرْد، وننقاد لأمر الرَّبيع بن زياد.

[إنه أجود من حاتم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني عمر بن شبَّة قال: ويقال: إن عبد الملك قال: من زعم أنَّ حاتماً أسْمَحُ الناس فقد ظلم عُرْوةَ بن الورد.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال: أخبرني إبراهيم بن المُنْذر قال حدَّثنا مَعْن بن عيسى قال: سَمِعْتُ أن عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلِّم ولده: لا تُرَوِّهم قصيدة عُرْوة بن الوَرْد التي يقولُ فيها:

دَعِـيـنـي لِـلـغِـنـى أَسْـعـى فَـإِنّـي رَأَيـتُ الـنـاسَ شَـرُّهُـمُ الـفَـقـيـرُ

[الوافر]

ويقول: إنَّ هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم

[مع فتاته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثني

محمد بن يحيى قال حدَّثني عبد العزيز بن عمران الزَّهْريّ عن عامر بن جابر قال: أغار عُرْوة بن الوَرْد على مُزينة فأصاب منهم امرأةً من كِنانة ناكِحاً، فاستاقها ورَجع وهو يقول:

تَبَغَّ عديّا حَيثُ حَلَّت دِيارَها ... وَأَبناءَ عَوْفٍ في القُرونِ الأَوائِلِ
فَإِلاّ أَنَلْ أَوساً فَإِنِّيَ حَسبُها ... بِمُنبَطَحِ الأَدغالِ[1] مِن ذي السَّلائِلِ[2]

[الطويل]

ثُمَّ أقبل سائراً حتى نزل ببني النَّضير، فلما رأَوْها أعجبتهم فسَقَوه الخمر، ثُمَّ استوهبوها منه فوهبها لهم، وكان لا يمسُّ النساء، فلما أصبح وصحا نَدِمَ فقال:

سَقَوني الخمرَ ثم تكنَّفوني[3]

الأبيات: قال: وجَلاها النبيُّ ﷺ مع من جلا من بني النَّضير.

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ من خبر عُرْوةَ بن الوَرد وسَلْمى هذه أنه أصاب امرأةً من بني كنانة بكراً يقال لها سلمى وتُكنى أمّ وهب، فأعتقها واتَّخذها لنفسه، فمكَثَتْ عنده بِضْع عشرة سنة وولدت له أولاداً وهو لا يشكُّ في أنها أرغب الناس فيه، وهي تقول له: لو حَجَجتَ بي فأَمُرّ على أهلي وأراهم! فحجَّ بها، فأتى مكة ثم أتى المدينة، وكان يُخَالِطُ من أهل يثرب بني النضير فيُقْرضونه إن احتاج ويُبايِعُهم[4] إذا غَنَم، وكان قومُها يخالطون بني النضير، فأتوهم وهو عندهم؛ فقالت لهم سلمى: إنَّه خارج بي قبل أن يخرُجَ الشهرُ الحرام، فتعالوا إليه وأخبروه أنكم تستحيُون أن تكون امرأةٌ منكم معروفةُ النسب صحيحته سَبيَّةً، وافتدوني منه فإنه لا يرى أني أفارقه ولا أختار عليه أحداً، فأتوه فسقَوه الشراب، فلمَّا ثَمِلَ قالوا له: فَادِنا بصاحبتنا فإنها وَسيطة[5] النسب فينا معروفةٌ، وإن علينا سُبَّةً أن تكون سبيَّةً، فإذا صارت إلينا وأردتَ معاودتها فاخطُبْها إلينا فإننا نُنْكِحُكَ؛ فقال لهم: ذاك لكم، ولكن لي الشرطُ فيها أن تُخيِّروها، فإن اختارتني انطلقَتْ معي إلى ولدها وإن اختارتكم انطلقتم بها؛ قالوا:

(١) الأدغال في هذا الموضع يعني الوادي أو المُنخفض من الأرض.
(٢) ذو السلائل: وادٍ بين الفرع والمدينة.
(٣) البيت في الديوان على الشكل التالي:

سَقَوني النَّسءَ ثُمَّ تَكَنَّفوني ... عُداةُ اللَّهِ مِن كَذِبٍ وَزورِ

[الوافر]

(٤) يبايعهم: يعقد معهم البيع.
(٥) وفلان وسِيطٌ في قومه إذا كان أَوسطَهم نسَباً وأَرْفعَهم مَجْداً.

ذاك لك؛ قال: دعُوني ألْهُ بها الليلة وأُفادها غداً، فلما كان الغدُ جاؤوه فامتنع من فِدائها؛ فقالوا له: قد فاديتنا بها منذُ البارحةِ، وشهد عليه بذلك جماعةٌ ممّن حضر، فلم يقدر على الامتناع وفاداها، فلما فادَوْه بها خيَّروها فاختارت أهلها، ثم أقبلَتْ عليه فقالت: يا عُرْوة أما إني أقول فيك وإن فارقتُك الحقَّ: واللَّه ما أعلم امرأةً من العرب ألقَتْ سِترها على بعلٍ خيرٍ منك وأغضّ طرفاً وأقل فُحشاً وأجودَ يداً وأحمى لحقيقةٍ[1]؛ وما مرَّ عليَّ يومٌ منذ كُنْتُ عندك إلا والموت فيه أحبُّ إليَّ من الحياة بين قومك، لأني لم أكن أشاء أن أسمعَ امرأةً من قومك تقول: قالت أمةُ عروةَ كذا وكذا إلا سمعته؛ وواللَّه لا أنظر في وجهِ غَطَفانيَّةٍ أبداً، فارجع راشداً إلى ولدك وأحسِن إليهم. فقال عروةُ في ذلك:

سَقَوني الخمرَ ثم تكنَّفوني

وأوّلها:

أَرِقتُ وَصُحبَتي بِمَضيقِ عُمقٍ ... لِبَرقٍ في تِهامَةَ مُستَطيرِ
سَقى سَلمى وَأَينَ دِيارُ سَلمى ... إِذا كانت مُجاوِرَةَ السَّريرِ
إِذا حَلَّت بِأَرضِ بَني عَلِيٍّ ... وَأَهلي بَينَ زامِرَةٍ وَكيرِ
ذَكَرتُ مَنازِلاً مِن أُمِّ وَهبٍ ... مَحَلَّ الحَيِّ أَسفَلَ من نقيرِ
وَأَحدَثُ مَعهَدٍ مِن أُمِّ وَهبٍ ... مَعَرَّسُنا بِدارِ بَني النَّضيرِ
وَقالوا ما تَشاءُ فَقُلتُ أَلهو ... إِلى الإِصباحِ آثَرَ ذي أَثيري
بِآنِسَةِ الحَديثِ رُضابُ فيها ... بُعَيدَ النَّومِ كَالعِنَبِ العَصيرِ

[الوافر]

وأخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش عن ثَعْلَب عن ابن الأَعرابيّ بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو، وقال فيها: إنَّ قومَها أَغلَوا بها الفداء، وكان معه طَلْقٌ وجُبار أخوه وابن عمه، فقالا له: واللَّه لئن قَبِلْتَ ما أعطَوْك لا تفتَقر أبداً، وأنت على النساء قادر متى شئت، وكان قد سَكِرَ فأجاب إلى فدائها، فلما صحا ندم فَشَهِدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع. وجاءت سَلمى تُثْنِي عليه فقالت: واللَّه إنَّك ما علمْتُ لضَحُوكٌ مُقْبِلاً كَسوبٌ مُدْبِراً خفيفٌ على مَتْنِ الفرس ثقيلٌ على العدوِّ طويلُ العِماد كثير الرَّماد راضي الأهلِ والجانبِ[2]، فاستَوصِ ببنيك خيراً، ثُمَّ فارقته. فتزوَّجها رجلٌ من بني

(١) الحقيقة: ما يجب على الرجل أن يحميه وما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته.
(٢) رجلٌ ليِّنُ الجانبِ والجَنبِ، أي سهل القُربِ.

عمِّها، فقال لها يوماً من الأيام: يا سلمى، أثني عليّ كما أثنيتِ على عروة ـ وقد كان قولها فيه شُهِرَ ـ فقالت له: لا تُكلِّفني ذلك فإني إن قُلْتُ الحقَّ غَضِبْتَ ولا واللَّات والعُزّى لا أكذبُ؛ فقال: عَزمْتُ عليكِ لتأتيني في مجلس قومي فَلَتُثْنين عليَّ بما تَعْلَمين، وخرج فجلس في نَديّ القوم، وأقبلَتْ فرماها القومُ بأبصارهم، فوقفَت عليهم وقالت: أَنْعِموا صباحاً، إنّ هذا عَزَم عليّ أن أُثني عليه بما أعلم. ثم أقبلت عليه فقالت: واللَّه إن شِمْلَتَك لالتِحاف، وإن شُربَكَ لاستِفاف[١]، وإنَّك لتنام ليلةَ تخاضُ، وتشبعُ ليلة تُضافُ، وما تُرضي الأهلَ ولا الجانبَ، ثم انصرفَتْ. فلامه قومه وقالوا: ما كان أغناك عن هذا القولِ منها.

[كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم]

أخبرني الأخفش عن ثَعْلب عن ابن الأعرابيّ قال حدَّثني أبو فَقْعَس قال: كان عُرْوة بن الورْد إذا أصابت الناس سَنة شديدةٌ تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، وكان عروة بن الورد يجمعُ أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدّة ثم يحفرُ لهم الأسراب ويكنُفُ عليهم الكُنُف[٢] ويكْسِبُهُم[٣]، ومَنْ قَويَ منهم ـ إما مريضٌ يبرأ من مرضه، أو ضعيفٌ تثوب قوته ـ خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً، حتى إذا أخصب الناس وألبَنُوا وذهبتِ السَّنة ألحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله وقسمَ له نصيبه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسانُ منهم أهله وقد استغنى، فلذلك سُمِّي عروة الصعاليك، فقال في ذلك بعض السنين وقد ضاقت حاله:

لَعَلَّ ارتيادي[٤] في البِلادِ وَبُغيَتي ... وَشَدّي حَيازيمَ المَطِيَّةِ بِالرَّحْلِ
سَيَدفَعُني يَوماً إِلى رَبِّ هَجمَةٍ ... يُدافِعُ عَنها بِالعُقوقِ وَبِالبُخلِ

[الطويل]

[في غارة]

فزعموا أن اللَّه عزَّ وجلَّ قيَّض له وهو مع قوم من هُلاَّك[٥] عشيرته في شتاءٍ شديد ناقتيْن دهْمَاوَيْن، فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وضُعفاءهم على الأخرى،

(١) يقال: اشْتَفَّ ما في الإناء: أي شَرِبَه كله حتى الشُّفافَة.
(٢) يَكْنُف ما جُعِلَ فيه، أَي: يَحْفَظُه.
(٣) يقال كسب لأهله: طلب المعيشة ويتعدّى بنفسه إلى مفعول ثان كما هنا.
(٤) في ديوان الحماسة ورد «لعلَّ انطلاقي» بدل « ارتيادي».
(٥) هلاك: صعاليك.

وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان، وكان بين النقرة[١] والربذة[٢] فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له: ماوَان[٣]. ثم إن اللَّه عزَّ وجلّ قيَّض له رجلاً صاحب مائةٍ من الإبل قد فرَّ بها من حقوق قومه ـ وذلك أوّل ما ألبنَ الناسُ ـ فقتله وأخذ إبله وامرأته، وكانت من أحسن النساء، فأتى بالإبل أصحاب الكَنيف فحلبها لهم وحملهم عليها، حتى إذا دَنَوْا من عشيرتهم أقبل يَقْسِمُها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم، فقالوا: لا واللاتِ والعُزَّى لا نرضى حتى نجعلَ المرأةَ نصيباً فمن شاء أخذها، فجعل يهُمُّ بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يرُدّ عليهم الإبل إلا راحلةً يحمل عليها المرأة حتى يَلْحَقَ بأهله، فأبوا ذلك عليه، حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلةً من نصيبه؛ فقال عروة في ذلك قصيدته التي أوّلها:

أَلا إِنَّ أَصحابَ الكَنيفِ وَجَدتُهُم ... كَما النـاسِ لَمّا أَمْرعوا وَتَمَوَّلوا
وَإِنّي لَمَدفُوعٌ إِلَيَّ وَلاؤُهُم ... بِماوانَ إِذ نَمْشي وَإِذ نَتَمَلمَلُ
فَإِنّي وَإِيّاكُم كَذي الأُمِّ أَرهَنَت[٤] ... لَهُ ماءَ عَينَيها تُفَدّي وَتَحمِلُ
فَباتَت بِحَدٍّ[٥] المِرفَقَينِ كِلَيهِما ... تُوَحوِحُ مِمّا نالَها وَتُوَلوِلُ
تُخَيَّرُ مِن أَمرَينِ لَيسا بِغِبطَةٍ ... هُوَ الثَّكلُ إِلاّ أَنَّها قَد تَجَمَّلُ

[الطويل]

[سبي ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعراً]

وقال ابنُ الأعرابيّ في هذه الرواية أيضاً: كان عُرْوة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صَعْصَعة يُقالُ لها: لَيْلَى بنت شعواء، فمكثَتْ عنده زماناً وهي مُعْجِبة له تُريه أنَّها تحبُّهُ، ثم استزارته أهلها فحمَلَها حتى أتاهم بها، فلمَّا أراد الرُّجوع أبَتْ أن ترجع معه، وتوَّعده قومُها بالقتل فانصرف عنهم، وأقبل عليها فقال لها: يا ليلى، خبِّري صواحبَك عنِّي كيف أنا؛ فقالت: ما أرى لك عقلاً! أتُراني قد اخترْتُ عليك وتقول: خبِّري عنِّي! فقال في ذلك:

(١) النَّقْرة: موضع بين مكة والبصرة.
(٢) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبها قبر أبي ذر الغفاري.
(٣) ماوان: موضع بين النقرة والربذة.
(٤) رَهَنَ الشيءُ، أي دام وثبت. والراهِنُ: الثابتُ.
(٥) يعني الشاعر: إنها باتت متكئة على مرفقيها.

تَحِنّ إلى ليلى بجوّ بلادها وأنت عليها بالمَلاَ[1] كُنْتَ أقدرا
وكيف تُرجِّيها وقد حِيلَ دونَها وقد جاوزَتْ حيّاً بتَيْماء مُنكرا
لَعَلَّكِ يَوماً أَن تُسِرّي[2] نَدامَةً عَلَيَّ بِما جَشَّمتِني يَومَ غَضوَرا

[الطويل]

وهي طويلة. قال: ثم إن بني عامر أخذوا امرأةً من بني عبس ثم من بني سُكين يقال لها أسماء، فما لبِثَتْ عندهم إلاّ يوماً حتى استنقذَها قومُها؛ فبلغ عروة أنَّ عامر بن الطُّفَيْل فخر بذلك وذكر أَخْذَه إيَّاها، فقال عروة يعيرهم[3] بأخذه ليلى بنت شَعْواء الهلالية:

إن تَأخُذوا أَسماءَ مَوقِفَ ساعَةٍ فَمَأخَذُ لَيلى وَهيَ عَذراءُ أَعجَبُ
لَبِسنا زَماناً حُسنَها وَشَبابَها وَرُدَّت إِلى شَعْواءَ وَالرّأسُ أَشيَبُ
كَمَأخَذِنا حَسناءَ كُرهاً وَدَمعُها غَداةَ اللِّوى مَغصوبَةً يَتَصَبَّبُ

[الطويل]

[خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها]

وقال ابن الأعرابيّ: أَجْدَب ناس من بين عَبس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوعٌ شديدٌ وبؤسٌ، فأتوا عُرْوة بن الورد فجلسوا أمامَ بيته، فلمَّا بَصُروا به صرخوا وقالوا: يا أبا الصَّعاليك، أغِثْنا؛ فرقَّ لهم وخرج ليغزوَ بهم ويُصيبَ معاشاً، فنهتْهُ امرأته عن ذلك لِما تخوَّفت عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازياً، فمرَّ بمالك بن حِمار الفزاريّ ثم الشَّمْخيّ؛ فسأله: أين يريد؟ فأخبره، فأمر له بجزور فنحرها فأكلوا منها؛ وأشار عليه مالكٌ أن يرجع، فعصاه ومضى حتى انتهى إلى بلاد بني القَيْن، فأغار عليهم فأصاب هَجْمَةً، عاد بها على نفسه وأصحابه؛ وقال في ذلك:

أَرى أُمَّ حَسّانَ الغَداةَ تَلومُني تُخَوِّفُني الأَعداءَ وَالنَّفسُ أَخوَفُ

(١) الملا: المتسع من الأرض.
(٢) تسرّي أي كشَف. وسَرَوْت عني درعي، بالواو لا غير. وفي الحديث: فإذا مَطرَتْ يعني السَّحابةَ سُرِّي عنه أي كُشِف عنه الخَوْفُ، وقد تكرَّر ذكر هذه اللفظة في الحديث، وخاصَّةً في ذكر نُزول الوَحْي عليه ﷺ، وكلُّها بمعنى الكشْفِ والإزالة.
(٣) أنكر صاحب القاموس استعمال «عير» متعدياً بالباء، وقال: وعير الأمر ولا تقل بالامر. وقال صاحب لسان العرب: والعامة تقول عيره بكذا. ولكنَّ المرزوقي في شرح الحماسة صرح بأنّه يتعدّى بالباء.

تَـقـولُ سُـلَـيـمـى لَـو أَقَـمْـتَ لَـسَـرَّنـا ... وَلَـم تَـدرِ أَنّـي لِـلـمُـقـامِ أُطَـوِّفُ
لَـعَـلَّ الَّـذي خَـوَّفـتِـنـا مِـن أَمـامِـنـا ... يُـصـادِفُـهُ فـي أَهـلِـهِ الـمُـتَـخَـلِّـفُ
[الطويل]

وهي طويلة.

وقال في ذلك أيضاً:

أَلَـيـسَ وَرائـي أَن أَدِبَّ عَـلـى الـعَـصـا ... فَـيَـشـمَـتَ أَعـدائـي وَيَـسـأَمُـنـي أَهـلـي
رَهـيـنَـةُ قَـعـرِ الـبَـيـتِ كُـلَّ عَـشِـيَّـةٍ ... يُـطـيـفُ بِـيَ الـوِلـدانُ أَهـدَجَ[1] كَـالـرَّألِ[2]
أَقـيـمـوا بَـنـي لُـبـنـى صُـدورَ رِكـابِـكُـم ... فَـكُـلُّ مَـنـايـا الـنَّـفـسِ خَـيـرٌ مِـنَ الـهُـزلِ[3]
فَـإِنَّـكُـمُ لَـن تَـبـلِـغـوا كُـلَّ هِـمَّـتـي ... وَلا أَرَبـي حَـتّـى تَـرَوا مَـنـبِـتَ الأَثـلِ
لَـعَـلَّ ارتـيـادي فـي الـبِـلادِ وحـيـلـتـي ... وَشَـدّي حَـيـازيـمَ الـمَـطِـيَّـةِ بِـالـرَّحـلِ
سَـيَـدفَـعُـنـي يَـومـاً إِلـى رَبِّ هَـجـمَـةٍ ... يُـدافِـعُ عَـنـهـا بِـالـعُـقـوقِ وَبِـالـبُـخـلِ
[الطويل]

[قصته مع هزلي أغار على فرسه]

نسخْتُ من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدَّثني حرّ بن قَطَن أنَّ ثُمامة بن الوليد دخل على المنصور؛ فقال: يا ثُمامة، أتحفظ حديث ابن عمَّك عُرْوة الصَّعاليك بن الورد العبسيّ؟ فقال: أيُّ حديثه يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثير الحديث حسنه؛ قال: حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسه؛ قال: ما يَحْضُرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين؛ فقال المنصور: خرج عُرْوة حتى دنا من منازل هُذَيل فكان منها على نحو ميلين وقد جاع فإذا هو بأرنب فرماها ثم أَوْرى ناراً فشواها وأكلها ودَفَنَ النار على مقدار ثلاث أذرُع وقد ذهب الليل وغارت النجوم، ثم أتى سَرْحة[4] فصعدها وتخوَّف

(١) الهَدَجانُ: مِشْيةُ الشّيخ، ونحوه. هَدَج الشَّيْخُ، وهَدَجَتِ الرّيحُ، أي: حنَّتْ وصوَّتَتْ. والتّهَدُّجُ: تَقَطُّعُ الصّوت. وهَدَجُ الظّليم وهو مَشْيٌ وسَعْيٌ وعَدْوٌ. كلُّ ذلك في ارتعاشٍ.

(٢) الرَّأْل: فَرْخ النَّعام، والجمع: الرِّئالُ... والرّاء لا تجيء أبداً بعد اللّام.

(٣) الهُزالُ: ضدُّ السِّمَنِ. يقال: هُزِلَتِ الدابّة هُزالاً على ما لم يسمّ فاعله. وهَزَلْتُها أنا هَزْلاً، فهي مَهْزولةٌ. وأهْزَلَ القومُ، إذا أصابت مواشيهم سنةٌ فهُزِلَتْ.

(٤) السَّرْحُ: شَجَرٌ عِظامٌ طِوال، الواحدة سَرْحَةٌ، يقال هي الألاءُ، وهو شجر كبار عظام طوال لا ترعى وإنما يستظل به.

الطلب، فلما تغيَّب فيها إذ الخيل قد جاءت وتخوّفوا البَيات[١]. قال: فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركز رُمحه في موضع النَّار وقال: لقد رأيت النار هاهنا؛ فنَزِلَ رجل فحفر قدر ذراع فلم يجد شيئاً، [فأكبَّ القومُ على الرجل][٢] يعذلونه ويعيبون أمره ويقولون: عنَّيتنا في مثل هذه الليلة القَرَّة وزعمْتَ لنا شيئاً كذَبْتَ فيه؛ فقال: ما كَذَبْتُ، ولقد رأيْتُ النار في موضع رُمحي؛ فقالوا: ما رأيْتَ شيئاً ولكن تَحذلُقك[٣] وتَدهِّيك[٤] هو الذي حملك على هذا، وما نَعجب إلا لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتّبعناك؛ ولم يزالوا بالرجل حتى رجع عن قوله لهم. واتَّبعهم عُرْوة، حتى إذا وردوا منازلهم جاء عروة فتكمَّن في كِسْرِ[٥] بيت؛ وجاء للرجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود، وعُروة ينظر، فأتاها العبد بعلْبة فيها لبن فقال: اشرَبي؛ فقالت لا، أو تَبدأُ، فبدأ الأسود فشرب؛ فقالت للرجل حين جاء: لَعَنَ اللَّه صَلفكَ[٦]! عنَّيْت قومك منذ الليلة؛ قال: لقد رأيْتُ ناراً، ثم دعا بالعلبة ليشربَ، فقال حين ذهب ليكرَعَ[٧]: ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة! فقالت امرأته: وهذه أخرى، أي ريح رجلٍ تجده في إنائك غير ريحك! ثم صاحت، فجاء قومها فأخبرتهم خبره، فقالت: يتَّهمني ويظُنّ بي الظُّنون! فأقبلوا عليه باللَّومِ حتى رَجَعَ عن قوله؛ فقال عروة: هذه ثانية. قال ثم أوى الرجل إلى فراشه، فوثبَ عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به، فضرب الفرس بيده وتحرَّك، فرجع عروة إلى موضعه، ووثب الرجل فقال: ما كُنْتَ لتَكْذِبَني فما لك؟ فأقبلت عليه امرأته لوماً وعذْلاً. قال: فصنع عروة ذلك ثلاثاً وصنعه الرجل، ثم أوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم، فقال: لا أقوم إليك الليلة؛ وأتاه عروة فحال[٨] في متنه وخرج ركْضاً، وركب الرجل فرساً عنده أنثى. قال عروة: فجعلت أسمعه خَلفي يقول: إلحقي فإنك من نَسْلِه. فلما

---

(١) في الحديث: أنه كان لا يُبَيِّتُ مالاً، ولا يُقَيِّلُه؛ أي إذا جاءَه مالٌ لا يُمْسِكُه إلى الليل، ولا إلى القائلة، بل يُعَجِّلُ قِسْمَته. وبَيَّتَ القوْمَ والعَدُوَّ: أوقع بهم ليلاً؛ والاسمُ البَياتُ. وأتاهم الأمر بَياتاً أي أتاهم في جوفِ الليل. ويقال: بَيَّتَ فلانٌ بني فلانٍ إذا أتاهم بَياتاً، فكَبَسَهم وهم غارُّونَ.

(٢) ورد في بعض النسخ: «فركب القوم الرجل»، والمعنى علوه بعذلهم.

(٣) حَذْلَقَ الرجلُ وتَحَذْلَقَ، إذا أظهر الحِذْقَ وادّعى أكثرَ مما عنده.

(٤) التدهي: أن يفعل الإنسان فعل الدهاة.

(٥) كسر البيت: جانبه.

(٦) الصَّلَفُ: مُجاوَزةُ قَدْر الظَّرْفِ والبَراعةِ والادِّعاءِ فوقَ ذلك. وآفَةُ الظَّرْفِ الصَّلَفُ.

(٧) كَرَعَ في الماء يكرَعُ كَرْعاً وكُروعاً: إذا تناوله بفيه. وكَرَع في الإناء أمال عُنُقه نحوه فشرب.

(٨) حال: وثب وركب، ويقال حال في متن فرسه حؤولاً إذا وثب وركب.

انقطع عن البيوت، قال له عُرْوة بن الوَرْد: أيّها الرجل قِفْ، فإنَّك لو عرفتني لم تُقدم عليّ، أنا عروة بن الورد، وقد رأيت الليلة منك عجباً، فأخبرني به وأردّ إليك فرسَكَ؛ قال: وما هو؟ قال: جِئْتَ مع قومك حتى ركزتَ رُمحك في موضع نارٍ قد كُنْتُ أوقدتُها فثنَوْك عن ذلك فانثنيت وقد صدَقْتَ، ثم اتبعتك حتى أتيْتَ منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتها منهما، ثم شَمَمْتَ رائحة رجل في إنائك، وقد رأيْتُ الرجلَ حين آثرتْه زوجتك بالإناء، وهو عبدُك الأسودُ وأظنُّ أن بينهما ما لا تحبُّ، فَقُلْتَ: ريحُ رجل؛ فلم تزل تثنيك عن ذلك حتى انثنيت، ثم خرجْتُ إلى فرسك فأردْتُهُ فاضطرب وتحرَّك فخرجتَ إليه، ثم خرجتَ وخرجتَ، ثم أضربتَ عنه، فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس ولكنَّك تنثني وترجعُ؛ فَضَحِكَ وقال: ذلك لأخوال السَّوْء، والذي رأيْتَ من صَرَامتي فمن قِبَل أعمامي وهم هُذَيلٌ، وما رأيتَ من كَعَاعَتي[1] فمن قِبلِ أخوالي وهم بطن من خزاعة، والمرأةُ التي رأيْتَ عندي امرأة منهم وأنا نازلٌ فيهم، فذلك الذي يثنيني عن أشياء كثيرة، وأنا لاحقٌ بقومي وخارجٌ عن أخوالي هؤلاء ومُخَلٍّ سبيل المرأة، ولولا ما رأيْتَ من كعاعتي لم يقوَ على مناوأة قومي أحدٌ من العرب. فقال عروة: خُذْ فرسك راشداً؛ قال: ما كُنْتُ لآخذه منك وعندي من نسله جماعةٌ مثله، فخذه مباركاً لك فيه. قال ثُمامة: إن له عندنا أحاديثَ كثيرةً ما سَمِعْنا له بحديث هو أظرفُ من هذا.

[قصة غزوه لماوان]

قال المنصور: أفلا أحدّثك له بحديث هو أظرف من هذا؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، فإن الحديثَ إذا جاء منك كان له فضل على غيره؛ قال: خرج عروةُ وأصحابُهُ حتى أتى ماوَان فنزل أصحابُهُ وكَنَفَ عليهم كنيفاً من الشجر، وهم أصحاب الكنيف الذي سمعته قال فيهم:

أَلا إِنَّ أَصحابَ الكَنيفِ وَجَدتُهُم كَما الناسِ لَمّا أَمرَعوا وَتَمَوَّلوا[2]

[الطويل]

(١) الكعاعة: الجبن والضعف.

(٢) البيت في الديوان على الشكل التالي:

أَلا إِنَّ أَصحابَ الكَنيفِ وَجَدتُهُم كَما الناسِ لَمّا أَخصَبوا وَتَمَوَّلوا

وفي هذه الغَزَاة يقول عروة:

أقـولُ لِـقَـومٍ فـي الـكَـنـيـفِ تَـرَوَّحـوا عَـشِـيَّـةَ قِـلـنـا عِـنـدَ مـاوانَ رُزَّحِ[1]

[الطويل]

وفي هذه القصيدة يقول:

لِـيَـبـلُـغَ عُـذراً أَو يُـصـيـبَ رَغـيـبَـةً وَمَـبـلَـغُ نَـفـسٍ عُـذرَهـا مِـثـلُ مَـنـجَـحِ

[الطويل]

ثم مضى يبتغي لهم شيئاً وقد جُهِدوا، فإذا هو بأبيات شَعَرٍ وبامرأة قد خلا من سنِّها وشيخ كبير كالحِقاء[2] المُلْقى، فكَمَنَ في كِسْرِ بيت منها، وقد أجدب الناسُ وهَلَكَتِ الماشيةُ، فإذا هو في البيت بسُحورٍ ثلاثةٍ مَشْوِيَّة ـ فقال ثُمامة: وما السُّحور؟ قال: الحلقوم بما فيه ـ والبيت خالٍ فأكلها، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعتْهُ وقويَ، فقال: لا أُبالي مَنْ لقيتُ بعد هذا. ونظرتِ المرأةُ فظنَّت أنَّ الكلبَ أكلها فقالت للكلب: أفعلتَها ياخبيثُ! وطردتْه. فإنَّه لكذلك إذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأتِ الأُفقَ وإذا هي تلتفت فرقاً، فَعَلِمَ أن راعيها جَلْدٌ شديد الضرب لها، فلما أتت المناخ بَرَكَت، ومكث الراعي قليلاً ثم أتى ناقةً منها فمَرى أخلافها[3]، ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى ملأها، ثم أتى الشيخ فسقاه، ثم أتى ناقةً أخرى ففعل بها ذلك وسقى العَجوز، ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك فشرب هو، ثم التفع بثوب واضطجع ناحيةً، فقال الشيخُ للمرأةِ وأعجبه ذلك: كيف ترْينَ ابني؟ فقالت: ليس بابنك! قال: فابن مَنْ وَيْلَك؟ قالت: ابن عروة بن الورد، قال: ومن أين؟ قالت: أتذكر يوم مرَّ بنا يريدُ سُوقَ ذي المجاز فَقُلْتَ: هذا عُروة بن الورد، ووصفته لي بِجَلدٍ فإني استطرفته[4]. قال: فسكت، حتى إذا نوّم وثبَ عروة وصاح بالإبل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألاَّ يتبعه الغلام ـ وهو غلام حين بدا شاربه ـ فاتَّبعه.

---

(١) البيت في الديوان على الشكل التالي:

قُـلـتُ لِـقَـومٍ فـي الـكَـنـيـفِ تَـرَوَّحـوا عَـشِـيَّـةَ بِـتـنـا عِـنـدَ مـاوانَ رُزَّحِ

والرزح: رَزَحَ البَعيرُ رُزُوحاً أي: أعْيا، وبَعير مِرْزاح ورازِح وهو المُعْيي القائم، وإبِل رَزْحَى ومَرازيح. والمِرْزيح: الصَّوْت.

(٢) الحقاء: الإزار.

(٣) مَرَيْتُ الناقة مَرْياً، إذا مسحتَ ضرعها ليدرّ. وأمْرَتِ الناقةُ، أي درَّ لبنُها. والمَرِيُّ على فَعيلٍ: الناقة الكثيرة اللبن.

(٤) استطرفته: أخترته وطلبته.

قال: فاتخذا[1] وعالجه، قال: فضرب به الأرض فيقع قائماً، فتخوّفه على نفسه، ثم واثبه فضرب به وبادره، فقال: إني عُروة بن الورد، وهو يريد أن يُعجزه عن نفسه. قال: فارتدع، ثم قال مالك ويلك! لستُ أشكُّ أنك قد سمعتَ ما كان من أمي؛ قال: قلْتُ نعم، فاذهب معي أنت وأمك وهذه الإبلُ ودَعْ هذا الرجل فإنه لا ينهاك عن شيء، قال: الذي بقي من عمر الشيخ قليلٌ، وأنا مُقيمٌ معه ما بقي، فإن له حقاً وذِماماً، فإذا هلك فما أسرعني إليك، وخذ من هذا الإبل بعيراً؛ قُلْتُ: لا يكفيني، إنّ معي أصحابي قد خلَّفتُهم؛ قال: فثانياً، قُلْتُ لا؛ قال: فثالثاً، واللَّه لازدتُكَ على ذلك. فأخذها ومضى إلى أصحابه، ثم إنَّ الغلامَ لَحِقَ به بعد هلاك الشيخ. قال: واللَّه يا أمير المؤمنين لقد زيَّنته عندنا وعظَّمتَهُ في قلوبنا؛ قال: فهل أعقبَ عنكم؟ قال لا، ولقد كنا نتشاءَم بأبيه، لأنَّه هو الذي أوقع الحرب بين عَبْس وفزارة بمراهنته حُذَيفة، ولقد بلغني أنه كان له ابن أسنّ من عروة فكان يُؤثِرُهُ على عروة فيما يعطيه ويُقرِّبُهُ، فقيل له: أتؤثِرُ الأكبرَ مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه! قال: أتَرَوْنَ هذا الأصغرَ! لئن بقي مع ما رأى من شدّة نفسه ليصيرنّ الأكبر عيالاً عليه.

صـــوت

من المائة المختارة

أَزرى بَـنـا أَنَّـنـا شـالَـت نَـعـامَـتُـنـا ... فَـخـالَـنـي دونَـهُ بَـل خِـلـتُـهُ دونـي

فـإن تُـصِـبـكَ مـن الأيـام جـائـحـةٌ ... لـم أبـكِ مـنـك عـلـى دنـيـا ولا ديـنِ

[البسيط]

الشعرُ لذي الإصبع العَدْوانيّ، والغناءُ لفيلٍ مولى العَبلات هزجٌ خفيف بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. معنى قوله أزرى بنا: قصَّرَ بنا، يُقالُ: زَرَيت عليه إذا عِبتَ عليه فِعله، وأزريْت به إذا قصرت به في شيء. وشالت نعامتهم إذا انتقلوا بكُلِّيتهم، يقال: شالت نعامتهم، وزفَّ رألُهم، إذا انتقلوا عن الموضع فلم يبقَ فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شيء. وخالني: ظنني، يقال: خِلْتُ كذا وكذا فأنا أخاله إذ ظننته. والجائحة: النازلة التي تجتاح ولا تُبقي على ما نَزِلَتْ به.

(١) اتخذا: أخذ بعضهم بعضاً في القتال.

ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره

[نسبه]

هو حُرثانُ بن الحارث بن مُحرّث بن ثعلبة بن سيَّار بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يَشكُر بن عَدْوان بن عمرو بن سَعد بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار، أحدُ بني عدوان وهم بطنٌ من جديلة. شاعرٌ فارسٌ من قُدماء الشعراء في الجاهلية وله غاراتٌ كثيرةٌ في العرب ووقائعُ مشهورة.

[تفاني عدوان]

أخبرنا محمد بن خَلف وَكيع وابن عَمَّار والأسديّ، قالوا حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العنزيّ قال حدَّثنا أبو عثمان المازنيّ عن الأصمعيّ قال: نزلَت عدوان على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أَغْرل[1] سِوى من كان مختوناً لكثرة عددهم، ثم وقع بأسهم بينهم فتفانَوْا فقال ذو الإصبع:

صـوت

عَـذيـرَ الـحَـيِّ مِـن عَـدْوا ... نَ كـانـوا حَـيَّـةَ الأَرضِ
بَـغـى بَـعـضُـهـم بَـعـضـاً ... فَـلَـم يُـبـقـوا عَـلـى بَـعـضِ
فَـقَـد صـاروا أَحـاديـث ... بِـرَفـعِ الـقَـولِ وَالـخَـفـضِ[2]
وَمِـنـهُـم كـانَـتِ الـسَّـادا ... تُ وَالـمـوفـونَ بِـالـقَـرْضِ
وَمِـنـهُـم مَـن يُـجـيـزُ الـنـا ... سَ بِـالـسُّـنَّـةِ وَالـفَـرضِ
وَمِـنـهُـم حَـكَـمٌ يَـقـضـي ... فَـلا يُـنـقَـضُ مـا يَـقْـضـي

[مجزوء الوافر]

---

(١) الغَرَلُ: القَلَفُ، والغُرْلةُ: القُلْفَةُ. والأَغْرَلُ: الأَقْلَفُ، ويُجْمَعُ على غُرْلٍ.

(٢) يعني الشاعر بهذا القول: أنهم صاروا أحاديث للناس يرفعونها ويخفضونها، أي يبيحون بها ويسرونها.

غنّى في هذه الأبيات مالكٌ ثقيلاً أوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو.

وأمَّا قول ذي الإصبع:

وَمِـنـهُـم حَـكَـمٌ يَـقـضـي[١]

فإنه يعني عامر بن الظَّرِب العَدْوانيّ، كان حكماً للعرب تَحْتَكم إليه.

[من قرعت له العصا]

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدي عن محمد بن حبيب قال: قيس تدَّعي هذه الحكومة[٢] وتقول: إنَّ عامر بن الظَّرِب العدوانيّ هو الحكَم وهو الذي كانت العصا تُقْرَع له، وكان قد كَبُرَ فقال له الثاني من ولده: إنَّك ربَّما أخطأت في الحكم فيُحْمَلُ عنك؛ قال: فاجعلوا لي أمارةً أعرفها فإذا زُغْتُ فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب، فكان يجلس قُدّام بيته ويقعدُ ابنه في البيت ومعه العصا، فإذا زاغ أو هفا[٣] قَرَعَ له الجَفْنة فَرَجَعَ إلى الصواب. وفي ذلك يقول المتلمِّس[٤]:

لِـذي الـحِـلـمِ قَـبـلَ الـيَـومِ مـا تُـقـرَعُ العَـصـا وَمـا عُـلِّـمَ الإِنـسـانُ إِلا لِـيَـعـلَـمـا

[الطويل]

قال ابنُ حبيب: وربيعه تدّعيه لعبد اللَّه بن عمرو بن الحارث بن هَمَّام. واليَمن تدّعيه لربيعة بن مُخاشِن، وهو ذو الأعواد، وهو أوّل من جلس على منبر أو سرير وتكلَّم؛ وفيه يقول الأسْودُ بن يَعْفر[٥]:

---

(١) البيت على الشكل التالي:

وَمِـنـهُـم حَـكَـمٌ يَـقـضـي فَـلا يُـنـقَـضُ مـا يَـقـضـي

[مجزوء الوافر]

(٢) قال الأصمعي: أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم، قال: ومنه سميت حَكَمَةُ اللجام لأنها تَرُدُّ الدابة؟.

(٣) الهَفْوةُ: الزّلّةُ وقد هفا . . . ويُقال للظَّليم إذا عدا؛ قد هفا، والفؤادُ إذا ذَهَب في إثْرِ شيءٍ قلت: هفا.

(٤) المتلمس الضبعي، هو جرير بن عبد العزى، أو عبد المسيح، من بني ضُبيعة، من ربيعة. شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد. كان ينادم عمرو بن هند ملك العراق، ثم هجاه فأراد عمرو قتله ففرَّ إلى الشام ولحق بآل جفنة، ومات ببصرى، من أعمال حوران في سورية سنة ٤٣ق.هـ.

(٥) الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل. شاعر جاهلي، من سادات تميم، من أهل العراق، كان فصيحاً جواداً، نادم النعمان بن المنذر، ولما أسن كفّ بصره ويقال له: أعشى بني نهشل توفي سنة٢٣ق.هـ.

ولقد عَلِمْتُ لَوَ انّ علمي نافعي أنَّ السبيلَ سبيلُ ذي الأعوادِ[1]

[الكامل]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ أبو دُلَف قال أخبرنا الرّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال: زعم أبو عمرو بن العلاء أنه ارتحلَتْ عَدوان من منزلٍ، فعُدَّ فيهم أربعون ألفَ غلام أقلف. قال الرياشي وأخبرني رجل عن هِشام بن الكَلْبيّ قال: وقع على إيادٍ البقُّ فأصاب كلَّ رجلٍ منهم بقَتَّان.

[استعراض عبد الملك أحياء العرب وسؤاله عن ذي الإصبع]

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال حدَّثني يعقوب بن نُعيم قال حدَّثنا أحمد بن عُبيد أبو عَصِيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزّياديّ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شبَّة ولم يُسنده إلى أحد وروايته أتمّ:

أنَّ عبد الملك بن مَروان لما قدم الكوفة بعد قتله مُصعب بن الزّبير كان جلس لعرض أحياء العرب ـ وقال عمر بن شبة: إنّ مصعب بن الزّبير كان صاحب هذه القصة ـ فقام إليه معبد بن خالد الجَدَلي، وكان قصيراً دميماً، فتقدّمه إليه رجل منا حسن الهيئة؛ قال معبدٌ: فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال: ممن أنت؟ فسكت ولم يقل شيئاً وكان منَّا، فَقُلْتُ من خلفه: نحن يا أمير المؤمنين من جَدِيلة؛ فأقبل على الرجل وتركني؟ فقال: من أيّكم ذو الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري؛ فقلت: نهشتْهُ حيةٌ في إصبعه فيبُسَتْ؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: وبِمَ كان يُسَمَّى قبل ذلك؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان يُسَمَّى حُرْثان؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: من أيِّ عَدوان كان؟ فقلت من خلفه: من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر:

وأمَّا بنو ناجٍ فلا تَذْكُرَنّهم ولا تُتبِعَن عَينَيكَ ما كانَ هالِكا[2]

إذا قُلتُ مَعروفاً لِأُصلِح بَينَهُم يَقولُ وُهيبٌ لا أُسالِمُ ذَلِكا

[الطويل]

---

(١) ورد البيت في المصادر على الشكل التالي:

ولقد علمتُ سِوى الذي نبأتِني أنَّ السبيلَ سبيلُ ذي الأعوادِ

(٢) ورد البيت في المصادر على الشكل التالي:

أَبَعدَ أَبي ناجٍ وَسَعيِكَ فيهِم فَلا تُتبِعَن عَينَيكَ ما كانَ هالِكا

وروى عمرُ بن شبة: لا أُسلِّم.

فَأَضحَى كَظَهرِ العودِ جُبَّ سَنامُهُ يَدِبُّ إِلى الأَعداءِ أَحدَبَ بارِكا

[الطويل]

فأقبل على الرجل وتركني وقال أنشدني قوله:

عَذيرَ الحَيِّ مِن عَدوانَ

[مجزوء الوافر][1]

قال الرجل: لَسْتُ أرْوِيها؛ قلت يا أمير المؤمنين إن شِئْتَ أنشدتُكَ؛ قال: ادْنُ منّي، فإنِّي أراك بقومك عالماً؛ فأنشدْتُهُ:

وَلَيسَ المَرءُ في شَيءٍ مِنَ الإِبرامِ وَالنَّقضِ
إِذا أَبرَمَ أَمراً خا لَهُ يَقْضي وَما يَقْضي
يَقولُ اليَومَ أُمضِيهِ وَلا يَملِكُ ما يُمضي
عَذيرَ الحَيِّ مِن عَدوا نَ كانوا حَيَّةَ الأَرضِ
بَغى بَعضُهُمُ بَعضاً فَلَم يُبْقُوا عَلى بَعضِ
فَقَد صاروا أَحاديثَ بِرَفعِ القَولِ وَالخَفضِ
وَمِنهُم كانَتِ السادا تُ وَالموفونَ بِالقَرضِ
وَمِنهُم حَكَمٌ يَقضي فَلا يُنقَضُ ما يَقضي
وَمِنهُم مَن يُجيزُ النا سَ بِالسُّنَّةِ وَالفَرضِ
وَهُم مَنْ وَلَدوا أَشبَبَوْا[2] بِسِرِّ الحَسَبِ المَحضِ
وَمِمَّن وَلَدوا عامِرُ ذو الطَولِ وَذو العَرضِ
وَهُم بَوَّوْا[3] ثَقيفاً دا رَ لا ذُلٌّ وَلا خَفضِ

[مجزوء الوافر]

---

(١) ورد البيت في المصادر على الشكل التالي:

عَذيرَ الحَيِّ مِن عَدوا نَ كانوا حَيَّةَ الأَرضِ

(٢) اليزيدي: المُشْبي الذي يُولد له وَلدٌ ذكيٌّ، وقد أَشْبى؛ وأَنشد شمِر قول ذي الإِصْبَع العَدَواني:

وهُمْ إِنْ وَلَدُوا أَشْبَبَوْا بِسِرِّ الحَسَبِ المَحْضِ

قال: وأَشْبى إذا جاءَ بوَلَدٍ مثل شَبا الحدِيد.

(٣) بوّوا: أنزلوا.

فأقبل على الرجل وتركني وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، فأقبل علي فقال: كم عطاؤك؟ فقلت: خمسمائة؛ فأقبل على كاتبه وقال: اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا؛ فانصرفْتُ بها.

وقوله: «ومنهم من يجيز الناس» فإنَّ إجازةَ الحج كانت لخُزاعة فأخذَتْها منهم عَدوانُ فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سَيَّارة[1] أحد بني وَابِش بن زيد بن عَدْوان وله يقول الراجز:

خَلُّوا السبيل عن أبي سَيَّارَهْ وعن مَوالِيه بني فَزَارَهْ
حتى يُجيزَ سالماً حِمارَهْ مستقبِلَ الكعبةِ يدعو جارَهْ

[الرجز]

قال: وكان أبو سيَّارَة يُجيزُ الناسَ في الحج بأن يتقدَّمَهم على حمارٍ، ثم يَخْطُبُهم فيقول: اللَّهم أصلِحْ بين نسائنا، وعادِ بين رِعائنا، واجعل المالَ في سُمحائِنا، أَوْفُوا بعهدكم، وأكرموا جاركم، واقْرُوا ضيفكم، ثم يقول: أشرِقْ ثبير كما نُغير[2]، وكانت هذه إجازته، ثم يَنْفُرُ ويتبعه الناس. ذكر ذلك أبو عمرو الشَّيبانيّ والكلبيّ وغيرُهما.

[قصته مع بناته الأربع وقد أردن الزواج]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمرُ بن شبة قال حدَّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدَّثنا محمد بن داود الهشاميّ قال: كان لذي الإصبع أربعُ بنات وكُنَّ يُخطَبْنَ إليه فيَعرضُ ذلك عليهنّ فيستحينَ ولا يزوِّجهنّ، وكانت أمّهنّ تقول: لو زوَّجتهنَّ! فلا يفعل. قال: فخرج ليلةً إلى مُتحدِّثٍ لهنّ فاستمع عليهنَّ وهنَّ لا يعلمنَ فقلنَ: تعاليْنَ نتمنَّى ولْنصْدُقْ، فقالت الكبرى:

ألا ليتَ زوجي من أُناسٍ ذَوي غِنًى حَديثُ الشباب طيِّبُ الريح والعِطرِ
طبيبٌ بأدواء النساء كأنَّه خليفةُ جانٍ لا ينام على وِتْرِ

[الطويل]

فَقُلْنَ لها: أَنتِ تُحِبِّين رجلاً من قومك. فقالت الثانية:

ألا هل أراها ليلةً وضَجيعُها أشمُّ كنصل السيف غَيرُ مُبلَّدِ

(١) أبو سيّارة، كان يدفع بالناسِ في الموسم أربعين سنةً، واسمه عُمَيلة بن الأعزَل.
(٢) أشرق، أي أدخل يا ثبير في الشروق كي نسرع للنحر. يقال أغر الثعلب، أي أسرع. قال عمر رضي اللَّه عنه إن المشركين كانوا يقولون: أشرق ثبير كيما نغير، وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس. يضرب في الإسراع والعجلة.

لَـصُـوقٌ بـأكـبـاد الـنـسـاء وأصـلُـهُ إذا مـا انـتـمـى مـن سِـرّ أهـلـي ومَـحْـتِـدي
[الطويل]

فقلن لها: أَنتِ تُحبِّين رجلاً من قومك. فقالت الثالثة:

ألا لَـيْـتَـهُ يَـمْـلاَ الـجِـفـانَ لـضَـيْـفِـه له جَفنةٌ يَشقى بها النَّيبُ[١] والجُزْرُ[٢]
لـه حَـكَـمَـات[٣] الـدّهـر مـن غـيـر كَـبْـرة تشين ولا الفاني ولا الضَّرَعُ[٤] الغَمْرُ[٥]
[الطويل]

فَقُلْنَ لها: أنت تُحِبِّين رجلاً شريفاً. وقلن للصُّغرى: تمنَّي؛ فقالت: ما أريد شيئاً؛ قلن: واللَّه لا تبْرَحِين حتى نعلم ما في نفسك؛ قالت: زوج من عُود خيرٌ من قُعود. فلما سمع ذلك أبوهنّ زوجهنّ أربعتهنّ. فمكَثْنَ بُرهةً ثم اجتمعن إليه، فقال للكبرى: يا بُنيَّة، ما مالكم؟ قالت: الإبل؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، نأكل لحومها مُزعاً[٦]، ونشرب ألبانها جُرَعاً، وتحملنا وضيفنا معاً؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خيرُ زوج يُكرم الحليلة، ويُعطي الوسيلة[٧]؛ قال: مالٌ عميمٌ وزوجٌ كريم. ثم قال للثانية: يا بُنيَّة ما مالكم؟ قالت: البقر؛ قال: فكيف تجدونها؛ قالت: خير مال، تألف الفِناء، وتُوَدِّك[٨] السِّقاء، وتملأُ الإناء، ونِساءٌ في نساء؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله ويَنْسَى فضله؛ قال: حَظيتِ

(١) النَّابُ والنَّيُوبُ: الناقةُ المُسِنَّة، سَمَّوْها بذلك حين طال نابُها وعَظُم، مؤنثة أَيضاً، وهو مما سُمِّي فيه الكُلُّ باسم الجُزْءِ.

(٢) الجَزَرُ: كل شيءٍ مباح للذَّبح، الواحد جَزَرَةٌ، فإذا قلت: أعطيت فلاناً جَزَرَةً فهي شاةٌ ذكراً كان أو أنثى لأن الشاة ليست إلا للذَّبح خاصَّةً، ولا تقع الجَزَرَةُ على الناقةِ والجمل لأنّهما لسائر العمل. ويقال: الجَزَرةُ السَّمينةُ من الغنم. والجَزورة من الإبل: السَّمينةُ وهي القلعةُ والقلُوعُ أي الكثيرةُ.

(٣) حَكمةُ اللجام، ما أحاط بحنكَي الدابة، وفيها العذران، سميت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد، مشتق من ذلك، وجمعه حَكَمٌ. وحَكَمَ الفرس وأحْكَمه، جعل للجامه حَكمةً.

(٤) ضَرِعَ الرجل يَضْرَعُ فهو ضَرَعٌ، أي: غمر ضعيف. قال طرفة بن العبد:

فـمـا أنـا بـالـوانـي ولا الـضَّـرَعِ الـغـمـر

والضَّرَعُ أيضاً: النحيف الدقيق. يقال: جسدك ضارع، وأنت ضارع، وجنبك ضارع.

(٥) الغَمْرُ: من لم يُجَرِّبِ الأمورَ، وجمعه أغمارٌ.

(٦) مُزْعَة: بقيّة من دَسَمٍ. يقال: ماله جُزْعَةٌ ولا مُزْعةٌ، فالجُزْعَة: ما يبقى في الإناء، والمُزْعَةُ: شيء من شحم متمزع.

(٧) الوَسيلَةُ: ما يتقرَّب به إلى الغير، والجمع الوَسيلُ والوَسائِلُ. والتوسيل والتَوَسُّلُ واحد.

(٨) الوَدَكُ، مُحَرَكَةً: الدّسَمُ وقِيلَ: دَسَمُ اللَّحْمِ ودُهْنُه الذي يُستَخْرَجُ منه. وتودّك السقاء: تجعل فيه الودك وهو الدسم.

ورضيتِ. ثم قال للثالثة: ما مالكم؟ قالت: المِعْزى؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: لا بأس بها نُولِدُها فُطُماً[١]، ونسلخها أدماً[٢]؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: لا بأس به ليس بالبخيل الحَكِر[٣] ولا بالسَّمْح البَذِر، قال: جَدْوى مُغْنية. ثم قال للرابعة: يا بُنَية، ما مالكم؟ قالت: الضأن؛ قال: وكيف تجدونها؟ قالت: شرّ مال، جُوف[٤] لا يَشْبعنَ، وهِيمٌ[٥] لا ينقعن[٦]، وصُمٌ[٧] لا يَسمعنَ، وأمرَ مُغْوِيَتهنَّ يَتبَعْنَ[٨]؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: شرّ زوج، يُكْرِمُ نفسَهُ ويُهينُ عِرْسه؛ قال: «أشبه أمراً بعضُ بَزّه».

وذكر الحسن بن عُلَيل العنزيّ في خبر عَدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العَلاء أنه لا يصحّ من أبيات ذي الإصبع الضَّاديَّة إلاَّ الأبيات التي أنشدها وأنَّ سائرها مَنحولٌ.

[خرفه]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني محمد بن عبد اللَّه الحَزَنْبل قال حدَّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني عن أبيه قال: عُمّر ذو الإصبع العدوانيّ عمراً طويلاً حتى خُرِف[٩] وأهتر[١٠] وكان يفرِّقُ مالَهُ، فعذلَهُ أصهارُهُ ولاموه وأخذوا على يده[١١]؛ فقال في ذلك:

---

(١) فطمتُ المولود أفطِمه فَطْماً، إذا قطعتَ عنه الرَّضاع، والمولود فَطيم والأمّ فاطم؛ والأصل في الفَطْم: القَطْع.

(٢) الأدَمُ: جَماعَةُ الأدِيْم. والأدَمَةُ: خِلَافُ البَشَرَةِ، يُقَال: أدَمْتُه: أخَذْتُ أدَمَتَه أي قِشْرَه. وفلانٌ مُؤْدَم مُبْشَر: إذا جَمَعَ لِيْنَ الأدَمَةِ وخُشُوْنَةَ البَشَرَةِ. وما أحْسَنَ أدَمَتَه وإدَامَتَه: أي سحنته. وأدَمَةُ الأرْضِ: وَجْهُها، وآدَمُ: مُشْتَق منه.

(٣) الحَكْرُ: الظُلم في النقص وسُوء المعاشرة. وفلان يحكِرُ فلاناً: أدخَلَ عليه مَشَقّة ومَضَرَّةً في مُعاشَرته ومُعايَشته. وفلان يَحْكِرُ فلاناً حَكْراً.

(٤) جوف: عظام الأجواف.

(٥) الهَيْمانُ: العَطْشانُ. والهائم: المُتَحَيِّر؛ هامَ يَهِيمُ.

(٦) لا ينقعن: لا يروين.

(٧) هذا القول وارد على وجه التمثيل، وشبهت الضأن بما لا يسمع لبلادتها.

(٨) قال علي بن عبد اللَّه: قلت لابن عائشة: ما قولها: «وأمر مغويتهن يتبعن»؟ فقال: أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها إليه.

(٩) خَرف الرجُلُ خَرَفاً، فهو خَرِف: فَسد عقله من الكِبَر، والأنثى: خَرِفة.

(١٠) الهُتْرُ، بضم الهاء: ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن. والمُهْتَرُ: الذي فَقَدَ عقلَه من أحد هذه الأشياء، وقد أهْتَرَ، نادرٌ. وقد قالوا: أهْتَرَ وأُهْتِرَ الرجلُ، فهو مُهْتَرٌ إذا فقد عقله من الكِبَرِ وصار خَرِفاً. وروى أبو عبيد عن أبي زيد أنه قال: إذا لم يَعْقِلْ من الكِبَرِ قيل أُهْتِرَ، فهو مُهْتَرٌ، والاستهتارُ مثله.

(١١) أخذوا على يدِهِ: حجروا عليه ومنعوه مما يريدُ أن يفعلَ.

أَهـلَـكَـنـا الـلَـيـلُ وَالـنَّـهـارُ مَـعـا وَالـدَهـرُ يَـعْـدو مُـصَـمِّـمـاً جَـذَعـا[١]
فَـلَـيـسَ فـيـمـا أصـابَـنـي عَـجَـبٌ إِنْ كُـنْـتُ شَـيـبـاً أَنـكَـرتُ أَو صَـلَـعـا
وَكُـنـتُ إِذْ رَونَـقُ الـشَّـبـاب[٢] بِـهِ مـاء شَـبـابـي تَـخـالُـهُ شَـرَعـا
وَالـحَـيُّ فـيـهِ الـفَـتـاةُ تَـرْمُـقُـنـي حَـتّـى مَـضـى شَـأوُ ذاكَ فَـانـقَـشـعـا

[المنسرح]

صـوت

إِنَّـكُـمـا صـاحِـبَـيَّ لَـم تَـدَعـا لَـوْمـي وَمَـهـمـا أَضِـقْ فَـلَـن تَـسَـعـا
لَـم تَـعـقِـلا جَـفْـوَةً عَـلَـيَّ وَلَـم أشـتـمْ صـديـقـاً وَلَـم أَنَـلْ طَـبَـعـا[٣]
إِلاّ بِـأَن تَـكـذِبـا عَـلَـيَّ وَمـا أَمـلِـكُ أَن تَـكـذِبـا وَأَن تَـلِـعـا[٤]

[المنسرح]

لابن سُريج في هذه الأبيات لحَنان: أحدهما ثاني ثقيل بالسبابة والبنصر عن يحيى المكيّ، والآخر ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ.

وَإِنَّـنـي سَـوفَ أَبـتَـدي بِـنـدًى يـا صـاحِـبَـيَّ الـغَـداةَ فَـاسـتَـمِـعـا
ثُـمَّ سـلا جـارَتـي وَكَـنَّـتَـهـا هَـل كُـنـتُ مِـمَّـن أَرابَ أَو خَـدَعـا
أَو دَعَـتـانـي فَـلَـم أُجِـب وَلَـقَـد تَـأمَـنُ مِـنّـي حَـلـيـلـتـيَ الـفَـجَـعـا
آبـى فَـلا أَقـرَبُ الـخِـبـاءَ إِذا مـا رَبُّـهُ بَـعـدَ هَـدأَةٍ هَـجَـعـا
وَلا أَرومُ الـفَـتـاةَ زَوْرَتَـهـا إِن نـامَ عَـنـهـا الـحَـلـيـلُ أَو شَـسَـعـا
وَذاكَ فـي حِـقـبَـةٍ خَـلَـت وَمَـضَـتْ وَالـدّهـرُ يَـأتـي عَـلـى الـفَـتـى لُـمَـعـا[٥]
إِن تَـزعُـمـا أَنِّـي كَـبِـرتُ فَـلَـم أُلـفَ ثـقـيـلاً نِـكـسـاً[٦] وَلا وَرِعـا[٧]

(١) الجَذَع: الصغير السن. وقيل: الجَذَع من الغنم، تيسا كان أو كبشا: الداخل في السنة الثانية.
(٢) في المصادر الأخرى «الأديم» بدل «الشباب».
(٣) عجز البيت في المصادر الأخرى: أوذِ نَديماً وَلَم أَنَل طَبَعا
(٤) فلان لا يُوثَقُ بسَيْل تَلْعَته: يوصف بالكذب أَي لا يوثقُ بما يقول وما يجيء به.
(٥) تلمَّع ضرعُها إذا تلوّن ألواناً عند الإنزال. قال أبو ليلى: يقال: لَمَعَ ضَرْعُها إذا ظهر.
(٦) النِّكْسُ من القوم: المقصر عن غاية النجدة والكرم، والجميع الأَنْكاس.
(٧) الورع: الضعيف لا غناء عنده.

إِمّـا تَـرى شِـكَّـتـي[١] رُمَـيـحَ أَبـي سَـعـدٍ فَـقَـد أَحـمِـلُ الـسِّـلاحَ مَـعـا
[المنسرح]

أبو سعد: ابنُهُ، ورُميحٌ: عصاً كانت لابنه يلعبُ بها مع الصِّبيان يُطاعِنُهُم بها كالرُّمح، فصار يتوكأ هو عليها ويقوده ابنه هذا بها:

ألـسَّـيـف وَالـرّمـحُ وَالـكِـنـانَـةُ قَـد أَكـمَـلـتُ فـيـهـا مَـعـابِـلا[٢] صُـنُـعـا[٣]
وَالـمُـهـرُ صـافـي الأَديـمِ أَصـنَـعُـهُ[٤] يَـطـيـرُ عَـنـهُ عِـفـاؤُهُ[٥] قَـزَعـا[٦]
أُقـصِـرُ مِـن قَـيـدِهِ وَأَردَعُـهُ حَـتّـى إِذا الـسِّـربُ ريـعَ أَو فَـزِعـا
كـانَ أَمـامَ الـجِـيـادِ يَـقـدُمُـهـا يَـهُـزُّ لَـدنـاً[٧] وَجُـؤجـوءاً[٨] تَـلِـعـا[٩]
فَـغـامَـسَ الـمَـوتَ[١٠] أَو حَـمـى ظُـعُـنـاً[١١] أَو رَدَّ نَـهـبـاً لِأَيِّ ذاكَ سَـعـى
[المنسرح]

[وصيته لابنه عند موته]

قال أبو عمرو: ولمَّا احتضر ذو الإصبع دعا ابنه سيداً فقال له: يا بُنيّ، إنَّ أباك قد فني وهو حيّ وعاش حتى سَئِمَ العيش، وإنِّي مُوصيك بما إن حفظته [بلغت] في قومك ما بلغته، فاحفظ عني: أَلِن جانبك لقومك يحبُّوك، وتواضَعْ لهم يرفعوك، وابسُط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يُسودّوك؛ وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحم حريمَكَ، وأعززْ جارَك، وأعِنْ من استعان بك، وأكرم ضيفَكَ، وأسرع النَّهضة في الصَّريخ، فإن لك أجلاً

(١) الشكة: السلاح.
(٢) المِعْبلة: النصل العريض وجمعها معابل. قال الأصمعي: من النصال المِعْبلة، وهو أن يعرض النصل ويطول.
(٣) صُنُع: جمع صنيع وهو المجرّب المجلوّ.
(٤) أصنعه: أحسن القيام عليه.
(٥) العِفاء ما كَثُر من الريش والوَبَر. ناقةٌ ذات عِفاء كثيرةُ الوَبَر طويلتُه قد كادَ ينسِل للسُقوط.
(٦) القَزَعُ: قِطَعٌ من السحاب رَقيقَة كالظل. ومن الصوف ما تَناثَرَ في الربيع. ومن السهْم ما رَق ريشُه.
(٧) اللّدن: اللَّيِّن من كُلِّ شيءٍ، ولَدُنَ لُدونةً، ورُمْحٌ لَدْنٌ، وقناةٌ بالهاء: ليِّنة المَهَزَّة.
(٨) الجؤجؤ: الصدر.
(٩) تَلَعَتِ الضُّحى تُلُوعا وأَتْلَعَتْ: انبسطت.
(١٠) غامس الموت: ورده.
(١١) الظَّعينةُ: المرأةُ، سُمّيت به لأنّها تَظْعَنُ إذا ظَعَنَ زوجُها، وتقيم إذا أقام. ويقال: لا بل الظّعينةُ الجملُ الذي يعتمل ويركب، وسمّيت ظعينةً لأنّها راكبتُه.

لا يعدُوك، وصُن وجهك عن مسألة أحد شيئاً، فبذلك يتم سُودَدُك؛ ثم أنشأ يقول:

أَأُسَيِّدُ إِن مالاً مَلَكْتَ فَسِر بِهِ سَيراً جَميلا
آخِ الكِرامَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ إِلى إِخائِهِم سَبيلا
وَاشرَب بِكَأسِهِمُ وَإِن شَرِبوا بِهِ السُّمَّ الثَميلا[1]
أَهِنِ اللِّئامَ وَلا تَكُن لإِخائِهِم جَمَلاً ذَلولا
إِنَّ الكِرامَ إِذا تُوَا خيهِم وَجَدتَ لَهُم فُضولا
وَدَعِ الَّذي يَعِدُ العَشيرَةَ أَن يَسيلَ وَلَن يَسيلا
أَبُنَيَّ إِنَّ المالَ لا يبكى إِذا فَقَدَ البَخيلا

[مجزوء الكامل]

صوت

أَأُسَيِّدُ إِن أَزمَعتَ مِن بَلَدٍ إِلى بَلَدٍ رَحيلا
فَاحفَظ وَإِن شَحَطَ المَزا رُ أَخا أَخيكَ وَالزَّميلا[2]
وَٱركَب بِنَفسِكَ إِن هَمَمْتَ بِها الحزونَةَ وَالسُّهولاَ
وَصِلِ الكِرامَ وَكُن لِمَن تَرجو مَوَدَّتَهُ وَصولا

[مجزوء الكامل]

الغناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو.

وَدَعِ التَّواني[3] في الأُمو رِ وَكُن لَها سَلِساً ذَلولا
وَٱبسُط يَمينَكَ بِالنَّدى[4] وَٱمدُد لَها باعاً طَويلا
وَٱبسُط يَدَيكَ بِما مَلَكتَ وَشَيِّدِ الحَسَبَ الأَثيلا
وَٱعزِمْ إِذا حاوَلتَ أَمراً يُفرِجُ الهَمَّ الدَّخيلا
وَٱبذُلْ لِضَيفِكَ ذاتَ رَحلِكَ[5] مُكرَماً حَتّى يَزولا

(١) الثَّمِيلَةُ: ما يكونُ فيه الطَّعامُ والشَّرابُ في الجَوْفِ وكُلُّ بَقيَّةٍ ثَمِيلَةٌ، والجَمْعُ ثَمائِلُ.
(٢) الزَّميلُ: الرَّديف على البعير، والرَّديف على الدابة، يتكلم به العرب.
(٣) الوَنَى: الفترةُ في العَمَل، ومنه: التّواني.
(٤) من المجاز: رجل ند: جوادٌ. وتقول: كم نعشتني يداك، وكم أعاشني نداك.
(٥) الرحل: المكان الذي يأوي اليه الإنسان كالمنزل.

وَٱحـلُـل عَـلـى الأَيـفـاعِ [١] لِـلـعـافـيـنَ وَٱجـتَـنِـبِ الـمَـسـيـلا
وَإِذا الـقُـرومُ[٢] تَـخـاطَـرَت يَـومـاً وَأَرعَـدَتِ الـخَـصـيـلا[٣]
فَـاهـصِـر[٤] كَـهَـصـرِ الـلَّـيـثِ خَـضَّـبَ مِـن فَـريـسَـتِـهِ الـتَّـلـيـلا[٥]
وَانـزِلْ إِلـى الـهَـيـجـا إِذا أَبـطـالُـهـا كَـرِهـوا الـنُّـزولا
وَإِذا دُعـيـتَ إِلـى الـمُـهِـمّ فَـكُـن لِـفـادِحِـهِ حَـمـولا

[مجزوء الكامل]

[استنشاد معاوية شعره]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكِرانيّ قال حدَّثنا العُمريّ عن العُتْبيّ قال: جرى بين عبد اللّه بن الزُّبير وعُتْبَةَ بن أبي سُفْيان لِحاءٌ[٦] بين يدي معاوية، فجعل ابنُ الزُّبير يَعدِلُ بكلامه عن عُتبة ويُعرّض بمعاوية، حتى أطال وأكثر من ذلك، فالتفَتَ إليه معاوية مُتَمَثِّلاً وقال:

وَرامٍ بِـعَـورانِ[٧] الـكَـلامِ كَـأَنَّـهـا نَـوافِـرُ صُـبـحٍ نَـفَّـرَتـهـا الـمَـراتِـعُ
وَقَـد يَـدحَـضُ الـمَـرءُ الـمُـوارِبُ بِـالـخَـنـا وَقَـد تُـدرِكُ الـمَـرءَ الـكَـريـمَ الـمَـصـانِـعُ

[الطويل]

ثم قال لابن الزُّبير: من يقول هذا؟ فقال: ذو الإصبع؛ فقال: أتَرْويه؟ قال لا؛ فقال: من ها هنا يَروي هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال: أنا أرْويها يا أمير المؤمنين؛ فقال: أنشدني؛ فأنشده حتى أتى على قوله:

وَسـاعٍ بِـرِجـلَـيـهِ لِآخَـرَ قـاعِـدٍ وَمُـعـطٍ كَـريـمٌ ذو يَـسـارٍ وَمـانِـعُ
وَبـانٍ لِأَحـسـابِ الـكِـرامِ وَهـادِمٌ وَخـافِـضُ مَـولاهُ سَـفـاهـاً وَرافِـعُ
وَمُغضٍ عَلى بَعضِ الخُطوب وَقَد بَدَت لَـهُ عَـورَةٌ مِـن ذي الـقَـرابَـةِ ضـاجِـعُ
وَطـالِـبُ حَـوبٍ بِـالـلِّـسـانِ وَقَـلـبُـهُ سِوى الـحَـقِّ لا تَـخـفـى عَـلَـيـهِ الـشَّـرائِـعُ

[الطويل]

---

(١) اليَفاعُ: ما ارتفع من الأرض. وأيْفَعَ الغلام، أي ارتفع، وهو يافِعٌ. وغلامٌ يَفَعٌ ويَفَعَةٌ أيضاً، وغلمانٌ أيْفاعٌ ويَفَعَةٌ أيضاً.

(٢) القروم: الأسياد.

(٣) الخَصِيلة: كل قِطْعة من لحم عَظُمَت أَو صَغُرت، وقيل: هي لحم الفخذين والساقين.

(٤) الهَصْرُ: أن تأخُذَ برأس الشّيء ثم تَكْسِرُه إليه من غيرِ بَيْنونةٍ.

(٥) التليل: العنق.

(٦) لحاء: منازعة ومخاصمة.

(٧) عوران الكلام: ما تنفيه الأذن.

فقال له معاوية: كم عطاؤك؟ قال: سبعُمائة؛ قال: اجعلوها ألفاً، وقطع الكلام بين عبد اللَّه وعُتْبة.

[شعره في ابن عمه وقد عاداه]

قال أبو عَمْرو: وكان لذي الإصبع ابنُ عمّ يُعاديه فكان يتدسَّسُ إلى مكارهه ويمشي به إلى أعدائه ويُؤلِّبُ عليه ويسعى بينه وبين عمه ويَبْغيه عندهم شراً؛ فقال فيه ـ وقد أنشدنا الأخفش هذه الأبيات أيضاً عن ثَعلب والأحول السُّكَّريّ:

يا صاحِبَيِّ قِفا قَليلاً ... وَتَخَبَّرا عَنِّي لَمِيسا
عَمَّن أَصابَت قَلبَهُ ... في مَرِّها قَعِداً نَكيسا[1]
وَلِيَ ٱبْنُ عَمٍّ لا يَزا ... لُ إِلَيَّ مُنكَرُهُ دَسيسا
دَبَّت لَهُ فَأَحَسَّ بَعد ... البُرْءِ مِن سَقَمٍ رَسيسا[2]
إِمّا عَلانِيَةً وَإِمّا ... مُخمَراً[3] أَكْلاً[4] وَهيسا
إِنّي رَأَيْتُ بَني أَبيك ... يُحَمِّجونَ[5] إِلَيَّ شُوسا[6]
حَنَقاً عَلَيَّ وَلَن تَرى ... لي فيهِمُ أَثَراً بَئيسا[7]
أَنحَوْا عَلى حُرِّ الوُجو ... هِ بِحَدِّ مِئشارٍ[8] ضُروسا
لَو كُنتَ ماءً لَم تَكُن ... عَذبَ المَذاقِ وَلا مَسوسا[9]

---

(١) من المجاز النكيس: المريض.

(٢) أبو عُبَيد: الرَّسُّ: إبتداء الشيء، ومنه رَسُّ الحُمّى ورَسيسُها.

(٣) المخمر: من أخمر الشيء إذا ستره. (٤) الأكل الوهيس: الشديد.

(٥) تَحميج العَيْنَيْن: إذا غارتَا، قال:

لقد تَقُودُ الخَيْلَ لم تُحَمِّجِ

أي لم تَغُرْ أعينُها. والتَّحميج: النَّظَرُ بخَوفٍ. ويقال: تَحميجُها هُزالُها. والتَّحميجُ: تغيُّر الوَجْه من الغضب. وفي الحديث: «ما لي أراكَ مُحَمِّجاً».

(٦) رجل أشوس، وامرأة شوساء، وقوم شوس. وفيه شوس وهو النظر بشق العين وقيل: أن يصغر عينه ويضم الأجفان، وقد تشاوس. قال أوس بن حجر:

رأيت يزيداً يدّريني بعينه ... تشاوس رويداً إنني من تأمل

(٧) عَذابٌ بئيس: أي شديد. وبَئسَ الرجُل يَبأسُ بؤساً وبَئيساً: أي اشتدَّت حاجته.

(٨) المئشار لغة من المنشار.

(٩) المَسُوْسُ ـ بالفَتْح ـ : الماءُ الذي إذا شُرِبَ فَمَس عِلةَ العَلِيْلِ ذَهَبَ بها، وقيل: هو ما نالَتْه الأيدي، وقيل: مَرِيْء نَجُوْعٌ.

مِـلْـحـاً بَـعـيـدَ الـقَـعـرِ قَـد فَـلَّـتْ حِـجـارَتُـهُ الـفُـؤوسـا
مَـنّـاعُ مـا مَـلَـكَـتْ يَـدا كَ وَسـائِـل لَـهُـم نُـحـوسـا
[مجزوء الكامل]

وأنشدَنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات ـ وليس من شعر ذي الإصبع ولكنه معناه ـ :

لـو كُـنْـتَ مـاءً كُـنْـتَ غـيـرَ عَـذْبِ أو كُـنْـتَ سـيـفـاً كُـنْـتَ غـيـر عَـضْـبِ
أو كُـنْـتَ طِـرْفـاً كُـنْـتَ غـيـر نَـدْبِ[1] أو كُـنْـتَ لـحـمـاً كُـنْـتَ لـحـمَ كـلْـبِ
[الرجز]

قال: وفي مثله أنشدنا:

لـو كُـنْـتَ مُـخّـاً كـنـت مُـخّـاً رِيـرا[2] أو كُـنْـتَ بَـرْداً كـنـتَ زَمْـهَـريـرا
أو كـنـت ريـحـاً كـانـت الـدَّبـورا
[الرجز]

[سبب تفرق عدوان وتقاتلهم]

قال أبو عمرو: وكان السبب في تفرّق عدْوان وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانَوْا: أن بني ناج بن يَشْكر بن عَدوان أغاروا على بني عَوف بن سعد بن ظَرب بن عمرو ابن عباد بن يشكر بن عدوان، ونَذِرتْ[3] بهم بني عوف فاقتتلوا، فقتل بنو ناج ثمانية نفرٍ، فيهم عُمَير بن مالك سيِّدُ بني عوف، وقتلت بنو عوف رجلاً منهم يقال له سِنان بن جابر، وتفرَّقوا على حرب. وكان الذي أصابوه من بني واثِلة بن عمرو بن عباد وكان سيِّداً، فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك، وأبى مَريرُ بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر ديةً، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومن والاهم، وتَبِعَهُ على ذلك كَرِبُ بن خالد أحد بني عبس بن ناج، فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال: قد قُتِلَ منَّا ثمانيةُ نفر فَقَبِلْنا الديةَ وقُتِلَ منكم رجل فاقبلوا ديته؛ فأبيا ذلك وأقاما الحرب، فكان ذلك مبدأ حربِ بعضهم بعضاً حتى تَفَانوا وتقطَّعوا. فقال ذو الإصبع في ذلك:

[و][4] يـا بُـؤسَ لِـلأَيّـامِ والـدَّهـرُ هـالِـكـا وَصَـرفِ الـلَّـيـالـي يَـخـتَـلِـفـنَ كَـذَلِـكَـا

(١) يقال: فرس ندب أي ماضٍ نشيط.
(٢) الفرّاء: مُخٌّ رَيْرٌ وريرٌ، أيٌ فاسِدٌ ذاهبٌ من الهُزال. وأرارَ اللَّه مُخَّهُ، أي جعله رَقيقاً.
(٣) نذر بالشيء أي علمه فحذره.
(٤) لم ترد الواو في بعض المصادر.

أَبَـعـدَ أَبـي نـاجٍ وَسَـعـيِـكَ فـيـهِـمُ فَـلا تُـتـبِـعَـنْ عَـيـنَـيـكَ مـا كـانَ هـالِـكـا
إِذا قُـلـتُ مَـعـروفـاً لِأُصـلِـح بَـيـنَـهُـم يَـقـولُ مَـريـرٌ لا أُحـاوِلُ ذَلِـكـا
فَـأَضـحَـوْا كَـظَـهـرِ الـعَـوْدِ جُـبَّ سَـنـامُـهُ تَـحـومُ عـلـيـه الـطـيـرُ أَحـدَبَ بـارِكـا[1]
فَـإِن تَـكُ عَـدوانُ بـنُ عَـمـرٍو تَـفَـرَّقَـت فَـقَـد غَـنـيَـت دَهـراً مُـلـوكـاً هُـنـالِـكـا

[الطويل]

[قصيدته النونية]

وقال أبو عمرو: وفي مَرير بن جابر يقول ذو الإصبع ـ وهذه القصيدة هي التي منها الغناء المذكور ـ وأولها:

يـا مَـن لِـقَـلـبٍ شَـديـد الـهَـمِّ مَـحـزونِ أَمـسـى تَـذَكَّـرَ رَيّـا أُمِّ هـارونِ
أَمسى تَـذَكَّـرَهـا مِـن بَـعـدِ مـا شَـحَـطَـت وَالـدَّهـرُ ذو غِـلـظَـةٍ يَـومـاً وَذو لـيـنِ
فَـإِن يَـكُـن حـبُّـهـا[2] أَمسى لَـنـا شَـجَـنـاً وَأَصـبَـحَ الـوَلـيّ[3] مِـنـهـا لا يُـواتـيـنـي
فَـقَـد غَـنـيـنـا[4] وَشَـمـلُ الـدارِ يـجـمـعـنـا أُطـيـعُ رَيّـا وَرَيّـا لا تُـعـاصـيـنـي
نَـرمـي الـوُشـاةَ فَـلا نُـخـطـي مـقـاتِـلَـهُـم بِـخـالـصٍ[5] مِـن صَـفـاءِ الـوُدِّ مَـكـنـونِ
وَلـي ٱبـنُ عَـمٍّ عَـلـى مـا كـانَ مِـن خُـلُـقٍ مُـخـتَـلِـفـانِ فَـأَقـلـيـهِ[6] وَيَـقـلـيـنـي
أَزرى بَـنـا أَنَّـنـا شـالَـت نَـعـامَـتُـنـا فَـخـالَـنـي دونَـهُ بَـل خِـلـتُـهُ دونـي
لاهِ[7] ٱبـنُ عَـمِّـكَ لا أَفـضَـلـتَ فـي حَـسَـبٍ شـيـئـاً وَلا أَنـتَ دَيّـانـي فَـتَـخـزونـي[8]
وَلا تَـقـوتُ عِـيـالـي يَـومَ مَـسـغَـبَـةٍ وَلا بِـنَـفـسَـكَ فـي الـعَـزّاءِ[9] تَـكـفـيـنـي

(١) ورد هذا البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
فَـأَضـحَـوا كَـظَـهـرِ الـعـودِ جُـبَّ سَـنـامُـهُ يَـدِبُّ إِلـى الأَعـداءِ أَحـدَبَ بـارِكـا
(٢) ورد في بعض المصادر «بعدها» بدل «حبها».
(٣) الولي: القريب. (٤) غنينا: أقمنا.
(٥) ورد في بعض المصادر «بصادق» بدل «بخالص».
(٦) أقليه: أبغضه.
(٧) أصله: للَّه ابن عمك، حذفت منه اللام الخافضة.
(٨) ورد العجز في بعض المصادر على الشكل التالي:
عَـنّـي وَلا أَنـتَ دَيّـانـي فَـتَـخـزونـي.
(٩) العزاء: هي الشدة.

فَإِن تُرِدْ عَرَضَ الدُّنيا بِمَنقَصَتي ... فَإِنَّ ذَلِكَ مِمّا لَيسَ يُشجيني
وَلا تَرى فِيَّ غَيرَ الصَّبرِ مَنقَصَةٌ ... وَما سِواهُ فَإِنَّ اللَّهُ يَكفيني
لَولا أَواصِرُ قُربى لَستَ تَحفَظُها ... وَرَهبَةُ اللَّهِ في مولًى يُعاديني
إِذاً بَرَيتُكَ بَرْياً لا اِنجِبارَ لَهُ ... إِنّي رَأَيتُكَ لا تَنفَكُّ تَبريني
إِنَّ الَّذي يَقبِضُ الدُّنيا وَيَبسُطُها ... إِن كانَ أَغناكَ عَنّي سَوفَ يُغنيني
اللَّهُ يَعلَمُكم وَاللَّهُ يَعلَمني ... وَاللَّهُ يَجزيكُمُ عَنّي وَيَجزيني
ماذا عَلَيَّ وَإِن كُنتُم ذَوي رَحِمي ... أَلاّ أُحِبُّكُمُ إِن لَم تُحِبُّوني
لَو تَشرَبونَ دَمي لَم يَروَ شارِبُكُم ... وَلا دِماؤُكُمُ جَمعاً تُرَوّيني
وَلي اِبنُ عَمٍّ لَو اَنَّ الناسَ في كَبدي ... لَظَلَّ مَحتَجِزاً[1] بِالنَّبلِ يَرميني
يا عَمرُ إِن لا تَدَعْ شتمي وَمَنقَصَتي ... أَضرِبْكَ حَتى تَقول الهامَةُ[2] اُسقُوني
كُلُّ اُمرِئٍ صائِرٌ يَوماً لِشيمَتِهِ ... وَإِن تَخَلَّقَ أَخلاقاً إِلى حينِ
إِنّي لَعَمرُكَ ما بابي بِذي غَلَقٍ[3] ... عَن الصَّديقِ وَلا خَيري بِمَمنوني
وَلا لِساني عَلى الأَدنى بِمُنطَلِقٍ ... بِالمنكراتِ[4] وَلا فَتكي بِمَأمونِ
لا يُخرِجُ القَسر مِنّي غَيرَ مَغضَبَةٍ[5] ... وَلا أَلينُ لِمَن لا يَبتَغي لَيني
وَأَنتُمُ مَعشَرٌ زَيدٌ عَلى مائَةٍ ... فَأَجمِعوا أَمرَكُم شتّى فَكيدوني
فَإِن عَلِمتُم سَبيلَ الرُّشدِ فَانطَلِقوا ... وَإِن غَبيتُم طَريق الرُّشدِ فَاتوني
يا رُبَّ ثَوبٍ حَواشيهِ كَأَوسَطِهِ ... لا عَيبَ في الثَوبِ مِن حُسنٍ وَمِن لينِ
يَوماً شَدَدتُ عَلى فَرغاءَ[6] فاهِقَةٍ[7] ... يَوماً مِنَ الدَّهرِ تاراتٍ تُماريني

---

(١) المحتجز: الشادّ مئزره على وسطه، وهو كناية عن التهيؤ للأمر والتشمر له.
(٢) كان العرب في الجاهلية يعتقدون أن القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير له هامة تطير مطالبة بثأره، قائلة: اسقوني، اسقوني.
(٣) الغلق: ما يغلق ويقفل به الباب.
(٤) ورد في بعض المصادر «الفاحشات» بدل «المنكرات».
(٥) ورد في بعض المصادر «مأبية» بدل «مغضبة».
(٦) الفَرْغاءُ: ذات الفَرْغ وهو السَّعةُ. وطَعْنةٌ فَرْغاءُ وذاتُ فَرْغٍ: واسِعةٌ يَسيلُ دَمُها، وكذلك ضَرْبة فَرِيغةٌ وفَرِيغٌ.
(٧) الفَهَقُ والفَهْق: اتساع كل شيءٍ ينبع منه ماء أو دم.

مـاذا عَـلَـيَّ إذا تَـدعـونَـنـي فَـزَعـاً ... أَلاّ أُجـيـبَـكُـمُ إذ لَـم تُـجـيـبـونـي
وكُـنـتُ أُعـطـيـكُـمُ مـالـي وَأَمـنَـحُـكُـم ... وُدّي عَـلـى مُـثـبَـتٍ فـي الـصَّـدرِ مَـكـنـونِ
يـا رُبَّ حَـيٍّ شَـديـدِ الـشَّـغْـبِ ذي لَـجَـبٍ[1] ... ذَعـرْتُ مـن راهِـنٍ مِـنـهُـم وَمَـرهـونِ
رَدَدتُ بـاطِـلَـهُـم فـي رَأسِ قـائِـلِـهِـم ... حَـتّـى يَـظَـلُّـوا خُـصـومـاً ذا أَفـانـيـنِ
يـا عَـمـرُ لَـو كـنـتَ لـي أَلـفَـيـتَـنـي يَـسَـراً ... سَـمـحـاً كَـريـمـاً أُجـازي مَـن يَـجـازيـنـي

[البسيط]

[قصيدته في رثاء قومه]

قال أبو عمرو: وقال ذو الإصبع يرثي قومه:

وَلَـيـسَ الـمَـرءُ فـي شَـيءٍ ... مِـنَ الإبـرامِ وَالـنَّـقـضِ
إذا يَـفـعـلُ شـيـئـاً خـا ... لَـهُ يُـقـضـى وَمـا يَـقـضـي[2]
جَـديـدُ الـعَـيـشِ مَـلـبـوسٌ ... وَقَـد يـوشِـكُ أَن يُـنـضـي

[مجزوء الوافر]

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدّماً في صدر هذه الأخبار، وتمامها:

وأَمْـرُ الـيَـومِ أَصـلَـحُـهُ ... وَلا تـعْـرض لـمـا يَـمـضـي[3]
فَـبَـيـنـا الـمَـرءُ فـي عَـيـشٍ ... لَـهُ مِـن عـيـشَـةٍ خَـفـضِ
أَتـاهُ طَـبَـقٌ[4] يَـومـاً ... عَـلـى مَـزلَـقَـةٍ دَحـضِ
وَهُـم كـانـوا فَـلا تُـكـذَب ... ذوي الـقُـوَّةِ وَالـنَّـهـضِ
وَهُـم إن وَلَـدوا أَشـبَـوا[5] ... بِـسِـرِّ الـحَـسَـبِ الـمَـحـضِ
لَـهُـم كـانَـت أَعـالـي الأَر ... ضِ فَـالـسَّـرّانِ[6] فَـالـعَـرضِ[7]

(١) اللجب: ارتفاع الأصوات واختلاطها.
(٢) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
إذا أَبـرَمَ أَمـراً خـا ... لَـهُ يُـقـضـى وَمـا يَـقـضـي
(٣) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:
يَـقـولُ الـيَـومَ أُمـضـيـهِ ... وَلا يَـمـلِـكُ مـا يُـمـضـي
(٤) الطبق، و الطبقة: الحال والشدة، وفي التنزيل: (لتركبن طبقاً على طبق): أي حالا عن حال.
(٥) يُقال: أشبى فلان إذا وُلِدَ له ولدٌ كيس.
(٦) اسم موضع. (٧) اسم واد في اليمامة.

إِلـــى مـــا حـــازَهُ الـــحَـــزنُ فَـــمـــا أَســـهَـــلَ لِـــلـــحـــمـــضِ
إِلـــى الـــكَـــفـــرَيـــنِ مِـــن نـــخـــلـــةَ فَـــالـــدّاءة[1] فَـــالـــمَـــرضِ
لَـــهُـــم كـــانَ جِـــمـــامُ[2] الـــمـــا ءِ لا الـــمُـــزجـــى[3] وَلا الـــبَـــرضِ[4]
فَـــكـــانَ الـــنـــاسُ إِذ هَـــمّـــوا بِـــيُـــســـرٍ خـــاشِـــعٍ مُـــغـــضِ[5]
تَـــنـــادَوا ثُـــمَّ ســـاروا بِـــرَ ئـــيـــسٍ لَـــهُـــم مُـــرْضـــي
فَـــمَـــن ســـاجَـــلَـــهُـــم حَـــربـــاً فَـــفـــي الـــخَـــيـــبَـــةِ وَالـــخَـــفـــضِ
وَهُـــم نـــالـــوا عَـــلـــى الـــشَّـــنـــآ نِ وَالـــشَّـــحـــنـــاءِ وَالـــبُـــغـــضِ
مَـــعـــالـــي لَـــم يَـــنَـــلـــهـــا الـــنـــا سُ فـــي بَـــســـطٍ وَلا قَـــبـــضِ

[مجزوء الوافر]

[شعر أُمامة بنت ذي الإصبع[6]]

قال أبو عمرو: قالت أُمامةُ بنت ذي الإصبع وكانت شاعرة ترثي قومها:

كـم مـن فـتًـى كـانَـت لـه مَـيْـعَـةٌ[7] أبـلـجَ مـثـلِ الـقـمـرِ الـزاهـرِ
قَـد مـرّت الـخـيـلُ بِـحـافـاتـه كـمـرّ غـيـثٍ لـجِـبٍ مـاطِـرِ
قـد لـقِـيَـت فَـهْـمٌ وعَـدوانُـهـا قـتـلاً وهُـلـكـاً آخـرَ الـغـابِـرِ
كـانـوا مُـلـوكـاً سـادَةً فـي الـذُّرى دَهـراً لَـهـا الـفـخـرُ عـلـى الـفـاخـرِ
حَـتّـى تـسـاقَـوا كـأسَـهـم بـيـنـهـم بَـغـيـاً فـيـا لـلـشـارب الـخـاسـرِ
بـادوا فَـمـن يَـحـلُـلْ بِـأَوطـانِـهـم يَـحـلُـلْ بِـرسـمٍ مـقـفـرٍ داثـرِ

[السريع]

---

(١) داءة: هي الجبل الذي يحجز النخلتين.

(٢) عدد جم، وأحبك حباً جماً، وجاؤوا جماً غفيراً، والجماء الغفير. وجم المال وماء البئر جموماً، وجمت الركية: اجتمع ماؤها. واستق من جمة البئر، ومجمها، ومستجمها وهي مجتمع مائها، وهذه بئر واسعة المجم.

(٣) المُزجى: المزَجَّى من كل شيء: الذي ليس بتام الشرف ولا غيره من الخلال المحمودة.

(٤) البَرْضُ: القليلُ، وكذلك البُراضُ بالضم. يقال: ماءٌ بَرْضٌ، أي قليلٌ، وهو خلاف الغَمْرِ.

(٥) ليل مغضٍ: مظلم، وقد أغضى علينا الليل.

(٦) أمامة بنت حرثان بن الحارث العدواني من مضر. شاعرة جاهلية، كان والدها شاعراً شجاعاً كريماً، نهلت من منهل والدها، فكانت شاعرة مشهورة، يشار إليها بالبنان.

(٧) ميعة: أول الشباب وريعانه.

[شعره في الكبر]

قال أبو عمرو: ولأمامة ابنته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط وتوكَّأ على العصا فبكت فقال:

جزِعَت أمامةُ إذ مَشَيتُ على العصا ... وتذكَّرَت إذ نحنُ مِ الفِتْيانِ
فلَقَبلُ ما رام الإلهُ بكيدهِ ... إرماً وهذا الحيَّ من عَدوانِ
بعدَ الحكومةِ والفضيلةِ والنُّهى ... طافَ الزمانُ عليهمُ بأوانِ
وتفرَّقوا وتقطَّعَت أشلاؤهم ... وتبَدَّدوا فِرَقاً بكلِّ مكانِ
جَدَبَ البلادُ فأُعقِمَت أرحامُهُم ... والدَّهرُ غيَّرَهُم مع الحدثانِ
حتى أبادَهُمُ على أُخْراهُمُ ... صَرْعى بكل نُقَيْرَةٍ ومكانِ
لا تَعْجَبِنَّ أُمام من حَدَثٍ عَرَا ... فالدَّهرُ غَيَّرَنا مع الأزمان

[الكامل]

ذكر قيلٍ مولى العبلات

[ولاؤه وغناؤه]

قال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك: أخبرني حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان يحيى قيل عبداً للثُّرَيَّا ورُضَيًّا وأخواتهما بنات عليّ بن عبد اللَّه بن الحارث بن أُمَيَّة الأصغر بن عبد شمس مَوْليات الغريض.

قال وحدَّثني حمَّاد قال حدَّثني أبي قال حدثني ابن أبي جناح قال حدَّثنا مقاحف بنُ ناصح مولى عبد اللَّه بن عباس قال: قال حدَّثني هشام بن المُرّية ـ وهي أمّه، وهو مولى بني مخزوم ـ قال: كان يحيى قيل عبداً لامرأة من العَبَلات، وله من الغناء:

صوت

وأخرجتُها من بطن مكةَ بعد ما ... أصَاتَ المنادي للصلاةِ وأعْتَما[1]

فَمَرَّتْ ببطن اللّيث[2] تهوي كأنَّما ... تُبادر بالإصباح نَهْباً مقسَّما

[الطويل]

والشعرُ لأبي دَهْبَلٍ الجمحي[3]. وأوَّل هذه القصيدة:

أَلا عُلِّقَ القَلبُ المُتَيَّمُ كَلثَما

(١) العَتَمَةُ: الثُلُثُ الأوّلُ من الليل بعد غيبوبة الشَّفَق. أَعْتَمَ القوم إذا صاروا في ذلك الوقت، وعتّموا تعتيماً ساروا في ذلك الوقت، وأوردوا أو أصدروا في تلك السّاعة.

(٢) الليث: بكسر اللام: وادٍ بأسفل السراة يدفع في البحر أو موضع بالحجاز.

(٣) أبو دهبل الجمحي وهب بن زمعة بن أسد بن جمح بن لؤي بن غالب القريشي. أحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة، قال المرتضى: هو من شعراء قريش، وممن جمع إلى الطبع التجويد. له مدائح في معاوية وعبد اللَّه بن الزبير، وأخبار كثيرة مع عمرة الجمحية وعاتكة بنت معاوية، في شعره رقة وجزالة، كان صالحاً ولاه عبد اللَّه بن الزبير بعض أعمال اليمن، وتوفي بعليب (موضع بتهامة) سنة ٦٣هـ.

[أبو دهبل الجمحي]

وأخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبير بن بكَّار قال حدَّثني يحيى بن المِقْداد الزَّمْعيّ قال حدَّثني عمي موسى بن يعقوب الزَّمْعيّ قال أنشدني أبو دَهْبَل الجُمحيّ لنفسه:

أَلا عُلِّقَ القَلبُ المُتَيَّمُ كَلْثَما ... لَجوجاً وَلَم يَلزَم مِنَ الحُبِّ مَلزَما
خَرَجتُ بَها مِن بَطنِ مَكَّةَ بَعدَما ... أَصاتَ المُنادي بِالصَلاةِ وَأَعتَما
فَما نامَ مِن راعٍ وَلا اُرتَدَّ سامِرٌ ... مِنَ الحيِّ حَتّى جاوَزَت بي يَلَملَما[1]
وَمَرَّت بِبَطنِ اللِّيثِ تَهوي كَأَنَّها ... تُبادِر بِالإِدلاج[2] نَهباً مُقَسَّما
أَجازَت عَلى البَزواءِ[3] وَاللَّيلُ كاسِرٌ ... جَناحَينِ بِالبَزواءِ وَرْداً[4] وَأَدهَما[5]
فَما ذَرَّ قَرنُ الشَّمسِ حَتّى تَبَيَّنَت ... بِعُلَيبَ[6] نَخلاً مُشرِفاً وَمُخَيَّما
وَمَرَّت عَلى أَشطانِ[7] دُومةَ[8] بِالضُحى ... فَما جَرَّرَت لِلماءِ عَيناً وَلا فَما
وَما شَرِبَت حَتّى ثَنَيتُ زِمامَها ... وَخِفتُ عَلَيها أَن تُحَزَّ وَتُكلَما
فَقُلتُ لَها قَد تِعْتِ[9] غَيرَ ذَميمَةٍ ... وَأَصبَحَ وادي البُرْكِ[10] غَيثاً مُدَيَّما

[الطويل]

قال فَقُلْتُ له: يا عمّ ما كُنْتَ إلا على الريح! فقال: يابن أخي إنَّ عمَّك كان إذا همَّ فعل، وهي العَجَاجة، أما سمعت قول أخي ببني مُرَّة[11]:

إِذا أَقبَلَتْ قُلتَ مَشْحُونَةٌ[12] ... أَقَلَّتْ لَها الرّيحُ قِلْعاً جَفولاَ[13]

---

(١) يلملم: موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه.
(٢) الدَّلَجُ والدُّلجةُ: سيرٌ وارتحال باللَّيل، والفعل الإدلاجُ والإدّلاجُ.
(٣) البزواء: موضع بين مكة والمدينة.
(٤) الورد: وصف للون الوردة، وهو لون أحمر يضرب إلى صفرة.
(٥) الدهم: السواد والأدهم: آخر ما بقي من سواد الليل.
(٦) عُليب: واد معروف بتهامة، ليس في الكلام فُعْيَل إلا هذا.
(٧) شطن قوي وهو الحبل الطويل يستقى به وتربط به الدابة، وكأنه شيطان، في أشطان.
(٨) دومة: وادٍ بين المدينة وخيبر به آبار.
(٩) تعت: أسرعت في السير، من تاع الماء يتيع تيعاً أي سال.
(١٠) وادي البرك: موضع في اليمن، وهو نصف الطريق بين حلى ومكة.
(١١) هو بشامة بن عمر الغدير. (١٢) ورد في المفضليات «مذعورة» بدل «مشحونة».
(١٣) ورد العجز في المفضليات على الشكل التالي:

مـن الـرُّمْـدِ تَـلْـحَـقُ هَـيْـقـاً ذَمُـولا

وإِنْ أَدبـــرتْ قـــلـــتَ مَـــذْعُـــورَةٌ ... مـن الـرُّمـدِ[١] تـتـبـعُ هـيـقـاً[٢] ذَمـولَا
وإِنْ أَعـرضَـتْ[٣] خـالَ فـيـهـا الـبـصـيـ ... ـرُ مـا لَا يُـكَـلِّـفُـهُ أَنْ يَـفِـيـلَا[٤]
يَـداً سُـرُحـاً مَـائِـراً[٥] ضَـبْـعُـهـا ... تَـسُـومُ[٦] وتَـقْـدُمُ رِجْـلاً زَجُـولَا
فـمـرَّت عـلـى كـشـبٍ[٧] غُـدوةً ... ومَـرَّتْ فُـوَيـق أريـكٍ[٨] أصـيـلا
تُـخَـبِّـطُ بـالـلـيـل حِـزَّانَـهُ ... كَـخَـبْـط الـقـويِّ الـعـزيـزِ الـذَّلـيـلا

[المتقارب]

أخبرنا الحرميّ قال حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدَّثني ابن أصبغَ السلميّ[٩] قال: جاء إنسانٌ يُغَنِّي إلى عَيَّاش المِنْقَريّ بالعقيق فجعل يُغَنِّيه قول أبي دهبل:

ألا عَـلِـقَ الـقـلـبُ الـمـتـيـمُ كَـلْـثَـمـا

وجعل يعيده فلما أكثر قال له عيَّاش: كم تُنذر بالعجوز عافاك اللَّه! إسم أمي كلثم، قال: وتسمع العجوز، فقالت: لا واللَّه ما كان بيني وبينه شيء.

(١) سَحَابَة رَمْدَاءُ ـ وجَمْعُها رُمْدٌ ـ : أي تَضْرِبُ إلى السَّوَادِ، وكذلك نَعَامَةٌ رَمْدَاءُ. والرُّمْدُ: ضَرْبٌ من البَعُوْضِ؛ لغُبْرَةٍ في لَوْنِها. ورَمَادَانُ: اسْمُ مَوْضِع.

(٢) الهَيْقُ: الطّويل الدَّقيق، وبه سُمِيّ الظَّليم وهو ذكر النعام: هيقاً، ورجلٌ هَيْقٌ: يَشّبه بالظَّليم، لِنفاره وجُبْنه.

(٣) والإعراضُ عن الشيء: الصدُّ عنه. ويقال أَعْرَضَ فلانٌ، أي ذهب عَرْضاً وطولاً. وفي المثل: «أَعْرَضَتِ القِرْفَةُ» وذلك إذا قيل للرجل: مَن تتَّهم؟ فيقول: بني فلان، للقبيلة بأسرها. وعَرَضْتُ الشيءَ فأعْرَضَ، أي أظهرته فظهر.

(٤) فال: فَيالَةً: أَخْطَأَ وضَعُفَ، يقال: ما كنتُ أُحِبُّ أن يُرى في رَأْيِكَ فَيالَةً، كما في اللِّسان، وفي الأساس: فُيولَةً: أي ضَعْفاً، كَتَفَيَّلَ، نقله ابنُ سِيدَه والزَّمَخْشَرِيّ. وفَيَّلَ رَأْيَه: قبَّحَه وخطَّأَه.

(٥) مارَ: جَرى. ومارَ يَمورُ مَوْراً إذا جعل يَذْهَبُ ويجيء ويَتَردّد. قال أَبو منصور: ومنه قوله تعالى: يوم تَمُورُ السماءُ مَوْراً وتسير الجبال سيراً.

(٦) السوْمُ: سَيْرُ الإبِلِ. وهُبُوْبُ الريْحِ إذا كانَ مُسْتَمِراً في سُكُوْنٍ، سامَتِ الريْحُ، والإبِلُ تَسُوْمُ. وهو ـ أيضاً ـ : أنْ تُجَشِّمَ إنْسَاناً مَشَقةَ وخُطَّةً من الشر، يُقال: سامَ فلانٌ فلاناً: إذا داوَمَ عليه لا يَزَالُ يُعَاوِدُهُ ويُلِحُّ عليه، كسَوْمِ عالَّة؛ وهي بَعْدَ الناهِلَةِ.

(٧) كَشْب: إحدى حرار بني سليم.

(٨) أريك: جبل في بلد بني مرة، وسُمي بهذا الاسم، لأنه جبل كثير الأراك.

(٩) خفاف بن ندبة بن عمير بن الحارث بن عمرو (الشريد) بن قيس بن عيلان السلمي. اشتهر بالنسبة إلى أمه ندبة بنت شيطان، وكانت سوداء سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب، فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافاً، وهو من فرسان العرب المعدودين، يُكنى أبا خُراشَة، أدرك الإسلام فأسلم وشهد فتح مكة وغزوة حنين والطائف، ومدح أبا بكر، وكان أحد أغربة العرب، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة، توفي سنة ٢٠هـ.

قال: ومن غنائه:

أَزرى بِـنـا أَنَّـنـا شـالَـتْ نَـعـامَـتُـنـا فَـخـالَـنـي دونَـهُ بَـل خِـلـتُـهُ دونـي
فـإِنْ تُـصـبـكَ مـن الأيـام جـائـحـةٌ لا نَـبـكِ مـنـك عـلـى دنـيـا ولا ديـن
[البسيط]

وأوَّل هذه الأبيات فيما أنشدناه عليّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب.

صـوت

من المائة المختارة

وَلـي ٱبـنُ عَـمٍّ عَـلـى مـا كـانَ مِـن خُـلُـقٍ مُـخـتَـلِـفـانِ فَـأَقـلـيـهِ[1] وَيَـقـلـيـنـي
لاهِ ٱبـنُ عَـمِّـكَ لا أَفـضَـلـتَ فـي حَـسَـبٍ عَـنِّـي وَلا أَنـتَ دَيّـانـي فَـتَـخْـزونـي
[البسيط]

غنَّى في هذين البيتين الهذليّ ثاني ثقيل بالوُسطى.

وقد عَـجِـبْـتُ ومـا فـي الـدَّهـر مـن عَـجَـبٍ يَـدٌ تَـشُـجُّ وأخـرى مـنـك تـأسُـونـي
[البسيط]

صـوت

من المائة المختارة

إِرفَـع ضَـعـيـفَـكَ لا يُـحِـر بِـكَ ضَـعْـفُـه يَـومـاً فَـتُـدرِكَـهُ الـعَـواقِـبُ قَـد نَـمـا
يَـجـزيـكَ أَو يُـثـنـي عَـلَـيـكَ وَإِنَّ مَـن أَثـنـى عَـلَـيـكَ بِـمـا فَـعَـلـتَ فَـقَـد جَـزى
[الكامل]

عروضه من الكامل. الشعرُ لغريض اليهوديّ وهو السموأل[2] بن عادياء، وقيل إنه لابنه سَعْيَة بن غريض، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نُفَيل، وقيل إنه لوَرقة بن نَوفل، وقيل إنه لزُهير بن جناب، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجَرْميّ الذي يقال له: مَدْرَج الرّيح، والصحيحُ أنه لغريض أو لابنه.

(١) أقليه: أبغضه.

(٢) السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي. شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر في شمالي المدينة، كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق. أشهر شعره لاميته وهي من أجود الشعر، وفي علماء الأدب من ينسبها لعبد الملك بن عبدالرحيم الحارثي. هو الذي أجار امرأ القيس الشاعر من الفرس.

خبر غريض اليهودي

[نسبه وأصل قومه]

وغَرِيضٌ هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عِمْران عليه السلام، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجَّهَ جيشاً إلى العَمَاليق وكانوا قد طَغوا وبلَغَتْ غاراتهم إلى الشام وأمرهم إن ظَفَروا بهم أن يقتلوهم أجمعين، فظَفَروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن لملكهم كان غُلاماً جميلاً فرحموه واستبقوه، وقَدَموا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه؛ فقالوا: أنتم عصاةٌ لا تدخلون الشام علينا أبداً، فأخرجوهم عنها. فقال بعضهم لبعض: ما لنا بلدٌ غير البلد الذي ظفرنا به وقتلنا أهله؛ فرجعوا إلى يَثْرِبَ فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأوْس والخَزْرَج إياها عند وقوع سَيل العرم[١] باليمن، فَمِنْ هؤلاء اليهود قُرَيظةُ والنَّضير وبنو قَيْنقاع وغيرهم، ولم أجد لهم نسباً فأذكره لأنهم ليسوا من العرب فتُدَوّن العرب أنسابَهَم إنما حُلفاؤُهم، وقد شَرَحْتُ أخبارهم وما يُغَنَّى به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب.

والغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيتُهُ أبو عبد اللَّه، وكان أبوه على المِيضأَة[٢] بالمدينة فعُرِفَ بذلك، وهو يسيرُ الصناعة ليس ممن خَدَمَ الخلفاءَ ولا شُهر عندهم شُهرة غيره. وهذا الغناء ماخوريٌّ بالبنصر وفيه ليونُس ثاني ثقيل بالبنصر.

[نُسِبَ له شعر هو لورقة بن نوفل]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدَّثنا الرِّياشيّ وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد عن هِشام بن عروة قال:

إرْفَع ضَعيفَكَ لا يحرْ بِكَ ضعفه[٣] لغريض اليهوديّ

[الكامل]

---

(١) العرم: اسم واد والسيل: المطر الشديد.

(٢) الميضأة: مطهرة كبيرة يتوضأ منها، والعامة تقول: ميضة.

(٣) ورد البيت على الشكل التالي:

إرفع ضعيفك لايحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نمى

[الكامل]

[تمثلت عائشة أمام رسول اللَّه بشعر نزل بمعناه الوحي]

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا مؤمِّل بن عبد الرحمن الثَّقَفيّ قال حدَّثني سهل بن المُغيرة[١] عن الزُّهْريّ عن عروة عن عائشة قالت: دَخَلَ عليَّ رسول اللَّه ﷺ وأنا أَتَمَثَّلُ بهذين البيتين:

إرْفَع ضَعيفَكَ لا يحرْ بِكَ ضعفه ... يوماً فتُدركَهُ العواقبُ قد نَمَا
يَجزيك أو يُثني عليك وإنَّ مَن ... أثنى عليك بما فعلْتَ فقد جزى

[الكامل]

فقال ﷺ: «رُدِّي عليّ قول اليهوديّ قاتله اللَّه! لقد أتاني جبريلُ برسالة من ربي: أيُّما رجل صَنَعَ إلى أخيه صَنيعةً فلم يَجِدْ له جزاء إلاّ الثناءَ عليه والدعاءَ له فقد كافأه».

قال أبو زيد: وقد حدَّثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لورقة بن نَوفل، وقد ذكر الزُّبيرُ بن بكَّار أيضاً أن هذا الشعر لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدةٍ أوَّلها:

رَحَلتْ قُتَيْلةُ عِيرَهَا قبلَ الضُّحَى ... وأَخالُ أنْ شَحَطتْ بْجارتِكَ النَّوَى
أو كُلَّما رَحَلَتْ قُتَيْلةُ غُدْوةً ... وغَدَتْ مُفارقةً لأرضِهمُ بَكَى
ولقد رَكِبْتُ عَلَى السَّفينِ مُلَجِّجاً[٢] ... أذَرُ الصديقَ وأنْتَحِي دارَ العِدَا
ولقد دخلتُ البيتَ يُخْشَى أهلُهُ ... بَعْدَ الهُدُوِّ وبعدَ ما سقطَ النَّدَى
فوجدتُ فيه حُرَّةً[٣] قَدْ زُيِّنَتْ ... بالحَلْيِ تحسَبُهُ بها جَمْرَ الغَضَا
فنَعِمْتُ بالاً إذ أتيتُ فرَاشَهَا ... وسَقَطْتَ منها حينَ جِئْتُ عَلَى هَوَى
فلتلك لَذَّاتُ الشَّبابِ قَضَيتُهَا ... عنِّي فسائلْ بعضَهُمْ ماذا قَضَى
فرج الرَّبابِ فليس يُؤدي فرجهُ ... لا حاجةً قضَّى ولا ماءً بغى
فارفَعْ ضعيفَكَ لا يَحُرْ بك ضَعْفُهُ ... يَوْماً فَتُدْرِكَه العَواقبُ قد نَمَا
يَجْزِيك أو يُثْنِي عليكَ وإنَّ مَنْ ... أثْنى عليك بما فَعَلْتَ فَقَد جَزَى

[الكامل]

---

(١) لعل المقصود هنا سهل أبو حريز مولى المغيرة.

(٢) لَجِجْتَ بالكسر، تَلَجُّ لَجاجاً ولَجاجَةً، فهو لجوجٌ ولجوجةٌ، الهاء للمبالغة. ولَجَجْتَ بالفتح تلِجُّ لغة. والمُلاجَّة: التمادي في الخصومة. وسمعت لَجَّةَ الناس بالفتح، أي أصواتهم. والْتَجَّتِ الأصواتُ، أي اختلطت. ولُجَّةُ الماء بالضم: معظمُه، وكذلك اللُّجُّ. ومنه بحرٌ لُجِّيٌّ. واللُّجُّ أيضاً: السيف. ولَجَّجَتِ السفينةُ، أي خاضت اللُّجَّة. والْتَجَّ البحر الْتِجاجاً.

(٣) ورد في بعض المصادر «طفلة» بدل «حرة». والطفلة بفتح الطاء المرأة الناعمة الرخصة.

ذكر ورقة بن نوفل ونسبه

[نسبه]

هو ورقةُ بن نوفل بن أسد بن عبد العزَّى بن قُصيّ، وأمه هندٌ بنتُ أبي كثير بن عبد بن قُصيّ. وهو أحدُ من اعتزلَ عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكُتُبَ وامتنع من أكل ذبائح الأوثان.

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

غير: «ارفع ضعيفَكَ...»

صـــوت

ولـقـد طَـرَقْـتُ الـبـيـتَ يُـخـشـى أهـلُـهُ بـعـدَ الـهـدُوِّ وبـعـدمـا سـقـطَ الـنَّـدى

فـوجـدتُ فـيـه حُـرَّةً قـد زُيِّـنَـتْ بـالـحـلي تـحـسَـبُـهُ بـهـا جـمـرَ الـغَـضـا[1]

[الكامل]

الشعرُ لورقة بن نوفل. والغناء لابن مُحرز من القَدَر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبرنا الطُّوسيُّ قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال حدَّثنا عبدُ اللَّه بن مُعاذ عن مَعْمَر عن الزُّهري عن عُروة بن الزُّبير قال: سُئِلَ رسول اللَّه ﷺ عن ورقةَ بن نَوفل كما بلغنا فقال: «قد رأيتُهُ في المنام كأنَّ عليه ثياباً بيضاً فقد أظنُّ أن لو كان من أهل النار لم أرَ عليه البياض»[2].

قال الزُّبيرُ وحدَّثنا عبد اللَّه بن مُعاذ عن معمر عن الزُّهريّ عن عائشة: أنَّ

---

(١) يُنسبُ هذان البيتان لعمر بن أبي ربيعة، وذكرت بعض المصادر أن هذه الأبيات لزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل لأمية بن أبي الصلت.

(٢) ورد الحديث في أسد الغابة في معرفة الصحابة في حديث عائشة(ج٥ص٨٨): «سُئل رسول اللَّه ﷺ عن ورقة فقالت له خديجة: إنه كان صدقك وإنه مات قبل أن تظهر، فقال رسول اللَّه ﷺ رأيته في المنام وعليه ثياب بياض ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك».

خديجةَ بنت خوَيلدٍ انطلقت بالنبيّ ﷺ حتى أتت به وَرَقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى وهو ابن عمّ خَديجة أخي أبيها، وكان امرأً تنصَّرَ في الجاهلية، وكان يَكتبُ الكتاب العبراني[١] فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عُمِيَ، فقالت خديجة: أي ابنَ عمِّ، اسمعْ من ابن أخيك؛ قال ورقة: يابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول اللَّه ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس[٢] الذي أنزله اللَّه تبارك وتعالى على موسى؛ يا ليتني فيها جذع[٣]، ليتني أكون حَيًّا إذ يُخرجك قومُكَ؛ قال رسول اللَّه ﷺ: «أَوَ مُخْرجيّ هم» قال ورقة: نعم، لم يأتِ رجل قطُّ بمثل ما جِئْتَ به إلا عُودِيَ، وإن يُدركْني يومُكَ لأنصرنَّكَ نَصْراً مؤزَّراً، ثم لم ينشَبْ ورقة أن تُوفِّي.

[رأى بلالاً يعذب لإسلامه فقال شعراً]

قال الزُّبيرُ حدَّثني عثمان بن الضحَّاك[٤] بن عثمان بن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال: قال عروة: كان بِلالٌ لجارية من بني جُمَح بن عمرو، وكان يعذِّبونه برَمْضاء[٥] مكة، يُلْصقون ظهرَهُ بالرمضاء ليُشْرِكَ باللَّه؛ فيقول: أحدٌ أحدٌ، فيمرُّ عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك يقول: أحد أحد، فيقول ورقة بن نوفل: أحدٌ أحدٌ واللَّه يا بلال! واللَّه لئن قتلتموه لاتخذنَّه حناناً كأنه يقول: لأتَمسَّحَنَ به. وقال وَرَقة بن نوفل في ذلك:

لَقَدْ نَصَحْتُ لأقوامٍ وقلتُ لهُم ... أنا النّذِيرُ فلا يَغْرُرْكُمُ أحَدُ
لا تَعْبُدُنَّ إلهاً غيرَ خَالِقِكُمْ ... فإنْ دَعَوْكُمْ فقُولُوا بَيْنَنَا حَدَدُ[٦]

---

(١) لعلَّ المقصود هنا التوراة.

(٢) النَّامُوسُ: صاحب السِّرِّ، أَي سِرِّ المَلك، وعَمَّه ابنُ سِيدَه، وقال أَبو عُبَيْدٍ: هو الرجُلُ المُطَّلعُ عَلَى باطِنِ أَمْرِكَ، المَخْصُوصُ بما تَسْتُرُه مِن غيرِه. أَو هو صاحِبُ سِرِّ الخَيْرِ، كما أَنّ الجَاسُوسَ صاحبُ سِرِّ الشَّرِّ. وأَهْلُ الكِتابِ يُسَمُّون جِبْرِيلَ عليه السلام: النّامُوسَ الأَكْبَرَ، هو المُرَادُ في حَدِيثِ المَبْعَثِ، في قولِ وَرَقَةَ، لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّه بالوَحْيِ والغَيْبِ الَّذي لا يَطَّلِع عليهِمَا غيرُه. والنّامُوسُ: الحَاذِقُ الفَطِنُ. والنّامُوسُ: مَنْ يَلْطُفُ مَدْخَلُه، في الأُمُورِ بِلُطْفِ احتِيَالٍ، قالَهُ، الأَصْمَعِيُّ. والنّامُوسُ: قُتْرَةُ الصَّائِدِ الّذِي يَكْمُن فيها للصَّيْدِ.

(٣) الجَذَعُ: الصغير السن.

(٤) الضحاك بن عثمان إما أن يكون الضحاك بن عثمان بن الضحاك بن عثمان المتوفى سنة ثمانين ومائة، وإما أن يكون الضحاك بن عثمان جده المتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة.

(٥) الرَّمَضُ: شدّةُ وقع الشمس على الرمل وغيره. والأرضُ رَمْضاء كما ترى.

(٦) حده: منعه، واللَّهم احدده. وإذا طلع عليهم من كرهوه قالوا: حداد حديه. ولفلان حداد كالح وهو البواب، ودون ذلك حدد.

سُبْحَانَ ذِي العرْشِ سُبْحاناً نعوذُ به ... وقبلُ قد سبَّح الجُوديّ[١] والجُمُدُ[٢]
مُسَخَّرٌ كلُّ ما تحت السماءِ لَهُ ... لا ينبغي أن يُنَاوِي مُلْكَهُ أحَدُ
لا شيءَ ممّا ترى تبقى بَشاشتُهُ ... يبقَى الإلهُ ويُودي المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يوماً خزائِنُهُ ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سُليمانَ إذْ دَانَ الشُّعُوبُ لَهُ ... ألجنُّ والإنْسُ تَجْرِي بَيْنها البُرُدُ[٣]

[البسيط]

[مدح النبي ﷺ له والنهي عن سبّه]

قال الزُّبيرُ حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا الضحَّاك بن [عثمان] بن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة: أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه: «شعرْتُ أنِّي رأيت لوَرَقة جنَّةً، أو جنَّتين». يشكُّ هشام.

قال عروة: ونَهى رسول اللَّه ﷺ عن سبِّ ورقة.

وقال الزُّبيرُ وحدَّثني عمي قال حدَّثني الضحَّاك عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عُروة عن أبيه: أنَّ خديجة كانت تأتي ورقة بما يُخْبِرُها رسول اللَّه ﷺ أن يأتيه، فيقول ورقة: لئن كان ما يقول حقّاً إنه ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى ابن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلا بثمن، ولئن نَطَقَ وأنا حيٌّ لأُبْلِيَنَّ فيه للَّه بَلاءً حسناً[٤].

(١) جبل الجودي الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام حين أرسل اللَّه تعالى الطوفان على قومه.
(٢) الجُمُد: جبل بنجد.
(٣) البُرُد: جمع بريد وهو الرسول.
(٤) هذه الكلمة مختلفة من ناحية الصياغة عن ما ورد في كتاب شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج١ص٢٥٩: «إنه ليأته ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم».

خبر زيد بن عمرو ونسبه

[نسبه من قبل أبويه]

هو زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد اللَّه بن قُرْط بن رَزاح بن عَديّ بن كَعْب بن لُؤيّ بن غالب. وأمه جَيْداء بنت خالد بن أبي حبيب بن فَهْم. وكانت جَيْداءُ عند نُفَيْل بن عبد العُزَّى فولدت له الخَطَّاب أبا عُمر بن الخطَّاب و عبد نُهْم[١]، ثم مات عنها نُفَيْل فتزوجَّها ابنه عمرو فولَدَتْ له زيداً، وكان هذا نِكاحاً يَنْكِحه أهلُ الجاهلية.

[اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشاً]

وكان زيدُ بن عمرو أحَدَ من اعتزل عبادة الأَوثان وامتنع من أكل ذبائحهم، وكان يقول: يا معشر قريش، أيُرْسِلُ اللَّه قطرَ السماء ويُنْبِتُ بَقْلَ الأرض ويَخْلُقُ السائمةَ[٢] فترعى فيه وتذبحوها لغيره! واللَّه ما أعلمُ على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري.

[نفيه]

أخبرنا الطوسيُّ قال حدَّثنا الزُّبيرُ قال حدَّثني عمي مصعب بن عبد اللَّه ومحمد بن الضحاك عن أبيه، قالا: كان الخطَّاب بن نُفيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكة، وجماعةٌ من قريش منعوه أن يدخلها حين فارقَ أهل الأوثان، وكان أشدَّهم عليه الخطَّابُ بن نُفَيل. وكان زيد بن عمرو إذا خلص إلى البيت استقبله ثم قال: لبَّيك حَقّاً حَقّاً؛ تَعبُّداً ورقّاً؛ البِرَّ[٣] أرجو لا الخال[٤]، وهل مُهجِّرٌ[٥] كمن قال! ثم يقول:

---

(١) نُهْمٌ: صنمٌ، وبه سمي الرجل عَبدَ نُهْم. ونِهْمٌ: اسمُ رجلٍ، وهو أَبو بطنٍ منهم. ونُهْمٌ: اسمُ شيطانٍ، ووفد على النبي، ﷺ، حيٌّ منَ العرب فقال: بَنُو مَنْ أَنتم؟ فقالوا: بنو نُهْم، فقال: نُهْمٌ شيطان، أنتم بنو عبداللَّه. ونِهْمٌ: بَطْنٌ من هَمْدانَ، منهم عَمْرو بن بَرَّاقة الهَمْداني ثم النِّهْمِيّ.

(٢) السَّوَامُ: كل ما رعى من المال في الفَلَواتِ إذا خُلِّيَ وسَوْمَهُ يرعى حيث شاء. والسَّائِمُ: الذاهب على وجهه حيث شاء. يقال: سامَتِ السائمةُ وأَنا أَسَمْتُها أُسِيمُها إذا رَعَّيْتَها.

(٣) البِرُّ: الصِّدْقُ والطاعةُ.

(٤) الخال: الخيلاء.

(٥) هجر: يمشي مثقلاً متقارب الخطو كأن به هجاراً لا ينبسط مما به من الشر والبلاء.

عُـذْتُ بِـمَـا عـاذَ بِـهِ إِبـراهِـيـمُ مُـسـتَـقـبِـلَ الـكَـعـبَـةِ وَهـوَ قـائِـمُ
يَـقـولُ أَنـفـي لَـكَ عـانٍ راغِـمُ مَـهـمـا تُـجَـشِّـمْـنـي فَـإِنّـي جـاشِـمُ[١]

[الرجز]

ثم يسجد. قال محمد بن الضحَّاك عن أبيه: وهو الذي يقول:

لا هُـمَّ إِنّـي حَـرَمٌ لا حِـلَّـه وَإِنَّ داري أَوسَـطُ الـمَـحَـلَّـه
عِـنـدَ الـصَـفـا لَـيـسَـت بِـهـا مَـضَـلَّـه

[الرجز]

[شعره في ترك عبادة الأوثان]

قال الزُّبيرُ وحدَّثني مصعب بن عبد اللَّه عن الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماءَ بنت أبي بكر أنها قالت: قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل:

عَـزَلـتُ الـجِـنَّ وَالـجِـنّـانَ عَـنّـي[٢] كَـذَلِـكَ يَـفـعَـلُ الـجَـلْـدُ الـصَّـبـورُ
فَـلا الـعُـزَّى[٣] أَديـنُ وَلا ٱبـنَـتَـيـهـا وَلا صَـنَـمَـي بَـنـي غَـنْـمٍ[٤] أَزورُ
وَلا هُـبـلاً[٥] أَديـنُ وَكـانَ رَبّـاً لَـنـا فـي الـدَّهـرِ إِذ حِـلـمـي صَـغـيـرُ
أَرَبّـاً واحِـداً أَم أَلـفَ رَبٍّ أَديـنُ إِذا تَـقَـسَّـمَـتِ الأُمـورُ
أَلَـم تَـعـلَـمْ بِـأَنَّ الـلَّـهَ أَفـنـى رِجـالاً كـانَ شَـأنَـهُـمُ الـفُـجـورُ
وأَبـقـى آخِـريـنَ بِـبِـرٍّ قَـوم فَـيَـربـو مِـنـهُـمُ الـطِّـفـلُ الـصَّـغـيـرُ
وبـيـنـا الـمَـرءُ يَـعْـثُـرُ ثـابَ[٦] يَـومـاً كَـمـا يَـتَـرَوَّحُ الـغُـصـنُ الـنَّـضـيـرُ[٧]

[الوافر]

---

(١) جاشم: وصف من جشم الأمر إذا تجشمه وتكلفه على مشقة.
(٢) ورد في بعض المصادر:
تـركْـتُ الـلات والـعـزى جـمـيـعـاً
(٣) العُزَّى سمُرةٌ كانت لغطَفانَ يعبدونها، وكانوا بنَوْا عليها بيتاً وأقاموا لها سَدَنة، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إليها، فهدم البيت وأحرق السَّمُرة.
(٤) ورد في بعض المصادر «بني طسم» بدل «بني غنم».
(٥) هُبَلٌ اسم صنم عبدته قريش.
(٦) ثاب: عاد إلى ما كان عليه من استقامة.
(٧) ورد في بعض المصادر على الشكل التالي:
رَأَيـنـا الـمَـرءَ يَـعـثُـرُ ذاتَ يَـومٍ كَـمـا يَـتَـرَوَّحُ الـغُـصـنُ الـنَّـضـيـرُ

فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نُفَيْل:

رَشَدتَ وأنعمْتَ ابن عمرو وإنَّما ... تَجنَّبْتَ تنُّوراً من النار حاميا
بدينك ربّاً ليس ربٌّ كَمِثلِهِ ... وتَرْكِكَ جِنَّانَ الجبالِ[1] كما هيا
أقولُ إذا ما زُرْتُ أرضاً مخوفةً ... حَنانَيْكَ لا تُظهِرْ[2] عليّ الأعاديا
حَنانَيْكَ إنَّ الجِنَّ كانت رجاءَهُم ... وأنت إلهي ربَّنا ورجائِيا
أديُنُ لربٍّ يستجيبُ ولا أُرى ... أديُنُ لمن لا يسمَعُ الدهرَ داعيا
أقولُ إذا صلَّيْتُ في كلِّ بِيعةٍ ... تباركْتَ قد أكثرتَ باسمكَ داعيا

[الطويل]

يقول: خَلَقْتَ خَلْقاً كثيراً يدعون باسمك.

[امتناعه عن الذبائح]

قال الزُّبيرُ وحدَّثني مصعب بن عبد اللَّه قال حدَّثني الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عُقْبة قال سَمِعْتُ من أرْضى يحدِّث: أنَّ زيد بن عمرو كان يعيبُ على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها اللَّه وأنزل من السماء ماءً وأنبَتَ لها من الأرضِ نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم اللَّه! إنكاراً لذلك وإعظاماً له.

قال الزُّبيرُ: وحدَّثني مصعب بن عبد اللَّه عن الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن موسى بن عُقبة عن سالم بن عبد اللَّه أنه سمع عبد اللَّه بن عمر يحدِّثُ عن رسول اللَّه ﷺ: أنَّه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدَح[3]، وكان قبل أن ينزل على رسول اللَّه ﷺ الوحيُ، فقدَّم إليه رسول اللَّه ﷺ سُفْرة[4] فيها لحم، فأبى أن يأكل، وقال: إنِّي لا آكل إلا ما ذُكِرَ اسم اللَّه عليه.

[اجتمع بالشام مع يهودي ونصراني وتحنف]

قال الزُّبيرُ وحدثني مصعب بن عبد اللَّه الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن

---

(١) ورد في بعض المصادر «أوثان الطواغي» بدل «جِنَّان الجبالِ».

(٢) تظهر: تعلو.

(٣) بلدح: وادٍ قبل مكة من جهة الغرب.

(٤) السُّفْرَةُ بالضَّم: طَعامُ المُسَافِرِ المُعَدّ للسَّفر، هَذا هو الأَصْلُ فيه، ثم أُطلِقَ على وِعَائِه، وما يُوضَع فيه من الأَدِيم، ثم شَاعَ الآن فيما يُؤْكَلُ عليه. وفي التَّهْذيب: السُّفْرَةُ: التي يُؤكل عليها، وسُمِّيت لأنها تُبْسَطُ إذا أُكِلَ عليها.

أبي الزناد عن موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبد اللَّه قال ـ قال موسى: لا أُراه إلا حدَّثه عن عبد اللَّه بن عمر ـ : إنَّ زيد بن عمرو خرج إلى الشام يسألُ عن الدين ويتَّبعه، فلقيَ عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال: لعلِّي أدين بدينكم فأخبرني بدينكم؛ فقال اليهوديّ: إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب اللَّه؛ فقال زيد بن عمرو: لا أفرّ إلا من غضب اللَّه وما أحمل من غضب اللَّه شيئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدُلُّني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلَمه إلا أن يكون حنيفاً؛ قال: و ما الحنيف؟ قال: دينُ إبراهيم؛ فخرج من عنده وتركه. فأتى عالماً من علماء النصارى فقال له نحواً ممَّا قال لليهوديّ، فقال له النصرانيّ: إنَّك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة اللَّه؛ فقال: إني لا أمل لعنة اللَّه ولا من غضبه شَيْئاً أبداً وأنا أستطيع، فهل تدلُّني على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحواً مما قال اليهوديّ: لا أعلمه إلا أن يكون حنيفاً؛ فخرج من عندهما وقد رضي بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم، فلما بَرَزَ رفع يديه وقال: اللَّهم إني على دين إبراهيم.

[بلغته البعثة فخرج من الشام فقتله أهل ميفعة]

قال الزُّبيرُ وحدَّثني مصعب بن عبد اللَّه عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال: قال هشام بن عُرْوة: بَلَغَنا أن زيد بن عمرو كان بالشام، فلما بلغه خبر النبيّ ﷺ أقبل يريده فقتله أهل ميفعة[1].

[قال عنه رسول اللَّه: يأتي يوم القيامة أمة وحده]

قال الزُّبيرُ وحدَّثني مصعب بن عبد اللَّه عن الضحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال: سألْتُ أنا وعمر بن الخطَّاب رسول اللَّه ﷺ عن زيد فقال: «يأتي يوم القيامة أمة وحده».

وأنشد محمد بن الضحَّاك عن الحِزاميّ عن أبيه لزيد بن عمرو:

أَسلَمتُ وَجهي لِمَن أَسلَمَتْ ... لَهُ المُزنُ تَحمِلُ عَذْباً زُلالا
أَسلَمتُ وَجهي لِمَن أَسلَمَتْ ... لَهُ الأَرضُ تَحمِلُ صَخراً ثِقالا
دَحاها فَلَمّا استَوَت شَدَّها ... سَواءً وأَرسى عَلَيها الجِبالا

[المتقارب]

(١) ميفعة: قرية من أرض البلقاء من الشام.

[زهير بن جناب وشعره في الكبر]

وأما زُهير بن جناب الكلبيّ فإنه أحد المعمَّرين، يقال: إنه عُمِّر مائةً وخمسين سنة وهو ـ فيما ذُكِر ـ أحد الذين شربوا الخمر في الجاهلية حتى قتلتهم؛ وكان قد بلغ من السنّ الغايةَ التي ذكرناها، فقال ذات يوم: إنَّ الحيَّ ظاعنٌ، فقال عبد اللَّه بن عُليم بن جناب: إنّ الحيّ مقيم؛ فقال زُهير: إنَّ الحيّ مقيم؛ فقال عبد اللَّه: إنّ الحيّ ظاعن، فقال: مَن هذا الذي يخالفني منذ اليوم! قيل: ابن أخيك عبد اللَّه بن عُليم؛ فقال: أوَ ما هاهنا أحدٌ يَنهاه عن ذلك! قالوا: لا، فَغَضِبَ وقال: لا أُراني قد خولفْتُ، ثم دعا بالخمر فشربها صِرْفاً بغير مِزاج وعلى غير طعام حتى قتلتْهُ. وهو الذي يقول في ذمِّ الكِبَر وطول الحياة:

أَلـمـوتُ خـيـرٌ لـلـفـتـى ... فَـلْـيَـهْـلِـكَـنْ وبـه بَـقـيَّـه
مـن أن يُـرى الـشـيـخَ الـبَـجَـا ... ل[1] إذا تـهـادى بـالـعـشـيَّـه
أَبـنـيَّ إن أَهـلـكْ فـقـد ... أَورثـتـكـم مـجـداً بـنـيَّـه
وتـرَكـتُـكُـم أَبـنـاءَ سـا ... داتٍ، زنـادُكُـمُ وريَّـه
بـل كـلّ مـا نـال الـفـتـى ... قـد نـلْـتُـهُ إلا الـتَّـحـيَّـه

[مجزوء الكامل]

[مدرج الريح وسبب التسمية]

وأمّا مدرجُ الرّيح فاسمه عامر بن المجنون الجَرْميّ، وإنَّما سُميَ مدرجَ الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجنّ وأنها تسكن الهواء وتتراءى له، وكان محمَقاً؛ وشعرُه هذا:

صـوت

لابـنـة الـجـنِّـيّ فـي الـجـوّ طَـلَـلْ ... دارسُ الآيـاتِ عـافٍ كـالـخَـلَـلْ
دَرَسَـتْـهُ الـرّيـح مـن بـيـن صَـبـاً ... وجَـنـوبٍ درَجَـتْ حـيـنـاً وطَـلّ

[الرمل]

الغناء فيه لحُنين ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن الهشاميّ وابن المكيّ، وذكر حبش أنه لمعبد، وذكر عمرو بن بانة أنَّ لحن حُنين من خفيف الثَّقيل الأوَّل بالبنصر. وأخبار عامر بن المجنون تُذكر في موضع آخر إن شاءَ اللَّه تعالى.

---

(١) البَجالُ: الرجلُ الشيخُ السيّدُ. وأَبْجَلَهُ الشيءُ، أي كَفاهُ.

[سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر]

وأما سَعيَة بن غريض فقد كان ذُكِرَ خبر جدّه السموأل بن غريض بن عاديا في موضع غير هذا. وكان سعية بن غريض شاعراً، وهو الذي يقول لمَّا حضرته الوفاة يَرْثي نفسه:

صـــوت

يـا لـيْـتَ شـعـري حـيـن يُـذكـرُ صـالـحـي ... مـــاذا تـــؤبِّـــنُـــنـــي بـــه أنـــواحـــي[1]
أيَـقُـلـنَ لا تَـبْـعـد، فـربّ كـريـهـة ... فـــرّجـــتـــهـــا بـــبـــشـــارة وسَـــمَـــاحِ
وإذا دُعـيـتُ لـصـعـبـةٍ سـهَّـلـتُـهـا ... أُدعـــى بـــأفـــلـــح تـــارةً ونـــجـــاحِ

[الكامل]

ـ غنَّاه ابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ـ وأسلم سعية وعُمِّرَ [عمراً] طويلاً، ويقال: إنه مات في آخر خلافة معاوية.

[سعية بن غريض ومعاوية بن أبي سفيان]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمرُ بن شبة قال حدَّثني أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عديّ قال: حجَّ معاوية حِجَّتين في خلافته، وكانت له ثلاثون بغلة يحجُّ عليها نساؤه وجواريه. قال: فحجَّ في إحداهما فرأى شيخاً يُصلِّي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال: من هذا؟ قالوا: سعية بن غريض، وكان من اليهود، فأرسل إليه يدعوه، فأتاه رسوله فقال: أجِب أمير المؤمنين؛ قال: أو ليس قد مات أمير المؤمنين! قيل: فأجب معاوية؛ فأتاه فيم يسلّم عليه الخلافة؛ فقال له معاوية: ما فعلت أرضُكَ التي بتَيْماء؟ قال: يُكسى منها العاري ويُردّ فضلها على الجار؛ قال: أفتبيعها؟ قال: نعم؛ قال: بِكَمْ؟ قال: بستِّين ألف دينار، ولولا خَلَّة أصابَتْ الحيّ لم أبِعْها؛ قال: لقد أغليتَ! قال: أمَّا لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم دينار ثم لم تبل! قال: أجلْ، وإذا بَخِلْتَ بأرضك فأنشدني شعر أبيك يَرْثي به نفسه؛ فقال: قال أبي:

يـا لـيْـتَ شـعـري حـيـن أُنـدبُ هـالـكـاً ... مـــاذا تـــؤبِّـــنُـــنـــي بـــه أنـــواحـــي
أيَـقُـلـنَ لا تَـبْـعـد، فـربّ كـريـهـة ... فـــرّجـــتـــهـــا بـــبـــشـــارة وسَـــمَـــاحِ

(١) أنواحي: النائحات.

ولَـقـد ضـربـتُ بـفـضـل مـالـي حـقّـه عـنـد الـشـتـاء وهَـبّـةِ الأرواحِ
ولَـقـد أخـذْتُ الـحـقَّ غـيـر مـخـاصـم ولـقـد رددْتُ الـحـقَّ غـيـر مُـلاحـي
وإذا دُعـيـتُ لـصـعـبـةٍ سـهَّـلـتُـهـا أُدعـى بـأفـلـح مـرَّةً ونـجـاح
[الكامل]

فقال: أنا كُنْتُ بهذا الشعر أولى من أبيك؛ قال: كذبْتَ ولَؤُمتَ؛ قال: أما كذبْتُ فنَعَم، وأما لؤمْتُ فلِمَ، قال: لأنك كنتَ مَيِّتَ الحقّ في الجاهلية ومميِّته في الإسلام، أما في الجاهلية فقاتلت النبيّ ﷺ والوَحْيَ حتى جعل اللَّه عزَّ وجلَّ كيدَك المردود، وأمَّا في الإسلام فمنعتَ ولد رسول اللَّه ﷺ الخلافة، وما أنت وهي! وأنت طليقٌ[1] ابن طليقٍ! فقال معاوية: قد خَرِفَ الشيخ فأقيموه، فأُخِذَ بيدِهِ فأُقيم.

وسعيةُ هذا هو الذي يقول:

صـوت

يـا دارَ سُـعْـدى بـمـفـضـى تـلـعـةِ الـنَّـعَـم حُـيِّـيـتِ داراً عـلـى الإقـواءِ والـقِـدَم
مـا يِـجـزعـنَّـك إلا الـوحـشُ سـاكـنـةً وهـامـدٌ مـن رَمـادِ الـقِـدرِ والـحُـمَـم
عُـجْـنَـا فـمـا كـلَّـمـتـنـا الـدارُ إذ سُـئـلـت ومـا بـهـا مـن جـوابٍ خِـلـتُ مـن صـمـم
[البسيط]

الشعر لسعية بن غريض، والغناء لابن مُحرز ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر.

(١) أطلقت الأسير، وهو طليق، وهو من الطلقاء. وهم الذين حاربوا النبيّ ﷺ من قريش، فلما غلبهم عام الفتح، فقال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه

اسمه محمد بن عبد اللَّه، ويُكنى أَبا عبد اللَّه، مولى بني أُميَّة، وهو من أَهل المدينة؛ وكان أَبوه على مِيضأَة المدينة فسُمِّيَ صاحبَ الوَضُوء. وهو قليل الصنعة لم يذكر له إسحاق إلا صوتين كلاهما في خفيف الثقيل الثاني المعروف بالماخوريّ، ولا ذكر له غير إسحاق سواهما إلا ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئاً كثيراً لا أصلَ له، وفي كتاب حبش الصينيّ. وهو رجل لا يُحصِّل ما يقوله ويرويه.

مدح يونس الكاتب غناءه:

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أَبيه عن جدّه عن سِياط عن يونس الكاتب قال:

غَنَّى ٱبن صاحب الوضوء في شعر النابغة:

خَطاطِيفُ حُجْنٌ في حبالٍ متينةٍ تَمُدُّ بها أَيدٍ إليكَ نَوازعُ

[الطويل]

وفي شعر بعض اليهود:

إِرفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقبُ قد نَما

[الكامل]

فأجاد فيهما ما شاء وأَحسنَ غايةَ الإحسان، فقيل له: أَلا تزيدُ وتصنع شيئاً آخر؟ فقال: لا واللَّه حتى أَرى غيري قد صنعَ مثل ما صنعت وأَزْيد، وإلَّا فحسبي هذا.

غناء في المحراب:

أخبرني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار وأَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل ٱبن بونس الشيعيّ، قالوا حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثنا عيسى بن عبد اللَّه بن محمد بن عمر بن عليّ ـ قال ٱبن عمار في خبره: وكان يُسمَّى المبارَك ـ قال حدّثنا أَبو مَسْلَمَة المصبحيّ قال:

قَدم علينا أَسْودُ من أهل الكوفة فغنَّى:

إِرفع ضعيفك لا يحرْ بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نَما

قال: فمررت بعبد اللَّه بن عامر الأسلَميّ، وكان يؤمّنا وهو قائم يُصلِّي الظهر، فقلت له: قدم علينا أَسودُ من الكوفة يُغنّي كذا وكذا فأَجاده؛ فأَشار إليّ بيده أَن ٱجلس؛ فلما قضى صلاته قال: أَخذتَه عنه؟ قلت: نعم؛ قال: فأَمِرَّه عليّ، ففعلتُ: قال: فلما كان بالليل صلَّى بنا فأدَّاه في المحراب.

صـوت

من المائة المختارة التي رواها عليّ بن يحيى

يا ليلتي تزدادُ نُكْرَا مِن حُبِّ مَنْ أَحببتُ بِكْرا
حَوْراء إن نظرتْ إِليـ ـكَ سقتْكَ بالعينين خمرَا

[مجزوء الكامل]

الشعر لبشَّار، والغناء في اللحن المختار ليَزيد حوراء رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو ويحيى المكيّ وإسحاق. وفيه لسياط خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن عمرو وإبراهيم المَوْصليّ.

أخبار بشار بن برد ونسبه

[نسبه وكنيته وطبقته في الشعراء]

هو، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرويه عن غيلان الشعوبيّ، بَشَّار بن بُرْد بن يَرْجوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارَا بن فَيْروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن أدريوس بن يستاسب بن لهراسف. قال: وكان يَرْجوخ من طُخارُستان من سَبْي المُهلَّب بن أبي صُفْرة. ويُكنى بَشَّارٌ أبا مُعاذ. ومَحلُّهُ في الشعر وتقدُّمه طبقات المُحدَثين فيه بإجماع الرُّواة ورياستُهُ عليهم من غير اختلاف في ذلك يُغْني عن وصفه وإطالة ذكر محله. وهو من مُخَضْرَمي شعراء الدولتين العبَّاسية والأُموية، قد شُهِر فيهما ومَدَحَ وهَجَا وأخذ سَنيّ الجوائز مع الشعراء.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المُنَجِّم قال: قال حُمَيد بن سَعيد: كان بشَّار من شعب أدريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك. قال: وهو بشَّار بن برد بن بهمن بن أزدكرد [بن شروستان] بن بهمن بن دارا بن فيروز. قال: وكان يُكنى أبا معاذ.

[ولاؤه لبني عقيل]

وأخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ وغيرهما عن الحسن بن عُلَيل العنزيّ عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال: كان بشارُ بن بُرْد بن يَرْجوخ وأبوه بُرْدٌ من قِنّ خِيرة القُشيريَّة امرأة المهلَّب بن أبي صُفْرة، وكان مُقيماً لها في ضيعتها بالبصرة المعروفة بِـ«خيرَتان»[1] مع عبيدٍ لها وإماء، فوهَبَتْ بُرداً بعد أن زوَّجته لامرأة من بني عُقيل كانت مُتَّصلة بها، فولدَتْ له امرأته وهو في مِلْكِها بشاراً فأعتقتْهُ العُقَيليَّة.

(١) خيرتان: قرية من أعمال البصرة منسوبة إلى خيرة بنت ضمرة امرأة المهلب بن أبي صفرة، والألف والنون تستخدم للنسبة في اصطلاح أهل البصرة.

وأخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان بُردٌ أبو بشار مولى أُمِّ الظِّباء العقيلية السَّدوسيَّة، فادّعى بشارٌ أنه مَوْلَى بني عُقيل لنزولِهِ فيهم.

وأخبرني أحمد بن العبَّاس العسكريّ قال حدَّثنا العنزيُّ قال حدَّثني رجلٌ من وُلْدِ بشار يقال له حمدان كان قصَّاراً[1] بالبصرة، قال: وَلاؤنا لبني عُقيل؛ فقُلْتُ لأيّهم؟ فقال: لبني ربيعة بنِ عُقيل.

وأخبرني وكيعٌ قال حدَّثني سليمان المَدنيّ قال: قال أحمد بن مُعاوية الباهليّ: كان بشارٌ وأمُّهُ لرجل من الأزْد، فتزوَّجَ امراةً من بني عُقيل، فساق إليها بشاراً وأُمّه في صَداقِها، وكان بشَّارٌ وُلِدَ مكفوفاً فأعتقتْهُ العُقيليَّة.

أخبرني محمدُ بن عمران الصَّيْرفيّ قال حدَّثني الحسنُ بنُ عُليل العنزيّ قال حدَّثنا قَعْنَب بنُ المُحرز الباهليّ قال حدَّثني محمد بن الحَجَّاج قال: باعَتْ أُمُّ بشَّار بشَّاراً على أُمِّ الظِّباء السَّدُوسيَّة بدينارين فأعتقتْه. وأُمُّ الظِّباء امراةُ أَوْس بن ثَعْلَبة أحدِ بني تَيم اللاَّت بن ثعلبة، وهو صاحب قصر أوْس بالبصرة؛ وكان أَوْسٌ أحدَ فرسان بَكْر بن وائل بِخُراسان.

[كان أبوه طياناً وقد هجاه بذلك حماد عجرد[2]]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدَّثنا العنزيُّ قال حدَّثنا محمد بن زيد العِجليُّ قال أخبرني بَدْر بن مُزاحم: أنَّ بُرْداً أبا بشَّار كان طَيَّاناً يَضرب اللَّبِنَ، وأراني أبي بيتين لنا فقال لي: لَبِنُ هذين البيتين من ضَرْب بُرْدِ أبي بشَّارٍ. فَسَمِعَ هذه الحكاية حمَّاد عَجْرد فهجاه فقال:

يـابـنَ بُـرْدٍ إخْـسَـأ إلـيـك فـمـثـلُ ال كـلـبِ فـي الـنـاس أَنْـتَ لا الإنْـسَـانِ
بَـلْ لَـعَـمْـري لأَنْـتَ شَـرٌّ مـن الـكـلـبِ وأولَـى مِـنْـه بـكـلِّ هَـوَانِ

(١) القصار: مُحوِّر الثياب ومُبيضها.

(٢) حماد عجرد، حماد بن يحيى بن عمرو بن كليب أبو عمرو مولى عامر بن صعصعة. ذكر ابن النطاح أنه مولى بني عقيل، أصله ومنشؤه بالكوفة. وسبب تسميته بعجرد أنه مر به أعرابي في يوم شديد البرد وهو يلعب مع الصبيان وهو شبه عاري، فقال له: (تعجرد يا فلان)، والمتعجرد هو المتعري. وقيل غير ذلك. وكان والده ومن قبله جده يبري النبل، فامتهن مهنة أبيه، وقد نفى البعض ذلك. وكان معلماً في أول أمره وأدب ولد الربيع، وكان من كتاب الرسائل ويعتبر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية إلا أنه اشتهر أكثر في الدولة العباسية وقد اختلف كثيراً في تاريخ وفاته إلا أن ياقوت الحموي قد أكد أنه توفي سنة ١٦١هـ.

ولَـرِيـحُ الـخِـنْـزِيـرِ أهـونُ مِـنْ رِيـحِـكَ يـا ابْـنَ الـطَّـيـان ذي الـتُّـبَّـانِ[١]

[الخفيف]

[أنشد للمهدي شعراً في أنه عجمي بحضور أبي دلامة]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبو أيوب المدينيّ عن أبي الصَّلْت البصريّ عن أبي عدنان قال حدَّثني يحيى بنُ الجَوْن العبديّ راويةُ بشَّار قال: قال: لمَّا دَخَلْتُ على المهديّ قال لي: فيمَنْ تَعْتَدُّ يا بشَّار؟ فَقُلْتُ: أَمَّا اللِّسان والزَّيُّ فعربيَّان، وأما الأصلُ فعجميّ، كما قُلْتُ في شعري يا أمير المؤمنين:

ونـبـئْـتُ قـومـاً بِـهِـمْ جِـنَّـةٌ ... يـقـولـون مَـنْ ذا وكَـنْـتُ الـعَـلـمْ

ألا أيُّـهـا الـسـائـلـي جَـاهِـداً ... لـيَـعْـرِفَـنـي أنـا أنـفُ الـكَـرَمْ

نـمَـتْ فـي الـكِـرامِ بَـنـي عـامـرٍ ... فُـرُوعـي وأصْـلِـي قُـريـشُ الـعَـجَـمْ

فـإنـي لأُغـنـي مَـقـامَ الـفـتـى ... وأُصْـبـي الـفـتـاة فـمـا تَـعْـتَـصِـمْ

[المتقارب]

قال: وكان أبو دُلامَة حاضراً فقال: كلاَّ! لَوَجْهُكَ أقبحُ من ذلك ووجهي مع وجهك؛ فَقُلْتُ: كلاَّ! واللَّه ما رأيْتُ رجلاً أصدقَ على نفسه وأكذب على جليسه مِنْكَ، واللَّه إني لطويلُ القامة عظيم الهامة تامّ الألواح أسجحُ[٢] الخدَّين، ولَرُبَّ مُسْتَرْخي المِذْرَوَين[٣] للعين فيه مَرادٌ قد جلس من الفتاة حَجْرَةً[٤] وجَلَسْتُ منها حيث أُريدُ، فأنتَ مثلي يا مَرْضعانُ[٥]! قال: فَسَكتَ عنِّي، ثم قال لي المهديّ: فمن أيِّ العجم أصلك؟ فقُلْتُ: من أكثرها في الفرسان، وأشدِّها على الأقران، أهل طُخارُسْتانَ؛ فقال بعضُ القوم: أُولَئِكَ الصُّغْدُ؛ فقلت: لا، الصُّغْدُ تِجارٌ؛ فلم يَرْدُدْ ذلك المهديّ.

---

(١) التُّبّانُ: شِبْهُ سَراويلَ يكون للفلاحين والمصارعين.

(٢) السجَحُ، لين الخد. وخد أسجَحُ، سهل طويل قليل اللحم واسع. وقد سجِحَ سَجَحا وسجاحَةً. وخُلقٌ سجيحٌ، لين سهل. ومشي سجيح وسُجُحٌ، لين سهل

(٣) قال أبو عبيد: وقال غيره: المذروان: طرف الأليتين؛ وليس لهما واحد. قال: وهذا أجود القولين؛ لأنه لو كان لهما واحد فقيل: «مذري» لقيل في التثنية: مذريان. وقال الأصمعي: المذروان من القوس أيضاً: الموضعان اللّذان يقع عليهما الوتر من أسفل وأعلى.

(٤) حجرةً: ناحيةً.

(٥) المرضعان: اللئيم، من الرضاعة وهي اللؤم.

[كان كثير التلون في ولائه للعرب مرة وللعجم أخرى]

وكان بشَّارُ كثيرَ التلوّن في ولائه، شَديد الشَّغْب[١] والتعصُّبِ للعجم، مرَّةً يقولُ يفتخرُ بولائه في قيس:

أَمِنتُ مَضَرَّةَ الفُحَشاءِ[٢] إنّي ... أَرى قَيْساً تَضُرُّ وَلا تُضارُ
كَأَنَّ الناسَ حينَ تَغيبُ عَنهُم ... نَباتُ الأَرضِ أَخطأه القِطارُ[٣]
وَقَد كانت بِتَدمُرَ خَيلُ قَيسٍ[٤] ... فَكانَ لِتَدمُرٍ فيها دَمارُ
بِحَيٍّ مِن بَني عَجلانَ شُوسٍ[٥] ... يَسيرُ المَوتُ حَيثُ يُقالُ ساروا
وَما نَلقاهُمُ إِلاّ صَدَرنا ... بِرِيٍّ مِنهُمُ وَهُمُ حِرارُ

[الوافر]

ومرَّةً يتبرَّأُ من ولاء العرب فيقول:

أَصبَحتُ مَولى ذي الجَلالِ وَبَعضُهُم ... مَولى العُرَيبِ فَخُذْ بِفَضلِكَ فَافخَرِ
مَولاكَ أَكرَمُ مِن تَميمٍ كُلِّها ... أَهلِ الفَعالِ وَمِن قُرَيشِ المَشْعَرِ
فَارجَعْ إِلى مَولاكَ غَيرَ مُدافَعٍ ... سُبحانَ مَولاكَ الأَجَلِّ الأَكبَرِ

[الكامل]

وقال يفتخر بولاء بني عقيل:

إِنَّني مِن بَني عُقَيلِ بنِ كَعبٍ ... مَوضِعَ السَّيفِ مِن طُلى[٦] الأَعناقِ

[الحفيف]

---

(١) الشَّغْبُ: تهييج الشر. ويقال للأثانِ: ذاتُ شَغْبٍ وضِغْنٍ إذا وحمت فاستعصت على الفحل.

(٢) الفَحْشاءُ: الفاحِشَةُ. وكلُّ شيءٍ جاوز حدَّه فهو فاحِشٌ. وقد فَحُشَ الأمر بالضم فُحْشاً، وتفاحَشَ. ويسمَّى الزنى فاحِشَةً. وقول طرفة:

أرى الموتَ يعتامُ الكِرامَ ويَصْطَفي عَقيلةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِّ

يعني الذي جاوزَ الحدَّ في البخل. وأفْحَشَ عليه في المنطق، أي قال الفُحْشَ، فهو فحَّاشٌ. وتَفَحَّشَ في كلامه.

(٣) القَطْرُ: المَطَرُ. والقِطارُ: جمع قَطْرٍ وهو المطر. والقَطْرُ: ما قَطَرَ من الماء وغيره، واحدته قَطْرة، والجمع قِطار. وسحابٌ قَطُورٌ ومِقْطار: كثير القَطْرِ؛ حكاهما الفارسي عن ثعلب.

(٤) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:

وَقَد عَرِكَت بِتَدمُرَ خَيلُ قَيسٍ

(٥) رجل أشوس، وامرأة شوساء، وقوم شوس. وفيه شوس وهو النظر بشق العين وقيل: أن يصغر عينه ويضم الأجفان، وقد تشاوس.

(٦) الطُّلى: الأعناق، ويُقال أصول الأعناق.

[كان يلقب بالمرعث]

ويُكنى بَشَّار أبا مُعاذٍ، ويُلْقَّبُ بالمرَعَّث[١].

أخبرني عمي ويحيى بن عليّ قالا حدَّثنا أبو أيوب المَدينّي قال حدَّثني محمد بن سلاَّم قال: بشَّار المرَّعث هو بشَّار بنُ بُردٍ، وإنَّما سُمِّيَ المرَّعث بقوله:

قالَ ريمٌ مُرَعَّثٌ ساحِرُ الطَّرفِ وَالنَّظَرْ
لَستَ وَاللَّهِ نائِلي قُلتُ أَو[٢] يَغلِبُ القَدَرْ
أَنتَ إِن رُمتَ وَصلَنا فَانِجُ، هَل تُدرِكُ القَمَرْ

[مجزوء الخفيف]

قال أبو أيوب: وقال لنا ابنُ سلاَّم مرَّةً أخرى: إنما سُمِّيَ بشَّار المرعَّث، لأنه كان لقميصه جَيبان: جَيْبٌ عن يمينه وجَيْبٌ عن شمالِهِ، فإذا أراد لُبسه ضَمَّهُ عليه من غير أن يُدْخِلَ رأسه فيه، وإذا أراد نزعَهُ حلَّ أزاره وخرج منه، فَشُبِّهَتْ تلك الجيوب بالرِّعاث لاسترسالها وتَدَلِّيها، وسُمِّيَ من أجلها المرَّعث.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا عليّ بنُ مهديّ قال حدَّثني أبو حاتم قال: قال لي أبو عُبيدة: لُقِّبَ بشَّارٌ بالمرَّعث لأنه كان في أذنه وهو صغير رِعاثٌ. والرِّعاثُ: القِرَطة، واحدتها رَعْثَة وجمعها رِعاثٌ، ورَعثاتٌ. ورَعثاتُ الديك: اللحم المتدلِّي تحت حنكه؛ قال الشاعر:

سَقَيتُ أبا المصرَّع إذْ أتاني وذُو الرَّعَثاتِ منتصبٌ يَصيحُ
شراباً يَهْرُبُ الذِّبَّانُ منه ويَلْثَغُ حين يشربُه الفَصيحُ[٣]

[الوافر]

قال: والرَّعثُ: الاسترسال والتساقط. فكانَّ اسمَ القِرَطةِ اشتُقَّ منه.

---

(١) المرعث: المقرط؛ الذي يضع في أذنيه قرطاً.

(٢) أو هنا أتت بمعنى بل.

(٣) الشعر لأبي الهندي، وهو غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي الرياحي اليربوعي. شاعر مطبوع أدرك الدولتين الأموية والعباسية، وكان جزل الشعر سهل الألفاظ، لطيف المعاني. إقامته في سجستان، خراسان، كان يتهم بفساد الدين، واستفرغ شعره في وصف الخمر، وهو أول من تفنن في وضعها من شعراء الإسلام. وكان سكيراً خبيث السكر، رؤي في خراسان يشرب على قارعة الطريق، ومات في إحدى قرى مرو سنة ١٠٠ هـ.

[كان أشد الناس تبرماً بالناس]

أخبرني محمد بن عمران قال حدَّثني العنزيّ قال حدَّثنا محمد بن بدر العِجْليّ قال: سَمِعْتُ الأصمعيّ يذكر أنَّ بشَّاراً كان من أشدّ الناس تبرُّماً بالناس، وكان يقول: الحمد للَّه الذي ذهب ببصري؛ فقيل له: ولِمَ يا أبا مُعاذ؟ قال: لئلاَّ ارى من أُبغِضُ. وكان يلبس قميصاً له لِبْنَتان[١]، فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله، فبذلك سُمِّيَ المرعَّث.

[صفاته]

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ أبو دُلَفَ الخُزاعيّ قال حدَّثنا قَعْنَبُ بن مُحرِز عن الأصمعيّ قال: كان بشَّار ضخماً، عظيمَ الخَلْق والوجه، مجدوراً، طويلاً، جاحظَ المُقْلَتَين قد تغشَّاهما لحمٌ أحمرُ، فكان أقبحَ الناس عَمًى وأفظَعَه مَنْظَراً وكان إذا أراد أن ينشد صفَّق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم يُنْشِدُ فيأتي بالعَجَب.

[وُلِدَ أعمى وهجي بذلك وشعره في العمى]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المدينيّ عن محمد بن سلاَّم قال: وُلِدَ بشَّارٌ أعمى، وهو الأكمهُ[٢]. وقال في تَصْداق ذلك أبو هشام الباهلي يهجوه:

وعبدي فَقَا[٣] عينيك في الرَّحْمِ أَيرُه ... فَجِئْتَ ولم تعلم لعينيك فاقِيا

أَأُمُّكَ يا بشَّارُ كانت عفيفةً؟ ... عليَّ إذا مَشيي إلى البيت حافيا

[الطويل]

قال: ولم يزل بشَّار منذ قال فيه هذين البيتين مُنْكَسِراً: أخبرنا هاشم بن محمد قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: وُلِدَ بشَّار أعمى فما نَظَرَ إلى الدنيا قطُّ، وكان يُشَبِّهُ الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البُصَراءُ أن يأتوا بمثلِهِ؛ فقيل له يوماً وقد أنشد قوله:

كَأَنَّ مُثارَ النَّقعِ فَوقَ رُؤُسِنا ... وَأَسيافَنا لَيلٌ تَهاوى كَواكِبُه

[الطويل]

ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قطّ ولا شيئاً

---

(١) اللبنة: بنيقة القميص، وهي زيقه الذي يفتح في النحر.

(٢) الكَمَهُ: العَمَى الذي يُولَدُ عليه ابنُ آدمَ.

(٣) فقأ العين والبثرة ونحوهما: يفقؤهما فقأ، وفقأها فانفقأت، وتفقأت: كسرها. وقيل: قلعها.

فيها؟ فقال: إنَّ عدم النظر يُقوِّي ذكاءَ القلب ويقطعُ عنه الشغلَ بما يُنْظَرُ إليه من الأشياء فيتوفَّرُ حِسه وتذكو قريحته؛ ثم أنشدهم قوله:

عميتُ جنيناً والذكاءُ من العمى فَجِئْتُ عجيبَ الظنِّ للعلم مَوْئلا
وغاضَ ضياءُ العين للعلم رافداً لقلب إذا ما ضيَّعَ الناسُ حَصَّلا
وشعرٍ كنَوْرِ الروض لاءَمْت بينهُ بقول إذا ما أحزن الشعرُ أسهلا

[الطويل]

أخبرنا هاشم قال حدَّثنا العَنزيّ عن قَعْنَب بن مُحرز عن أبي عبد اللَّه الشرادنيّ قال: كان بشَّارٌ أعمى طويلاً ضخماً آدمَ مجدوراً.

وأخبرني يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المدينيّ قال: قال الحمرانيّ قالت لي عمَّتي: زُرْتُ قرابةً لي في بني عُقيل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم يُنْشِدُ:

مِنَ المَفتونِ بَشّارِ بنِ بُردِ إلى شَيبانَ كَهلِهِمُ وَمُردِ
بِأَنَّ فَتاتَكُم سَلَبَت فُؤادي فَنِصفٌ عِندَها وَالنِّصفُ عِندي

[الوافر]

فسألْتُ عنه فقيل لي: هذا بشَّار.

[كان يقول أزري بشعري الأذان]

أخبرني محمد بن يحيى الصَّيْرفيُّ قال حدَّثنا العنزيّ قال حدَّثنا أبو زيد قال سَمِعْتُ أبا محمد التَّوَّزيّ يقول: قال بشَّار: أزري بشعري الأذان. يقول: إنه إسلاميّ.

[قال الشعر وهو ابن عشر سنين]

وأخبرني حبيب بن نَصْر المُهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال: قال أبو عُبيدة: قال بشَّار الشعر ولم يَبْلَغْ عَشْرَ سنين، ثم بلغ الحُلُم وهو مَخْشيُّ مَعَرّة لسانه.

[هجا جريراً فأعرض عنه استصغاراً له]

قال: وكان بشَّار يقول: هَجَوْتُ جريراً فأعرض عني واستصغرني، ولو أجابني لَكُنْتُ أشعر الناس.

[كان الأصمعي يقول هو خاتمة الشعراء]

وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ قالا حدَّثنا

عمر بن شبَّة قال: كان الأصمعيّ يقول: بشَّارٌ خاتمة الشعراء، واللَّه لولا أنَّ أيامه تأخَّرت لفضَّلتُهُ على كثير منهم.

قال أبو زيد: كان راجزاً مُقَصِّداً[١]

[جودة نقده للشعر]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدَّثنا محمد بن صالح بن النطَّاح قال حدَّثني أبو عُبَيدة: قال سَمِعْتُ بشاراً يقول وقد أُنشدَ في شعر الأعشى:

وَأَنكَرَتني وَما كانَ الَّذي نَكِرَت مِنَ الحَوادِثِ إِلاّ الشَّيْبَ وَالصَّلَعا

[البسيط]

فأنكره، وقال: هذا بيتٌ مصنوعٌ ما يُشبه كلام الأعشى؛ فَعَجِبْتُ لذلك. فلمَّا كان بعد هذا بعشر سنين كُنْتُ جالساً عند يونس، فقال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى:

وَأَنكَرَتني وَما كانَ الَّذي نَكِرَت مِنَ الحَوادِثِ إِلاّ الشَّيبَ وَالصَّلَعا

[البسيط]

فجعلت حينئذٍ أزدادُ عَجَباً من فِطنة بشَّار وصحة قريحته وجَوْدة نقده للشعر.

[إكثاره]

أخبرني عمي قال حدَّثني الكِرانيّ قال حدَّثني أبو حاتم عن أبي عُبيدة. قال: قال بشَّار: لي اثنا عَشَر ألفَ بيتٍ عَيْنٍ؛ فقيل له: هذا ما لم يكن يَدَّعيه أحدٌ قطُّ سواك؛ فقال: لي اثنتا عشرة ألف قصيدةٍ، لَعَنَها اللَّه ولَعَنَ قائلها إن لم يكن في كل واحدةٍ منها بيتٌ عينٌ.

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا عليّ بن مهديّ عن أبي حاتم قال:

[رأي أبي عبيدة فيه وفي ابن أبي حفصة]

قُلْتُ لأبي عُبيدة: أمَرْوانُ عندك أشعر أم بشَّار؟ فقال: حَكَمَ بشَّار لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثةَ عشر ألف بيتٍ جيِّدٍ، ولا يكون عددُ الجيِّد من شعر شعراء الجاهلية والإسلام هذا العدد، وما أحسبهم بَرَّزوا في مثلها، ومَرْوانُ أمدحُ للملوك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا الأصمعيّ قال: قال بشَّار الشعر وله عشرُ سنين، فما بلغ الحُلُمَ إلا وهو مَخْشيُّ مَعَرَّةِ اللسان بالبصرة. قال: وكان

(١) شعرٌ مقصد: الشعر إذا طال وواصل عمله.

يقول: هَجوتُ جريراً فاستصغرني وأعرض عنّي، ولو أجابني لكُنْتُ أشعرَ أهل زماني.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدَّثنا أبو العَواذِلِ زكريا بن هارون قال: قال بشَّار: لي اثنا عشرَ ألفَ بيت جيِّدةٌ؛ فقيل له: كيف؟ قال: لي اثنتا عشرةَ ألفَ قصيدةٍ، أما في كلِّ قصيدة منها بيتٌ جَيِّد!

[كلام الجاحظ عنه]

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره: كان بشَّار شاعراً خطيباً صاحبَ منثورٍ ومُزدَوِجٍ[١] وسجعٍ ورسائلَ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المُفْتَنِّينَ في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضُروبه؛ قال الشعرَ في حياة جرير وتَعرَّض له، وحُكيَ عنه أنه قال: هجوتُ جريراً فأعرض عني، ولو هاجاني لكُنْتُ أشعر الناس.

[كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة]

قال الجاحظ: كان بشَّارٌ يدين بالرَّجعةِ[٢]، ويكفر جميع الأمة[٣]، ويصوّب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وذكر ذلك في شعره فقال:

ألأَرضُ مُظلِمَةٌ وَالنارُ مُشرِقَةٌ وَالنارُ مَعبودَةٌ مُذ كانَتِ النارُ

[البسيط]

[هجا واصل بن عطاء]

قال: وبلغَهُ عن أبي حُذَيفة واصلِ بن عطاء إنكارٌ لقوله وهَتْفٌ به، فقال يهجوه:

ماذا مُنيتُ بَغَزّالٍ لَهُ عُنُقٌ[٤] كَنِقْنِقِ[٥] الدَّوِّ[٦] إن وَلّى وَإِن مَثَلا

---

(١) ورد القول في البيان والتبيين على الشكل التالي: «كان شاعراً راجزاً، وسجَّاعاً خطيباً، وصاحب منثورٍ ومزدَوِج، وله رسائلُ معروفة».

(٢) الرجعة: الإيمان بالرجوع بعد الموت إلى الدنيا.

(٣) ورد القول في البيان والتبيين على الشكل التالي «كان بشَّارٌ كثيرَ المديح لواصِل بن عطاء قبل أن يدين بَشَّارٌ بالرَّجْعة، ويكفِّرَ جميع الأمَّة».

(٤) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:

ماذا مُنيتُ بَغَزّالٍ لَهُ عُنُقٌ

(٥) أرّقني نقيق الضفادع و«أروى من النقّاقة»: من الضّفدع، وقد نقّت ونقنقت. ونقنق الظليم، وهو النقنق. وكأن أعناقهم أعناق النّقانق.

(٦) الدَوُّ: موضع بالبادية أَملَسُ كأنّه الراحة.

عُـنـقَ الـزَّرافَـةِ مـا بـالِـي وَبـالُـكُـمُ تُـكَـفِّـرونَ رِجـالاً كَـفَّـروا رَجُـلا[١]

[البسيط]

قال: فلما تتابع على واصلٍ منه ما يَشْهد على إلحاده خَطبَ به واصلٌ، وكان ألثغَ[٢] على الراء فكان يجتنبها في كلامه، فقال: أما لهذا الأعمى المُلْحِد، أَما لهذا المُشنَّف[٣] المَكنيّ بأبي مُعاذ من يقتله؟ أما واللَّه لولا أن الغيلة سجيَّةٌ من سجايا الغالية لَدَسَسْتُ إليه من يَبْعَج بطنه في جوف منزله أو في حَفْله[٤]، ثم كان لا يتولّى ذلك إلا عُقَيْليٌّ أو سَدوسيٌّ! فقال أبا مُعاذ[٥] ولم يقل بشَّاراً، وقال المُشَنَّف ولم يقل المُرَّعث، وقال: من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة، وقال: في منزله ولم يقل في داره، وقال: يبعجُ بطنَهُ ولم يَقُلْ يَبْقُر، للَّثغة التي كانت به في الراء.

قال: وكان واصلٌ قد بَلْغَ من اقتداره على الكلام وتمكُّنه من العبارة أن حَذَفَ الراء من جميع كلامه وخُطَبه وجعل مكانها ما يقوم مَقامها.

[هو أحد أصحاب الكلام الستة]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثني أبي عن عافية بن شَبيب قال حدَّثني أبو سُهَيْل قال حدَّثني سَعيد بن سَلاَّم قال: كان بالبصرة ستةٌ من أصحاب الكلام: عمرو بن عُبيد، وواصل بن عطاء، وبَشَّار الأعمى، وصالح بن عبد القُدُّوس، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، ورجل من الأزد ـ قال أبو أحمد: يعني جرير بن حازم ـ فكانوا يجتمعون في منزل الأزديّ ويختصمون عنده. فأما عَمْرو وواصلٌ فصارا إلى الاعتزال. وأمَّا عبد الكريم وصالح فصحَّحا التوبة. وأمَّا بشَّار فبقي متحيِّراً مُخَلِّطاً. وأمَّا الأزديّ فمال إلى قول السُّمَنيَّة[٦]، وهو مذهبٌ من مذاهب الهند، وبقي ظاهره على ما كان

---

(١) ورد البيت في البيان والتبيين على الشكل التالي:

عُـنُـقَ الـزَّرافـةِ مـا بـالـي وبـالُـكُـمُ أتُـكْـفِـرون رجـالاً أكـفَـروا رجُـلا

(٢) رجل ألثغ، وامرأة لثغاء، وفيه لثغة ولثغ، وقد لثغ وتلاثغ، وما أدري ألغةٌ هي أم لثغة وهي قلب الراء غيناً أو ياءً والسين ثاءً.

(٣) الشَّنَفُ: شِدّةُ البُغْض. شَنِفَهُ: أبغضه، وشَنِفَ على فلان، أي: وَجَدَ وغَضِبَ.

(٤) الحفل: الجمع من الناس.

(٥) في جميع الأصول: «فقال: أبو معاذ ولم يقل: بشَّار» ولا وجه لرفع أبي معاذ وبشار هنا، لأن القول بنصب المفرد إذا لم يكن في إسناد.

(٦) هم أصحاب ديانة صينية قديمة، كانت تتعبد لصائن بن ياقث، حيث وضعوا جسده في تمثال ذهب، وأقاموا يطوفون به على سرير من ذهب، فصار ذلك رسماً لكل من ملك منهم، فالملك منهم إذا مات أدخلوه في تمثال ذهب، وأجلسوه على سرير ذهب مرصع بالجوهر، وبنوا له هيكلاً =

عليه. قال: فكان عبد الكريم يُفْسِدُ الأحداث؛ فقال له عمرو بن عُبيد: قد بلغني أَنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتُفْسِده وتستزلُّه[1] وتُدْخِلُهُ في دينك، فإن خَرَجْتَ من مصرنا وإلا قمْتُ فيك مَقاماً آتي فيه على نفسك؛ فَلَحِقَ بالكوفة، فدُلَّ عليه محمدُ بن سُليمان فَقَتَله وصلَبه بها. وله يقول بشَّار:

قُلْ لِعَبدِ الكَريمِ يا بنَ أَبي العَو جاءِ بِعتَ الإِسلامَ بِالكُفرِ موقا[2]
لا تُصَلّي وَلا تَصومُ فإِنْ صُمتَ فَبَعضَ النَّهارِ صَوماً رَقيقا
لا تُبالي إِذا أَصَبتَ مِنَ الخَمرِ عَتيقاً أَلّا تَكونَ عَتيقا
لَيتَ شِعري غَداةَ حُلّيتَ في الجيدِ حَنيفاً حُلّيتَ أَم زِنديقا
أَنتَ مِمَّن يَدورُ في لَعنَةِ اللَّهِ صَديقٌ لِمَن يَنيكُ صَديقا

[الخفيف]

[رأي الأصمعي فيه وفي ابن أبي حفصة]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثني الرّياشيّ قال: سُئِلَ الأصمعيّ عن بَشَّار ومَرْوان أيّهما أشعر؟ فقال: بشَّار؛ فسُئِلَ عن السبب في ذلك، فقال: لأن مروان سلك طريقاً كَثُرَ من يَسْلكه فلم يلحق من تقدّمه، وشَرِكه فيه من كان في عصره، وبشّار سلك طريقاً لم يُسلك وأحسنَ فيه وتفرَّد به، وهو أكثر تصرّفاً وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسعُ بديعاً، ومروان لم يتجاوز مَذاهبَ الأوائل.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثني العنزيّ عن أبي حاتم قال سَمِعْتُ الأصمعيّ وقد عاد إلى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حَفْصَة، فقال: وجد أهل بغداد قد ختموا به الشعراء وبشَّار أحقُّ بأن يختموهم به من مروان؛ فقيل له: ولِمَ؟ فقال: وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشَّار يقول شعراً حتى يُصلحَه له بشَّار ويُقوِّمه! وهذا سَلْمٌ الخاسِر من طبقة مروان يزاحمُهُ بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز، وسَلْمٌ مُعترف بأنه تَبعٌ لبشَّار.

= يكون فيه، فيسجدون له، واتخذ لهم بعض ملوكهم سياسة شرعية وفرائض عقلية، وجعلها رباطاً، ورتب لهم قصاصاً وحدوداً ومستحلات للمناكح، وصلوات تقرب إلى معبودهم، إنما لا سجود فيها، وأمرهم بقرابين للهياكل ودخن وأبخرة للكواكب، فهم باقون على ذلك، وملة الصين تدعى السمنية. وتقول مصادر أخرى: إنهم قوم من أهل الهند دهريون، وهي تنسب إلى «سومنات» في الهند، وهم قوم ملحدون لا يؤمنون بالآخرة

(١) تستزله: توقعه في الزلل.

(٢) الموقُ: حُمْقٌ في غباوة. يقال: أحمقُ مائِقٌ؛ والجمع مَوْقى.

[مقارنته بامرىء القيس[١] والقطامي[٢]]

أخبرني جَحْظَةُ قال سَمِعْتُ عليّ بن يحيى المُنجِّم يقول: سَمِعْتُ من لا أُحصي من الرُّواة يقولون: أحسن الناس ابتداءً في الجاهلية امروء القيس حيث يقول:

أَلا انْعَم صَباحاً أَيُّها الطَّلَلُ البالي

[الطويل]

وحيث يقول:

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

[الطويل]

وفي الإسلام القَطاميّ حيث يقول:

إنَّا مُحيُّوك فاسلم أيها الطللُ

[البسيط]

ومن المُحدَثين بشَّار حيث يقول:

صوت

أَبى طَلَلٌ بِالجِزعِ أَن يَتَكَلَّما وَماذا عَلَيهِ لَو أَجابَ مُتَيَّما

(١) وُلِدَ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي سنة ١٣٠ق.هـ. وهو شاعر جاهلي، يماني الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر. قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. أقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد. كانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار (آباء امرئ القيس) فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرىء القيس، فطلبه فابتعد وتفرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره ومكث عنده مدة. ثم قصد الحارث بن أبي شمر الغساني والي بادية الشام لكي يستعين بالروم على الفرس فسيره الحارث إلى قيصر الروم يوستينيانس في القسطنطينية فوعده وماطله ثم ولاه إمارة فلسطين، فرحل إليها، ولما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، فأقام فيها إلى أن مات سنة ٨٠ق.هـ.

(٢) عُمير بن شُييم بن عمرو بن عبّاد، من بني جُشَم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامي. شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم. وجعله ابن سلاّم في الطبقة الثانية من الإسلاميين، وقال: الأخطل أبعد منه ذكراً وأمتن شعراً. وأورد العباسي (في معاهد التنصيص) طائفة حسنة من أخباره يفهم منها أنه كان صغيراً في أيام شهرة الأخطل، وأن الأخطل حسده على أبيات من شعره. ونقل أن القطامي أول من لُقب (صريع الغواني) توفي سنة ١٣٠هـ.

وَبِالفِرعِ[١] آثارٌ بَقينَ وَبالِّوى[٢] مَلاعِبُ لا يُعرَفنَ إِلّا تَوَهُّما

[المتقارب]

وفي هذين البيتين لابن المَكّي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه. وفيهما لابن جؤذَرٍ رَمَلٌ.

[مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة]

أخبرني عمي عن الكِرانيّ عن أبي حاتم قال: كان الأصمعيّ يُعْجَبُ بشعر بشَّار لكثرة فنونه وسعة تصرّفه، ويقول: كان مطبوعاً لا يُكلِّف طَبْعه شيئاً متعذّراً لا كمن يقول البيت ويحكِّكه أياماً. وكان يُشبِّهُ بشَّاراً بالأعشى والنابغة الذُّبْيانيّ، ويشبِّهُ مروان بزُهير والحُطيئة، ويقول: هو متكلِّف.

قال الكِرانيّ: قال أبو حاتم: وقلت لأبي زيد: أيُّما أشعر بشَّارٌ أم مروان؟ فقال: بشَّار أشعر، ومروان أكفر.

قال أبو حاتم: وسألْتُ أبا زيد مرّة أخرى عنهما فقال: مروان أَجَدُّ وبشَّارٌ أهْزل؛ فحدَّثْتُ الأصمعيّ بذلك؛ فقال: بشَّارٌ يصلحُ للجدِّ والهزل، ومروان لا يصلُحُ إلا لأحدهما.

[كان شعره سياراً يتناشده الناس]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدَّثنا نجمُ بن النطَّاح قال: عهدي بالبصرة وليس فيها غَزِلٌ ولا غَزِلةٌ إلا يروي من شعر بشَّار، ولا نائحةٌ ولا مُغنِّية إلا تتكسَّب به، ولا ذو شرفٍ إلا وهو يَهابه ويخاف مَعرّة لسانه.

[لم يأت في شعره بلفظ مستنكر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدَّثني أحمد بن المُبارك قال حدَّثني أبي قال: قُلْتُ لبشَّار: ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرَتْهُ العرب من ألفاظهم وشُكّ فيه، وإنه ليس في شعرك ما يُشكُّ؛ قال: ومن أين يأتيني الخطأ! وُلِدْتُ هاهنا ونشأْتُ في حُجور ثمانين شَيْخاً من

(١) القَرع بالفتح ثم السكون: موضع من وراء الفرك. والفُرْع: قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة.

(٢) الأصمعي: اللِّوى مُنْقَطَعُ الرَّملة؛ يقال: قد أَلْوَيْتُم فانزِلوا، وذلك إذا بلغوا لوَى الرمل. الجوهري: لِوى الرملِ، مقصور، مُنْقَطَعُه، وهو الجَدَدُ بعدَ الرملة، وهو اسم موضع بعينه.

فُصحاء بني عُقيل ما فيهم أحدٌ يعرف كلمة من الخطإ، وإن دخلْتُ إلى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم، وأيفعْتُ[١] فأبديْتُ[٢] إلى أن أدْرَكْتُ، فمن أين يأتيني الخطأ!

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن عليّ قالوا حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: كان الأصمعيّ يقول: إنَّ بشاراً خاتمةُ الشعراء، واللَّه لولا أنَّ أيامَهُ تأخَّرَتْ لفضَّلته على كثير منهم.

[هو أول الشعراء]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثني أبو الفضل المرْوَزِيّ قال حدَّثني قَعنب بن المُحرز الباهليّ قال: قال الأصمعي: لَقِيَ أبو عمرو بن العَلاء بعض الرُّواة فقال له: يا أبا عمرو، مَنْ أبدعُ الناس بيتاً؟ قال: الذي يقول:

لَـم يَـطُـلْ لَـيـلـي وَلَـكِـن لَـم أَنَـمْ ... وَنَـفـى عَـنّـي الـكَـرى طَـيـفٌ أَلَـمّ
رَوِّحـي عَـنّـي قـلـيـلاً وَاعـلَـمـي ... أَنَّـنـي يـا عَـبْـدَ مِـن لَـحـم وَدَم

[رَمَل]

قال: فَمَنْ أمدحُ الناس؟ قال: الذي يقول:

لَـمَـسْـتُ بِـكَـفِّـي كَـفَّـهُ أَبـتَـغـي الـغِـنـى ... وَلَـم أَدرِ أَنّ الـجـودَ مِـن كَـفِّـهِ يُـعْـدي
فَـلا أَنـا مِـنـهُ مـا أَفـادَ ذَوو الـغِـنـى ... أَفَـدْتُ وَأَعـداني فَـأَتـلـفْـتُ مـا عِـنـدي

[الطويل]

قال: فمن أهجى الناس؟ قال: الذي يقول:

رَأَيتُ السُّهَيلَينِ ٱستوى الجودُ فيهما ... عَـلـى بُـعـدِ ذا مِـن ذاكَ فـي حُـكـمِ حـاكِـمِ
سُـهـيـلُ بـنُ عُـثـمـانٍ يَـجـودُ بِـمـالِـهِ ... كَـمـا جـادَ بِـالـوَجـعـا[٣] سُـهـيـلُ بـنُ سـالِـمِ

[الطويل]

قال: وهذه الأبيات كلُّها لبَشَّار.

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يُغنَّى فيها

صـوت

لَـم يَـطُـلْ لَـيـلـي وَلَـكِـن لَـم أَنَـمْ ... وَنَـفـى عَـنّـي الـكَـرى طَـيـفٌ أَلَـمّ

(١) غُلامٌ يَفَعة وقد أيْفَعَ ويَفَعَ أي شَبَّ ولم يبلُغ. والجارية يَفَعَة والأيفاع جمعُه.
(٢) أبديت: أخرجت إلى البادية.
(٣) يِيجَعُ وكذلك تقول: أنا إيجَعُ، وأنت تِيجَعُ. والوجعاء: اسم الدّبر.

وَإذا قُـلـتُ لَـهـا جُـودي لَـنـا خَـرَجَـت بِـالـصَّـمـتِ عَـن لا وَنَـعَـمْ
نَـفِّـسـي يـا عَـبْـدَ عَـنِّـي وَٱعـلَـمـي أَنَّـنـي يـا عَـبـدَ مِـن لَـحـمٍ وَدَمْ
إِنَّ فـي بُـردَيَّ جِـسـمـاً نـاحِـلاً لَـو تَـوَكَّـأتِ عَـلَـيـهِ لانْـهَـدَمْ
خَـتَـمَ الـحُـبُّ لَـهـا فـي عُـنُـقـي مَـوضِـعَ الـخـاتَـمِ مِـن أَهـلِ الـذِّمَـمْ

[الرمل]

غناه إبراهيم هَزَجاً بالسَّبَّابة في مجرى الوُسْطى عن ابن المكيّ والهشاميّ. وفيه لقَعْنَب الأسْود خفيفُ ثقيلٍ. فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنَّه فيها أمدحُ الناس وأوّلها:

لَـمَـسـتُ بِـكَـفّـي كَـفَّـهُ أَبـتَـغـي الـغِـنـى[1]

فإنَّه ذكر لبَشَّار. وذكر الزُّبيرُ بن بَكَّار أنها لابن الخَيَّاط في المَهْديّ، وذكر له فيها معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخيَّاط في هذا الكتاب.

[هجا صديقه ديسماً لأنه يروي هجاءه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا عليّ بن مَهْديّ الكِسْرَويّ قال حدَّثنا أبو حاتم قال: كان بشارٌ كثير الولوع بِدَيْسَم العَنزيّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يُكْثِرُ هجاءَه، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمَّادِ وأبي هشام الباهليّ في بشَّارٍ؛ فبلغه ذلك فقال فيه:

أَدَيـسَـمُ يـابـنَ الـذِّئـبِ مِـن نَـجـلِ زارِعٍ أَتَـروي هِـجـائـي سـادِراً[2] غَـيـرَ مُـقـصِـرِ

[الطويل]

قال أبو حاتم: فأنشدْتُ أبا زيد هذا البيتَ وسألتُهُ ما يقولُ فيه، فقال: لِمَن هذا الشعرُ؟ فَقُلْتُ: لبشار يقوله في دَيسَم العنزيّ؛ فقال: قاتله اللَّه ما أعلَمَه بكلام العرب! ثم قال: الدَّيسمُ: ولد الذئب من الكلبةِ، ويُقالُ للكلاب: أولاد زارع. والعِسبارُ: ولدُ الضَّبُع من الذئب. والسِّمْعُ: ولدُ الذئب من الضَّبع. وتزعمُ العرَبُ أن السِّمعَ لا يموتُ حتفَ أنفِهِ، وأنه أسرَعُ من الريح وإنما هلاكه بعَرَض من أعراض الدنيا.

---

(١) البيت كالآتي:

لَـمَـسـتُ بِـكَـفّـي كَـفَّـهُ أَبـتَـغـي الـغِـنـى وَلَـم أَدرِ أَنَّ الـجـودَ مِـن كَـفِّـهِ يُـعـدي

(٢) رجل سادر: غير متشتت والسادِرُ: المتحير.

[مزاحه مع حمدان الخراط]

أخبرنا حبيبُ بنُ نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمرَ بنُ شَبَّة قال: كان بالبصرة رجلٌ يقال له: حَمدانُ الخرّاطُ، فاتخذ جاماً[1] لإنسان كان بشَّارٌ عنده، فسأله بشارٌ أن يتخذَ له جاماً فيه صُوَرُ طيرٍ تطيرُ، فاتخذه له وجاءه به، فقال له: ما في هذا الجام؟ فقال: صُوَرُ طيرٍ تَطيرُ؛ فقال له: قد كان ينبغي أن تتخذَ فوق هذه الطيرِ طائراً من الجوارح كأن يُريدُ صيدَها، فإنه كان أحسنَ؛ قال: لم أعلم؛ قال: بَلَى قد عَلِمْتُ، ولكن عَلِمْتَ أني أعمى لا أُبْصِرُ شيئاً! وتهدّده بالهجاء، فقال له حَمدانُ: لا تفعل فإنك تندَمُ؛ قال: أو تُهَدِّدُني أيضاً! قال: نعم؛ قال: فأيّ شيءٍ تستطيعُ أن تصنعَ بي إن هجوتُكَ! قال: أُصَوِّرُكَ على باب داري بصورتِكَ هذه وأجعَلُ مِنْ خلفِكَ قرداً يَنْكِحُكَ حتى يراك الصادِرُ والواردُ؛ قال بشارٌ: اللَّهمّ أَخْزِهِ، أنا أُمازحُهُ وهو يأبى إلا الجِدَّ.

[مفاخرة جرير بن المنذر السدوسي له]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى والحسنُ بن عليّ ومحمدُ بنُ عِمرانَ الصَّيْرَفيّ قالوا: حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثني جعفر بن محمد العدويّ عن محمد بن سَلَّام قال حدَّثني مَخْلَدٌ أبو سفيانَ قال: كان جريرُ بنُ المُنذِر السَّدُوسيّ يُفاخرُ بشَّاراً؛ فقال فيه بشَّارٌ:

أَمِثْلُ بَني مُضَرٍ وائِلٌ ... فَقَدتُكَ مِن فاخِرٍ ما أَجَنْ
أَفي النَّومِ هَذا أَبا مُنذِرٍ ... فَخَيراً رَأَيتَ وَخَيراً يَكُنْ
رَأَيتُكَ وَالفَخرَ في مِثلِها ... كَعاجِنَةٍ غَيرَ ما تَطَّحِنْ

[المتقارب]

وقال يحيى في خبره: فحدَّثني محمد بن القاسم قال حدَّثني عاصم بنُ وهب أبو شِبْلٍ الشاعر البُرْجُمِيّ قال حدَّثني محمدُ بن الحَجَّاج السراداني قال: كنَّا عند بَشَّار وعنده رجل ينازعه في اليمانيَةِ والمُضَرِيَّةِ إذ أذَّن المؤذِّنُ، فقال له بشَّار: رُوَيداً، تَفَهَّمْ هذا الكلام؛ فلما قال: أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللَّهِ، قال له بشَّار: أهذا الذي نُودي باسمه مع اسم اللَّه عزَّ وجلَّ من مُضرَ هو أم من صُداءٍ رعكٍّ وحِمْيَر؟ فسكَتَ الرجلُ.

[نقده للشعر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال أُنْشِدَ بشَّارٌ قولَ الشاعر:

---

(١) أبو العباس: عن ابن الأعرابي: الَجامُ الفاثور من اللُّجْين.

وقد جَعَلَ الأعداءُ ينتقِصونَنا وتَطْمَعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ
أَلا إِنَّما لَيلى عَصا خَيزُرانَةٍ إِذا غَمَزوها بِالأَكُفِّ تَلينُ
[الطويل]

فقال: واللَّه لو زَعَمَ أنها عَصا مُخّ أو عصا زُبْدٍ، لقد كان جعلها جافيةً خَشِنَةً بعد أن جعلها عصاً! ألا قال كما قُلْتُ:

وَدَعجاءِ المَحاجِرِ مِن مَعَدٍّ كَأَنَّ حَديثَها ثَمرُ الجِنانِ
إِذا قامَت لِمَشيَتِها تَثَنَّت كَأَنَّ عِظامَها مِن خَيزُرانِ
[الوافر]

[اعتداده بنفسه]

أخبرني حَبيبُ بن نَصْر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بنُ شَبَّة قال أخبرني محمد بن صالح بن الحجَّاج قال: قُلْتُ لبشَّار: إنِّي أنشدْتُ فلاناً قولك:

إِذا أَنتَ لَم تَشرَبْ مِراراً عَلى القَذى[1] ظَمِئتَ وَأَيُّ الناسِ تَصفو مَشارِبُه
[الطويل]

فقال لي: ما كُنْتُ أظنه إلا لرجل كبير؛ فقال لي بشَّار: ويلك! أفلا قُلْتَ له: هو واللَّه لأكبرِ الجنِّ والإنس!.

[وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها بشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدَّثني أبو الشِّبْل عن محمد بن الحجَّاج قال: كان بشَّار يَهوى امرأةً من أهل البصرة فراسلَها يسألُها زيارتَهُ، فوعدْته بذلك ثم أخلفَتْه، وجعل ينتظرُها ليلتَه حتى أصبح، فلما لم تأته أرسل إليها يُعاتِبُها، فاعتذرت بمرض أصابها؛ فكتب إليها بهذه الأبيات:

يا لَيلَتي زِدْادُ نُكرا مِن حُبِّ مَنْ أَحبَبتُ بِكرا
حَوراءُ إِن نَظَرَت إِلَيكَ سَقَتكَ بِالعَينَينِ خَمرا
وَكَأَنَّ رَجْعَ حَديثِها قِطَعُ الرِّياضِ كُسينَ زَهرا

(١) القَذَى: ما يقع في العين، وقَذِيَت عينه تَقْذَى قَذًى فهي قَذِيَةٌ مخفف، ويقال: قَذِيَّةٌ بتشديد الياء. وما جاء من الناقص على فعلة فالتخفيف فيه أحسن نحو: رجل هو وامرأة هوية أي صاحب هوى. والتَّقْذِيةُ: إخراج القَذَى من العَيْن، والإقذاءُ: القاؤه فيها. وإذا رَمَتِ العينُ بالقَذَى قيل: قذت تَقذي قَذْياً بالياء.

وَكَـأَنَّ تَـحـتَ لِـسـانِـهـا هـاروتَ[١] يَـنـفُـثُ فـيـهِ سِـحـرا
وَتَـخـالُ مـا جَـمَـعَـتْ عَـلَـيـهِ ثِـيـابَـهـا ذَهَـبـاً وَعِـطـرا
وَكَـأَنَّـهـا بَـردُ الـشَّـرا بِ صَـفـا وَوافَـقَ مِـنـكَ فِـطـرا
جِـنِّـيَّـةٌ إِنـسِـيَّـةٌ أَو بَـيـنَ ذاكَ أَجَـلُّ أَمـرا
وَكَـفـاكَ أَنّـي لَـم أَحِـطْ بِـشَـكـاةِ مَـنْ أَحـبَـبْـتُ خُـبـرا
إِلاّ مَـقـالَـةَ زائِـرٍ نَـثَـرَتْ لِـيَ الأَحـزانَ نَـثـرا
مُـتَـخَـشِّـعـاً تَـحـتَ الـهَـوى عَـشـراً وَتَـحـتَ الـمَـوتِ عَـشـرا

[مجزوء الكامل]

[كان إسحاق الموصلي لا يعتد به ويفضل عليه مروان]

حدثني جَحْظةُ قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال: كان إسحاقُ الموصليّ لا يَعتَدُّ ببشَّارٍ ويقول: هو كثيرُ التخليط في شعره، وأشعارُهُ مُختلفةٌ، لا يُشبِهُ بعضُها بعضاً؛ أليس هو القائل:

إنّـمـا عَـظْـمُ سُـلَـيْـمَـى حِـبَّـتـي[٢] قـصـبُ الـسُّـكَّـرِ لا عَـظْـمُ الـجَـمَـلْ
وإذا أدْنَـيـتَ مـنـهـا بَـصَـلاً غَـلَـبَ الـمِـسـكُ عـلـى ريـح الـبَـصَـلْ

[الرمل]

لو قال كلَّ شيءٍ جيِّدٍ ثم أُضيفَ إلى هذا لزَيَّفَهُ. قال: وكان يُقَدِّمُ عليه مَروانَ ويقول: هذا هو أشدُّ استواءَ شِعْرٍ منه، وكلامُهُ ومذهبُهُ أشبهُ بكلام العرب ومذاهبها، وكان لا يَعُدُّ أبا نواس البتَّةَ ولا يَرى فيه خيراً.

[هجوه الخليفة]

حدَّثنا محمد بن عليّ بن يحيى قال حدَّثنا محمدُ بن زكريَّا قال حدَّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْميّ قال: دَخَلَ بشَّار إلى إبراهيمَ بن عبد اللَّه بن حسن، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصورَ ويُشيرُ عليه برأيٍ يستعمله في أمره، فلما قُتِلَ إبراهيمُ خاف بشَّارٌ، فقلبَ الكنيةَ، وأظهرَ أنه كان قالها في أبي مُسلم وحذَفَ منها أبياتاً وأولها:

---

(١) هَارُوتُ: وهو اسم مَلَكٍ أَو مَلِكٍ، والأَعْرَف الأَوّل، قال شيخُنا: والمشهورُ أَنه اسم أَعجميّ، وهو الأَصْوبُ، زاد الصّاغانيّ: ودليلُ عُجْمَتِه مَنْعُ الصَّرف، ولو كان من الهَرْتِ ـ كما زَعَمَ بعضُ الناس ـ لانْصَرَفَ.

(٢) ويروى في بعض المصادر «خلّتي» بدل «حِبَّتي» وكلاهما بمعنى الصديقة والمحبوبة.

أَبا جَعفَرٍ ما طُولُ عَيشٍ بِدائِمِ ... وَلا سالِمٌ عَمَّا قَليلٍ بِسالِمِ
[الطويل]

قلب هذا البيت فقال: «أبا مسلمٍ»:

عَلى المَلِكِ الجَبّارِ يَقتَحِمُ الرَّدى ... وَيَصرَعُهُ في المَأزِقِ المُتَلاحِمِ
كَأَنَّكَ لَم تَسمَع بِقَتلِ مُتَوَّجٍ ... عَظيمٍ وَلَم تَسمَع بِفَتكِ الأَعاجِمِ
تَقَسَّمَ كِسرى رَهطُهُ بِسُيوفِهِم ... وَأَمسى أَبو العَبّاسِ أَحلامَ نائِمِ
[الطويل]

يعني الوليدَ بن يزيدَ:

وَقَد كانَ لا يَخشى ٱنتِقالاَ مَكيدَةٍ ... عَلَيهِ وَلا جَرْيَ النُحوسِ الأَشائِمِ
مُقيماً عَلى اللَذاتِ حَتّى بَدَت لَهُ ... وُجوهُ المَنايا حاسِراتِ العَمائِمِ
وَقَد تَرِدُ الأَيّامُ غُرّاً وَرُبَّما ... وَرَدنَ كُلُوحاً بادِياتِ الشَكائِمِ
وَمَروانُ[1] قَد دارَت عَلى رَأسِهِ الرَحى ... وَكانَ لِما أَجرَمتَ نَزْرَ الجَرائِمِ
فَأَصبَحتَ تَجري سادِراً في طَريقِهِم ... وَلا تَتَّقي أَشباهَ تِلكَ النَقائِمِ
تَجَرَّدتَ لِلإِسلامِ تَعفو[2] سَبيلَهُ ... وَتُعْري مَطاهُ[3] لِلُيوثِ الضَراغِمِ
فَما زِلتَ حَتّى ٱستَنصَرَ الدينُ أَهلَهُ ... عَلَيكَ فَعادوا بِالسُيوفِ الصَوارِمِ
فَرُم وَزَراً يُنجيكَ يابنَ سلامةٍ[4] ... فَلَستَ بِناجٍ مِن مُضيمٍ وَضائِمِ
[الطويل]

جعل موضع «يا بن سلامة» «يا بن وشيكة» وهي أُمّ أبي مسلمٍ.

لَحا اللَّهُ قَوماً رَأَّسوكَ عَلَيهِمُ ... وَما زِلتَ مَرؤوساً خَبيثَ المَطاعِمِ
أَقولُ لِبَسّامٍ عَلَيهِ جَلالَةٌ ... غَدا أَريَحِيّاً عاشِقاً لِلمَكارِمِ
مِنَ الفاطِمِيّينَ الدُعاةِ إِلى الهُدى ... جِهاراً وَمَن يَهديكَ مَثلُ ٱبنِ فاطِمِ[5]
[الطويل]

(١) المقصود به مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية، الذي قتله أبو العباس السفاح بمصر.
(٢) عفت الدار ونحوها عفاء وعفوا وعفت وتعفت: درست.
(٣) المَطَا: الظَّهْرُ. وامْتَطَى البَعِيْرَ: رَكِبَ مَطَاه.
(٤) ورد في بعض المصادر «وشيكة» بدل «وسيلة».
(٥) ورد في بعض المصادر هاشميين وهاشم بدل الفاطميين وفاطم.

هذا البيتُ الذي خافه وحذفه بشارٌ من الأبيات.

سِراجٌ لِعَينِ المُستَضيءِ وَتارَةً يَكونُ ظَلاماً لِلعَدُوِّ المُزاحِمِ
إِذا بَلَغَ الرَّأيُ المَشورَةَ فَاستَعِن بِرأيِ نَصيحٍ أَو نَصيحَةِ حازِمِ
وَلا تَجعَلِ الشُّورى عَلَيكَ غَضاضَةً[١] مَكانُ الخَوافي قُوَّةٌ لِلقَوادِمِ
وَما خَيرُ كَفٍّ أَمسَكَ الغُلُّ[٢] أُختَها وَما خَيرُ سَيفٍ لَم يُؤَيَّد بِقائِمِ
وَخَلِّ الهُوَينا لِلضَّعيفِ وَلا تَكُن نَؤوماً فَإِنَّ الحَزمَ لَيسَ بِنائِمِ
وَحارِبْ إِذا لَم تُعطَ إِلاّ ظُلامَةً شَبا الحَربِ خَيرٌ مِن قَبولِ المَظالِمِ

[الطويل]

قال محمد بن يحيى: فحدَّثني الفضلُ بن الحُباب قال سَمِعْتُ أبا عثمان المازنيّ يقول سَمِعْتُ أبا عبيدةَ يقول: مِيميَّةُ بشارٍ هذه أحب إليَّ من مِيميَّتَيْ جريرٍ والفرزدقِ.

قال محمد: وحدَّثني ابنُ الرّياشيّ قال حدَّثني أبي قال: قال الأصمعيّ قُلْتُ لبشَّار: يا أبا مُعاذٍ، إنَّ الناس يَعجبونَ من أبياتِكَ في المَشورةِ؛ فقال لي: يا أبا سعيد، إن المُشاوِرَ بين صَوابٍ يفوزُ بثمرته أو خطإٍ يُشارَكُ في مكروهه؛ فَقُلْتُ له: أنت واللَّه في قولك هذا أَشعرُ منك في شعرك.

[بشار والمعلى بن طريف]

حدَّثني الحسنُ بن عليّ قال حدَّثنا الفَضْلُ بنُ محمد اليزيديّ عن إسحاقَ وحدَّثني به محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر عن حمَّاد عن أبيه قال: كان بشَّارٌ جالساً في دار المهديّ والناسُ يَنتظرونَ الإذنَ، فقال بعضُ موالي المهديّ لمن حضر: ما عندكم في قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾[٣] فقال له بشَّارٌ: النحلُ التي يعرفُها الناسُ؛ قال هيهاتَ يا أبا مُعاذٍ، النحلُ: بنو هاشم، وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٤] يعني العلم؛ فقال له بشَّارٌ: أراني اللَّهُ طعامَكَ وشرابَكَ وشِفاءَكَ فيما يخرج من بطون بني هاشم، فقد أوسَعْتَنا غَثَاثةً؛ فَغَضِبَ وشتم بشَّاراً؛ وبلغ المهديَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصة، فحدَّثَهُ بشَّارٌ بها؛ فَضَحِكَ حتى أمسك [على] بطنه، ثم قال للرجل: أَجَلْ! فجعل اللَّهُ طعامَكَ

(١) الغضاضة: النقص والعيب.
(٢) الغُلُّ: جامعة تُوضع في العنق أو اليد. والجمع: أغْلال، لا يكسَّرُ على غير ذلك.
(٣) سورة النحل الآية٦٨.
(٤) سورة النحل الآية٦٩.

وشرابَكَ مما يخْرجُ من بطون بني هاشم، فإنَّك باردٌ غَثٌّ. وقال محمد بن مَزْيَد في خبره: إنَّ الذي خاطب بشَّاراً بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالي المهديّ المُعَلَّى بنُ طريفٍ.

[بشار ويزيد بن منصور الحميري]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دَخَلَ يزيدُ بن منصور الحِمْيَريُّ على المهديّ وبشَّارٌ بين يديه يُنْشِدُهُ قصيدة امتدحه بها؛ فلما فَرَغَ منها أقبل عليه يزيدُ بن منصور الحِمْيَريّ، وكانت فيه غَفْلةٌ، فقال له: يا شيخُ، ما صناعتكَ؟ فقال: أثقُبُ اللؤلؤ؛ فَضَحِكَ المهديّ ثُمَّ قال لبشَّار: أُعزُبْ[1] ويلك؛ أتتنادَرُ على خالي! فقال له: وما أصنعُ به! يرى شيخاً أعمى يُنْشِدُ الخليفة شِعراً ويسأله عن صناعته!

[ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه]

أخبرني الحسين عن حمَّاد عن أبيه قال: وقف على بشَّار بعضُ المُجَّان وهو يُنشدُ شعراً؛ فقال له: اسْتُرْ شِعْرَكَ كما تستر عورتَكَ؛ فصفَقَ بشَّارٌ بيديه وغضب وقال له: من أنت ويلك؟ قال: أنا أعزَّكَ اللَّه رجل من باهِلَةَ[2]، وأخوالي من سَلول[3]، وأصهاري عُكْل[4]، واسمي كلبٌ، ومولدي بأضاخ[5]، ومنزلي بنَهْر بلال[6]، فضَحِكَ بشَّارٌ ثم قال: اذهب ويلك! فأنت عَتيقُ لؤمِك، قد علم اللَّهُ أنك استترتَ مني بحصونٍ من حديد.

[سخره]

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدَّثني الفضلُ بنُ سعيد قال حدَّثني أبي قال: مرَّ بشَّار بقاصٍّ بالبصرة فسمعه يقولُ في

(١) أعزب بمعنى أغرب، أي أبعد.
(٢) باهلة: قبيلة من قيس عيلان، وهو اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد ابن قيس عيلان فنسب ولده إليها.
(٣) سلول قبيلة من هوازن وهم بنو مرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول أمهم نسبوا إليها.
(٤) عكل: قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم.
(٥) أضاخ: قرية في اليمامة.
(٦) نهر بلال نهر بالبصرة احتفره ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وجعل على جنبيه حوانيت ونقل اليها السوق.

قصَصِه: مَنْ صامَ رجباً وشعبان ورمضان بنى اللَّهُ له قصراً في الجنَّة صحنُهُ ألفُ فرسخ في مثلها وعُلْوُه ألفُ فرسخ وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصره عشرةُ فراسخ في مثلها، قال: فالتفت بشَّارٌ إلى قائده فقال: بئستْ واللَّه الدارُ هذه في كانون الثاني.

[سمع صخباً في الجيران فقال كأن القيامة قامت]

قال الفضلُ بنُ سعيد وحدَّثني رجلٌ من أهل البصرة ممن كان يتزوّج بالنَّهارِيَّاتِ[١] قال: تزوَّجْتُ امرأةً منهن فاجتمعْتُ معها في عُلْوِ بيتٍ وبشَّار تحتنا، أو كنا في أسفل البيت وبشَّارٌ في عُلْوِهِ مع امرأةٍ، فنهق حمارٌ في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمارٌ في الدار فارتجَّتِ الناحيةُ بنهيقها، وضَرَبَ الحمارُ الذي في الدار الأرضَ برجلِهِ وجعل يَدُقُّها بها دقّاً شديداً فَسَمِعْتُ بشَّاراً يقول للمرأة: نُفِخَ ـ يعلم اللَّه ـ في الصور وقامَتْ القيامةُ أما تسمَعينَ كيف يُدَّقُ [على] أهل القبور حتى يخرجوا منها! قال: ولم يَلْبَثْ أن فَزَعَتْ شاةٌ كانت في السطح فَقَطَعَتْ حَبْلَها وعَدَتْ فأَلْقَتْ طبقاً وغَضارةً[٢] إلى الدار فانكسرا، وتطاير حمامٌ ودَجَاجٌ كُنَّ في الدار لصوت الغضارةِ وبكى صبيٌّ في الدار؛ فقال بشَّار: صحَّ واللَّه الخبرُ ونُشِرَ أهلُ القبور من قبورِهم أزِفَتِ ـ يشهدُ اللَّهُ ـ الآزفةُ وزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلزالَها؛ فَعَجِبْتُ من كلامه وغاظني ذلك؛ فسألْتُ من المتكلم؟ فقيل لي: بشَّارٌ، فَقُلْتُ: قد عَلِمْتُ أنه لا يتكلم بمثل هذا غيرُ بشَّارٍ.

[نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكر اللَّه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن محمد جدار قال حدَّثني قُدامةُ بن نوح قال: مرَّ بشَّارٌ برجل قد رَمَحَتْهُ[٣] بغلةٌ وهو يقول الحمد للَّه شكراً، فقال له بشَّار: استَزِدْه يَزِدْكَ. قال: ومرَّ به قومٌ يحملون جنازةً وهم يُسْرِعُونَ المشيَ بها، فقال: ما لهم مُسْرِعينَ! أتُراهُمْ سرَقُوه فهم يخافونَ أن يُلحَقوا فيُؤخذَ منهم!.

[مات ابن له فرثاه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافيةَ بن شَبيب، وأخبرني به وكيعٌ

---

(١) النهاريات: نسبة إلى بني النهاري، وهم قبيلة من الأشراف باليمن.

(٢) الغَضَارَةُ: الطِّينُ الّلازِبُ الأَخْضَرُ، وقيل: هو الطِّينُ الحُرّ، كذا في المحكم، كالغَضَارِ، وقال شَمِرٌ: الغَضَارَة: الطِّينُ الحُرُّ نَفْسُه، ومنه يُتَّخَذُ الخَزَفُ الذي يُسَمَّى الغَضار.

(٣) رَمَحَتْ الدّابَّةُ بِرِجْلِها تَرْمَحُ بها رَمْحاً، وكل ذي حافر يَرْمَح رمحاً إذا ضَرَب برِجْلَيْه، ورُبَّما استُعير الرُّمّحُ لذي الخُفِّ.

عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جُمهورٍ، قالا: تُوُفِّيَ ابنٌ لبشَّار فَجَزِعَ عليه؛ فقيل له: أجرٌ قدّمْتَهُ، وفَرَطٌ افترطتَهُ، وذُخْرٌ أحرزْتَهُ، فقال: ولدٌ دَفَنْتُهُ، وثُكْلٌ تعجَّلْتُهُ، وغيبٌ وُعِدتُهُ فانتظرتُهُ؛ واللَّه لئن لم أجزعْ للنقص لا أفرحُ للزيادة. وقال يرثيه:

أَجارَتَنا لا تَجزَعي وَأَنيبي ... أَتاني مِنَ المَوتِ المُطِلِّ نَصيبي
بُنَيِّي عَلى رَغْمِي وَسُخطي رُزِئْتُه ... وبُدِّلَ أَحجاراً وجالَ[1] قَليبِ[2]
وَكانَ كَرَيحانِ الغصونِ تخالُهُ ... ذَوى بَعدَ إِشراقٍ يَسُرُّ وَطيبِ[3]
أُصيبَ بُنَيِّي حينَ أَورَقَ غُصنُهُ ... وَأَلقى عَلَيَّ الهَمَّ كُلُّ قَريبِ[4]
عَجِبتُ لإِسراعِ المَنِيَّةِ نَحوَهُ ... وَما كانَ لَو مُلّيتُهُ[5] بِعَجيبِ

[الطويل]

[نوادره]

أخبرني يحيى بن عليّ قال ذَكَرَ عافيةُ بنُ شَبيب عن أبي عثمان اللَّيثيّ، وحدَّثني به الحسنُ بن عليّ عن ابن مَهْرُويَه عن أبي مُسلم، قالا: رَفَعَ غُلامُ بشَّارٍ إليه في حساب نفقته جِلاءَ مِرآةٍ عَشَرَةَ دراهمَ، فصاح به بشَّارٌ وقال: واللَّه ما في الدُّنيا أعجبُ من جلاء مِرآةٍ أعمى بعشرة دراهم، واللَّه لو صَدِئَتْ عين الشمس حتى يبقى العالمُ في ظُلْمَةٍ ما بَلَغْت أجرةُ مَنْ يَجلوها عشرةَ دراهمَ.

أخبرنا محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني المُغيرةُ بن محمد المهلَّبيّ قال حدَّثنا أبو مُعاذ النُّميريّ قال: قُلْتُ لبشَّار: لِمَ مَدَحْتَ يزيدَ بنَ حاتم ثم هجوْتَهُ؟ قال: سألني أَن أنيكَهُ فلم أفعل؛ فَضَحِكْتُ ثم قُلْتُ: فهو كان ينبغي له أن يغضبَ، فما موضعُ

---

(١) الجال: الجانب، القليب: القَلِيبُ اسْمُ من أَسماءِ البئرِ البَدِيءِ والعادِيَّة، ولا تُخَصُّ بها العادِيَّةُ. قال: وسُمِّيَتْ قَليباً، لأَنَّه قُلِب تُرابهُا. وقال ابْنُ الأَعرابيّ: القَلِيبُ ما كان فيه عينٌ، وإِلَّا فلا. جمع أَقْلِبَةٌ.

(٢) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:
بُنَيِّي عَلى قَلبي وَعَيني كَأَنَّهُ ... ثَوى رَهنَ أَحجارٍ وَجارَ قَليبِ

(٣) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:
وَكانَ كَرَيحانِ العَروسِ بَقاؤُهُ ... ذَوى بَعدَ إِشراقِ الغُصونِ وَطيبِ

(٤) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:
رُزِئتُ بُنَيِّي حينَ أَورَقَ عودُهُ ... وَأَلقى عَلَيَّ الهَمَّ كُلُّ قَريبِ

(٥) مليته: مُتعت به.

الهجاء! فقال: أظُنَّكَ تُحِبُّ أن تكون شريكَهُ؛ فقلت: أعوذ باللَّه من ذلك وَيْلَكَ!

[سُئِلَ عن شعره الغث فأجاب]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيه قال حدَّثنا أحمد بن خَلاَّد، وأخبرنا يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ، قالا حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثنا أحمد بن خَلاَّد قال حدَّثني أبي قال: قُلْتُ لبشَّارٍ: إنك لَتَجيءُ بالشيءِ الهجين المُتَفاوِتِ، قال: وما ذاك؟ قال: قُلْتُ: بينما تقول شعراً تُثيرُ به النقعَ[1] وتخلعُ به القلوبَ، مثل قولك:

إذا مـا غَـضِـبـنـا غَـضـبَـةً مُـضَـرِيَّـةً هَتَكنا حِجابَ الشَّمسِ أَو تُمطِرَ الدِّما
إذا مـا أَعَـرْنـا سَـيِّـداً مِـن قَـبـيـلَـةٍ ذُرَى مِـنْـبَـرٍ صَـلّـى عَـلَـيـنـا وَسَـلَّـمـا

[المتقارب]

تقول:

رَبـابَـةُ رَبَّـةُ الـبَـيـتِ تَـصُـبُّ الـخَـلَّ فـي الـزَّيـتِ
لَـهـا عَـشـرُ دَجـاجـاتٍ وَديـكٌ حَـسَـنُ الـصَّـوتِ

[الهزج]

فقال: لكُلِّ وَجهٌ وموضعٌ، فالقولُ الأوَّلُ جِدٌّ، وهذا قُلْتُه في ربَابَة جاريتي، وأنا لا آكلُ البيضَ من السوقِ، ورَبابةُ هذه لها عَشْرُ دجاجاتٍ وديكٌ فهي تجمعُ لي البيضَ وتحفَظُهُ عندها، فهذا عندها مِنْ قولي أحسَنُ مِنْ:

قِـفـا نَـبـكِ مِـن ذِكـرى حَـبـيـبٍ وَمَـنـزِلِ

عندكَ.

[حشوه شعره بما لا حقيقة له]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدَّثني أحمدُ بن محمد جِدار قال حدَّثني قُدامةُ ابن نوح قال: كان بشَّار يحشُو شِعرَه إذا أعوزتْهُ القافيةُ والمعنى بالأشياء التي لا حقيقةَ لها، فمن ذلك أنه أنشدَ يوماً شعراً له فقال فيه:

غَـنِّـنـي لـلـغَـريـض يـابـنَ قـنـانِ

فقيل له: من ابنُ قنان هذا، لسنا نعرفه من مُغَنِّي البصرة؟ قال: وما عليكم منه!

(١) النقع: الغبار.

ألكم قِبَلَهُ دينٌ فتطالبوه به، أو ثأرٌ تُريدون أن تُدرِكوه، أو كَفَلْتُ لكم به فإذا غاب طالبتُموني بإحضاره؟ قالوا: ليس بيننا وبينه شيء من هذا، وإنما أردنا أن نَعرِفه، فقال: هو رجل

يُغَنِّي لي ولا يخرُجُ من بيتي؛ فقالوا له: إلى متى؟ قال: مُذ يومَ وُلِدَ وإلى يومِ يموتُ. قال: وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة:

. . . . . ووافـــا نـــي هـــلالُ الـــسـمـــاء فـــي الـــبـــردانِ

فقلنا: يا أبا معاذٍ. أين البردان هذا؟ لسنا نعرفُهُ بالبصرة، فقال: هو بيت في بيتي سمّيْتُهُ البردان، أفعليكم مِنْ تَسميتي داري وبيوتَها شيء فتسألوني عنه!.

حدَّثني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثني أبو غَسَّانَ دَماذ ـ واسمه رفيعُ بن سلمة ـ قال حدَّثني يحيى بنُ الجَوْنِ العَبْديّ راوِيةُ بشَّارٍ قال:

كنا عند بشَّار يوماً فأنشدنا قولَه:

وَجـــارِيَـــةٍ خُـــلِـــقَـــت وَحـــدَهـــا كَـــأَنَّ الـــنِّـــســـاءَ لَـــدَيـــهـــا خَـــدَمْ
دُوارُ الـــعَـــذارى[1] إذا زُرْنَـــهـــا أَطَـــفـــنَ بِـــحَـــوراءَ مِـــثـــلِ الـــصَّـــنَـــمْ
ظَـــمِـــئْـــتُ إِلَـــيـــهـــا فَـــلَـــم تَـــسـقِـــنـــي بِـــرِيٍّ وَلَـــم تَـــشـــفِـــنـــي مِـــن سَـــقَـــمْ
وَقـــالَـــت هَـــويـــتَ فَـــمُـــت راشِـــداً كَـــمـــا مـــاتَ عُـــروةُ[2] غَـــمّـــاً بِـــغَـــمّ
فَـــلَـــمّـــا رَأَيـــتُ الـــهَـــوى قـــاتِـــلـــي وَلَـــســـتُ بِـــجـــارٍ وَلا بِـــابِـــنِ عَـــمّ
دَسَـــســـتُ إِلَـــيـــهـــا أَبـــا مِـــجْـــلَـــزٍ وَأَيَّ فَـــتًـــى إِن أَصـــابَ ٱعـــتَـــزَمْ
فَـــمـــا زالَ حَـــتّـــى أَنـــابَـــت لَـــهُ فَـــراحَ وَحَـــلَّ لَـــنـــا مـــا حَـــرُمْ

[المتقارب]

فقال له رجل: ومَنْ أبو مجْلزٍ هذا يا أبا مُعاذٍ؟ قال: وما حاجتك إليه! لك عليه

(١) صنمٌ كانت العرب تنصبه، يجعلون موضعاً حوله يدورون به، وهو وارد هنا على وجه التشبيه.

(٢) المقصود هنا عروة بن حزم العذري صاحب عفراء، وهو شاعر، من متيّمي العرب، كان يحب ابنة عم له اسمها (عفراء) نشأ معها في بيت واحد، لأن أباه خلفه صغيراً، فكفله عمه. ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له في اليمن، وعاد فإذا هي قد تزوجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها، فأكرمه زوجها. فأقام أياماً وودعها وانصرف، فضنى حباً، فمات قبل بلوغ حيّه ودفن في وادي القرى (قرب المدينة) سنة ٣٠هـ.

دينٌ أو تُطالُبه بطائلةٍ[١]! هو رجل يتردَّدُ بيني وبين مَعارِفي في رسائل. قال: وكان كثيراً ما يحشُو شعرَه بمثل هذا.

[شعره في قينة]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حمَّادُ بن إسحاق عن أبيه قال: كانَتْ بالبصرة قَيْنَةٌ لبعض وَلدِ سليمان بن عليّ وكانت مُحسِنَةً بارعةَ الظَّرف، وكان بشَّار صدِيقاً لِسيِّدها و مَدَّاحاً له، فحضر مجلسه يوماً والجاريةُ تُغنِّي؛ فَسُرَّ بحضوره وشَرِبَ حتى سَكِرَ ونام، ونهضَ بشَّار؛ فقالت: يا أبا مُعاذ، أُحِبُّ أن تذكُرَ يومنا هذا في قصيدة ولا تذكُرَ فيها اسمي ولا اسمَ سيِّدي وتكتُبَ بها إليه؛ فانصرف وكتب إليه:

وذات دَلٍّ كـأن الـبـدر صُـورَتُـهـا ... باتَتْ تُغَنِّي عميدَ القلبِ[٢] سكرانَا:

(إنَّ الـعـيـونَ الـتـي فـي طَـرْفِـهـا حَـوَرٌ ... قَـتَـلْـنـنـا ثـم لـم يُـحـيِـيـنَ قـتـلانـا)

فَـقُـلْـتُ أَحسَـنْـتِ يـا سُـؤْلـي ويـا أمـلـي ... فـأسـمِـعِـيـنـي جـزاكِ الـلَّـهُ إحـسـانـا:

(يـا حَـبَّـذا جَـبـلُ الـرَّيّـانِ[٣] مِـن جَـبَـلٍ ... وَحَـبَّـذا سـاكِـنُ الـرَّيّـانِ مَـنْ كـانـا)

قالت: فهلّا، فدَتكَ النفسُ، أحسنُ مِنْ ... هـذا لِـمَـنْ كـان صـبَّ الـقَـلـبِ حَـيـرَانَـا:

(يـا قَـوْمُ أُذنـي لـبَـعـضِ الـحـيِّ عـاشِـقَـةٌ ... وَالأذنُ تَـعـشَـقُ قـبـلَ الـعَـيـنِ أحـيـانَـا)

فَقُلْتُ: أحسَنتِ! أنتِ الشمسُ طالعةً، ... أضـرَمْـتِ فـي الـقَـلـبِ وَالأحـشَـاءِ نِـيـرَانَـا

فَـأسـمِـعـيـنـا غِـنَـاءً مُـطْـرِباً هَـزَجـاً[٤]، ... يـزِيـدُ صَـبّـاً مُـحِـبّـاً فِـيـكِ أشـجَـانَـا

يـا لَـيـتـنـي كُـنـتُ تُـفّـاحـاً مُـفَـلَّـجَـةً[٥] ... أو كُـنـتُ مـن قُـضُـبِ[٦] الـرّيـحـانِ رَيـحَـانَـا

حَـتـى إذا وَجَـدَتْ رِيـحـي فـأعـجَـبَـهـا، ... وَنـحـنُ فـي خَـلـوةٍ مُـثّـلـتُ إنـسَـانَـا

فـحَـرّكـتْ عـودَهـا، ثـمّ انـثَـنَـتْ طَـرَبـاً، ... تَـشـدُو بـهِ ثـمّ لا تُـخـفِـيـهِ كِـتـمـانَـا

---

(١) الطَّائِلَةُ: العَدَاوَةُ والذحل والثأر.

(٢) يقال: فلان عميد أي شديد المرض لا يقدر على القعود حتى يعمد بالوسائد، ثم اتسع فيه حتى قيل: قلب عميد.

(٣) جبل الريان: جبل في ديار طيء لا يسيل منه الماء.

(٤) الهَزَج: صوتٌ مُطربٌ، ورَعْدٌ هَزِجٌ بالصَّوْت، وعُودٌ هَزِجٌ، ومُغَنٍّ هَزِجٌ. يُهَزِّجُ الصّوتَ تَهْزيجاً.

(٥) مفلجة: مقسمة، وهو أَفْلَجُ الأَسنانِ وامرأَةٌ فَلْجَاءُ الأَسنانِ.

(٦) القضب: القطع. قضبه يقضبه قضباً، واقتضبه، وقضبه، فانقضب، وتقضب. وقضابة الشيء: ما اقتضب منه. وخص بعضهم به: ما سقط من أعالي العيدان المقتضبة.

(أصبَحتُ أطوَعَ خَلقِ اللَّهِ كُلّهِمُ ... لأكثرِ الخَلقِ لي في الحُبّ عِصْيَانَا)
فقلتُ: أطرَبتِنا يا زَينَ مَجلِسِنَا، ... فَهاتِ إنك بالإحسَانِ أوْلانَا
فَغَنّتِ الشَّرْبَ صَوْتاً مُونَقاً[1] رَمَلاً[2] ... يُذكي السّرُورَ وَيُبكي العَينَ ألوَانَا:
(لا يَقتُلُ اللَّهُ مَنْ دامَتْ مَوَدّتُهُ، ... وَاللَّهُ يَقتُلُ أهلَ الغَدرِ أحيَانَا)

[البسيط]

ووّجه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيِّدُها بألفَيْ دينار وسُرَّ بها سروراً شديداً.

[مع أعرابي]

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدَّثني الحسنَ بن عَليلٍ قال حدَّثني عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدَّثني أبو عبد اللَّه المقرىء الجَحْدَريّ الذي كان يقرأُ في المسجد الجامع بالبصرة، قال: دَخَلَ أعرابيّ على مَجْزَأَةَ بنِ ثور السَّدُوسيّ وبشَّار عنده وعليه بِزَّةُ الشعراء، فقال الأعرابيّ: مَنِ الرجلُ؟ فقالوا: رجلٌ شاعرٌ؛ فقال: أمَوْلًى هو أمْ عَرَبيّ؟ قالوا: بل مولًى؛ فقال الأعرابيّ: وما للموالي وللشعر! فَغَضِبَ بشَّارٌ وسَكَتَ هُنيهةً، ثم قال: أتأذنُ لي يا أبا ثورٍ؟ قال: قل ما شِئْتَ يا أبا مُعاذٍ؛ فأنشأ بشَّار يقول:

خَليلي لا أَنامُ عَلى ٱقتِسارِ[3] ... وَلا أَلقى عَلى مَولًى وَجارِ[4]
سَأُخبِرُ فاخِرَ الأَعرابِ عَنّي ... وَعَنهُ حينَ تأذنُ لِلفَخارِ
أَحينَ كُسِيْتَ بَعدَ العُرِي خَزّاً ... وَنادَمْتَ الكِرامَ عَلى العُقارِ
تُفاخِرُ يا ٱبنَ راعِيَةٍ وَراعٍ ... بَني الأَحرارِ حَسبُكَ مِن خَسارِ
وَكُنتَ إذا ظَمِئتَ إلى قَراحٍ ... شَرِكتَ الكَلبَ في وَلْغِ[5] الإطارِ
تُريغُ[6] بِخُطبَةٍ كِسَرَ المَوالي ... وَيُنسيكَ المكارمَ صيدَ فارِ

(١) مونقاً: معجباً.
(٢) الرمل: نوع من الأغاني.
(٣) الاقتسار: القهر على كره.
(٤) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:
أَعاذِلَ لا أَنامُ عَلى ٱقتِسارِ ... وَلا أَلقى عَلى مَولًى وَجارِ
(٥) الوَلْغُ: شُرْبُ السّباع بألسِنَتها، وبعض العرب يقول: يالَغُ، أرادوا تبيان الواو فجعلوا مكانَها ألفاً.
(٦) أَراغَ وارْتاغَ بمعنًى: طلب وأراد. تقول: أَرَغْتُ الصيدَ. وماذا تُريغُ، أي تريد وتطلب. وراغَ إلى كذا، أي مال إليه سِرّاً وحادَ. وطريقٌ رائِغٌ، أي مائلٌ.

وَتَـغـدو لـلـقـنـافـذ تَـدَّرِيـهـا[١] وَلا تَـعـقِـلْ[٢] بِـدَرَّاجِ[٣] الـدِّيـارِ
وتَـتَّـشـحُ[٤] الـشِّـمـالَ لِـلابـسـيـهـا وتَـرْعـى الـضـأنَ بـالـبـلَـدِ الـقِـفـارِ
مُـقـامُـكَ بَـيـنَـنـا دَنَـسٌ عَـلَـيـنـا فَـلَـيـتَـكَ غـائِـبٌ فـي حَـرِّ نـارِ
وفـخـرُكَ بـيـن خـنـزيـرٍ وكـلـبٍ عـلـى مِـثـلِـي مـن الـحـدَثِ الـكُـبـارِ

[الوافر]

فقال مجزَأةُ للأعرابيّ: قَبَّحَك اللَّهُ! فأنتَ كَسَبْتَ هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالِكَ!.

[خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول]

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسكريّ قال حدَّثني العَنْزِيّ عن الرِّياشيّ قال: حضرَ بشَّارٌ بابَ محمد بن سليمان، فقال له الحاجبُ: اصبِر؛ فقال: إنَّ الصبرَ لا يكون إلا علي بليَّةٍ؛ فقال له الحاجبُ: إنِّي أظنُّ أنَّ وراءَ قولِكَ هذا شرّاً ولن أتعرَّضَ له، فقم فادخُل.

[بشار وهلال الرأي]

أخبرني وكيعٌ قال حدَّثنا أبو أيّوبَ المَدينيّ عن محمد بن سلاَّم قال: قال هلال الرأي[٥] ـ وهو هلال بن عطية ـ لبشَّارٍ وكان صديقاً يمازحه: إنَّ اللَّهَ لم يُذْهِبْ بصرَ أحدٍ إلا عَوَّضَهُ بشيءٍ، فما عوَّضك؟ قال: الطويلَ العريضَ؛ قال: وما هذا؟ قال: ألاَّ أراك ولا أمثالك من الثقلاء. ثم قال له: يا هلال أتُطيعُني في نصيحةٍ أَخُصُّكَ بها؟ قال: نعم؛ قال: إنك كُنْتَ تسرقُ الحميرَ زماناً ثم تُبْتَ وصِرْتَ رافِضيّاً[٦]، فَعُدْ إلى سَرِقةِ الحمير، فهي واللَّه خيرٌ لكَ من الرِّفْضِ.

قال محمدُ بن سَلاَّم: وكان هلالُ يُستَثْقَلُ، وفيه يقول بشارٌ:

وَكَـيـفَ يَـخِـفُّ لـي بَـصَـري وَسَـمـعـي وَحَـولـي عَـسـكَـرانِ مِـن الـثِّـقـالِ

(١) تدّريها: تختلها لتصيدها.
(٢) لعلَّ المقصود هنا تعلق، الذي يجعل البيت يعني أنه يحاول صيد القنافذ ولا يلحقها.
(٣) الدرَّاج: القنفذ.
(٤) لعل المقصود هنا: تنسج لأنها أكثر ملائمة للمعنى.
(٥) هو هلال بن يحيى بن مسلم البصري، أخذ الفقه عن أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ وزفر المتوفى سنة ١٥٨، توفي سنة ٢٤٥هـ.
(٦) الرِّفض: مذهبٌ من الشيعة، بايع زيد بن عليّ زين العابدين، ثم انفض عنه عندما رفض التبرأ من الشيخين.

قُعوداً حَولَ دَسْكَرَتي[١] وَعِندي كَأَنَّ لَهُم عَلَيَّ فُضولَ مالِ
إِذا ما شِئتُ صَبَّحَني هِلالٌ وَأَيُّ الناسِ أَثقَلُ مِن هِلالِ
[الوافر]

وأخبرني أبو دُلَفَ الخُزاعيّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشةَ، فذكرَ أنّ الذي خاطب بشاراً بهذه المخاطبة ابنُ سيَّابةَ، فلما أجابه بشَّار بالجواب المذكور، قال له: من أنت؟ قال: ابن سَيَّابةَ؛ فقال له: يابن سَيَّابةَ، لو نُكِحَ الأسدُ ما افترس؛ قال: وكان يُتَّهمُ بالأُبْنة.

[ذمَّ أناساً كانوا مع ابن أخيه]

قال أيوب وحدَّثني محمد بن سلاَّم وغيره قالوا: مرَّ ابنُ أخي بشَّارٍ به ومعه قومٌ؛ فقال لرجل معه: مَنْ هذا؟ فقال: ابنُ أخيك؛ قال: أشهد أن أصحابه أنذالٌ؛ قال: وكيف علِمْتَ؟ قال: ليست لهم نِعالٌ.

[كان دقيق الحس]

أخبرني محمد بن عليّ قال حدَّثني أبي قال حدَّثني عافيةُ بنُ شَبيب عن أبي دُهمانَ الغَلابِيّ، قال: مَرَرْتُ ببشَّار يوماً وهو جالس على بابه وحدَهُ وليس معه خَلْقٌ وبيده مِخْصَرَةٌ[٢] يَلْعَبُ بها

وقُدَّامَهُ طبقٌ فيه تُفَّاحٌ وأترُجٌّ[٣]، فلما رأيتُهُ وليس عنده أحدٌ تاقَتْ نفسي إلى أن أسرِقَ ما بين يديه، فجئْتُ قليلاً قليلاً وهو كافٌّ يده حتى مَدَدْتُ يدي لأتناوَلَ منه، فَرَفَعَ القضيبَ وضرب به يدي ضربةً حتى كاد يَكْسِرُها، فَقُلْتُ له: قطعَ اللَّهُ يدَكَ يابنَ الفاعلةِ، أنت الآن أعمى! فقال: يا أحمق، فأين الحِسُّ.

[حديثه مع نسوة أخذن شعره لينحن به]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني العَنْزِيّ قال حدَّثني خالدُ بنُ يزيدَ بن وهب بن جرير عن أبيه قال: كان لبشَّار في دارِهِ مجلسان: مجلسٌ يَجْلِسُ فيه بالغداةِ يُسمِّيه «البردان» ومجلسٌ يَجْلِسُ فيه بالعَشِيّ اسمه «الرَّقيقُ» فأصبح ذاتَ يوم فاحتجمَ وقال لغلامه: أَمسك عليَّ بابي واطبُخْ لي مِنْ طَيِّبِ طعامي وَصفْ نَبيذِي. قال: فإنه

(١) الدَّسْكَرَةُ: بناء كالقَصْرِ حوله بيوت للأَعاجم يكون فيها الشراب والملاهي.
(٢) المِخْصَرَةُ: عصاً أو نحوها بيد صاحبها.
(٣) الأترج: ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق والحطب.

لكذلك إذ قُرِعَ البابُ قرعاً عنيفاً؛ فقال: ويحكَ يا غلامُ؛ انظُرْ مَنْ يَدُقّ البابَ دقَّ الشُّرَطِ؛ قال: فَنَظَرَ الغُلامُ، فقال له: نِسوةٌ خَمسٌ بالباب يَسأَلْنَ أن تقولَ لهنَّ شِعراً يَنُحْنَ به؛ فقال: أدخِلْهُنَّ، فلما دَخَلْنَ نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى في قنانيِّه في جانب بيتِهِ؛ قال: فقالت واحدةٌ منهنّ: هو خمر، وقالت الأخرى: هو زبيبٌ وعسلٌ؛ وقالت الثالثةُ: نقيعُ زبيبٍ؛ فقال: لستُ بقائلٍ لكنَّ حَرفاً أو تَطْعَمْنَ من طعامي وتَشرَبْنَ من شرابي؛ قال: فتماسَكْنَ ساعةً، ثم قالت واحدةٌ منهنَّ: ماعليكنَّ! هو أعمى فكُلْنَ مِنْ طعامِهِ واشرَبْنَ من شرابه وخُذْنَ شِعْرَهُ؛ فبلغ ذلك الحسنَ البصريَّ فعابه وهتَفَ ببشار؛ فبلغه ذلك ـ وكان بشار يُسمِّي الحسنَ البصريّ القَسَّ ـ فقال:

لَمّا طَلَعنَ مِن الرَّقيقِ عَلَيَّ بِالبَرَدانِ خَمسا
وَكَأَنَّهُنَ أَهِلَّةٌ تَحتَ الثيابِ زَفَفْنَ شَمسا
باكَرْنَ عِطرَ لَطيمَةٍ[1] وَغُمِسنَ في الجادِيِّ[2] غَمسا

[مجزوء الكامل]

صوت

لَمَّا طَلَعْنَ حَفَفْنَها وَأَصَخنَ ما يَهمِسنَ هَمسا
فَسَأَلنَني مَن في البُيو تِ فَقُلتُ ما يَؤوينَ إِنسا
لَيتَ العُيونَ الطارِفا تِ طُمِسنَ عَنَّا اليَومَ طَمسا
فَأَصَبْنَ مِن طُرَفِ الحَديـ ـثِ لَذاذَةً وَخَرَجنَ مُلسا[3]
لَولا تَعَرُّضُهُنَّ لِي يا قَسُّ كُنتُ كَأَنتَ قَسّا

[مجزوء الكامل]

غنَّى في هذه الأبيات يحيى المكيّ، ولَحنُه رمَلٌ بالبنصر عن عمرو.

[نهاه مالك بن دينار عن التشبب بالنساء]

أخبرنا يحيى قال حدَّثني العَنزِيّ قال حدَّثنا عليّ بن محمد قال حدَّثني جعفر بن محمد النوفَليّ ـ وكان يَروِي شعرَ بشَّارِ بن بُردٍ ـ قال: جِئْتُ بشَّاراً ذات يوم فحدَّثني، قال: ما شَعَرْتُ منذ أيَّام إلا بقارع يقرَعُ بابي مع الصُّبح، فقلت: يا جارية انظُري من

(١) فاحت اللطيمة واللطائم، وكأن فاهاً لطيمة تاجر وهي وعاء العطر وقيل غيره.
(٢) ثعلب عن ابن الأعرابي: الجاديُّ الزعفران.
(٣) الملس: ما لا عيب فيه.

هذا، فرجِعَتْ إليَّ وقالت: هذا مالكُ بن دينار؛ فَقُلْتُ: ما هو من أشكالي ولا أضرابي، ثُمَّ قُلْتُ: ائذَني له، فَدَخَلَ فقال: يا أبا معاذ، أتشتُم أعراضَ الناس وتُشبِّب بنسائهم فلم يكن عندي إلا أن دَفَعْتُ عن نفسي وقُلْتُ: لا أعود، فخرج عنِّي، وقُلْتُ في أثره:

غَدا مالِكٌ بِمَلامَاتِهِ ... عَلَيَّ وَما باتَ مِن بالِيَه
تَناوَلَ خَوداً[1] هَضيمَ الحَشا ... مِنَ الحورِ مَحظوظَةً[2] عالِيَه
فَقُلْتُ دَعِ اللَّومَ في حُبِّها ... فَقَبلَكَ أَعيَيتُ عُذّالِيَه
وَإِنّي لَأَكتُمُهُم سِرَّها ... غَداةَ تَقولُ لَها الجالِيَه[3]
عُبَيدَةُ ما لَكِ مَسلوبَةً ... وَكُنتِ مُعَطَّرةً حالِيَه
فَقالَت عَلى رُقبَةٍ[4] إِنَّني ... رَهَنتُ المُرَعَّثَ[5] خَلخالِيَه
بِمَجلِسِ يَومٍ سَأوفي بِهِ ... وَلَو أَجلَبَ الناسُ أَحوالِيَه[6]

[المتقارب]

[شعره في محبوبته فاطمة]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثني السَّمَيدع بن محمد الأزدي قال حدَّثني عبد الرحمن بن الجهم عن هِشام بن الكَلْبيّ قال: كان أوَّلُ بدء بشَّار أنَّه عشق جارية يُقالُ لها فاطمةُ، وكان قد كُفَّ وذَهَبَ بصرُهُ، فسمعها تغنِّي فَهويَها وأنشأ يقول:

دُرَّةٌ بَحرِيَّةٌ مَكنونَةٌ ... مازَها التاجِرُ مِن بَينِ الدُّرَرْ
عَجِبَتْ فَطمَةُ مِن نَعتي لَها ... هَل يُجيدُ النَّعتَ مَكفوفُ البَصَرْ

(١) الخَوْدُ: الفتاةُ الحَسَنَةُ الخَلْق، بفتح فسكون، الشَّابَّةُ ما لم تَصِر نَصَفاً. أو هي: الجارِيَةُ الناعِمَةُ، جمعها خودَات وخُودٌ، بالضّمّ في الأخير، مثل: رُمْح لَدْن ورِماح لُدْن، ولا فِعْل له.

(٢) هكذا وردت في جميع النسخ، وربما كان المقصود محطوطة، وورد في لسان العرب: «وجارية مَحْطُوطةُ المَتْنَيْن: ممدودَتُهما، وقال الأَزهري: ممدودة حسنَة مستوية؛ قال النابغة: مَحْطُوطةُ المَتْنَيْنِ غيرُ مُفاضةٍ».

(٣) الجالية: الماشطة التي تزين المرأة وتجلوها.

(٤) الرقبة: التحفظ، والفرق.

(٥) لقب بشَّار بن برد.

(٦) أحواليه: من حولي.

أُمَّـتـا بَـدَّدَ هَـذا لُـعَـبـي وَوِشـاحـي حَـلَّـهُ حَـتّـى ٱنـتَـثَـرْ
فَـدَعـيـنـي مَـعَـهُ يـا أُمَّـتـا عَـلَّـنـا فـي خَـلـوَةٍ نَـقـضـي الـوَطَـرْ
أَقـبَـلَـتْ مُـغـضَـبَـةً تَـضـرِبُـهـا وَٱعـتَـراهـا كَـجُـنـونٍ مُـسـتَـعِـرْ
بِـأَبـي وَالـلَّـهِ مـا أَحـسَـنَـهُ دَمـعَ عَـيـنٍ يَـغـسِـلُ الـكُـحـلَ قَـطَـرْ
أَيُّـهـا الـنُـوّامُ هُـبّـوا وَيـحَـكُـم وَٱسـأَلـونـي الـيَـومَ مـا طَـعـمُ الـسَّـهـرْ

[الرمل]

[عبث به رجل من آل سوار فلم يجبه]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثني خالد بن يزيد ابن وهب بن جرير قال حدَّثني أبي عن الحكم بن مَخلَدِ بن حازِم قال: مَرَرْتُ أنا ورجل من عُكْل من أبناء سَوار بن عبد اللَّه بقصر أوس[١]، فإذا نحن ببشار في ظلِّ القصر وحدَه، فقال له العُكْليّ: لا بُدَّ لي من أن أعبَثَ ببشَّار؛ فَقُلْتُ: وَيحك، مَهْ لا تُعرِّض بنفسِكَ وعِرضِك؛ فقال: إنِّي لا أجده في وقتٍ أخلى منه في هذا الوقت؛ قال فوقفت ناحيةً ودنا منه فقال: يا بشار؛ فقال: من هذا الذي لا يَكنِيني ويدعوني باسمي؟ قال: سأخبرك من أنا، فأخبرني أنت عن أمّك: أوَلدتْك أعمى أم عمِيتَ بعد ما ولدتْك؟ قال: وما تريد إلى ذلك؟ قال: وَدِدْت أنَّه فُسِحَ لك في بصرك ساعة لِتَنْظُرَ إلى وجهك في المِرآة، فعسى أن تُمْسِكَ عن هجاء الناس وتَعْرِفَ قَدْرَك؛ فقال: ويحكم! مَنْ هذا؟ أما أحدٌ يُخْبِرُني مَنْ هذا؟ فقال له: على رِسْلِكَ، أنا رجلٌ من عُكْل وخالي يبيعُ الفَحم بالعَبْلاء[٢] فما تقدِر أن تقول لي؟ قال: لا شيء، اذهبْ، بأبي أنت، في حِفْظِ اللَّه.

[مدح خالد البرمكي]

أخبرني عليّ بن سُلَيمان الأخْفش قال حدَّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجِّم قال حدَّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البرمكيّ قال: كان الزُّوَّار يُسمَّوْن في قديم الدّهر إلى أيَّام خالد بن بَرمك السُّؤَّالَ؛ فقال خالد: هذا واللَّه اسم استثقله لطُلَّاب الخير، وأرفع قدرَ الكريم عن أن يُسمِّي به أمثالَ هؤلاء المؤمِّلين، لأنَّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناءَ النَّعيم ومن لعلَّه خيرٌ ممن يَقْصِد وأفضلُ أدباً، ولكنَّا نُسمِّيهم الزُّوَّار؛ فقال بشَّار يَمْدَحُهُ بذلك:

(١) قصر أوس بالبصرة ينسب إلى أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة، وكان قد ولي خراسان في عهد الدولة الأموية.

(٢) العبلاء بالعين غير المعجمة والباء منقوطة بواحدة. زعموا أنها صخرة بيضاء إلى جنب عكاظ.

حَـذا خـالِـدٌ فـي فِـعـلِـهِ حَـذوَ بَـرمَـكٍ فَـمَـجـدٌ لَـهُ مُـسـتَـطـرَفٌ وَأَصـيـلُ
وَكـانَ ذَوو الآمـالِ يُـدعَـونَ قَـبـلَـهُ بِـلَـفـظٍ عَـلـى الإِعـدامِ فـيـهِ دَلـيـلُ
يُـسَـمَّـونَ بِـالـسُّـؤَّالِ فـي كُـلِّ مَـوْطِـنٍ وَإِن كـانَ فـيـهِـم نـابِـهٌ وَجَـلـيـلُ
فَـسَـمّـاهُـمُ الـزُّوَّارَ سِـتـراً عَـلَـيـهِـمُ فَـأَسـتـارُهُ فـي الـمُـجـتَـديـنَ سُـدولُ

[الطويل]

قال: وقال بشَّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلَّم خالد بهذا الكلام في أمر الزُّوَّار، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم.

[بشّار وصديقه تسنيم بن الحواري]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال حدَّثني أبو شِبل عاصم بن وهب قال: نَهَقَ حِمارٌ ذاتَ يوم بقرب بشار، فخطر بباله بيتٌ فقال:

مـا قـامَ أَيـرُ حِـمـارٍ فَـأمـتَـلا شَـبَـقـاً إِلّا تَـحَـرَّكَ عِـرقٌ فـي اَسـتِ تَـسْـنِـيْـمِ

[البسيط]

قال: ولم يُردِ تَسنيماً بالهِجاء؛ ولكنَّه لمَّا بلغ إلى قوله: «إلا تحرك عِرقٌ» قال: في اسْتِ مَن؟ ومرَّ به تسنيم بن الحواري وكان صديقَه، فسلَّم عليه وضَحِكَ، فقال: في استِ تسنيم عَلِمَ اللَّهُ؛ فقال له: أيش ويحك؟ فأنشده البيتَ؛ فقال له: عليك لعنةُ اللَّه فما عندك فَرقٌ بين صديقك وعدوّك، أيّ شيء حملك على هذا! ألا قلت: «في است حمَّاد» الذي هجاك وفَضَحَك وأعْيَاك، وليست قافيتك على الميم فأعْذِرك قال: صدقْتَ واللَّهِ في هذا كلِّه، ولكن مازلْتُ أقول: في است من؟ في است من؟ ولا يخطُر ببالي أحد حتى مررتَ وسلَّمْتَ فرَزِقته؛ فقال له تسنيم: إذا كان هذا جوابَ السَّلام عليك فلا سلَّم اللَّه عليك ولا عليّ حين سلَّمْتُ عليك؛ وجعل بشَّار يضحَك ويُصَفِّقُ بيديه وتسنيم يشتُمُه.

أخبرنا عيسى بن الحُسَين قال حدَّثنا عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن عمِّه قال: قالَتِ امرأةٌ لبشَّار: ما أدري لِمَ يهابُكَ الناسُ مع قُبح وجهك! فقال لها بشَّار: ليس من حُسْنِهِ يُهابُ الأسدُ.

[الملاحاة بينه وبين عقبة بن رؤبة]

أخبرني حَبيبُ بن نَصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثنا محمد بن الحَجَّاج قال: دخل بشَّار على عُقْبة بن سَلْم، فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عقبة بن

رُؤبة يُنْشِدُهُ رَجزاً يمدَحه به، فسمِعَهُ بشَّار وجعل يستحسن ما قال إلى أن فرغ؛ ثم أقبلَ على بشَّار فقال: هذا طرازٌ لا تُحسِنه أنت يا أبا مُعاذ؛ فقال له بشار: ألي يُقالُ هذا! أنا واللَّه أرجَزُ منك ومن أبيك وجدّك؛ فقال له عقبة: أنا واللَّه وأبي فتَحْنا للناس باب الغريب وباب الرّجز، واللَّه إنِّي لخليق أن أسُدّه عليهم؛ فقال بشَّار: ارحمهم رحمك اللَّه! فقال عقبة: أتستخفُّ بي يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر! فقال له بشَّار: فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب اللَّه عنهم الرِّجس وطهَّرَهم تطهيراً؛ ثُمَّ خرج من عنده عقبةُ مُغضَباً. فلما كان من غدٍ غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رُؤبة، فأنشده أرجوزَتَه التي مدَحَهُ فيها:

يا طَلَلَ الحَيِّ بِذاتِ الصَّمْدِ[١] بِاللَّهِ خبِّرْ كَيفَ كُنتَ بَعدي
أَوْحَشتَ مِن دَعدٍ وَتِرْب دَعدِ سَقْياً لأسماءَ ابنة الأشَدِّ
قامَتْ تَراءَى إذ رأَتْني وَحْدِي كالشَّمس تحتَ الزِّبْرِج[٢] المُنْقدِّ[٣]
صدَّت بخدٍّ وجَلَتْ عن خدِّ ثم انثَنَتْ كالنَّفَس المُرتَدِّ
عهدي بها سَقياً له من عهدِ تُخلِفُ وعداً وتفِي بوعدِ
فنحن من جَهد الهوى في جَهدِ وزاهِرٍ مِن سَبِطٍ وَجَعدِ
أَهدى لَهُ الدَّهرُ وَلَم يَستَهدِ أَفوافَ[٤] نوْرِ الحِبَرِ المُجدِّ
يَلقَى الضُّحى رَيحانُهُ بِسَجدِ بُدِّلتُ مِن ذاكَ بُكًى لا يُجدِي
وافَقَ حَظّاً مَن سَعى بِجَدِّ ما ضَرَّ أهلَ النَّوْكِ[٥] ضِعفُ الجِدِّ
الحُرُّ يُلحى وَالعَصا لِلعَبدِ وَلَيسَ لِلمُلحِفِ مِثلُ الرَدِّ

(١) الصَّمَدُ عن الحَسن: الذي أُسْنِدَتْ إليه الأمورُ، فلا يعتني فيها أحَدٌ غيرُه. وصَمَدْتُ: قَصَدْتُ. وفي العربية: الصَّمَدُ السّيِّد في قومه، ليس فوقه أحَدٌ، ولا يُقضَى أمرٌ دونه، والصمد: ماء الضباب، الصمد: موضع في ديار بني يربوع.

(٢) الزِبْرِجُ: السَّحاب الرقيق فيه حُمرة.

(٣) المنقد: المنقطع.

(٤) الأفوافُ: ضربٌ من عَصْب اليَمَن.. بُرْدُ أفوافٍ، وبُرْدُ مُفَوَّفٌ. والفَوْف: المصدر من قولك: ما فاف فلانٌ بخيرٍ ولا زَنجَر، قال:

فما جادت لنا سَلْمَى بزنجيرٍ ولا فُوفَهْ

وذلك أن يُسأل الرّجلُ، فيقول، وهو يَضْرِب بظُفْر إبهامه على ظُفر سبّابته: ولا مثل ذا، والاسم منه: الفوفة، والزّنجرة: ما يأخُذُ بَطْنُ الظُّفر من طَرَف الثّنية إذا أخذتها به.

(٥) هو أنوك بيّن النّوك والنّواكة من قوم نوكى. واستنوك: استحمق، ورجل مستنوك.

والنَّصفُ[١] يكفيك من التعدّي ... وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ
حملتُه في رُقعةٍ من جِلدي ... أرقُبُ منه مثلَ يومِ الوردِ[٢]
حتى مضى غيرَ فقيد الفَقْدِ ... وما درى ما رغبتي من زُهدِي
إسلَمْ وحُيِّيتَ أبا المِلَدِّ ... مفتاحَ باب الحدَث المنسدّ
مُشتَرَكَ النَّيْل ورِيَّ الزَّندِ ... أغرَّ لبَّاسَ ثيابِ الحمدِ
ما كان منِّي لك غيرُ الوُدِّ ... ثم ثناءٌ مثلُ ريح الوَرْدِ
نَسَجْتُه في مُحكَماتِ النَّدِّ ... فالبس طِرازي[٣] غيرَ مُستَردِّ
للَّه أيامُكَ في مَعَدِّ ... وفي بني قحطانَ غيرَ عَدِّ
يوماً بذِي طِخْفَةَ[٤] عند الحدِّ ... ومثلَه أودَعْتَ أرضَ الهندِ
بالمرْهَفاتِ والحَديد السَّردِ[٥] ... والمُقربات المُبعداتِ الجُرْدِ
إذا الحيا[٦] أكدى[٧] بها لا تُكْدِي ... تُلْجِمُ أمراً وأموراً تُسْدِي[٨]
وابنُ حكيم إن أتاك يَرْدِي[٩] ... أصمَّ لا يسمَعُ صوتَ الرعدِ
حيَّيْتَه بتُحْفَة المُعِدِّ ... فانهدَّ مثلَ الجبل المُنْهَدِّ
كُلُّ امرىءٍ رَهْنٌ بما يُؤدِّي ... ورُبَّ ذي تاج كريم الجَدِّ

(١) النصف: الأنصاف.
(٢) الورد: من أسماء الحمى.
(٣) الطِّراز: ثَوْبٌ نُسِجَ للسلطان، وهو مُعرَّب.
(٤) بكسر الطاء والخاء المعجمة. موضع لبني يربوع على قابوس بن المنذر ماء السماء. وفيه يقول شريح اليربوعي:

علا جدهم جد الملوك فأطلقوا ... بطخفة أبناء الملوك على الحكم

(٥) السَّرْدُ: اسمٌ جامع للدُّروع ونحوِها من عَمَل الحَلَق، وسُمِّيَ سَرْداً لأنّه يُسْرَدُ فيُثْقَبُ طَرَفا كُلِّ حَلقةٍ بمِسمار فذلك الحَلَق المُسَرَّد.
(٦) الحيا: المطر.
(٧) كَدى الرجل يَكْدِي، وأكدى: قَلَّلَ عطاءه. وقيل: بخِل.
(٨) السَّدى: خلاف اللُّحمة، الواحدة بالهاء. وإذا نَسَجَ الإنسان كلاما أو أمراً بينَ قوم قيل: سَدَّى بينَهم. والحائك يُسَدِّي الثّوب، ويَتَسدّاه لنفسِهِ، وأمّا التَّسْديةُ فله ولغيره، وكذلك ما أشبه هذا، وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾، أي: هملاً، وأسديت الأمرَ إسداء، أي: أهملته
(٩) يردي: يعدو.

كـآلِ كِـسـرى وكـآل بُـردِ أنـكَـبَ[١] جـافٍ عـن سـبـيـل الـقـصـدِ

[الرجز]

فَصَلْتَه عن ماله والوُلْدِ

فَطُرِبَ عُقبةُ بن سَلْم وأجْزَلَ صِلَتَهُ، وقام عقبةُ بن رُؤبةَ فخرج عن المجلس بِخِزْيٍ، وهَرَبَ من تحت ليلته فلم يَعُدْ إليه.

وذكر لي أبو دُلَفَ هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ هذا الخبرَ عن الجاحظ، وزاد فيه الجاحظ قال: فانظر إلى سُوءِ أدب عُقْبةَ بن رؤبة وقد أجملَ بشَّارٌ مَحْضَرَه وعِشْرَتَه، فقابله بهذه المقابلةِ القبيحةِ، وكان أبوه أعلَم خلقِ اللَّهِ به، لأنَّه قال له وقد فاخَرَهُ بشعرِهِ: أنت يا بُنيَّ ذَهْبانُ الشِّعر إذا مُتَّ مات شِعرُكَ معك، فلم يوجَدْ من يَرْوِيه بعدك؛ فكان كما قال له، ما يُعرفُ له بيتٌ واحدٌ غيرُ هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالِّ على سُخفِهِ وسقوطِهِ وسُوءِ أدبه.

[كان يهوى امرأة من البصرة]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثنا أبو غسَّانَ دَماذ قال حدَّثنا أبو عُبيدةَ قال: كان بشَّار يَهوى امرأةً من أهل البصرة يُقالُ لها عُبيدَةُ، فخرجت عن البصرة إلى عُمانَ[٢] مع زوجها، فقال بشارٌ فيها:

صـوت

هَـوى صـاحِـبـي ريـحَ الـشَّـمـالِ إذا جَـرَت وَأَشـفـى لِـقَـلـبِـي أَن تَـهُـبَّ جَـنـوبُ

وَمـا ذاكَ إلاّ أَنَّـهـا حـيـنَ تَـنـتَـهـي تَـنـاهـى وَفـيـهـا مِـن عُـبَـيـدَةَ طِـيـبُ

عَـذِيـري مـن الـعُـذَّال إذ يَـعـذُلُـونـنـي سَـفـاهـاً ومـا فـي الـعـاذِلـيـن لَـبـيـبُ

[الطويل]

صـوت

يَـقـولـونَ لَـو عَـزَّيـتَ قَـلـبَـكَ لارعَـوى فَـقُـلـتُ وَهَـل لِـلـعـاشِـقـيـنَ قُـلـوبُ

(١) النَّكَبُ: شبه ميل. وإنه لمِنْكابٌ عن الحق.

(٢) عُمان: اسم كورة على ساحل بحر اليمن والهند.

إذا نَـطَـقَ الـقـومُ الـجُـلـوسُ فـإنَّـنـي مُكِبٌّ[١] كـأنـي فـي الـجـمـيـع غـريـبُ

[الطويل]

[بشار وأبو الشمقمق]

أخبرني هاشم قال حدَّثني دَماذ حدَّثني رجل من الأنصار قال: جاء أبو الشَّمَقْمَقِ إلى بشار يشكو إليه الضِّيقَةَ[٢] ويحلفُ له أنه ما عنده شيء؛ فقال له بشار: واللَّه ما عندي شيء يُغنِيكَ ولكن قُمْ معي إلى عُقبةَ بن سَلْم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال: هو شاعرٌ وله شكر وثناءٌ، فأمر له بخمسمائة درهم؛ فقال له بشار:

يـا واحِـدَ الـعَـرَبِ الَّـذي أَمـسـى وَلـيَـسَ لَـهُ نَـظِـيـرُ

لَـو كـانَ مِـثـلَـكَ آخَـرٌ مـا كـانَ فـي الـدُّنـيـا فَـقـيـرُ

[مجزوء الكامل]

فأمر لبشار بألفَيْ درهم، فقال له أبو الشمقمق: نفعتَنا ونفعناكَ يا أبا مُعاذٍ، فجعل بشار يضحك.

[بشار وأبو جعفر المنصور]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهرُويَه قال حدّثنا زكريَّا بن يحيى أبو السُّكَينِ الطائيّ قال حدَّثني رَحْرُ بنُ حِصْنٍ قال: حجَّ المنصورُ فاستقبلناه بالرَّضْم[٣] الذي بين زبالة[٤] والشقوق[٥]، فلما رحل من الشقوق رحل في وقت الهاجرة فلم يركب القُبَّة[٦] وركب نجيباً فسار بيننا، فجعلت الشمسُ تضحَكُ[٧] بين عينيه، فقال: إني قائلٌ بيتاً فمن أجازه وهَبْتُ له جُبتي هذه؛ فَقُلْنا: يقول أمير المؤمنين، فقال:

---

(١) رجل مكب، ومكباب: كثير النظر إلى الأرض.

(٢) ضاقَ الشيء يَضيقُ ضَيْقاً وضيقاً. والضَّيْقُ أيضاً تخفيف الضَّيّق. والضَّيْقُ أيضاً: جمع الضَّيْقَةِ، وهي الفقر وسوء الحال.

(٣) اسم موضع.

(٤) زبالة: موضع معروف بطريق مكة من الكوفة وهي قرية معروفة فيها أسواق.

(٥) الشقوق: موضع بطريق مكة من الكوفة.

(٦) القبة: الهودج.

(٧) قال أبو مالك: الضاحك: قطعة تنكسر من الجبل عن لون أبيض فكأنها تضحك إذا رأيتها من بعيد، وقيل ضحك تلألأ.

وَهـاجِـرَةٍ نَـصَـبْـتُ لَـهـا جَـبِـيـنـي يُـقَـطِّـعُ ظَـهـرُهـا ظَـهـرَ الـعِـظـايَـه[١]

[الوافر]

فبدر بشارٌ الأعمى فقال:

وَقَـفـتُ بِـهـا الـقَـلـوصَ[٢] فَـفـاضَ دَمـعـي عَـلـى خَـدّي وَأَقـصـرَ واعِـظـايَـه

[الوافر]

فنزع الجبَّةَ وهو راكب فدفعها إليه. فَقُلْتُ لبشار بعد ذلك: ما فَعَلْتَ بالجُبَّةِ؟ فقال بشَّارٌ: بعتُها واللَّهِ بأربعمائةِ دينار.

[كان له شعر غث يُعيَّرُ به]

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدَّثنا الحسنُ بن عُلَيلٍ العَنزِيّ قال حدَّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال حدَّثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عيَّاش بن أبي ربيعة عن أبيه قال: كان بشَّارٌ مُنْقطعاً إليَّ وإلى إخوتي فكان يَغشانا كثيراً، ثم خرج إبراهيمُ بنُ عبد اللَّه فخرج معه عِدَّةٌ منَّا، فلما قُتِلَ إبراهيم توارَينا، وحبَسَ المنصورُ منَّا عِدَّةً من إخوتي، فلما وَلِيَ المهدِيُّ أَمَّنَ الناسَ جميعاً وأطلق المحبوسين، فقدِمْتُ بغدادَ أنا وإخوتي نَلْتَمِسُ أماناً من المهديّ، وكان الشعراءُ يَجْلِسون بالليل في مسجد الرُّصافَةِ[٣] يُنْشِدونَ ويتحدثونَ، فلم أُطلِع بشاراً على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهديُّ الأمانَ، وكتب أخي إلى خليفته بالليل، فَصِحْتُ به: يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول:

أُحِـبُّ الـتَّـاتَـمَ الأحـمَـرَ مِـن حُـبِّ مَـوالِـيَّـه

[الهزج]

فأعرض عنِّي وأخذ في بعض إنشاده شعرَه، ثم صِحْتُ يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول:

إنَّ سَـلْـمـى خُـلِـقَّـتْ مـن قَـصَـبٍ قـصـبِ الـسـكَّـر لا عـظـم الـجـمـل

---

(١) العِظايَةُ على خِلْقةِ سامٍّ أبرص، أو أُعَيظِم منهُ شيئاً، والذّكر يقال له اللحم غير أنه إذا لم تَرَ قوائمها ظَنَنْتَ أن رأسها رأسُ حيّةٍ. وتجمع: عِظاء، وثلاث عِظايات، والعَظاءَةُ: لغة فيها.

(٢) القَلُوصُ: «الأُنْثَى من النَّعام، ومن الرِّئَال»، هكذا بواو العَطْف في سَائِر النُّسَخ. ونَصُّ الجَوهَريّ: من النَّعَام من الرِّئّال، بإِسْقَاطِ الوَاو. وفي العُبَاب: القَلُوصُ: الأُنْثَى من النَّعَام.

(٣) الرصافة: المقصود رصافة العراق، وهي موضع بناه المهدي بأمر المنصور، وكان الفراغ منها في سنة ١٥٩هـ.

وإذا أدنيتَ منها بَصَلاً غَلَبَ المِسكُ على ريحِ البَصلْ

[الرمل]

فَغَضِبَ وصاح: من الذي يُقَرِّعُنا بأشياءَ كُنَّا نَعْبَثُ بها في الحداثةِ فهو يُعَيِّرُنا بها! فتركتُهُ ساعةً ثم صِحْتُ به: يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول:

أَخُشَّابُ حَقّاً أَنَّ دارَكِ تُزعِجُ وَأَنَّ الَّذي بَيني وَبَينَكِ يَنهِجُ[١]

[الطويل]

فقال: ويَحكَ! عن مثلِ هذا فَسَلْ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جيِّدِ شعره، وفيه غِنَاءٌ:

صوت

فَواكَبِداً قَد أَنضَجَ الشَّوقُ نِصفَها وَنِصفٌ عَلى نارِ الصَّبابَةِ يَنضَجُ

وَواحَزنا مِنهُن يَحفُفنَ هودجاً وَفي الهودجِ المَحفوفِ بَدرٌ مُتَوَّجُ[٢]

فإِن جِئتُها بينَ النساء فَقُل لَها عَلَيكِ سَلامٌ ماتَ مَن يَتَزَوَّجُ[٣]

بَكَيتُ وَما في الدمعِ مِنكَ خَليفَةٌ وَلَكِنَّ أَحزاني عَلَيكَ تَوَهَّجُ

[الطويل]

الغناءُ لِسُلَيم بن سَلَّام رملٌ بالوسطَى. ووجدْتُ هذا الخبرَ بخط ابن مَهْرُويَه فذكر أنه قال هذه القصيدةَ في امرأة كانت تَغْشى مجلسَهُ وكان إليها مائلاً يُقَالُ لها خَشَّابَةُ، فارسيَّةٌ، فزُوِّجَتْ وأُخْرِجَتْ عن البصرة.

[أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه]

أخبرني عمي قال حدَّثني الكِرانيّ قال حدّثني أبو حاتم: قال أبو النَّضِيرِ الشاعرُ: أنشدْتُ بشَّاراً قصيدةً لي، فقال لي: أيَجيئُكَ شعرُكَ هذا كُلَّما شِئْتَ أم هذا شيء يجيئك في الفَيْنةِ[٤] بعد الفينةِ إذا تَعَمَّلتَ[٥] له؟ فَقُلْتُ: بل هذا شعرٌ يجيئني كلما

(١) أَنْهَجَ الثوبُ، إذا أخذ في البِلى.

(٢) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

وَما صَدَقَت رُؤيايَ يَحفُفنَ مَركَباً وَفي المَركَبِ المَحفوفِ بَدرٌ مُتَوَّجُ

(٣) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

إِذا رَكِبَت مِنّا بِلَيلٍ فَقُل لَها عَلَيكِ سَلامٌ ماتَ مَن يَتَزَوَّجُ

(٤) الفَيْناتُ: الساعات. يقال: لقيته الفَيْنَةَ بعد الفَيْنَةِ، أي الحين بعد الحين. وإن شئت حذفت الألف واللام فقلت لقيته فَيْنَةً.

(٥) تعمّل: تكلف.

أردْته؛ فقال لي: قُلْ فإنَّكَ شاعر؛ فَقُلْتُ له: لعلَّك حابيتَني أبا مُعاذٍ وتحمَّلتَ[١] لي؛ فقال: أنتَ أبقاك اللَّهُ أهونُ عليّ من ذلك.

[حاول تقبيل جارية لصديق له، وقال شعراً يعتذر فيه عن ذلك]

أخبرني عمي قال حدَّثنا الكِرانيّ عن العُمَريّ عن عبَّاس بن عبَّاس الزِّناديِّ عن رجلٍ من باهِلةَ، قال: كُنْتُ عند بشَّارٍ الأعمى فأتاه رجلٌ فسلَّم عليه، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال: كيف ابنتي؟ قال: في عافيةٍ، تدعوكَ اليومَ؛ فقال بشار: يا باهليّ انهَضْ بِنا، فجئنا إلى منزلٍ نظيفٍ وفَرشٍ سَرِيّ[٢]، فأكلنا، ثم جيء بالنبيذ فشَرِبنا مع الجارية، فلما أراد الانصرافَ قامت فأخذت بيد بشار، فلما صارا في الصحن أومأ إليها لِيُقَبِّلَها، فأرسَلَتْ يَدَها من يَدِهِ، فجعلَ يجولُ في العَرْصَةِ[٣]؛ وخرج المولى فقال: ما لك يا أبا مُعاذٍ؟ فقال: أذنبْتُ ذنباً ولا أبرحُ أو أقولَ شعراً، فقال:

أَتــوبُ إِلَــيــك مِــنَ الــسَّــيِّــئــات ... وَأَســتَــغــفِــرُ الــلَّــهَ مِــن فَــعْــلَــتــي
تَــنــاوَلــتُ مــا لَــم أُرِد نَــيــلَــهُ ... عَــلــى جَــهــلِ أَمــري وَفــي سَــكــرَتــي
وَوَالــلَّــهِ وَالــلَّــهِ مــا جِــئْــتُــهُ ... لِــعَــمــدٍ وَلا كــانَ مِــن هِــمَّــتــي
وَإِلاّ فَــمُــتُّ إِذاً ضــائِــعــاً ... وَعَــذَّبَــنــي الــلَّــهُ فــي مــيــتَــتــي
فَــمَــن نــالَ خَــيــراً عَــلــى قُــبــلَــةٍ ... فَــلا بــارَكَ الــلَّــهُ فــي قُــبــلَــتِــي

[المتقارب]

[كتب شعراً على باب عقبة يستنجزه وعده]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: لما أنشدَ بشَّارٌ أرجوزَته:

يــا طَــلَــلَ الــحَــيِّ بِــذاتِ الــصَــمــدِ[٤]

أبا المِلَدِّ عُقْبةَ بن سَلْم أمر له بخمسين ألفَ درهم، فأخّرها عنه وَكِيلُه ثلاثةَ

(١) لعلّ المقصود «وتجملت لي» بالجيم، أي تكلفت الجميل وتظاهرت لي به.

(٢) سريّ: جيد.

(٣) العرصات، والعرصة: أرض الدار وحيث بنيت. قال النضر: لو جلست في بيت من بيوت الدار كنت جالساً في العرصة بعد أن لا تكون في العلو.

(٤) البيت على الرجز، وهو في الديوان على الشكل التالي:

يــا طَــلَــلَ الــحَــيِّ بِــذاتِ الــصَــمــدِ ... بِــالــلَّــهِ حَــدِّث كَــيــفَ كُــنــتَ بَــعــدي

أيام، فأمرَ غُلامَه بشَّارٌ أن يَكْتُبَ على باب عُقْبةَ عن يمين الباب:

مـازالَ مـا مَـنَّـيـتَـنِـي مـن هَـمِّـي والـوعـدُ غـمٌّ فـأزِحْ مـن غَـمِّـي
إن لـم تُـرِدْ حَـمْـدي فَـراقِـبْ ذَمِّـي

[الرجز]

فلما خرج عقبةُ رأى ذلك، فقال: هذه من فَعَلاتِ بشَّارٍ، ثم دعا بالقَهْرَمانِ[١]، فقال: هل حملتَ إلى بشَّارٍ ما أمَرْتُ له به؟ فقال: أيها الأمير نحن مُضِيقُونَ[٢] وغداً أحمِلها إليه؛ فقال: زِدْ فيها عشرةَ آلاف درهم واحمِلْها إليه الساعةَ؛ فَحَمَلَها مِنْ وقتِهِ.

[نهيه عن التشبب]

أخبرني هاشم قال حدَّثنا أبو غسَّانَ دماذ قال: سألْتُ أبا عُبيدةَ عن السبب الذي من أجلِهِ نهى المهديُّ بشَّاراً عن ذكر النساء قال: كان أوَّلُ ذلك استهتارَ نساء البصرة وشُبَّانِها بشعره، حتى قال سوّار بن عبد اللَّه الأكبر ومالكُ بن دينار؛ ما شَيءٌ أدعى لأهل هذه المدينةِ إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ ومازالا يَعِظانِه؛ وكان واصلُ بنُ عطاء يقول: إن مِنْ أخدَع حبائِل الشيطان وأغواها لَكَلِماتِ هذا الأعمى المُلْحِد. فلما كَثُرَ ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهديّ، وأنشدَ المهديّ ما مدَحه به، نهاه عن ذكر النساء وقولِ التشبيب، وكان المهديّ من أشدِّ الناس غَيْرةً؛ قال: فَقُلْتُ له: ما أَحْسَبُ شعر هذا أبلغَ في هذه المعاني من شعر كُثَيِّرٍ[٣] وجَميل[٤]

(١) القَهْرَمانُ: هو المُسَيطِرُ الحَفيظُ على ما تحتَ يَدَيْه، قال:

مـجـداً وعـزاً قَـهْـرَ مـانـاً قَـهْـقَـبـا

(٢) مضيقون: ضيقو الحال.

(٣) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة وأمه جمعة بنت الأشيم الخزاعية. شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر ولد في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك، وتوفي والده وهو صغير السن وكان منذ صغره سليط اللسان وكفله عمه بعد موت أبيه وكلفه رعي قطيع له من الإبل حتى يحميه من طيشه وملازمته سفهاء المدينة. واشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي: عزة بنت حُميل بن حفص من بني حاجب بن غفار كنانية النسب كناها كثير في شعره بأم عمرو ويسميها تارة الضميريّة وابنة الضمري نسبة إلى بني ضمرة. وسافر إلى مصر حيث دار عزة بعد زواجها وفيها صديقه عبد العزيز بن مروان الذي وجد عنده المكانة ويسر العيش. وتوفي سنة ١٠٥هـ في الحجاز هو وعكرمة مولى ابن عباس في نفس اليوم فقيل: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس.

(٤) جميل بن عبد اللَّه بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو. شاعر من عشاق العرب، افتتن ببثينة من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. كانت منازل بني عذرة في وادي القرى من أعمال المدينة ورحلوا إلى أطراف =

وعُروةَ بن جزام[١] وقيس بن ذريح[٢] وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ من يسمع تلك الأشعارَ يَعْرِفُ المراد منها، وبشار يُقارِبُ النساء حتى لا يخفى عليهنَّ ما يقولُ وما يريدُ، وأيّ حُرَّةٍ حَصانٍ تسمع قولَ بشار فلا يؤثر في قلبِها، فكيف بالمرأة الغَزِلَةِ والفتاةِ التي لا همَّ لها إلا الرجالُ! ثم أنشد قوله:

قَد لامَني في خَليلَتي عُمَرُ ... وَاللَّومُ في غَيرِ كُنهِهِ ضَجَرُ
قالَ: أَفِق قُلتُ لا فَقالَ بَلى ... قَد شاعَ في الناسِ منكُما الخَبَرُ
قُلتُ: وإِذا شاعَ ما اعتِذارُك مِمّا ... لَيسَ لي فيهِ عِندَهُم عُذُرُ
ماذا عليهِم وما لهُم خَرِسُوا ... لو أَنَّهُم في عيوبهِم نَظَرُوا
أعشَقُ وحدي ويؤخَذُون به ... كالتُّركِ تَغزُو فتُؤخذُ الخَزَرُ
يا عجباً للخلاف يا عجباً ... بِفِي الذي لام في الهوى الحَجرُ
حَسْبي وحَسْبُ الذي كَلِفْتُ به ... مِنِّي ومنه الحديثُ والنظرُ
أو قُبْلَةٌ في خلال ذاك وما ... بأسٌ إذا لم تُحلَّ لي الأُزُرُ
أو عَضَّةٌ في ذراعها ولها ... فوق ذراعي من عَضِّها أَثَرُ
أو لَمسةٌ دون مِرْطِها[٣] بيدي ... والبابُ قد حال دونه السُّتُرُ
والساقُ برَّاقَةٌ مُخلخَلُها ... أو مَصُّ رِيقٍ وقد علا البُهُرُ[٤]

= الشام الجنوبية. فقصد جميل مصر وافداً على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه وأمر له بمنزل فأقام قليلاً ومات فيه سنة ٨٣هـ.

(١) عروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة. شاعر، من متيّمي العرب، كان يحب ابنة عم له اسمها (عفراء) نشأ معها في بيت واحد، لأن أباه خلفه صغيراً، فكفله عمه. ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له في اليمن، وعاد فإذا هي قد تزوجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها، فأكرمه زوجها. فأقام أياماً وودعها وانصرف، فضنى حباً، فمات قبل بلوغ حيّه ودفن في وادي القرى (قرب المدينة) سنة ٣٠هـ.

(٢) قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني. شاعر من العشاق المتيمين، اشتهر بحب لبنى بنت الحباب الكعبية، وهو من شعراء العصر الأموي، ومن سكان المدينة. كان رضيعاً للحسين بن علي بن أبي طالب، أرضعته أم قيس، وأخباره مع لبنى كثيرة جداً، وشعره عالي الطبقة في التشبيب ووصف الشوق والحنين، ، توفي سنة ٦٨هـ.

(٣) المَرْطُ: نَتْفُ الشعر والرِّيش والصُّوف عن الجسد. مرَطَ شعرَه يَمرُطُه مَرْطاً فانْمَرط: نتفه، ومرَّطه فتَمرَّط؛ والمُراطةُ: ما سقط منه إذا نُتِف، وخص اللحياني بالمُراطةِ ما مُرِطَ من الإِبْط أَي نُتِف. والأَمْرَطُ: الخفِيفُ شعر الجسد والحاجبين والعينين من العمَش.

(٤) من المَجاز: البُهْرُ: انْقِطَاعُ النَّفَسِ من الإِعياءِ.

واسترخَتِ الكفُّ للعراك وقا ... لت: إيهِ عنِّي والدَّمعُ مُنْحَدِرُ
إنهضْ فما أنْتَ كالذي زعموا ... أنت ورّبي مُغازِلٌ أشِرُ
قد غابَتِ اليومَ عنْكَ حاضِنَتي ... واللَّهُ لي مِنْكَ فيكَ يَنْتَصِرُ
يا ربّ خُذْ لي فقد ترى ضَرَعي ... من فاسقٍ جاء ما له سَكَرُ
أهوَى إلى مِعضَدِي[1] فرضَّضَهُ ... ذو قوّةٍ ما يُطاقُ مُقتدِرُ
ألصقَ بي لِحْيةً له خَشُنَتْ ... ذات سوادٍ كأنَّها الإبَرُ
حتى عَلاني وأُسرتي غَيَبٌ[2] ... ويَلي عليه لو أنَّهم حَضَرُوا
أُقْسِمُ باللَّه لا نجوتَ بها ... فاذهبْ فأنت المُساوِرُ الظَّفِرُ
كيف بأُمِّي إذا رَأَتْ شَفَتي ... أم كيف إن شاع منك ذا الخبرُ
قد كُنْتُ أخشى الذي ابتُلِيتُ به ... منك فماذا أقولُ: ياعبرُ[3]
قُلْتُ لها: عند ذاك يا سَكَني ... لا بأسَ إني مُجَرّبٌ خَبِرُ
قُولي لها بَقَّةٌ لها ظُفُرٌ ... إن كان في البقِّ ما له ظُفُرُ

[المنسرح]

ثم قال له: بمثل هذا الشعر تَميلُ القلوبُ ويَلين الصَّعبُ.

قال دَماذ قال لي أبو عبيدة: قال رجلٌ يوماً لبشَّار في المسجد الجامع يُعابِثُهُ: يا أبا مُعاذ، أيُعجبك الغلامُ الجادل[4]؟ فقال غيرَ مُحتِشم ولا مُكترث: لا، ولكن تُعجِبُني أُمّه.

[عند خالد البرمكي]

أخبرني عمي قال حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثني محمد بن سهل عن محمد بن الحجَّاج قال: ورد بشَّار على خالد بن بَرْمَك وهو بفارس فامتدحه؛ فوعده ومَطَله؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده:

---

(١) العضَد: هو الدُّمْلُجُ، لأنه على العَضُد يكونُ، كالمِعْضَدَة.

(٢) غيب: جمع غيب.

(٣) العبر(بتليث العين وسكون الباء): الجريء القوي الذي يشقّ ما مر به، ولعلّ حركت الباء بحركة ما قبلها لضرورة الشعر.

(٤) غلامٌ جادِلٌ: مشتدٌ. وجَدَلَ الحَبُّ في سُنبله: قَوِيَ. قال الأصمعي: الجادِلُ من ولد الناقة فوقَ الراشح، وهو الذي قويَ ومشى مع أُمّه.

أَظَلَّت عَلَينا مِنكَ يَوماً سَحابَةٌ أَضاءَت لَنا بَرقاً وَأَبطى رَشاشُها[١]
فَلا غَيمُها يُجلى فَيَيأَسَ طامِعٌ وَلا غَيثُها يَأتي فَيُرْوى عِطاشُها
[الطويل]

فَحَبَسَ بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرِفَ السحابةُ حتى تَبُلَّك إن شاء اللَّه.

[تظاهر بالحج وخرج لذلك مع سعد بن القعقاع]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدَّثني عليّ بن حَرْب الطائيّ قال حدثني إسماعيلُ بن زِياد الطائيّ قال: كان رجلٌ منا يُقالُ له سعد بن القَعقاع يتندَّم[٢] بشَّاراً في المجانة، فقال لبشار وهو يُنَادِمُهُ: ويحك يا أبا مُعاذ! قد نَسبنا الناسُ إلى الزَّندقة، فهل لك أن تَحُجّ بنا حِجَّةً تنفي ذلك عنا؟ قال: نِعْمَ ما رأيتَ! فاشتَرَيا بعيراً ومَحمِلاً وركِبا، فلما مَرّا بزُرارَةَ[٣] قال له: ويحك يا أبا مُعاذ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها! مِلْ بنا إلى زُرارة نتنَّعمُ فيها، فإذا قَفَلَ الحاجُّ عارضناهم بالقادسيَّة[٤] وجَزَزنا رؤوسنا فلم يَشُكَّ الناسُ أنَّا جئنا من الحجِّ؛ فقال له بشار: نِعْمَ ما رأيت لولا خُبثُ لسانك، وإني أخافُ أن تَفْضَحنا. قال: لا تخفْ. فمالا إلى زُرارة فما زالا يشربَان الخمر ويَفسُقان، فلما نَزَلَ الحاجُّ بالقادسيَّة راجعينَ، أخذا بعيراً ومَحْمِلاً وجَزَّا رَأسيهما وأقبلا وتلقَّاهما الناسُ يهنِّئونهما؛ فقال سعد بن القَعقاع:

ألَم تَرَني وبشاراً حَجَجْنا وكان الحجُّ من خير التِّجارَه
خرجنا طالبَي سَفَرٍ بعيدٍ فمال بنا الطريقُ إلى زُراره
فآب الناسُ قد حجُّوا وبَرُّوا وأُبنا مُوقَرين من الخساره
[الوافر]

[أنكر عليه داود بن زرين أشياء فأجابه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثني محمد بن القاسم الدّينَوريّ قال حدَّثني محمد بن عِمران بن مطر الشاميّ قال حدَّثني محمد بن الحَسَّان الضَّبِّيّ قال حدَّثني

(١) الرشاش: المطرُ الخفيف.
(٢) المقصود المنادمة، وهذه الصيغة ليست بليغة، وهي غير مستعملة.
(٣) زُرارة: محلة بالكوفة.
(٤) القادسية: بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر ميلاً، كانت بها وقعة القادسية، التي انتصر فيها المسلمون على الفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.

محمود الورَّاق قال حدَّثني داود بن رَزِين قال: أتينا بشَّاراً فأذن لنا والمائدةُ موضوعةٌ بين يديه فلم يَدْعُنا إلى طعامه، فلما أكل دَعا بطست فَكَشف عن سَوْءَته فبالَ؛ ثم حضرتِ الظهرُ والعصرُ فلم يصلِّ، فدنَوْنا منه فقلنا: أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياءَ أنكرناها؛ قال: وما هي؟ قُلْنا: دخلنا والطعامُ بين يديك فلم تَدْعُنا إليه؛ فقال: إنَّما أَذِنْتُ لكم أن تأكلوا ولو لم أرِد أن تأكلوا لَمَا أذِنْتُ لكم؛ قال: ثم ماذا؟ قُلْنا: ودعوتَ بطست ونحن حضورٌ فَبُلْتَ ونحن نراك؛ فقال: أنا مكفوف وأنتم بُصَراء وأنتم المأمورون بِغَضّ الأبصار، ثم قال: ومَهْ[1]؛ قُلْنا: حضرتِ الظهرُ والعصرُ والمغربُ فلم تُصَلِّ؛ فقال: إنَّ الذي يقبَلُها تفاريقَ يقبلها جُمْلةً.

أخبرنا يحيى قال حدَّثني أبو أيُّوب المدينيّ عن بعض أصحاب بشار قال: كُنا إذا حَضَرَتِ الصلاةُ نقوم ويقعد بشار فنجعل حول ثِيابه تُراباً لننظُرَ هل يصلِّي، فنعودُ والترابُ بحاله.

[بشار والثقلاء]

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيُّوب عن الجِرمازِيّ قال: قعد إلى بشار رجلٌ فاستثقله فَضَرَط عليه ضَرْطةً، فظنَّ الرجلُ أنَّها أفلَتَتْ منه، ثم ضَرَط أُخرى، فقال: أفلتت، ثم ضَرَط ثالثة، فقال: يا أبا مُعاذ، ماهذا؟ قال: مَهْ! أرأيتَ أم سَمِعْتَ؟ قال: بل سَمِعْتُ صوتاً قبيحاً، فقال: فلا تُصدِّق حتى تَرى.

قال: وأنشد أبو أيّوب لبشَّارٍ في رجل استثقَلَهُ:

رُبَّما يَثقُلُ الجَليسُ وَإِن كا ... نَ خَفيفاً في كِفَّةِ الميزانِ
كَيفَ لا تَحمِلُ الأَمانَةَ أَرضٌ ... حَمَلَت فَوقَها أَبا سُفيانِ

[الخفيف]

وقال فيه أيضاً:

هَل لَكَ في مالي وَعِرْضي مَعاً ... وَكُلِّ ما يَملِكُ جيرانِيَه
وَاذهَب إِلى أَبعَدِ ما يُنتَوى[2] ... لا رَدَّكَ اللَّهُ وَلا مالِيَه

[السريع]

(١) ومه: أصله «وما» فأبدلت الألف هاء للوقف والسكت.
(٢) من المجاز: نواك اللَّه بالخير: قصدك به وأوصله إليك.

[أنشد الوليد شعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق قال حدَّثني محمد بن إبراهيم الجيليّ قال حدَّثني محمد بن عِمرانَ الضَّبِّيّ قال أنشدْنا الوليدَ بن يزيدَ قولَ بشَّار الأعمى:

أيُّـهـا الـسـاقـيـانِ صُـبَّـا شَـرَابـي ... واسـقـيـانـي مـن ريـقِ بـيـضـاءَ رُودِ[١]
إنَّ دائـي الـظَّـمـا، وإنّ دوائـي ... شَـرْبَـةٌ مـن رُضَـابِ ثَـغْـرٍ بَـرُودِ
ولـهـا مَـضـحـكٌ كـغُـرّ الأقـاحـي[٢] ... وحـديـثٌ كـالـوَشْـي وَشْـي الـبُـرُودِ
نـزلَـت فـي الـسَّـواد مـن حـبّـة الـقـلـب ونـالـت زيـادةَ الـمُـسـتَـزيـد
ثـم قـالـت: نَـلـقَـاك بـعـد لَـيـالٍ ... والـلـيـالـي يُـبْـلِـيـنَ كـلَّ جـديـدِ
عـنـدهـا الـصـبـرُ عـن لـقـائـي وعـنـدي ... زَفَـراتٌ يـأكُـلـنَ قـلـبَ الـحـديـدِ[٣]

[الخفيف]

قال: فَطُرِبَ الوليدُ وقال: مَنْ لي بمزاجِ كاسي هذه من رِيق سَلْمى فَيَرْوي ظَمَئي وتُطْفأ غُلَّتي! ثم بكى حتى مَزَجَ كأسَه بدمعه، وقال: إن فاتَنا ذاك فهذا.

[هجا جاره أبا زيد فهجاه]

أخبرني عمي قال حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سَعد قال حدَّثني محمد بن محمد بن سُليمان الطُّفاويّ قال حدَّثني عبد اللَّه بن أبي بكر ـ وكان جليساً لبشَّار ـ قال: كان لنا جارٌ يُكْنى أبا زيد وكان صديقاً لبشَّار، فبعث إليه يوماً يطلُبُ منه ثياباً بنسيئة[٤] فلم يصادفْها عنده، فقال يهجوه:

أَلا إنَّ أَبـا زَيـدٍ ... زَنـى فـي لَـيـلَـةِ الـقَـدرِ
وَلَـم يَـرْعَ تَـعـالـى الـلَّـهُ رَبّـي حُـرمَـةَ الـشَّـهـرِ

[الهزج]

---

(١) الرود: الشابة الحسناء.

(٢) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:

ولـهـا مَـبْـسِـمٌ كـغُـرّ الأقـاحـي

(٣) البيت الأخير ورد في المصادر على الشكل التالي:

لا أُبـالـي مَـنْ ضَـنَّ عـنـي بـوَصْـل ... إنْ قَـضَـى الـلَّـه مـنـك لـي يَـوْم جـودِ

(٤) نَسَأْتُ الشيءَ نَسْأً: أخَّرتُهُ، وكذلك أَنْسَأْتُهُ، فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ بمعنًى. تقول: اسْتَنْسَأْتُهُ الدَّيْنَ فأَنْسَأَني. الأصمعيّ: أَنْسَأَهُ اللَّه أجَلَهُ ونَسَأَهُ في أجله بمعنًى. والنُّسْأَةُ بالضم: التأخير، مثل: الكُلاَءَة. وكذلك النَّسيئَةُ، على فَعيلَةٍ. تقول: نَسَأْتُهُ البيعَ وأَنْسَأْتُهُ، وبِعْتُهُ بِنُسْأَةٍ وبِعْتُهُ بكُلاَءَةٍ أي =

وكتبها في رُقعة وبَعَثَ بها إليه، ولم يكن أبو زيد ممن يقول الشعر، فقلبها وكتب في ظهرها:

ألا إن أبـــــا زيـــــدٍ لـــه فـــي ذلـــكـــم عُـــذْرُ
أتـــتـــه أُمُّ بـــشَّـــارٍ وقـــد ضـــاق بـــهـــا الأمـــرُ
فـــواثـــبَـــهـــا فـــجـــامَـــعَـــهـــا ومـــا ســـاعـــدَه الـــصَّـــبـــرُ

[الهزج]

قال: فلما قُرِئَتْ على بشار غَضِبَ ونَدِمَ على تعرّضه لرجل لا نباهةَ له، فجعل ينطَحُ الحائطَ برأسِهِ غيظاً، ثم قال: لا تعرَّضْتُ لهِجاءِ سَفَلَة[1] مثل هذا أبداً.

[شعره في قينة]

أخبرني عمي قال حدَّثنا ابن مَهرُويه قال حدَّثني بعضُ ولد أبي عُبَيدِ اللَّه وزيرِ المهديّ، قال: دَخَلَ بشار علي المهديّ وقد عُرِضَتْ عليه جاريةٌ مُغَنِّية فسمِعَ غِناءها فأطربه وقال لبشَّار: قُلْ في صِفتِها شعراً؛ فقال:

وَرائِـحَـةٍ[2] لِـلـعَـيـنِ مِـنـهـا مَـخـيـلَـةٌ[3] إذا بَـرَقَـت لَـم تَـسـقِ بَـطـنَ صَـعـيـدِ
مِنَ الـمُـسـتَـهِـلّاتِ الـسُّـرور عَـلـى الـفَـتـى خَـفـا[4] بَـرقُـهـا مِـن عـبـقـرٍ[5] وَعُـقـودِ
كـأنَّ لـسـانـاً سـاحـراً فـي كـلامـهـا أُعِـيـنَ بـصـوت لـلـقـلـوب صَـيُـودِ
تُـمِـيـتُ بـه ألـبـابـنـا وقـلـوبَـنـا مـراراً وتُـحـيِـيـهـنَّ بـعـد هُـمُـودِ

[الطويل]

= بأَخِرَةٍ، وبِعْتُهُ بنَسيئَةٍ أي بأَخِرَةٍ. وقال الأخفش: أَنْسَأْتُهُ الدَّيْنَ، إذا جعلته له مؤخَّراً، كأنَّك جعلته له يؤخِّره. ونَسَأْتُ عنه دَيْنَهُ، إذا أخَّرتَهُ نَساءً.

(١) السفلة: الغوغاء من الناس.

(٢) الرّائحة: ريحٌ طيّبة تجدها في النّسيم، تقول: لهذه البقلة رائحة طيّبة.

(٣) يقالُ أخطأت في فلان مخيلتي أي ظنّي.

(٤) خفا البرق: لمع بضعف خفواً وخفواً.

(٥) العَبْقَريُّ: ضربٌ من البُسُط، الواحدة بالهاء، وقال بعضهم: عَباقِريّ، فإن أرادَ بذلك جَمْعَ عَبْقَريٍّ، فإنَّ ذلك لا يكون لأنَّ المنسوبَ لا يُجْمَعُ على نِسبةٍ ولا سيَّما الرباعيُّ، لا يُجْمَعُ الخثعمي بالخَثاعِميِّ ولا المُهَلَّبِيِّ بالمَهالِبِيِّ، ولا يجوز ذلك ألا أن يكونَ يُنسب اسمٌ على بناء الجماعة بعدَ تَمام الاسم نحو شَيءٍ تنسِبُه إلى حَضاجِر وسَراويل فيقال: حَضارجيٌّ وسَراويليٌّ، ويُنسب كذلك إلى عَباقِر فيقال: عَباقِريٌّ. والعَبْقَرةُ: تَلألُؤ السَّراب.

[شعره في عقبة بن سلم]

أخبرني عمي قال حدَّثنا أبو أيُّوب المدينيّ قال: قال أبو عَدنانَ حدَّثني يحيى بن الجَوْنِ قال: دخل بشار يوماً على عُقبةَ بن سَلْمٍ فأنشده قوله فيه:

صـوت

إِنَّـمـا لَـذَّةُ الـجَـوادِ ٱبـنِ سَـلـمٍ فـي عَـطـاءٍ وَمَـركَـبٍ لِـلِّـقـاءِ
لَـيسَ يُـعـطـيكَ لِـلـرَّجـاءِ وَلا الـخَـو فِ وَلَـكِـن يَـلَـذُّ طَـعـمَ الـعَـطـاءِ
يَـسـقُـطُ الـطَّـيـرُ حَـيـثُ يَـنـتَـثِـرُ الـحَـبُّ وَتُـغـشـى مَـنـازِلُ الـكُـرَمـاءِ
لا أُبـالـي صَـفـحَ الـلَّـئـيـمِ وَلا تَـجـري دُمـوعـي عَـلـى الـحـرونِ[1] الـصَّـفـاءِ
فَـعَـلـى عُـقـبَـةَ الـسَّـلامُ مُـقـيـمـاً وَإِذا سـارَ تَـحـتَ ظِـلِّ الـلِّـواءِ

[الخفيف]

فوصَلَه بعشرة آلاف درهم. وفي هذه الأبياتِ خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر لِرَذاذٍ، وهو من مختار صنعته وصُدورِها ومما تَشبَّهَ فيه بالقدماء ومذاهبهم.

[رواية خلف الأحمر عنه]

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسكريّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزِيُّ قال حدَّثنا أحمد بن خَلَّادٍ عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويَه قال حدَّثني أحمد بن خَلَّاد عن الأصمعيّ قال: كنْتُ أشهَدُ خَلَفَ بن أبي عمرو بن العلاء وخَلَفاً الأحمرَ يأتيانِ بشاراً ويُسلِّمانِ عليه بغاية التعظيم ثم يقولان: يا أبا مُعاذٍ، ما أحدَثْتَ؟ فَيُخبِرُهما ويُنْشِدُهما ويَسألانه ويكتُبان عنه مُتواضِعَيْن له حتى يأتيَ وقتُ الظهر ثم يَنْصَرِفان عنه، فأتياه يوماً فقالا له: ما هذه القصيدَةُ التي أحدَثْتها في سَلْم بن قتيبةَ؟ قال: هي التي بلغَتْكُما؛ قالا: بلغنا أنك أكثرْتَ فيها من الغريب؛ فقال: نعم، بلغني أنَّ سَلْماً يتباصَرُ[2] بالغريب فأحْبَبْتُ أن أُوردَ عليه ما لا يعرفُهُ؛ قالا: فأنشِدناها، فأنشَدَهُما:

بَـكِّـرا صـاحِـبَـيَّ قَـبـلَ الـهَـجـيـرِ[3] إِنَّ ذاكَ الـنَّـجـاحَ فـي الـتَّـبـكـيـرِ

[الخفيف]

(١) ورد في بعض المصادر « الخَؤُون» بدل «الحرون»، والحرون اسم خيل كانت لباهلة.
(٢) يتباصر: أظهر المعرفة والبصيرة به. (٣) الهجير: نصف النهار.

حتى فَرَغَ منها؛ فقال له خَلَفٌ: لو قُلْتَ يا أبا مُعاذ مكان «إن ذاك النجاح»:

بكِّرا فالنَّجاحُ في التَّبكير

كان أحسنَ؛ فقال بشَّار: بنيتُها أعرابيَّةً وحْشِيَّةً، فقلْتُ: «إنّ ذاكَ النجاحَ» كما يقولُ الأعرابُ البدَوِيُّون، ولو قُلْتُ: «بَكِّرا فالنجاحُ» كان هذا من كلام المولَّدِينَ ولا يُشبه ذلك الكلامَ و لا يدخلُ في معنى القصيدة؛ فقامَ خَلَفٌ فقبَّلَ بين عينيهِ؛ وقال له خَلْفُ بنُ أبي عمرو يُمازِحُهُ: لو كان عُلاثَةُ[1] ولدكَ يا أَبا مُعاذٍ لَفَعَلْتُ كما فعل أخي، ولكنَّك مولًى، فمدَّ بشارٌ يدَهُ فضرب بها فخذَ خَلَفٍ وقال:

أرفُق بِعَمرٍو إذا حَرَّكتَ نِسبَتَهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِن قَواريرِ

[البسيط]

فقال له: أفَعَلْتَها يا أبا مُعاذٍ! قال: وكان أبو عمرو يُغمَزُ في نسبه.

وأخبرني ببعض هذا الخبرِ حبيبُ بنُ نصر عن عُمر بنِ شَبَّةَ عن أبي عُبيدةَ، فذكر نحوه وقال فيه: إنَّ سَلْماً يُعجِبُه الغريبُ.

[قيل له إنّ فلانًا سبَّكَ عند الأمير فهجاه]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينَةُ قال: قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال: قال لي خَلَفٌ: كُنْتُ أسمعُ ببشار قبل أن أراه، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانَهُ وسُرعةَ جوابه وَجودة شعره، فاستنشَدتُهُم شيئاً من شعره، فأنشدوني شيئاً لم يكن بالمحمود عندي، فقُلْتُ: واللَّه لآتينَّهُ ولأُطأْطِئنَّ منه، فأتيتُهُ وهو جالسٌ على بابِهِ، فرأيته أعمى قبيحَ المنظَرِ عظيمَ الجثَّةِ، فَقُلْتُ: لعنَ اللَّهُ من يُبالي بهذا، فوقَفْتُ أتأمَّلُهُ طويلاً، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجلٌ فقال: إنَّ فلاناً سبَّكَ عند الأمير محمد بن سليمان ووضَعَ مِنْكَ؛ فقال: أوَقد فَعَلَ؟ قال: نعم؛ فأطرقَ، وجلسَ الرجلُ عنده وجَلَسْتُ، وجاء قومٌ فسلَّموا عليه فلم يَرُدْ عليهم، فجعلوا ينظرون إليه وقد دَرَّت[2] أوداجه[3] فلم يَلْبَثْ إلا ساعةً حتى أنشدنا بأعلى صوتِهِ وأفخمِهِ:

---

(١) العَلْثُ: الخَلْطُ. وإنّي غير معتلث الزناد أي: غير صلد الزّند. أي: أنا صافي النّسب. والعَلْث: خلط السمن بالأقِط، وهي العُلَاثة. وبه سُمِّي الرجل عُلاثة. يريد أنه لو كان عربياً لقبّله كما يدل السياق.

(٢) درّت: امتلأت دماً.

(٣) الوَدَجُ: عرقٌ متصلٌ من الرأس إلى السَّحر. والجمعُ: الأوداجُ، وهي عروقٌ تكتنفُ الحُلقُوم فإذا قصد قيل: ودِّج.

نُـبِّـئـتُ نـائـك أُمِّـهِ يَـغـتـابُـنـي[١] عَـنـدَ الأَمـيـرِ وَهَـل عَـلَـيَّ أَمـيـرُ
نـاري مُـحَـرِّقَـةٌ وبـيـتـي واسِـعٌ لِـلـمُـعـتَـفـيـنَ وَمَـجـلـسـي مَـعـمـورُ
وَلِـيَ الـمَـهـابَـةُ فـي الأَحِـبَّـةِ وَالـعِـدا وَكَـأَنَّـنـي أَسَـدٌ لَـهُ تـامـورُ[٢]
غَـرِثَـت[٣] حَـلـيـلَـتُـهُ وَأَخـطَـأَ صَـيـدَهُ فَـلَـهُ عَـلـى لَـقَـمِ[٤] الـطَّـريـقِ زَئـيـرُ

[الكامل]

قال: فارتَعَدَتْ واللَّه فَرائِصي واقْشَعَرَّ جلدي وعَظُمَ في عيني جداً، حتى قلت في نفسي: الحمد للَّه الذي أبعدَنِي من شرِّكَ.

[شعر له في مدح خالد بن برمك]

نَسَخْتُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني عليّ بن مهديّ قال حدَّثنا العباسُ بن خالد قال: مدحَ بشارٌ خالدَ بنَ برمكٍ فقال فيه:

لَـعَـمـري لَـقَـد أَجـدى عَـلَـيَّ ابـنُ بَـرمَـكٍ وَمـا كُـلُّ مَـن كـانَ الـغِـنـى عِـنـدَهُ يُـجـدي
حَـلَـبـتُ بِـشِـعـري راحَـتَـيـهِ فَـدَرَّتـا سَـمـاحـاً كَـمـا دَرَّ الـسَّـحـابُ مـع الـرَّعـدِ
إذا جِـئـتَـه لـلـحـمـد أشـرقَ وجـهُـهُ إلـيـكَ وأعـطـاكَ الـكـرامـةَ بـالـحـمـدِ
لـه نِـعَـمٌ فـي الـقـوم لا يـسـتـثـيـبُـهـا جـزاءً وكَـيْـلَ الـتّـاجِـر الـمُـدَّ بـالـمُـدِّ
مُـفِـيـدٌ ومِـتـلافٌ، سَـبـيـلُ تُـراثِـه إذا مـا غـدا أو راح كـالـجـزْرِ والـمَـدِّ
أخـالـدُ إنَّ الـحـمـدَ يـبـقـى لأهـلِـهِ جـمـالاً ولا تـبـقـى الـكُـنـوزُ عـلـى الـكَـدِّ
فَـأَطْـعِـمْ وكُـلْ مـن عـارَةٍ مُـسـتَـرَدَّةٍ ولا تُـبـقِـهـا، إن الـعَـوارِيَ لـلـرَّدِّ

[الطويل]

فأعطاه خالدٌ ثلاثين ألفَ درهم، وكان قبل ذلك يُعطِيهِ في كلِّ وِفادَةٍ خمسةَ آلاف درهم، وأمر خالدٌ أن يُكتَبَ هذان البيتانِ[٥] في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه. وقال ابنه يحيى بن خالد: آخِرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتينِ.

---

(١) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:
نُـبِّـئـتُ آكِـلَ خُـرئـهِ يَـغـتـابُـنـي

(٢) التامور: عرين الأسد.

(٣) به غرث وهو غرثان، وهي غرثى، وهم غراث وغرثى. وغرّثته: جوّعته.

(٤) اللَقَمُ بالتحريك: وسط الطريق.

(٥) يريد البيتين الأخيرين.

[عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه]

أخبرني عمي قال حدَّثنا عبد اللَّه بن عمر بن أبي سعد قال حدَّثني محمد عبد اللَّه بن عثمان قال: كان أبو الوزير مولى عبدِ القيس من عُمَّال الخراج، وكان عفيفاً بخيلاً، فسأل عُمَرَ بنَ العلاء، وكان جواداً شجاعاً، في رجل فوهب له مائةَ ألف درهم؛ فدخل أبو الوزير على المهديّ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عُمَرَ بنَ العلاء خائنٌ؛ قال: ومن أين عَلِمْتَ ذلك؟ قال: كُلِّمَ في رجل كان أقصى أَمَلِهِ ألفَ درهم فوهب له مائةَ ألف درهم؛ فضحك المهديّ ثم قال: «قُلْ كُلٌّ يَعملُ على شاكِلَتِهِ»، أما سَمِعْتَ قول بشَّار في عُمَر:

إذا دَهمتْكَ عِظامُ الأمورِ ... فنبِّه لها عمراً ثمَّ نمْ
فتًى لا يبيتُ على دِمنَةٍ[1] ... ولا يشربُ الماءَ ألا بدَمْ

[المتقارب]

أوَ ما سَمِعْتَ قولَ أبي العَتاهية فيه:

صوت

إنَّ المطايا تشتكيكَ لأنَّها ... قطعتْ إليكَ سباسِباً[2] ورِمالا
فإذا وردنَ بنا وردنَ مُخِفَّةً ... وإذا رَجعْنَ بنا رَجعنَ ثِقالا

[الكامل]

الغناءُ لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانةَ أوَ ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية:

يابنَ العَلاء ويابنَ القَرْمِ مِرْداسِ ... إني لَأُطرِيكَ في صَحبي وجُلَّاسي
حتى إذا قيل ما أعطاك من نَشَبٍ ... ألفيْتُ من عُظْمِ ما أسديتَ كالناسي

[البسيط]

ثم قال: مَنِ اجتمعَتْ ألسُنُ الناسِ على مدحه كان حَقيقياً أن يُصْدِقَهَا بفعله.

---

(١) الدِّمْن: البعر والكِرْس. والدِّمْنَة: الموضع الذي يجتمع فيه الغنم فتتلبّد أبوالُها وأبعارُها فيه، والجمع دِمَن. ودمَّنتِ الغنمُ المكانَ تدميناً، إذا بوّلت فيه وبعّرت. وفي قلب فلان على فلان دِمْنَة، أي حقد.

(٢) السَبْسَبُ: المَفازَةُ. يقال: بلدٌ سَبْسَبٌ، وَبَلدٌ سَباسِبُ.

[شعره في جارية له سوداء كان يفترشها]

أخبرني محمدُ بن خلف بن المَرْزُبانِ قال حدَّثني أبو بكر الرَّبَعيّ قال: كانت لبشار جاريةٌ سوداءُ وكان يَقَعُ عليها، وفيها يقول:

وَغـادَةٍ سَـوداءَ بَـرَّاقَـةٍ كَـالـمـاءِ فـي طـيـبٍ وَفـي لـيـنِ
كَـأَنَّـهـا صِـيـغَـتْ لِـمَـن نـالَـهـا مِـن عَـنـبَـرٍ بِـالـمِـسـكِ مَـعـجـونِ

[السريع]

[ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلم فأجاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهرُوَيه قال حدَّثني أبو الشِّبل البُرجُميّ قال: قال رجلٌ لبشار: إنَّ مدائِحَكَ عُقبةَ بنَ سَلْم فوق مدائحكَ كلَّ أحدٍ؛ فقال بشار: إنَّ عطاياه إيّايَ كانت فوق عطاءِ كلّ أحدٍ، دَخَلْتُ إليه يوماً فأنشدتُهُ:

حَـرَّمَ الـلَّـهُ أَن تَـرى كَـأبـنِ سَـلْـمٍ عُـقـبَـةِ الـخَـيـرِ مُـطـعِـمِ الـفُـقَـراءِ
لَـيـسَ يُـعـطـيـكَ لِـلـرَّجـاءِ وَلا الـخَـو فِ وَلَـكِـن يَـلَـذُّ طَـعـمَ الـعَـطـاءِ
يَـسـقُـطُ الـطَّـيـرُ حَـيـثُ يَـنـتَـثِـرُ الـحَـبُّ وَتُـغـشـى مَـنـازِلُ الـكُـرَمـاءِ

[الخفيف]

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار، وها أنا قد مَدَحْتُ المهديّ وأبا عُبيدِ اللَّه وزيرَه ـ أو قال يعقوب بن داود ـ وأقمْتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً، أَفَأُلامُ على مدحي هذا!

[طلب منه أبو الشمقمق[1] الجزية]

ونَسَخْتُ من كتاب هارونَ بنِ عليّ أيضاً حدَّثني عليّ قال حدَّثني عبيد اللَّه بن أبي الشِّيص عن دِعبلِ بن عليّ قال: كان بشَّارُ يُعطي أبا الشَّمقمقِ في كلِّ سنة مائَتْي درهم، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له: هَلُمَّ الجزيةَ يا أبا مُعاذ؛ فقالَ: وَيْحَكَ! أجِزيةٌ هي! قال: هو ما تَسْمَعُ؛ فقال له بشارٌ يُمازِحُهُ: أنتَ أفصحُ

(١) أبو الشمقمق، هو مروان بن محمد أبو الشمقمق. شاعر هجاء، من أصل البصرة، خراساني الأصل، من موالي بني أمية، له أخبار مع شعراء عصره، كبشار، وأبي العتاهية، وأبي نواس، وابن أبي حفصة. وله هجاء في يحيى بن خالد البرمكي وغيره، وكان عظيم الأنف، منكر المنظر. زار بغداد في أول خلافة الرشيد العباسي، وكان بشار يعطيه كل سنة مائتي درهم، يسميها أبو الشمقمق جزية. قال المبرد: كان أبو الشمقمق ربما لحن، ويهزل كثيراً، ويجد فيكثر توفي سنة ٢٠٠هـ.

مِنِّي؟ قال: لا؛ قال: فأعلمُ منِّي بمثالبِ الناس؟ قال: لا؛ قال: فأشعَرُ منِّي؟ قال: لا؛ قال: فَلِم أُعطيكَ؟ قال: لئلا أهجوَكَ؛ فقال له: إنْ هجوتَني هجوتُكَ؛ فقال له أبو الشمقمقِ: هكذا هو؟ قال: نعم، فقل ما بدا لك؛ فقال أبو الشمقمق:

إنِّي إذا ما شاعِرٌ هَجانِيَهْ ... ولَجَّ في القول له لِسانِيَهْ
أدخلتُه استَ أمّه عَلانِيَه ... بشَّار يا بشَّار . . . . . .[1]

[الرجز]

وأراد أن يقولَ: «يابن الزانِيَه»؛ فوثَبَ بشَّارٌ فأمسكَ فاه، وقال: أراد واللَّهِ أن يَشْتُمَني، ثم دفع إليه مائتيْ درهم ثم قال له: لا يَسْمَعَنَّ هذا منكَ الصِّبيانُ يا أبا الشمقمقِ.

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدَّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزيُّ قال حدَّثني محمد بن بكر قال حدَّثني الأصمعيّ قال: أمرَ عقبةُ بنُ سَلْم الهنائيُّ[2] لبشَّارٍ بعشرة آلاف درهم، فَأُخْبِرَ أبو الشمقمق بذلك فوافى بشاراً فقال له: يا أبا مُعاذٍ، إني مَرَرْتُ بصبيانٍ فسمعتُهُم يُنْشِدونَ:

هَلِّلِينَهْ هَلِّلِينَه ... طَعْنَ قِثَّاةٍ لِتِينَهْ
إنَّ بشارَ بنَ بردٍ ... تَيسٌ أَعْمَى في سَفِينَهْ

[مجزوء الرمل]

فأخرج إليه بشَّارٌ مائتَيْ درهم فقال: خُذْ هذه ولا تكن راويةَ الصبيانِ يا أبا الشمقمق.

[شعره في هجاء العباس بن محمد بن عليّ]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا أبو محمد الصَّعْتريُّ قال حدَّثنا محمدُ بن عثمانَ البصريّ قال: إستمنحَ بشَّارُ بن برد العباسَ بنَ محمد بن عليّ بن عبد اللَّه بن عباس فلم يَمنَحْهُ، فقال يهجوه:

ظِلُّ اليسارِ على العباسِ ممدُودُ ... وقَلبُهُ أبداً في البخلِ مَعقودُ
إنَّ الكريمَ لَيُخفِي عنك عُسرَتَهُ ... حتى تَراه غَنِيّاً وهو مجهودُ

(١) البيت في المصادر على الشكل التالي:
أدخلته است أمه علانيه ... بشار يا بشار يا ابن الزانيه
(٢) نسبة إلى هناءة بن مالك، وبنو هناءة هم رهط عقبة بن سلم.

ولـلـبـخـيـلِ عـلـى أمـوالـهِ عِـلَـلٌ زُرقُ الـعـيـونِ عـلـيـهـا أوجُـهٌ سُـودُ
إذ تـكـرَّمـتَ أن تـعـطـيَ الـقـلـيـل ولـم تـقـدِرْ عـلـى سَـعَـةٍ لـم يـظـهـرِ الـجـودُ
أَورِقْ بِـخَـيـرٍ تُـرَجّـى لِـلـنَّـوالِ فَـمـا تُـرجَـى الـثِّـمـارُ إِذا لَـم يُـورِقِ الـعـودُ
بُـثَّ الـنَّـوالَ ولا تَـمـنَـعْـكَ قِـلَّـتُـهُ فـكـلُّ مـا سـدَّ فَـقـراً فـهـو مـحـمُـودُ

[البسيط]

[اجتمع بعباد بن عباد وسلم عليه]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا العَنزيُّ قال حدَّثني المغيرةُ بن محمد المهلَّبيّ قال حدَّثني أبي عن عَبَّادِ بن عَبَّادٍ قال: مَرَرْتُ ببشَّار فَقُلْتُ: السلامُ عليكَ يا أبا مُعاذٍ؛ فقال: وعليك السلام، أعبَّاد؟ فقلت: نعم؛ قال: إني لحسَنُ الرأيِ فيكَ؛ فقُلْتُ: ما أحوجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ!

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرني محمد بن عُمَر الجُرْجانيّ عن أبي يعقوب الخُرَيميّ[1] الشاعر أنَّ بشاراً قال: لم أزل منذ سَمِعْتُ قولَ امرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيتٍ واحدٍ حيث يقول:

كَـأَنَّ قُـلـوبَ الـطَّـيـرِ رَطـبـاً وَيـابِـسـاً لَدى وَكـرِهـا الـعُـنّـابُ وَالـحَـشَـفُ الـبـالـي

[الطويل]

أُعمِلُ نفسي في تشبيه شيئين بشيئينِ في بيتٍ حتى قُلْتُ:

كَـأَنَّ مُـثـارَ الـنَّـقـعِ فَـوقَ رُؤُوسِـنـا وَأَسـيـافَـنـا لَـيـلٌ تَـهـاوى كَـواكِـبُـه

[الطويل]

قال يحيى: وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمَريُّ[2] فقال وأحسنَ:

---

(١) إسحاق بن حسان بن قوهي الصغدي أبو يعقوب الخريمي. هو أبو يعقوب الصغدي أصلاً التركي جنساً الخريمي ولاءً والصغد كورة قصبتها سمرقند وقيل هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى. شاعر مطبوع وَصَفَهُ أبو حاتم السجستاني بأشعر المولدين. خراساني الأصل من أبناء الصغد ولد في الجزيرة الفراتية وسكن بغداد واتصل بخريم الناعم فنسب إليه أو كان اتصاله بابنه عثمان بن خريم. ثم اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ومدحه ورثاه بعد موته وأدركه الجاحظ وسمع منه. وعمي قبل وفاته سنة ٢١٢هـ.

(٢) منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمري أبو القاسم. من بني النمر بن قاسط شاعر من أهل الجزيرة الفراتية كان تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وقرظه العتابي عند الفضل بن يحيى فاستقدمه الفضل من الجزيرة واستصحبه. ثم وصله بالخليفة هارون الرشيد فمدحه وتقدم عنده فاز بعطاياه ومت إليه بقرابته من أم العباس بن عبد المطلب وهي نمرية واسمها نُتيلة. وجرت بعد ذلك وحشة =

لَـيـلٌ مِـنَ الـنَّـقـعِ لا نَـجـمٌ وَلا قَـمَـرٌ إِلاّ جَـبـيـنُـكَ والـمَـذروبَـةُ[١] الـشُّـرُعُ[٢]

[البسيط]

[كان إسحاق الموصلي يطعن في شعره ولما أنشد منه سكت]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثني أبي قال: كان إسحاقُ الموصليُّ يَطعَنُ على شعر بشَّارٍ ويضعُ منه ويذكر أنَّ كلامَه مُختَلِفٌ لا يشبه بعضُهُ بعضاً؛ فقلنا: أتقولُ هذا القولَ لِمَن يقولُ:

صـــوت

إِذا كُـنـتَ فـي كُـلِّ الأُمـور مُـعـاتِـبـاً صَـديـقَـكَ لَـم تَـلـقَ الَّـذي لا تُـعـاتِـبُـهْ

فَـعِـش واحِـداً أَو صِـل أَخـاكَ فَـإِنَّـهُ مُـفـارِقُ ذَنـبٍ مَـرَّةً وَمُـجـانِـبُـهْ

إِذا أَنـتَ لَـم تَـشـرَب مِـراراً عَـلـى الـقَـذى ظَـمِـئـتَ وَأَيُّ الـنـاسِ تَـصـفـو مَـشـارِبُـهْ

[الطويل]

ـ لأبي العُبَيْسِ بن حمدون في هذه الأبياتِ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر ـ قال عليّ بن يحيى: وهذا الكلامُ الذي ليس فوقه كلامٌ من الشعر ولا حَشوَ فيه؛ فقال لي إسحاقُ: أخبرني أبو عُبيدةَ مَعْمرُ بنُ المثنَّى أن شُبَيلَ بن عَزرَةَ الضُّبَعِيَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمِّس؛ وكان عالماً بشعره لأنهما جميعاً من بني ضُبَيعةَ؛ فَقُلْتُ له: أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشَّار: إن شُبيلاً أخبره أنها للمتلمِّس؛ فقال: كَذَبَ واللَّه شُبيلٌ، هذا شعري، ولقد مَدَحْتُ به ابن هُبيرةَ فأعطاني عليه أربعين ألفاً. وقد صدقَ بشَّارٌ، قد مدح في هذه القصيدة ابنَ هُبيرةَ، وقال فيها:

رُوَيـداً[٣] تَـصـاهَـل بِـالـعِـراقِ جِـيـادُنـا كَـأَنَّـكَ بِـالـضَّـحّـاكِ قَـد قـامَ نـادِبُـهْ

= بينه وبين العتابي حتى تهاجيا وسعى كل منهما على هلاك صاحبه وكان النمري يظهر للرشيد أنه عباسي منافر للشيعة العلوية. وله شعر في ذلك فروى العتابي للرشيد أبياتاً من نظم النمري فيها تحريض عليه وتشيع للعلوية فغضب الرشيد وأرسل من يجيئه برأسه في بلدته رأس العين في الجزيرة. فوصل الرسول في اليوم الذي مات فيه النمري وقد دفن سنة ١٩٠هـ.

(١) قال أبو عبيد: ذَرَبْتُ الحديدة أَذرُبُها ذَرْباً فهي مَذْرُوبة إذا أحددتها.

(٢) الشرع: السيوف.

(٣) رُوَيد تصغير الرَّوْد من غير أن يستعمل الرَّوْد فيه، فإذا أردت برُوَيْد الوَعيد نَصَبْتَها بلا تنوينٍ وجازَيت بها، قال:

رُوَيْـدَ تـصـاهَـل بـالـعـراق جِـيـادُنـا كـأَنَّـكَ بـالـضـحّـاكِ قـد قـامَ نـادِبُـهْ =

وَسـامِ لِـمَـروانٍ وَمِـن دونِـهِ الـشَّـجـا وَهَـوْلٌ كَـلُـجِّ الـبَـحـرِ جـاشَـت غَـوارِبُـهْ
أَحَـلَّـت بِـهِ أُمُّ الـمَـنـايـا بَـنـاتِـهـا بِـأَسـيـافِـنـا، إِنّـا رَدى مَـن نُـحـارِبُـهْ
وَكُـنّـا إِذا دَبَّ الـعَـدُوُّ لِـسُـخـطِـنـا وَراقَـبَـنـا فـي ظـاهِـرٍ لا نُـراقِـبُـهْ
رَكِـبـنـا لَـهُ جَـهـراً بِـكُـلِّ مُـثَـقَّـفٍ وَأَبـيَـضَ تَـستَـسقـي الـدِّمـاءَ مَـضـارِبُـهْ

[الطويل]

ثم قُلْتُ لإسحاق: أخبرني عن قول بشَّار في هذه القصيدة:

فَـلَـمّـا تَـوَلّـى الـحَـرُّ وَٱعـتَـصَـرَ الـثَّـرى لَـظى الـصَّـيـفِ مِـن نَـجـمٍ تَـوَقَّـدَ لاهِـبُـهْ
وَطـارَت عَـصـافـيـرُ الـشَّـقـائِـقِ[1] وَٱكـتَـسى مِـنَ الآلِ[2] أَمـثـالَ الـمَـجَـرَّةِ[3] نـاضِـبُـهْ
غَـدَتْ عـانَـةٌ تَـشكـو بِـأَبـصـارِهـا الـصَّـدى إِلـى الـجَـأبِ إِلاّ أَنَّـهـا لا تُـخـاطِـبُـهْ

[الطويل]

ـ العانةُ: القطيعُ من الحمير، والجأب: ذكرها. ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أنَّ العطش قد تبيَّنَ في أحداقها فغارَتْ ـ قال: وهذا من أحسن ما وُصِفَ به الحمارُ والأُتُنُ، أفهذا للمتلمِّس أيضاً! قال: لا؛ فَقُلْتُ: أفما هو في غاية الجَوْدة وشبيهٌ بسائر الشعر، فكيف قصد بشَّارٌ لسرقةِ تلك الأبيات خاصَّةً! وكيف خصه بالسرقة منه وحدَه من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويلٍ! وقد روى الرُّواةُ شعرَهُ وعلم بشارٌ أنّ ذلك لا يخفى، ولم يُعثَرْ على بشارٍ أنه سرقَ شعراً قطّ جاهليّاً ولا إسلاميّاً. وأُخرى فإنَّ شعر المتلمِّس يُعرفُ في بعض شعر بشار؛ فلم يَرُدُدْ ذلك بشيءٍ.

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غَسَّان دماذ عن أبي عُبيدَةَ أن بشاراً أنشدَهُ:

إِذا كُـنـتَ فـي كُـلِّ الأمـور مُـعـاتِـبـاً صَـديـقَـكَ لَـم تَـلـقَ الَّـذي لا تُـعـاتِـبُـهْ

[الطويل]

وذكر الأبيات. قال: وأنشدْتُها شُبَيلَ بنَ عَزرةَ الضُّبَعيّ، فقال: هذا للمتلمِّس؛

= وإذا أَرَدْتَ برُوَيْد المُهْلةَ والإرودَ في الشيء فانصِبْ ونَوِّنْ، تقول: امشِ رُوَيداً يا فتى، وإذا عَمِلَ عَمَلاً، قُلتَ: رُوَيْداً رُوَيداً، أي أَرُودُ أَرُودُ في معنى رُوَيْداً المنصوبة.

(١) الشَّقيقَةُ: الفُرْجَةُ بين الحَبْلين من حبال الرمل تُنبت العشب، والجمع الشَّقائِقُ.

(٢) الآل: السراب.

(٣) المَجَرَّةُ، بالهَاءِ: بابُ السَّمَاءِ كما وَرَدَ في حديث ابنِ عَبّاس، وهي نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر، وإنما ينتشر نورها فيرى كأنه بقعة صفراء.

فأخبرْتُ بذلك بشاراً، قال: كذب واللَّه شُبَيلٌ، لقد مَدَحْتُ ابنَ هُبيرةَ بهذه القصيدةِ وأعطاني عليها أربعين ألفاً

[قائد المأمون يتمثل بشعره]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهدي قال حدَّثنا عليّ بن إبراهيم المَرْوَزيّ، وكان أبوه من قوَّاد طاهر، قال حدَّثني أبي قال: لما خَلَعَ محمدٌ المأمونَ ونَدَبَ عليَّ بنَ عيسى، ندبَ المأمونُ للقاء عليّ بن عيسى طاهِرَ بن الحسين ذا اليمينين[١] وجلس له لعَرْضِهِ وعَرْض أصحابه، فمرَّ به ذو اليمينَين مُعتَرِضاً وهو ينشد:

رُوَيداً تَصاهَل بِالعِراقِ جِيادُنا كَأَنَّكَ بِالضَّحّاكِ قَد قامَ نادِبُهْ

[الطويل]

فتفاءل المأمونُ بذلك فاستدناه فاستعاده البيتَ فأعاد عليه؛ فقال ذو الرِّياسَتَين[٢]: يا أمير المؤمنين هو حَجَرُ[٣] العراق؛ قال: أجلْ. فلما صار ذو اليمينين إلى العراق سأَل: هل بقي من ولد بشَّار أحد؟ فقالوا: لا؛ فتوّهمْتُ أنه قد كان همَّ لهم بخيرٍ.

[غضب على سلم الخاسر لأنه سرق من معانيه]

أخبرني يحيى قال حدَّثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح ـ وكان أحد الأدباء ـ قال: غَضِبَ بشَّارٌ على سَلْم الخاسِرِ وكان من تلامذته ورُواته، فاستشفَعَ عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاؤوه في أمرِهِ؛ فقال لهم: كُلُّ حاجةٍ لكم مَقْضِيَّةٌ إلا سَلْماً؛ قالوا ما جئناك إلا في سَلْم ولا بُدَّ من أن تَرْضى عنه لنا؛ فقال: أينَ هو الخبيثُ؟ قالوا: ها هو هذا؛ فقامَ إليه سَلْمٌ فَقَبَّلَ رأسَهُ ومثَل بين يديه وقال: يا أبا مُعاذٍ، خِرِّيجُكَ وأديبُكَ؛ فقال: يا سَلْمُ، مَنِ الذي يقول:

مَنْ راقَبَ الناسَ لَم يَظفَرْ بِحاجَتِهِ وَفازَ بِالطَّيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ[٤]

[البسيط]

---

(١) ذو اليمينين لأنه ضرب شخصاً في واقعة علي بن عيسى بن ماهان فقدّه نصفين، وكانت الضربة بشمالهن وقال فيه الشاعر:

كلتا يديك يمين حين تضربه

(٢) ذو الرياستين: هو الفضل بن سهل وزير المأمون، ولُقِّبَ بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف.

(٣) حجر الركن: الرجل الذي يعتمد عليه.

(٤) اللَّهَجُ بالشيءِ: الولوع به. وقد لَهِجَ به يَلْهَجُ لَهَجاً، إذا أُغرِيَ به فثابر عليه.

قال: أنتَ يا أبا مُعاذٍ، جعلني اللَّهُ فِداءَكَ! قال: فَمَنْ الذي يقول:

مَـنْ راقَـبَ الـنـاسَ مـاتَ غَـمًّـا وَفـازَ بِـالـلَّـذَّةِ الـجَـسـورُ

[مُخلع البسيط]

قال خِرِّيجُكَ يقول ذلك(يعني نَفْسَه)؛ قال: أفتأخُذُ معانِيَّ التي قد عُنِيتُ بها وتَعِبْتُ في استنباطها، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ مِنْ ألفاظي حتى يُرْوى ما تقولُ ويَذهبَ شِعْري! لا أرضى عنك أبداً، قال: فما زال يتضرَّعُ إليه، ويشفَعُ له القومُ حتى رَضِيَ عنه. وفي هذه القصيدة يقول بشَّارٌ:

لَو كُنتِ تَلقينَ ما نَلقى قَسَمتِ لَنا يَوماً نَعيشُ بِهِ مِنكُم وَنَبتَهِجُ

[البسيط]

صـوت

لا خَيرَ في العَيشِ إن كُنّا كَذا أَبَداً لا نَلتَقي وَسَبيلُ المُلتَقى نَهَجُ[١]

قالوا حَرامٌ تَلاقينا فَقُلْتُ لهم ما في التَّلاقي وَلا في قُبلَةٍ حَرَجُ[٢]

مَن راقَبَ الناسَ لَم يَظفَر بِحاجَتِهِ وَفازَ بِالطَّيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

أشكو إلى اللَّه همّاً ما يُفارقُني وشُرَّعاً[٣]في فُؤادي الدَّهر تعتلِجُ[٤]

[البسيط]

[أنشد الأصمعي شعره فغاظه فخره بنسبه]

أخبرنا محمدُ بن عِمرانَ الصيرَفيُّ قال حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزِيّ قال حدَّثنا أحمد بن خَلَّادٍ قال: أنشدْتُ الأصمعيّ قولَ بشَّارٍ يهجو باهِلة:

وَدَعـانـي مَـعـشَـرٌ كُـلُّـهُـمُ حُـمُـقٌ دامَ لَـهُـم ذاكَ الـحُـمُـقْ

لَـيـسَ مِـن جُـرمٍ وَلَـكِـن غـاظَـهُـم شَـرَفـي الـعـارِضُ قَـد سَـدَّ الأُفُـقْ

[الرمل]

فاغتاظ الأصمعيُّ فقال: وَيْلي على هذا العبدِ القِنّ[٥] ابنِ القِنّ!

---

(١) طريقٌ نَهْجٌ: واسِعٌ واضِحٌ، وطُرُقٌ نَهْجةٌ. ونَهَجَ الأمرُ وأنْهَجَ ـ لغتان ـ أي: وضح.

(٢) البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

قالوا حَرامٌ تَلاقينا فَقَد كَذَبوا ما في ٱلتِزامٍ وَلا في قُبلَةٍ حَرَجُ

(٣) الشرع: الرماح والمراد بها هنا الخواطر. (٤) تعتلج: تتضاربُ.

(٥) القِنُّ: العبد المتعبد، ويجمع على الأقنانِ، وهو الذي في العبودة الى آباء.

[حديثه مع امرأة في الشيب]

نَسَخْتُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ. قال حدّثني عباسُ بن خالد قال سَمِعْتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحدِّثُ: أنَّ امرأةً قالَتْ لبشَّار: أيّ رجل أنتَ لو كُنْتَ أسودَ اللحيةِ والرأسِ! قال بشَّار: أما عَلِمْتِ أن بِيض البُزاة أثمن من سُود الغِربان؛ فقالت له: أمَّا قولك فَحَسَنٌ في السَّمع، ومن لك بأن يَحسُن شَيبُكَ في العين كما حَسُنَ قولك في السمع! فكان بشَّار يقول: ما أفحمني قطّ غيرُ هذه المرأة.

[أحب الأشياء إليه]

وَنَسَخْتُ من كتابِهِ: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال حدَّثني إسحاق بن كلبة قال: قال لي أبو عثمان المازنيّ: سُئِلَ بشَّار: أيُّ متاع الدنيا آثرُ عندكَ؟ فَقَالَ: طعامٌ مُرّ[1]، وشرابٌ مُرّ، وبنتُ عشرين بِكْر.

[دخل إليه نسوة وطلب من إحداهن أن تواصله فأبت فقال شعراً]

أخبرني عمي قال حدَّثني عبد اللَّه بن أبي سعد، وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدَّثني عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدَّثني أبو تَوْبة عن صالح بن عطيّة قال: كان النساءُ المتظرِّفات يَدْخُلْنَ إلى بشَّار في كلِّ جمعة يومين، فيجتمعن عنده ويسمَعْنَ من شعره، فَسَمِعَ كلامَ امرأة منهنَّ فعلِقَها قلبُهُ وراسلها يسألها أن تُواصله؛ فقالت لرسوله: وأيُّ معنى فيك لي أوْ لك فيّ! وأنت أعمى لا تَراني فتعرف حسني ومقدارَه، وأنتَ قبيحُ الوجه فلا حظّ لي فيك! فليت شِعري لأي شيء تطلُبُ وِصال مثلي! وجَعَلَتْ تهزأُ به في المخاطبة؛ فأدّى الرَّسولُ الرِّسالةَ، فقال له: عُد إليها فقل لها:

أَيري لَهُ فَضلٌ عَلى آيارِهِم ... وَإِذا أَشَظَّ[2] سَجَدنَ غَيرَ أَوابِ[3]

تَلقاه بَعد ثَلاثَ عشرةَ قائماً ... فَعَلَ المؤذِّن شكّ يومَ سَحاب

وَكَأَنَّ هامَةَ رَأسِهِ بِطِّيخَةٌ ... حُمِلَت إِلى مَلِكٍ بِدَجلَةَ جابِ[4]

[الكامل]

---

(١) المر: ما كان طعمه بين الحموضة والحلاوة.

(٢) أشظ: أنعظ. (٣) أوابي: ممتنعات.

(٤) جاب: وصف من جبى الخراج أي جمعه.

[اعترض مروان بن أبي حفصة على بيت من شعره فأجابه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدَّثنا أبو هفَّانَ قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيبانيّ عن أبيه قال: قال مروان لبشَّار لما أنشده هذا البيتَ:

وَإِذا قُـلـتُ لَـهـا جـودي لَـنـا خَـرَجَـت بِـالـصَّـمـتِ عَـن لا وَنَـعَـمْ

[الرمل]

جعلني اللَّه فِداءك يا أبا معاذ! هلا قُلْتَ: «خَرِسَتْ بالصَّمْتِ»؛ قال: إذاً أنا في عقلك فضَّ اللَّه فاك! أأتطيَّر على من أُحِبّ بالخَرس!

[مدح خالداً البرمكي فأجازه]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني بعضُ أصحابنا قال: وفدَ بشَّار إلى خالد بن برمك وهو على فارِس فأنشده:

أَخـالِـدُ لَـم أَخـبِـط[1] إِلَـيـكَ بِـذمَّـةٍ سِـوى أَنَّـنـي عـافٍ وَأَنـتَ جَـوادُ
أَخـالِـدُ بَـيـنَ الأَجرِ وَالـحَـمـدِ حـاجَـتـي فَـأَيُّـهُـمـا تَـأتـي فَـأَنـتَ عِـمـادُ
فَـإِن تُـعـطِـنـي أُفـرِغْ إِلَـيـكَ مَـدائـحـي وَإِن تَـأبَ لا يُـضـرَب عَـلَـيّ سِـدادُ[2]
رِكـابـي عَـلـى حَـرْفٍ وَقَـلـبـي مُـشَـيَّـعٌ وَمـالـي بـأرض الـبـاخِـلـيـنَ بِـلادُ
إِذا أَنـكَـرَتـنـي بَـلـدَةٌ أَو نَـكِـرتُـهـا نَـهَـضـتُ مَـعَ الـبـازي عَـلَـيَّ سَـوادُ

[الطويل]

قال: فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شِمالِهِ وآخرَ بينَ يديه وآخر خلفَهُ، وقال: يا أبا معاذ، هل استقل العماد؟ فَلَمَسَ الأكياسَ ثم قال: استقلّ واللَّه أيّها الأميرُ.

[مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: قال محمدُ بن الحجَّاج حدَّثني بشَّار قال: دَخَلْتُ على الهَيْثَم بن معاويةَ وهو أمير البصرة، فأنشدتُهُ:

إِنَّ الـسَّـلامَ أَيُّـهـا الأَمـيـرُ عَـلَـيـكَ وَالـرَّحـمَـةُ وَالـسُّـرورُ

[الرجز]

---

(١)٢ أخبط: أي لم أسر اليك لطلب معروفك متوسلاً بعهد.

(٢) السِّداد: ما يسدّ به الثلمة.

فسمعتُهُ يقول: إنَّ هذا الأعمى لا يدَعنا أو يأخُذَ من دراهمنا شيئاً؛ فَطَمِعْتُ فيه فما برحْتُ حتى انصرفْتُ بجائزته.

[طلب رجلاً من بني زيد للمفاخرة وهجاه فانقطع عنه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلاَّم قال: وَقفَ رجلٌ من بني زيد شريفٌ، لا أُحِبُّ أن أُسمِّيَه، على بشَّار، فقال له: يا بشَّار قد أفسدْتَ علينا موالينا، تدعوهم إلى الانتفاء[١] منَّا وتُرَّغبهم في الرُّجوع إلى أصولهم وترك الوَلاء، وأنت غيرُ زاكي[٢] الفرع ولا معروف الأصلِ؛ فقال له بشَّار: واللَّه لأصلِي أكرمُ من الذِّهب، ولَفَرعي أزكى من عمل الأبرار، وما في الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبَكَ له بنسبه، ولو شِئْتُ أن أجعل جوابَ كلامك كلاماً لفَعَلْتُ، ولكنَّ موعدك غداً بالمِرْبَد[٣]؛ فرجع الرجلُ إلى منزله وهو يتوَّهمُ أن بشَّاراً يحضُر معه المِربد ليفاخِرَهُ، فخرج من الغد يريد المِربَد فإذا رجل يُنْشِدُ:

شَهِدتُ عَلى الزَّيدِيِّ أَنَّ نِساءَهُ ضِباعٌ[٤] إِلى أَيرِ العُقَيلِيِّ تَزفِرُ

[الطويل]

فسأل عمَّن قال هذا البيت؛ فقيل له: هذا لبشَّار فيك؛ فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المِربدَ حتى مات.

قال ابن سلام: وأنشدَ رجل يوماً يونس في هذه القصيدة وهي:

بَلَوتُ بَني زَيدٍ فَما في كِبارِهِم حُلومٌ ولا في الأَصغَرينَ مُطَهَّرُ
فَأَبلِغ بَني زَيدٍ وَقُل لِسُراتِهِم وَإِن لَم يَكُن فيهِم سُراةٌ تُوَقَّرُ
لأُمِّكُمُ الوَيلاتُ إِنَّ قَصائِدي صَواعِقُ مِنها مُنجِدٌ وَمُغَوِّرُ
أَجَدَّهُمُ لا يَتَّقون دَنِيَّةً وَلا يُؤثِرونَ الخَيرَ وَالخَيرُ يُؤثَرُ
يَلُفّونَ[٥] أَولادَ الزِنى في عِدادِهِم فَعِدَّتُهُم مِن عِدَّةِ الناسِ أَكثَرُ

---

(١) الانتفاء: الابتعاد.
(٢) زاكي: خالص.
(٣) المربد: المكان الذي تُحبس به الإبل والغنم، وهو اسم موضع.
(٤) ضَبِعَتِ الناقة ضَبْعا وضَبَعَة، وضَبَعَتْ، وأضْبَعَتْ، واسْتَضْبَعَتْ، وهي ضَبِعة: اشتهت الفحل، والجمع: ضِباع، وضَباعَي. وقد استعملت الضَّبَعَة في النساء، قال ابن الأعرابي: قيل لأعرابي: أبامرأتك حمل؟ قال: ما يدريني، واللَّه ما لها ذنب فتشول به، ولا آتيها إلا على ضَبَعَة.
(٥) يلفون: يجمعون.

إذ مـا رَأَوا مَـن دَأبُـهُ مِـثـلُ دَأبِـهِـم أَطـافـوا بِـهِ، وَالـغَـيُّ لِـلـغَـيِّ أَصـورُ[١]
وَلـو فـارَقـوا مـا فـيـهِـمُ مِـن دَعـارَةٍ لَـمـا عَـرَفَـتـهُـم أُمُّـهُـم حـيـنَ تَـنـظُـرُ
لَـقَـد فَـخَـروا بِـالـمُـلـحَـقـيـن[٢] عَـشِـيَّـةً فَـقُـلـتُ أَفـخَـروا إِن كـانَ فـي الـلُّـؤمِ مَـفـخَـرُ
يُـريـدونَ مَـسـعـاتـي[٣] وَدونَ لِـقـائِـهـا قَـنـاديـلُ أَبـوابِ الـسَّـمـاواتِ تَـزهَـرُ
فَـقُـل فـي بَـنـي زَيـدٍ كَـمـا قـالَ مُـعـرِبٌ قَـواريـرُ حَـجَّـامٍ غَـداً تَـتَـكَـسَّـرُ

[الطويل]

فقال يونسُ للذي أنشده: حَسبُك حسبك! من هَيَّج هذا الشيطان عليهم؟ قيل: فلانٌ؛ فقال: رُبَّ سفيهٍ قومٍ قد كَسَبَ لقومه شرّاً عظيماً.

[ضمن مثلاً في شعره عند عقبة بن سلم واستحق جائزته]

أخبرني عمي قال حدَّثنا ابن مَهْرُويه قال حدَّثني عبد اللَّه بنُ بشر بن هلال قال حدَّثني محمد بن محمد البصريّ قال حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجَّاج قال: قال بشار: دعاني عقبةُ بن سَلْم ودعا بحماد عَجرَد وأعشى بأهله، فلما اجتمعنا عنده قال لنا: إنه خطر ببالي البارحةَ مَثَلٌ يتمثله الناس: «ذهب الحمارُ يطلب قرنين فجاء بلا أذنين» فأخرجوه من الشعر، ومن أخرجه فله خمسة آلاف درهم، وإن لم تفعلوا جَلَدتُكُم كلكم خمسمائةٍ؛ فقال حمَّاد: أجِّلنا أعزَّ اللَّه الأمير شهراً؛ وقال الأعشى: أجِّلنا أسبوعين؛ قال: وبشَّار ساكتٌ لا يتكلمُ؛ فقال له عُقبة: ما لكَ يا أعمى لا تتكلم! أعمى اللَّه قلبك! فقال: أصلحَ اللَّهُ الأميرَ، قد حضرني شيءٌ فإن أمَرْتَ قُلْتُهُ؛ فقال: قل؛ فقال:

شَـطَّ بِـسَـلـمـى عـاجِـلُ الـبَـيـنِ وَجـاوَرَتْ أُسـدَ بَـنـي الـقَـيْـنِ
وَرَنَّـتِ الـنَّـفـسُ لَـهـا رَنَّـةً كـادَت لَـهـا تَـنـشَـقُّ نِـصـفَـيـنِ
يـا اِبـنَـةَ مَـنْ لا أَشـتَـهـي ذِكـرَه أَخـشـى عَـلَـيـهِ عُـلَـقَ الـشَّـيـنِ[٤]
وَالـلَّـهِ لَـو أَلـقـاكِ لا أَتَّـقـي عَـيـنـاً لَـقَـبَّـلـتُـكِ أَلـفَـيـنِ
طـالَـبـتُـهـا دَيـنـي فَـراغَـتْ بِـهِ وَعَـلَّـقَـتْ قَـلـبـي مَـع الـدَّيـنِ

(١) في عنقه صور: ميل وعوج، ورجل أصور، وهو أصور إلى كذا إذا مال عنقه ووجهه إليه.
(٢) قال اللّيث: اللَّحق: الدعي الموصل بغير أبيه، قلت: وسمعت بعضهم يقول له: الملحق.
(٣) المسعاة: المكرة والمعلاة في أنواع المجد والجود.
(٤) الشَّينُ: نقيضُ الزَّين، وقد شانهُ يشينه شيناً.

فَصِرتُ كَالعَيرِ غَدا طَالِباً قَرناً فَلَم يَرجَع بِأُذنَينِ
[السريع]

قال: فانصرف بشَّارٌ بالجائزة.

[قصته مع قوم من قيس عيلان]

نَسَخْتُ من كتاب هارونَ بنِ عليّ بن يحيى: حدَّثنا عليّ بن مهديّ قال حدَّثني عبدُ اللَّه بنُ عطيةَ الكوفيّ قال حدَّثني عثمان بنُ عمرو الثقفيّ قال: قال أبانُ بنُ عبد الحميد اللاحقيّ: نَزلَ في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قيس عَيلان وكان فيهم بيانٌ وفصاحة، فكان بشَّارٌ يأتيهم ويُنْشِدُهم أشعارَه التي يمدح بها قيساً فيُجلُّونه لذلك ويعظمونه، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدَّثن إليه ويُنشدُهنَّ أشعارَه في الغَزَل وكُنّ يُعجَبْنَّ به، وكُنْتُ كثيراً ما آتي ذلك الموضع فأسمعُ منه ومنهم، فأتيتُهُم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا، فجِئْتُ إلى بشَّار فقلت له: يا أبا مُعاذ، أعلمت أن القوم قد ارتحلوا؟ قال: لا؛ فَقُلْتُ: فاعلم؛ قال: قد عَلِمْتُ لا عَلِمْتَ! ومَضَيْتُ، فلما كان بعد ذلك بأيام سَمِعْتُ الناسَ يُنشدون:

دَعا بِفِراقِ مَن تَهوى أَبانُ فَفاضَ الدَّمعُ وَاحتَرَقَ الجَنانُ
كَأَنَّ شَرارَةً وَقَعَتْ بِقَلبي لَها في مُقلَتي وَدَمي اسْتِنانُ[1]
إِذا أَنشَدتُ أَو نَسَمَتْ عَلَيها رِياحُ الصَّيفِ هاجَ لَها دُخانُ
[الوافر]

فَعَلِمْتُ أنها لبشَّار، فأتيتُهُ فَقُلْتُ: يا أبا مُعاذ، ما ذنبي إليك؟ قال: ذنب غراب البين؛ فَقُلْتُ: هل ذكرتني بغير هذا؟ قال: لا؛ فقلْتُ: أنشُدُك اللَّه ألاَّ تزيد؛ فقال: امض لشأنك فقد تركتُكَ.

[بشار وجعفر بن سلمان]

ونَسَخْتُ من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدَّثني يحيى بن سعيد الأيوزَرذي المعتزليّ قال حدَّثني أحمد بن المعذّل عن أبيه قال: أنشد بشَّارٌ جعفرَ بن سليمان:

أَقِلّي فَإِنّا لاحِقونَ وَإِنَّما يُؤَخِّرُنا أَنّا يُعَدُّ لَنا عَدّا
وما كُنْتُ إلا كالأغرّ ابن جعفرٍ رأى المال لا يبقى فأبقى به حمدا
[الطويل]

(١) الاستنان: الجريان بشدّة.

فقال له جعفرُ بنُ سليمان: مَن ابنُ جعفرٍ؟ قال: الطيَّارُ[١] في الجنَّةِ؛ فقال: لقد سامَيْتَ غير مُسامّى! فقال: واللَّه ما يُقعِدُني عن شأوه بعدُ النسب، لكن قِلَّةُ النشب[٢]، وإني لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندي الكثيرُ، وما على من جاد بما يملك ألا يهبَ البدور[٣]؛ فقال له جعفرٌ: لقد هَزَزْتَ أبا مُعاذ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه.

[سُئِلَ عن ميله للهجاء دون المديح فأجاب]

ونَسَخْتُ من كتابه: حدَّثني عليّ بن مهدّي قال حدّثني أحمدُ بن سعيد الرازيّ عن سليمان بن سليمان العَلَويّ قال: قيلَ لبشَّار: إنَّك لكثيرُ الهجاء! فقال: إنِّي وَجَدْتُ الهِجاءَ المؤلم آخذاً بِضَبُع[٤] الشاعر من المديح الرائع، ومن أراد من الشعراء أن يُكْرَمَ في دهر اللئام على المديح فَلْيستعدَّ للفقرِ وإلا فلْيُبالغْ في الهجاء ليُخافَ فَيُعطى.

[بشار في صباه]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا أبو غَسَّانَ دَماذَ عن أبي عُبيدة قال: كان بُردٌ أبو بشَّار طَيَّاناً حاذِقاً بالتَّطيين، ووُلِدَ له بشَّارٌ وهو أعمى، فكان يقول: ما رأيْتُ مولوداً أعظم بركةً منه، ولقد وُلِدَ لي وما عندي درهمٌ فما حال الحولُ[٥] حتى جَمَعْتُ مائَتْي درهم. ولم يَمُتْ بردٌ حتى قال بَشَّارٌ الشعرَ. وكان لبشَّارٍ أخوان يُقال لأحدهما: بُشْرٌ، وللآخر: بَشِيرٌ، وكانا قصَّابين وكان بشَّارٌ بارّاً بهما، على أنه كان ضيِّقَ الصَّدر ومُتبرِّماً بالناس، فكان يقولُ: اللَّهم إني قد تبرَّمْتُ بنفسي وبالناس جميعاً، اللَّهم فأرِحْني منهم. وكان إخوتُهُ يَستعيرون ثيابَهُ فيوسِّخونها ويُنتنون ريحها، فاتخذ قميصاً له جَيبان وحلف ألاَّ يُعيرُهم ثوباً من ثيابه، فكانوا يأخذونها بغير إذنه؛ فإذا دعا بثوبِهِ فَلَبِسَه فأنكر رائِحتَهُ فيقول إذا وَجَدَ رائِحَةً كريهةً من ثوبِهِ: «أينما أتَوَّجه ألقَ سعدا»[٦]. فإذا أعياه الأمرُ خَرَجَ إلى الناس في تلك الثياب على نَتْنَها ووسخها،

---

(١) الطيّار لقب جعفر بن أبي طالب، الذي قطعت يداه في معركة «مؤتة»، فأخبر النبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلم، فقال بأنه يطير مع الملائكة في السماء، وكان ابن عمر إذا سلم على عبد اللَّه بن جعفر قال: السلام عليك يابن ذي الجناحين.

(٢) النَّشَبُ: المال والعقار.

(٣) البَدْرة: كِيسٌ فيه عشرة آلاف دِرهمٍ أو ألفٌ والجمع: البُدور، وثلاث بَدَرات.

(٤) ضَبُع: عضد.

(٥) الحَوْل: سَنةٌ بأَسْرِها. تقول: حال الحَوْلُ، وهو يَحُول حَوْلاً وحؤولاً، وأحال الشّيءُ إذا أتى عليه حول كامل.

(٦) وكان المفضل يحدث أنَّ المثل للأضبط بن قريع السعدي، وذلك أنه كان سيد قومه، فكان يرى =

فيقال له: ما هذا يا أبا مُعاذ؟ فيقول: هذه ثمرةُ صِلَةِ الرّحم. قال: وكان يقولُ الشِّعرَ وهو صغيرٌ، فإذا هجا قوماً جاؤوا إلى أبيه فشكَوْه فيضرِبُهُ ضرباً شديداً، فكانت أُمُّه تقولُ: كم تضربُ هذا الصبيَّ الضرير، أَمَا ترحمه! فيقول: بلى واللَّه إني لأرحمه ولكنه يتعرَّضُ للناس فيشكونه إليَّ؛ فَسَمِعَهُ بشَّارٌ فَطَمِعَ فيه فقال له: يا أَبَتِ إنَّ هذا الذي يشكونه منِّي إليكَ هو قولُ الشعر، وإني إن أَلْمَمْتُ عليه أغنيتُكَ وسائرَ أهلي، فإن شَكَوْني إليك فَقُلْ لهم: أليس اللَّهُ يقولُ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[1]. فلما عاودوه شَكْواهُ قال لهم بُردٌ ما قاله بشَّارٌ؛ فانصرفوا وهم يقولون: فِقْهُ بُردٍ أَغْيظُ لنا من شعرِ بشَّار.

[أعطاه فتى مائتي دينار لشعره في مطاولة النساء]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدَّثني محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدَّثني محمد بن عثمان الكُرَيزيّ قال حدَّثني بعضُ الشعراء قال: أَتَيْتُ بشَّاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار، فقال لي: خُذْ منها ما شِئْتَ، أَوَ تَدْرِي ما سبَبُها؟ قُلْتُ: لا؛ قال: جاءني فتًى فقال لي: أنتَ بشَّار؟ فَقُلْتُ: نعم؛ فقال: إنِّي آلَيْتُ أن أدفعَ إليك مائَتَيْ دينارٍ وذلك أنِّي عَشِقتُ امرأةً فَجِئْتُ إليها فكلَّمْتُها فلم تَلْتَفِتْ إليَّ، فَهَمَمْتُ أن أتركَها فَذَكَرْتُ قولكَ:

لا يُؤيِسَنَّكَ مِن مُخَبَّأَةٍ ... قَولٌ تُغَلِّظُهُ وَإِن جَرَحا
عُسرُ النِّساءِ إِلى مُياسَرَةٍ ... وَالصَّعبُ يُمكِنُ بَعدَ ما جَمَحا[2]

[الكامل]

فَعُدْتُ إليها فلازمتُها حتى بَلَغْتُ منها حاجتي.

[عاب الأخفش شعره ثم صار بعد ذلك يستشهد به]

أخبرني عمي قال حدَّثني الكِرانيّ عن أبي حاتم قال: كان الأخفشُ طَعَنَ على بشَّار في قوله:

فالآنَ أقصَرَ عن سُمَيَّةَ باطِلي ... وأشار بالوَجَلَى عليَّ مُشيرُ

[الكامل]

= منهم حسداً له، وبغياً عليه، فرحل عنهم فنزل في آخرين، فرآهم يفعلون باشرافهم مثل ذلك، ثم رحل ونزل في غيرهم، فرأى مثل ذلك أيضاً، فعندها قال: «أينما أتوَجَّه ألق سعداً» أي كل الناس مثل قومي في حسدهم ساداتهم.

(١) سورة النور الآية٦١.

(٢) ورد في بعض المصادر «رمحا» بدل «جمحا».

وفي قوله:

عَـلـى الـغَـزَلـى مِـنّـي الـسَّـلامُ فَـرُبَّـمـا لَـهَـوتُ بِـهـا فـي ظِـلِّ مَـرؤومَـةٍ[١] زُهـرِ

[الطويل]

وفي قوله في صفةِ سفينةٍ:

تُـلاعِـبُ نـيـنـانَ[٢] الـبُـحـورِ وَرُبَّـمـا رَأَيـتَ نُـفـوسَ الـقَـومِ مِـن جَـريِـهـا تَـجـري

[الطويل]

وقال: لم يُسْمَعْ من الوَجِل والغَزَل فعلى، ولم أسمعْ بنُونِ ونينان؛ فبلغ ذلك بشَّاراً فقال: وَيْلي على القَصَّارِينَ[٣]! متى كانَتِ الفصاحةُ في بيوت القصَّارين! دَعُوني وإيَّاه؛ فَبَلَغَ ذلك الأخفشَ فبكى وجَزِعَ؛ فقيل له: ما يُبكيكَ؟ فقال: وما لي لا أبكِي وقد وقَعْتُ في لسان بشَّار الأعمى! فذهب أصحابُهُ فكذّبوا عنه واستوهبوا منه عِرضَه وسألوه ألَّا يهجوه؛ فقال: قد وَهَبتُه لِلؤم عِرضِه. فكان الأخفشُ بعد ذلك يحتجُّ بشعره في كُتُبه ليبلُغَهُ؛ فَكَفَّ عن ذكره بعد هذا.

قال: وقال غيرُ أبي حاتم: إنما بلغه أنّ سِيبوَيه عابَ هذه الأحرفَ[٤] عليه لا الأخفش، فقال يهجوه:

أَسِـبـوَيـهِ يـا بـنَ الـفـارِسِـيَّـةِ مـا الَّـذي تَـحَـدَّثـتَ عَـن شَـتْـمـي وَمـا كُـنـتَ تَـنـبِـذُ

أَظَـلـتَ تُـغَـنّـي سـادِراً[٥] فـي مَـسـاءَتـي وَأُمُّـكَ بِـالـمَـصْـرَيـنِ تُـعـطـي وَتَـأخُـذُ

[الطويل]

قال: فتوقَّاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سُئِلَ عن شيءٍ فأجاب عنه ووجَدَ له شاهداً من شعر بشَّار احتجّ به استكفافاً لشرِّه.

[ذم بني سدوس]

أخبرني محمد بن عِمرانَ الصَّيرفيّ قال حدَّثني الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزِيّ قال

---

(١) كلّ من أَحَبَّ شيئاً وأَلِفَهُ فقد رَئِمَهُ.

(٢) النون: الحوت. أنكر سيبويه ذلك على بشار وزعم أن العرب لاتجمع النون على نينان، واتصل ذلك ببشار، فقال: ويحه! أما يقول: حُوت وحيتان وغول وغيلان؟! ـ وقيل: إن الذي عاب عليه ذلك أبو الحسن الأخفش ـ وتوعد بشار سيبويه ولدغه بأبيات، فكف سيبويه عن تتبع شعره واحتج ببعضه تقرباً إليه واستكفافاً لشره.

(٣) القصار: الذي يحور الثياب ويدقها. (٤) الأحرف: الكلمات.

(٥) السّادِرُ: الذي لا يُقلِعُ ولا ينزعُ عما هو فيه من غَيِّه وضَلالِه وتَكَلَّمَ فلانٌ سادراً: غيرَ مُتَثَبِّتٍ في كلامه، ولم أسمَع له فعلاً.

حدَّثني أحمد بن عليّ بن سُويَد بن مَنْجُوفٍ قال: كان بشَّار مُجاوِراً لبني عُقَيلٍ وبني سَدُوسٍ في منزل الحيَّين، فكانوا لا يزالون يتفاخرون، فاستعانَتْ عُقَيلٌ ببشَّار وقالوا: يا أبا مُعاذٍ، نحن أَهلُكَ وأنتَ ابنُنا ورُبِيتَ في جُحُورنا فأعِنَّا؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد:

كَأَنَّ بَني سَدُوسٍ رَهطَ ثَورٍ ... خَنافِسُ تَحتَ مُنكَسِرِ الجِدارِ

تُحَرِّكُ لِلفَخارِ زُبانَيَيها[1] ... وَفَخرُ الخُنفُساءِ مِنَ الصَّغارِ

[الوافر]

فوثَبَ بنو سَدُوسٍ إليه فقالوا: ما لنا ولك يا هذا! نعوذُ باللَّه من شَرِّكَ! فقال: هذا دأبكُم إن عاوتم مُفاخرةَ بني عُقيلٍ؛ فلم يُعاوِدُوها.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيه قال حدَّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاَّم قال: قال يونسُ النحويّ: العجبُ من الأَزْد يَدَعونَ هذا العبد يَنْسُبُ بنسائهم ويهجو رجالهم ـ يعني بشَّاراً ـ ويقول:

أَلا يا صَنَمَ الأَزدِ الَّذي يَدعونَهُ رَبّا

[الهزج]

ألا يَبعثونَ إليه من يفتِقُ بطنَه!

[ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه]

أخبرني الحسن قال حدَّثني ابنُ مَهْرُوَيه عن أحمدَ بن إسماعيلَ عن محمد بن سلاَّم قال: مرَّ ابنُ أخ لبشَّار ببشَّار ومعه قوم: فقال لرجل معه وسمع كلامه: من هذا؟ فقال: ابنُ أخيك؛ قال: اشهدُ أنَّ أصحابَهُ سَفلةٌ؛ قال: وكيف عَلِمْتَ؟ قال: ليس عليهم نِعالٌ:

[سمع شعره من مغنية فطرب وقال: هذا أحسن من سورة الحشر]

اخبرني الحسنُ قال حدَّثنا محمدُ بن القاسم قال حدَّثني الفضلُ بن يعقوبَ قال: كُنَّا عند جاريةٍ لبعض التُّجار بالكَرْخِ تُغنّينا، وبشَّارٌ عندنا، فغنَّتْ في قوله:

(١) أراد حاجة فزبنه عنها فلان: دفعه. والناقة تزبن ولدها عن ضرعها، وتزبن حالبها وناقة زبون. وزابنه: دافعه مزابنة وتزابنوا تدافعوا. ونهي عن المزابنة وهي بيع ما في رأس النخلة بالتمر لأنها تؤدّي إلى المدارأة والخصام. ووقع في أيد الزبانية وهم الشرط لزبنهم الناس وبهم سميت زبانية النار لدفعهم أهلها إليها.

إِنَّ الـخَـلـيـفَـةَ قَـد أَبَـى وَإِذا أَبَـى شَـيـئـاً أَبَـيـتُـهْ
وَمُـخَـضَّـبٍ رَخـصِ الـبَـنـا نِ بَـكـى عَـلَـيَّ وَمـا بَـكَـيـتُـهْ
يـا مَـنـظَـراً حَـسَـنـاً رَأَيـتُ بـوَجـهِ جـارِيَـةٍ فَـدَيـتُـهْ
بـعـثَـت إِلَـيَّ تَـسـومُـنـي ثـوبَ الـشَّـبـابِ وَقَـد طَـوَيـتُـهْ

[مجزوء الكامل]

فَطُرِبَ بشَّار وقال: هذا واللَّهِ يا أبا عبدِ اللَّه أحسنُ من سُورةِ الحَشْرِ! . وقد روى هذه الكلمةَ عن بشَّار غيرُ من ذكرتُه فقال عنه: إنه قال: هي واللَّه أحسن من سورة الحشر. الغناءُ في هذه الأبيات. وتمامُ الشعر:

وأنـا الـمُـطِّـلُ عـلـى الـعِـدا وإذا غَـلاَ الـحـمـدُ اشـتـريـتُـهْ
وأمـيـلُ فـي أُنـسِ الـنَّـديـم مـن الـحـيـاءِ ومـا اشـتـهـيـتُـهْ
ويَـشُـوقُـنـي بـيـتُ الـحـبـيـب إذا غَـدَوْتُ وأيـنَ بـيـتُـهْ
حـالَ الـخـلـيـفـةُ دونـه فَـصَـبِـرْتُ عـنـه ومـا قَـلـيـتُـهْ

[مجزوء الكامل]

وأنشدني أبو دُلفَ هاشمُ بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات وأخبرني أنَّ الجاحظ أخبره أنَّ المهديّ نهى بشَّاراً عن الغزَل وأن يقول شيئاً من النسيب، فقال هذه الأبيات. قال: وكان الخليل بن أحمد يُنْشِدُها ويَسْتَحْسِنُها ويُعْجَبُ بها.

[سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولا يعرفهم فأجابها]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثنا دَماذ أبو غَسَّانَ عن محمد بن الحجَّاج قال: قالَتْ بنتُ بشَّار لبشَّار: يا أبتِ، ما لكَ يَعرِفُكَ الناسُ ولا تعرِفُهُم؟ قال: كذلك الأميرُ يا بُنيَّة.

[سبَّ عبد اللَّه بن مِسْوَر أبا النَّضير فدافع عنه بشار]

أخبرني عبد اللَّه بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمدُ بن الحارث الخرَّاز عن المدائني قال: قال عبدُ اللَّه بن مِسْوَر الباهليّ يوماً لأبي النَّضير، وقد تحاورا في شيء: يابن اللَّخناء، أتُكلِّمني ولو اشتريْتُ عبداً بمائَتي درهم واعتقتُهُ لكان خيراً منك! فقال له أبو النَّضير: واللَّه لو كُنْتُ ولدَ زنى لَكُنْتُ خيراً من باهلةَ كُلِّها؛ فَغَضِبَ الباهليّ؛ فقال له بشَّار: أنتَ منذ ساعةٍ تزنِّي أمّه ولا يغضبُ، فلما كلَّمَك كلمةً واحدةً لحقك هذا كلّه! فقال له: وأُمُّه مثل أُمِّي يا أبا مُعاذٍ! فَضَحِكَ، ثم

قال: واللَّه لو كانت أُمُّك أُمَّ الكتاب ما كان بينكما من المُصارمة هذا كلّه!.

[هجاؤه ابن مزيد]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدَّثني عليّ بن مهديّ قال حدَّثني سعيد بنُ عُبيدٍ الخُزاعيّ قال: ورد بشَّار بغداد فقصد يزيدَ بن مَزْيَدٍ، وسأله أن يذكره للمهديّ، فسوَّفَهُ أشهراً؛ ثم وَرَدَ رَوْح بن حاتم فَبَلَغَهُ خبرُ بشَّار، فَذَكَرَهُ للمهديّ من غير أن يلقاه، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهديّ وأنشدَهُ شعراً مدحه به، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقَيْنَةً وكساه كُساً كثيرةً؛ وكان يحضرُ قيساً مرَّة، فقال بشَّار يهجو يزيدَ بن مَزيد:

وَلَمّا ٱلتَقَينا بِالجُنَينَةِ[١] غَرَّني ... بِمَعروفِهِ حَتّى خَرَجتُ أَفوقُ[٢]

[الطويل]

غرَّني: أوجرني [٣]كما يُغَرّ الصبيُّ أو يُوَجر اللَّبنَ.

حَباني بِعَبدٍ قَعْسَرِيٍّ[٤] وَقَينَةٍ ... وَوَشيٍ وَآلافٍ لَهُنَّ بَريقُ

فَقُل لِيَزيدٍ يَلعَصِ[٥] الشَّهدَ خالياً ... لَنا دونَهُ عِندَ الخَليفَةِ سُوقُ

رَقَدتَ فَنَم يا ٱبنَ الخَبيثَةِ إِنَّها ... مَكارِمُ لا يَسطيعُهُنَّ لَصيقُ

أَبى لَكَ عِرقٌ مِن فُلانَةَ أَن تُرى ... جَواداً وَرَأسٌ حَيثُ شِبتَ حَليقُ

[الطويل]

[قصيدته التي مدح بها إبراهيم بن عبد اللَّه فلما قتل جعلها للمنصور]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا الرّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال: كان بشَّار كتب إلى إبراهيمَ بن عبد اللَّه بن الحسن بقصيدةٍ يمدحه بها ويُحرِّضُهُ ويُشيرُ عليه، فلم تصل إليه حتى قُتِلَ، وخاف بشَّارٌ أن تشتهر فقلبها وجعل التحريضَ فيها على أبي مُسلم والمدحَ والمشورةَ لأبي جعفرٍ المنصور، فقال:

أَبا مُسلِمٍ ما طُولُ عَيشٍ بِدائِمِ ... وَلا سالِمٌ عَمّا قَليلٍ بِسالِمِ

[الطويل]

---

(١) اسم موضع كما ذكره ياقوت الحموي.

(٢) فَاقَ الرجلُ فُوَاقاً إذا شخصت الريح من صدره. وفلان يَفُوق بنفسه فُؤوقاً إذا كانت نفسه على الخروج مثل يَرِيقُ بنفسه.

(٣) أوجره اللبن ونحوه: جعله في فيه.

(٤) القَعْسَريُّ: الرّجل الضَّخْمُ الشَّديدُ.

(٥) اللَّعَص: النّهَم في الأكل والشرب جميعاً، وقيل اللعص اللعق.

وإنَّما كان قال: «أبا جعفرٍ ما طِيْبُ عيش» فغيّره وقال فيها:

إذَا بَلغَ الرَّأيُ النَّصِيحةَ فاستَعِنْ ... بِعَزمِ نَصِيحٍ أو بتأييدِ حازِمِ
ولا تحسَبِ الشُّورَى عليكَ غضاضةً ... مكانُ الخوَافي نافعٌ للقَوادِمِ
وخلِّ الهُوَيْنَى للضَّعِيفِ ولا تكنْ ... نَؤُوماً فإنَّ الحزمَ ليس بنائمِ
وما خَيرُ كف أمسَكَ الغُلُّ أُختَها ... وما خَيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بِقائِمِ
وحارِب إذا لم تُعْطَ إلَّا ظُلامةً ... شبا الحربِ خيرٌ من قبولِ المظالمِ
وَأَدنِ عَلى القُرْبَى المُقرِّبَ نَفسَهُ ... وَلا تُشهِدِ الشُّورى امرَأً غَيرَ كاتِمِ
فَإِنَّكَ لا تَستَطرِدُ الهَمَّ بِالمُنى ... وَلا تَبلُغُ العَليا بِغَيرِ المَكارِمِ

[الطويل]

إذا كُنتَ فَرداً هَرَّكَ القومُ مُقبِلاً ... وَإِن كُنتَ أَدنى لَم تَفُز بِالعَزائِمِ
وَما قَرَعَ الأَقوامَ مِثلُ مُشَيَّعٍ ... أَريبٍ وَلا جَلّى العَمى مِثلُ عالِمِ

[الطويل]

قال الأصمعيّ: فَقُلْتُ لبشَّار: إنِّي رأيْتُ رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة؛ فقال: أما عَلِمْتَ أن المشاور بين إحدى الحُسْنَيَيْن: بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطإٍ يُشارِكُ في مكروهه؛ فَقُلْتُ: أنت واللَّه أشعرُ في هذا الكلام منك في الشعر.

[اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول وهو سمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُويه قال حدَّثني عليّ بن الصبَّاح عن بعض الكوفيين قال: مَرَرْتُ ببشَّار وهو مُتَبَطِّح[1] في دِهْليزِهِ كأنه جاموس، فَقُلْتُ له: يا أبا مُعاذ، مَنِ القائل:

في حُلَّتي جِسمُ فَتًى ناحِلٍ ... لَو هَبَّتِ الرِّيحُ لَهُ طاحا

[السريع]

قال: أنا؛ قُلْتُ: فما حَمَلَكَ على هذا الكذب؟ واللَّه إني لأرى أن لو بعث اللَّه الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حرَّكَتْكَ من موضعك فقال بشَّار: مِنْ أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة؛ فقال: يا أهل الكوفة لا تَدَعون ثِقلَكُم ومَقْتَكُم على كلِّ حال!.

(١) متبطح: ممتّد على وجه الأرض بوجهه.

[عاتب صديقاً له لأنه لم يهد له شيئاً]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن عليّ: قال حدَّثني عافية بن شَبيب قال:

قَدِمَ كُرْدِيّ بن عامر المِسْمَعيّ من مكة، فلم يُهْدِ لبشَّار شيئاً وكان صديقَهُ؛ فكتب إليه:

مـا أَنـتَ يـا كُـردِيُّ بِـالـهَـشِّ[1] وَلا أُبَـرّيـكَ مِـنَ الـغِـشِّ
لَـم تُـهـدِنـا نَـعـلاً وَلا خـاتَـمـاً مِـن أَيـنَ أَقـبَـلـتَ مِـنَ الـحَـشِّ[2]

[السريع]

فأهدى إليه هدّيةً حسنةً وجاءه فقال: عَجِلْتَ يا أبا معاذ علينا، فأنشُدُك اللَّه ألا تزيدَ شيئاً على ما مضى.

[أخبر أنه غنى بشعر له فطرب]

وَنَسَخْتُ من كتابه عن عافية بن شَبيب أيضاً قال حدَّثني صديقٌ لي قال: قُلْتُ لبشَّار: كنَّا أمس في عُرْسٍ فكان أول صوت غنى به المغنّي:

هَوى صاحِبي ريحُ الشَّمالِ إِذا جَرَت وَأَهوى لِنَفسي أَن تَهُبَّ جَنوبُ
وما ذاك إلا أنها حين تنتهي تناهى وفيها من عُبَيْدةَ طِيْبُ

[الطويل]

فطَرِبَ وقال: هذا واللَّه أحسن من فُلْج[3] يوم القيامة.

[مدح المهدي فلم يجزه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال: مدح بشَّار المهديَّ فلم يُعْطِهِ شيئاً؛ فقيل له: لم يَستَجِدْ شعرَك؛ فقال: واللَّه لقد قُلْتُ شعراً لو قيل في الدهر لم يُخشَ صرفُه على أحد، ولكنَّا نَكذْب في القول فنُكذَبُ في الأمل.

[هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنه ثم بر في يمينه فضربه بعرض السيف]

أخبرني عمي قال حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدَّثني يحيى بن خليفة

(١) هششت الورق على الغنم: خبطته خبطاً برفق.
(٢) حشت يده: يبست. وحش الولد في البطن، ومنه الحشيش. ومن المجاز: حشّ النار: أثقبها وأطعمها الحطب، كما تحش الدابة.
(٣) فلجت على خصمك، وفلجت حجّتك. وخرج لك سهمٌ فالج أي فائز. واللَّه أفلجك عليه وأظفرك.

الدارميّ عن نصر بن عبد الرحمن العِجْليّ قال: هجا بشَّار رَوْحَ بن حاتم؛ فبلغه ذلك فَقَذَفَهُ وتَهدَّده؛ فلما بلغ ذلك بشَّاراً قال فيه:

تَـــهـــدّدَنـــي أَبـــو خَـــلَـــفٍ وَعَـــــن أَوتـــــارِهِ نـــــامـــــا
بِـــسَـــيـــفٍ لِأَبَـــي صُـــفـــرَ ةَ لا يَـــقـــطَـــعُ إِبـــهـــامـــا
كَـــأَنَّ الـــوَرسَ[1] يَـــعـــلُـــوهُ إِذا مـــا صَـــدرُهُ قـــامـــا

[مجزوء الوافر]

ـ قال ابن أبي سعد: ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمر الظالمي ـ قال: فبلغ ذلك رَوْحاً فقال: كلّ مالي صدقةٌ إنْ وقعَتْ عيني عليه لأضرِبنَّه ضربةً بالسيف ولو أنه بين يَدَيِ الخليفة! فَبَلَغَ بشَّاراً فقام من فوره حتى دخل على المهديّ؛ فقال له: ما جاء بك في هذا الوقت؟ فأخبره بقصَّة رَوْح وعاذ به منه، فقال: يا نُصَيْر، وَجِّه إلى رَوْح من يُحْضِرُه الساعةَ؛ فأرسل إليه في الهاجرة، وكان ينزل المُخرِّم[2]، فظنَّ هو وأهلُهُ أنَّهُ دُعي لولاية. قال: يا رَوْح، إني بَعَثْتُ إليك في حاجة؛ فقال له: أنا عبدُك يا أمير المؤمنين فقل ماشئت سوى بشَّار فإني حلفت في أمره بيمين غَمُوس[3]؛ قال: قد عَلِمْتُ وإيَّاه أردْتُ؛ قال له: فاحتل ليميني يا أمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمِهِ بعُرْض السيف، وكان بشَّار وراء الخيش[4]، فأُخرِجَ وأُقعِدَ واستلّ رَوْحٌ سَيْفَهُ فضربه ضربةً بعُرْضه؛ فقال: أوَّه باسم اللَّه! فَضَحِكَ المهديّ وقال له: ويلك! هذا وإنما ضَرَبَك بعُرْضه وكيف لو ضربك بحدِّه!

[مدح سليمان بن هشام]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا أبو عبيدة قال: مدح

---

(١) الوَرْسُ: نبتٌ أصفر يكون باليمن يُتَّخذ منه الغُمْرَةُ للوجه. تقول منه: أوْرَسَ المكانُ. وأوْرَسَ الرِّمْثُ، أي اصفرَّ ورقُه بعد الإدراك، فصار عليه مثلُ المُلاء الصُّفْرِ، فهو وارِسٌ.

(٢) المُخَرِّم: محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية، خربها الإمام الناصر لدين اللَّه أبو العباس أحمد سنة ٥٨٧هـ.

(٣) وقعوا في أمر غموس أي شديد غمسهم في البلاء، ومنه: اليمين الغموس: لشدّتها.

(٤) الخَيْش: ثِيابٌ رِقاقُ النسج غِلاظُ الخُيُوطِ تُتَّخَذُ من مُشَاقةِ الكَتَّان ومن أَرْدَئه، وربما اتخذت من العَصْبِ، والجمع أَخياش؛ قال:

وأَبـصـرْتُ لَـيـلـى بـيـن بُـرْدَي مَـراجِـلٍ وأَخْـياشِ عَـصْـبٍ من مُـهَـلْـهَـلةِ اليـمَـن

وفيه خُيُوشةٌ أَي رقّة. وخاشَ ما في الوِعاء: أَخْرَجَه.

بشَّار سليمانَ بن هشام بن عبد الملك وكان مُقيماً بحَرَّانَ وخرج إليه فأنشده قوله فيه:

نَأَتْكَ عَلى طولِ التَّجاوُرِ زَينَبُ ... وَما شَعَرَت أَنَّ النَّوى سَوفَ تَشْعَبُ
يَرى الناسُ ما نُبدي بِزَينَبَ إِذ نَأَت ... عَجيباً وَما تُخفِي بزينبَ أَعجَبُ
وَقائِلَةٍ لي حينَ جدَّ رَحيلُنا ... وَأَجفانُ عَينَيها تَجودُ وَتَسكُبُ
أَغادٍ إِلى حَرّانَ في غَيرِ شيعَةٍ ... وَذَلِكَ شَأوٌ عَن هَوانا مُغَرَّبُ[1]
فَقُلتُ لَها كَلَّفتِني طَلَبَ الغِنى ... وَلَيسَ وَراءَ ٱبنِ الخَليفَةِ مَذهَبُ
سَيَكفي فَتًى مِن شيعَةٍ حَدُّ سَيفِهِ ... وَكُورٌ عِلافِيٌّ وَوَجناءُ ذِعلِبُ[2]
إِذا ٱستَوغَرَت[3] دارٌ عَلَيهِ رَمى بِها ... بَناتِ الصُّوى[4] مِنها رَكوبٌ وَمُصعِبُ
فَعُدّي إِلى يَومِ ٱرتَحَلتُ وَسائِلي ... بِزَوْرِكِ والرَّحّالَ مَن جاءَ يَضرِبُ
لَعَلَّكِ أَن تَستَيقِني أَنَّ زَورَتي ... سُلَيمانَ مِن سَيرِ الهَواجِرِ تُعقِبُ
أَغَرُّ هِشامِيُّ القَناةِ إِذا ٱنتَمى ... نَمَتهُ بُدورٌ لَيسَ فيهِنَّ كَوكَبُ
وَما قَصَدَت قَوماً مُخيلينَ خَيلُهُ ... فَتُصرَفُ إِلاّ عَن دِماءٍ تَصَبَّبُ

[الطويل]

[استقل عطاء سليمان فقال شعراً]

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل، فلم يرضها وانصرف عنه مُغضَباً فقال:

---

(١) مُغرَّب: بعيد.

(٢) الكُورُ: الرحل، والجمع: الأَكْوار، والكِيران. العَلَفُ للدواب، والجمع: عُلُوْفَةٌ وأعْلافٌ وعِلافٌ ـ مثال جَبَلٍ وجِبَالٍ ـ. وعِلَافُ بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قُضَاعَةَ، وعِلَافٌ هذا هو ربان أبو جرم بن ربان، وهو أول من عمل الرِّحَالَ، وإليه تنسب الرِّحالُ العلافية. وجن ناقة وجناء: عظيمة الوجنتين أو صلبة من الوجين وهي الأرض الغليظة، وقد وجنت وجناً. ولا يقال: أوجن. ورجل موجّنٌ، كقولك: مظهّر ومصدّر إذا قويت منه هذه الأعضاء وعظمت. ووجن الوتد وجناً. الذِّعْلِبَة: الناقةُ الشديدةُ الباقيةُ على السير، وتجمع على ذَعالِب.

(٣) الوَغْرَة: شِدّةُ تَوَقُّدِ الحَرّ، وذلك حين تَتَوَسَّط الشمسُ السماءَ ويقال: نَزَلْنا في وَغْرَةِ القَيْظِ على ماءِ كذا. وَغَرَت الهاجرةُ تَغِرُ، كَوَعَد، وَغْراً: رَمِضَتْ واشتدَّ حَرُّها. وأَوْغَروا: دخلوا فيها، ومنه حديثُ الإفك: «فَأَتَيْنا الجيشَ مُوغِرين في نَحْرِ الظَّهيرَةِ» ويروى مُغَوِّرين، وقد تقدّم في موضعه.

(٤) الصُّوَى والأَصْواءُ الأَعلامُ المَنْصُوبة المُرْتَفِعة في غَلْظٍ. وفي حديث أَبي هريرة: إنَّ للإسلامِ صُوًى ومَناراً كمَنارِ الطريقِ، ومنه قيل للقبور أَصْواءٌ. قال أَبو عمرو: الصُّوَى أَعْلامٌ من حجارةٍ مَنصوبةٌ في الفَيافي والمَفازةِ المجهولةِ يُسْتدَلُّ بها على الطريق وعلى طَرَفيها.

إن أُمسِ مُنقَبِضَ اليَدَينِ عَنِ النّدى ... وَعَنِ العَدُوِّ مُخَيَّسَ[1] الشَّيطانِ
فَلَقَد أَروحُ عَلى اللِّئامِ مُسَلَّطاً ... ثَلِجَ المَقيلِ[2] مُنَعَّمَ النَّدمانِ
في ظِلِّ عَيشٍ عَشيرَةٍ مَحمودَةٍ ... تَندَى يَدي وَيُخافُ فَرطُ لِساني
أَزمانَ جِنِّيُّ الشَّبابِ مُطاوِعٌ ... وَإِذِ الأَميرُ عَلَيَّ مِن حَرّانِ
رِيمٌ بِأَحويةِ[3] العِراق إذا بدا ... بَرَقَتْ عليه أكِلَّةُ[4] المَرجانِ
فَاكحَلْ بِعَبدَةَ مُقلَتَيكَ مِنَ القَذى ... وَبِوَشكِ رُؤيَتِها مِنَ الهَمَلانِ
فَلَقُربُ مَن تَهوى وَأَنتَ مُتَيَّمٌ ... أَشفى لِدائِكَ مِن بَني مَروانِ

[الكامل]

فلما رجع إلى العراق بَرّه ابنُ هُبَيرة ووصله، وكان يعظِّم بشَّاراً ويُقدّمه، لمدحه قيساً وافتخاره بهم، فلما جاءت دولة أهل خُراسان عظُم شأنُه.

[مدح المهدي بشعر فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني محمد بن الحجَّاج قال:

قَدِمَ بشَّار الأعمى على المهديّ بالرُّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسنٌ، فنهاه عن التشبيب لغَيرةٍ شديدةٍ كانت فيه، فأنشده مديحاً فيه، يقول فيه:

كَأَنَّما جِئتُهُ أُبَشِّرُهُ ... وَلَم أَجِئ راغِباً وَمُحتَلِبا
يُزَيِّنُ المِنبَرَ الأَشَمَّ بِعِطفَيهِ وَأَقوالِهِ إِذا خَطَبا
تُشَمُّ نَعْلاه في النَّديّ كما ... يُشَمُّ ماءُ الرَّيحانِ مُنْتَهَبا

[المنسرح]

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادةً في كل سنةٍ ونهاه عن التشبيب البتَّةَ، فَقَدِمَ عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده:

تَجالَلْتُ[5] عَن فِهرٍ[6] وَعَن جارَتَي فِهرِ ... وَوَدَّعتُ نُعمى بِالسَّلامِ وَبِالبِشْرِ

---

(١) مخيس: مذلل.
(٢) ثلج المقيل: بارده.
(٣) أحوية: جمع حواء وهي أخبية متدانية.
(٤) أكِلّة: جمع إكليل: التاج وشبه عصابة تزّين بالجواهر.
(٥) تجاللت: ترفعت.
(٦) الفِهْرُ: الحَجَر قدر ما يكسر به جَوْزٌ، أو يُدَقُّ به شيءٌ، وعامّةُ العَرَبِ تُؤَنِّثُهُ وتصغيره: فُهْرة. وقُرَيْشٌ كلُّهم يُنْسبون إلى فِهْرِ بن غالبِ بن النَّضْرِ بن كِنانة.

وَقالَت سُلَيمى فيكَ عَنّا جَلادةٌ ... مَحَلُّكَ ناءٍ وَالزِّيارَةُ عَن عُفرِ[١]
أَخي في الهَوى مالي أَراكَ جَفَوْتَنا ... وَقَد كُنتَ تَقفونا عَلى العُسرِ وَاليُسرِ
تَثاقَلْتُ إلا عن يدٍ أستفيدُها ... وزَوْرَةِ أمـلاكٍ أشُدُّ بها أزري
وَأَخرَجَني مِن وِزْرِ خَمسينَ حِجَّةً ... فَتًى هاشِمِيٌّ يَقشَعِرُّ مِنَ الوِزرِ
دَفَنتُ الهَوى حَيّاً فَلَستُ بِزائِرٍ ... سُلَيمى وَلا صَفراءَ ما قَرقَرَ[٢] القُمري
وَمُصفَرَّةٍ بِالزَّعفَرانِ جُلودُها ... إذا اجتُلِيَت مِثلَ المُفرْطحةِ الصُّفرِ[٣]
فَرُبَّ ثَقالِ الرِّدفِ هَبَّت تلومُني ... ولو شَهِدَت قبري لصَلَّت على قبري
تَرَكتُ لِمَهدِيِّ الأنامِ وِصالَها ... وَراعَيتُ عَهداً بَينَنا لَيسَ بِالخَترِ[٤]
وَلَولا أَميرُ المُؤمِنينَ مُحَمَّدٌ ... لَقَبَّلتُ فاها أَو لكان بِها فِطري
لَعَمري لَقَد أَوفَرتُ نَفسي خَطيئَةً ... فَما أَنا بِالمُزدادِ وِقراً عَلى وِقرِ

[الطويل]

في قصيدة طويلة امتدحه بها، فأعطاه ما كان يُعطيه قبل ذلك ولم يزِدْه شيئاً.

[وفاة ابنه]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكيّ عن محمد بن سلاَّم عن بعض أصحابه قال: حضرنا جنازة ابنٍ لبشَّار تُوفِّي، فَجَزِعَ عليه جَزَعاً شديداً، وجَعَلْنا نُعزِّيه ونُسلِّيه فما يُغْني ذلك شيئاً، ثم التفْتَ إلينا وقال: للَّهِ درُّ جريرٍ حيث يقولُ وقد عُزِّي بسوادة ابنه:

قالوا نَصيبكَ مِن أَجرٍ فَقُلتُ لَهُم ... كَيف العَزاءُ وقد فارَقْتُ أَشبالي
ودَّعْتني حينَ كَفَّ الدَّهرُ مِن بَصَري ... وَحينَ صِرتُ كَعَظمِ الرِّمَّةِ البالي
أودى سَوادَةُ يَجلو مُقلَتَيْ لَحِمٍ[٥] ... بازٍ يُصَرصِرُ فَوقَ المَربإِ[٦] العالي

(١) العفر: الحين وطول العهد أو الشهر أو البعد وقلة الزيارة.
(٢) قرقر هو شِبْهُ القَهْقَهَةِ. وفي الحديث: لا بَأْسَ بالتَّبَسُّم ما لَمْ يُقَرْقِر. والقَرْقَرَة: هَدِيرُ البَعِيرِ، أَو أَحْسَنُه؛ الأَخِيرُ لابْنِ القَطَّاع. وقَرْقَرَ البَعِيرُ قَرْقَرَةً، وذلك إِذا هَدَلَ صَوْتَه ورَجَّعَ؛ والجَمْعُ القَرَاقِرُ، والاسْمُ القَرْقَارُ، بالفَتْح.
(٣) الصفر: الدنانير.
(٤) الخَتْرُ: شِبْهُ الغَدْر، ورجل ختَارٌ: غدّار.
(٥) من المجاز: هذه لحمة البازي: لطعمته، ولحم الثوب، ولحمة الأرض لبقلها الذي يلبسها. وبينهم لحمة نسبٍ. وألحم البازي. وألحم ما أسديت. ورجل لحيم: قتيل، وقد لحم ومعناه قطع لحمه.
(٦) المربأ: مكان البازي الذي يقف فيه.

إِلاّ تَـكُـن لَـكَ بِـالـدَّيـرَيـنِ[١] نـائـحـةٌ فَـرُبَّ نـائـحـةٍ بِـالـرَّمـلِ مِـعـوالِ

[البسيط]

[استنشده صديق له شيئاً من غزله فاعتذر بنهي المهديّ له عنه]

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدَّثنا عمرُ بن شَبَّة قال حدَّثني خَلَّادٌ الأرقطُ قال: لمَّا أُنشِدَ المهديُّ قول بشَّارٍ:

لا يُـؤيِـسَـنَّـكَ مِـن مُـخـبَّـأةٍ قَـولٌ تُـغَـلِّـظُـهُ وَإِن جَـرَحـا

عُـسـرُ الـنِّـسـاءِ إِلـى مُـيـاسَـرَةٍ وَالـصَّـعـبُ يُـمـكِـنُ بَـعـدَ مـا جَـمَـحـا

[الكامل]

فنهاه[٢] المهديّ عن قوله مثل هذا، ثم حضر مجلساً لصديقٍ له يقال له عمرو بن سَمَّان، فقال له: أنشِدنا يا أبا مُعاذٍ شيئاً من غَزَلِكَ، فأنشأ يقول:

وَقـائِـلٍ هـاتِ شَـوِّقـنـا فَـقُـلـتُ لَـهُ أَنـائِـمٌ أَنـتَ يـا عَـمـرَو بـنَ سَـمّـانِ

أَمـا سَـمِـعـتَ بِـمـا قَـد شـاعَ فـي مُـضَـرٍ وَفـي الـحَـلـيـفَـيـنِ مِـن نَـجـرٍ[٣] وَقَـحـطـانِ

قـالَ الـخَـلـيـفَـةُ لا تَـنـسُـبْ بِـجـارِيَـةٍ إِيّـاكَ إِيّـاكَ أَن تَـشـقـى بِـعِـصـيـانِ

[البسيط]

[صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر]

أخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق قال حدَّثنا سليمان بن أيوب المدائنيّ قال: قال مروانُ بن أبي حفصة: قَدِمْتُ البصرةَ فأنشدْتُ بشَّاراً قصيدةً لي واستنصحتُهُ فيها، فقال لي: ما أجودَها! تَقْدَمُ بغداد فتُعطى عشرة آلاف درهم؛ فَجَزِعْتُ من ذلك وقُلْتُ: قتَلْتَني! فقال: هو ما أقول لك؛ وقَدِمْتُ بغدادَ فأُعْطِيْتُ عليها عشرةَ آلاف درهم؛ ثم قَدِمْتُ عليه قَدْمةً أُخرى فأنْشَدْتُهُ قصيدتي:

طَـرَقَـتـكَ زائِـرَةً فَـحَـيِّ خَـيـالَـهـا[٤]

فقال: تُعطى عليها مائةَ ألف درهم؛ فَقَدِمْتُ فأُعطِيتُ مائةَ ألف درهم، فعُدْتُ

---

(١) أراد دير الوليد بالشام.

(٢) كذا في الأصول، والمعروف أن الفاء لا تقع في جواب «لما».

(٣) الجوهري: نَجْرُ أَرض مكة والمدينة، ونَجْرَان: بلد وهو من اليمن.

(٤) هذا البيت على الكامل، وقد ورد على الشكل التالي:

طَـرَقَـتـكَ زائِـرَةً فَـحَـيِّ خَـيـالَـهـا بَـيـضـاءُ تُـخـلِـطُ بِـالـحَـيـاءِ دَلالَـهـا

وهو لمروان بن أبي حفصة من مواليد ١٠٥هـ.

إلى البصرة فأخبرتُهُ بحالي في المرَّتين، وقُلْتُ له: ما رأيْتُ أعجبَ من حَدْسِكَ[1]! فقال: يا بنيّ، أما علمت أنه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمك! . أخبرنا بهذا الخبر محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: حدَّثنا يزيدُ ين محمد المهلَّبيّ عن محمد بن عبد اللَّه بن أبي عُيينةَ عن مروانَ أنه قَدِمَ على بشَّار فأنشده قوله:

طَـرَقَـتـكَ زائِـرَةً فَـحَـيِّ خَـيـالَـهـا

فقال له: يُعطُونَك عليها عشرةَ آلاف درهم، ثم قَدِمَ عليه فأنشده قوله:

أَنّـي يَـكـونُ وَلَـيـسَ ذاكَ بِـكـائِـنٍ لِـبَـنـي الـبَـنـاتِ وِراثَـةُ الأَعـمـامِ

[الكامل]

فقال: يُعطونَكَ عليها مائةَ ألفِ درهم، وذكر باقيَ الخبر مثل الذي قبله.

[امتحن في صلاته فوجد لا يصلي]

أخبرني عيسى قال حدَّثنا سليمانُ قال: قال بعضُ أصحاب بشَّار: كنا نكون عنده فإذا حضَرتِ الصلاةُ قمنا إليها ونجعل حول ثيابه تراباً حتى ننظر هل يقومُ يُصلّي، فنعودُ والترابُ بحاله وما صلَّى.

[جعل الحب قاضياً بين المحبين بأمر المهديّ]

أخبرني عيسى قال حدَّثنا سليمانُ قال: قال أبو عمرو: بعث المهديّ إلى بشَّار فقال له: قُلْ في الحبِّ شِعراً ولا تُطِلْ واجعَلِ الحبَّ قاضياً بين المحبّين ولا تُسمِّ أحداً؛ فقال:

أَجـعَـلُ الـحُـبَّ بَـيـنَ حِـبـيّ وَبَـيـنـي قـاضِـيـاً إِنَّـنـي بِـهِ الـيَـومَ راضِ
فَـاجـتَـمَـعـنـا فَـقُـلـتُ يـا حُـبَّ نَـفـسـي إِنَّ عَـيـنـي قَـلـيـلَـةُ الإِغـمـاضِ
أَنـتَ عَـذَّبـتَـنـي وَأَنـحَـلـتَ جِـسـمـي فَـارحَـمِ الـيَـومَ دائِـمَ الأَمـراضِ
قـالَ لـي لا يَـحِـلُّ حُـكـمـي عَـلَـيـهـا أَنـتَ أَولـى بِـالـسُّـقـمِ وَالإِحـراضِ
قُـلـتُ لَـمّـا أَجـابَـنـي بِـهَـواهـا شَـمِـلَ الـجَـورُ فـي الـهَـوى كُـلَّ قـاضِ

[الخفيف]

فبعث إليه المهديّ: حكمتَ علينا ووافَقَنا ذلك، فأمر له بألف دينار.

نسب إليه بعضهم أنه أخذ معنى في شعره من أشعب فرد عليه:

---

(١) الحدس: الظن والتخمين.

أخبرني عيسى قال حدثني سليمان المدائنيّ قال حدثني الفضل بن إسحاق الهاشمي قال: أنشد بشار قوله:

يـروّعـه الـسـرار بـكـل أرض مـخـافـة أن يـكـون بـه الـسـرارُ

[الوافر]

فقال له رجل: أظنك أخذت هذا من قول أشعب: مارأيت اثنين يتساران إلا ظننت أنهما يأمران لي بشيء؛ فقال: إن كنت أخذت هذا من قول أشعب فإنك أخذت ثِقَلَ الروح والمقت من الناس جميعاً فانفردت به دونهم، ثم قام فدخل وتركنا. وأخذ أبو نواس هذ المعنى بعينه من بشار فقال فيه:

تـركـتـني الـوشـاة نـصـب الـمـسـرّيـن وأحـدوثـةً بـكـل مَـكـانِ

مـاأرى خـالـيـيـنِ فـي الـسِّـر إلّا قـلـت مـايـخـلـوان إلا لـشـانـي

[الخفيف]

استنشد هجوه في حماد عجرد وعمرو الظالمي فأنشد:

أخبرني عمي قال حدثني سليمان قال: قال لي أبو عدنان حدثني سعيد جليس كان لأبي زيد قال:

أتاني أعشى سليم وأبو حنش فقالا لي: انطلق معنا إلى بشار فتسأله أن ينشدك شيئاً من هجائه في حماد عجرد أو في عمرو الظالمي فإنه إن عرفنا لم ينشدنا، فمضيت معهما حتى دخلت على بشار فاستنشدته فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخرج من واد في الهجاء إلى وادٍ آخر وهما يستمعان وبشار لايعرفهما، فلما خرجا قال أحدهما للآخر: أما تعجب مما جاء به هذا الأعمى؟ فقال أبو حنش: أما أنا فلا أعرض ـ واللّه ـ والدي أبداً؛ وكانا قد جاءا يزورانه، وأحسبهما أرادا أن يتعرضا لمهاجاته.

مدح واصلاً قبل أن يدين بالرجعة أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن الجاحظ قال: كان بشار صديقاً لأبي حذيفة واصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة ويكفر الأمة، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلها الراء وكانت على البديهة، وهي أطول من خطبتي خالد بن صفوان وشبيب بن سيبة، فقال:

تـكـلـفـوا الـقـول والأقـوام قـد حـفـلـوا وحـبَّـروا خـطـبـاً نـاهـيـك مـن خـطـب

فـقـام مـرتـجـلاً تـغـلـي بـداهَـتُـهُ كـمـرجـل الـقـيـن لـمـا حـف بـالـلَّـهـب

وجانب الراء لم يشعر به أحد قبل التصفح والإغراق في الطلب
[البسيط]

قال: فما دان بالرجعة زعم أن الناس كلهم كفروا بعد رسول اللَّه ﷺ؛ فقيل له: وعلي بن أبي طالب؟ فقال:

وماشر الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تَصْبَحينا
[الوافر]

قال: ما كان الكميت شاعراً

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: قال لي محمد بن الحجاج:

قال بشار: ما كان الكميت شاعراً؛ فقيل له: وكيف وهو الذي يقول!:

أنصِفُ امرئٍ من نصف حي يسبني لعمري لقد لاقيت خطباً من الخطب
هنيئاً لكلبٍ أن كلباً يسبني وأنّيَ لم أردُدْ جواباً على كلبِ
[الطويل]

فقال بشار: لا بل شانئك، أترى رجلاً لو ضرط ثلاثين سنة لم يستحل من ضرطه ضرطة واحدة! نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني علي بن مهدي قال حدثني حجاج المعلم قال سمعت سفيان بن عُيينةَ يقول: عهدي بأصحاب الحديث وهم أحسنُ الناس أدباً ثم صاروا الآن أسوأ الناس أدباً، وصبرنا عليهم حتى أشبهناهم فصرنا كما قال الشاعر:

وما أنا إلا كالزمان إذا صحا صَحَوتُ وإن ماقَ الزمانُ أَموقُ
[الطويل]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن الحجاج قال: كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ذكره له، فجعل يفهمه ولايفهم، فأخذ بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل وهو يقول:

أعمى يقود بصيراً لاأبا لكُمُ قد ضَلَّ من كانتِ العُميانُ تَهديهِ
[البسيط]

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: زعم أبو دِعامةَ أن عطاء الملط أخبره أنه أتى بشاراً فقال له: يا أبا معاذ، أنشدك شعراً حسناً؟ فقال: ما أسرَّني بذلك، فأنشده:

أعـاذلـتـيَّ الـيـومَ ويـلَـكُـمـا مَـهْـلا فـمـا جَـزَعـاً مِ الآن أبـكـي ولاجـهـلا

[الطويل]

فلما فرغ منها قال له بشار: أحسنت، ثم أنشده على رويها ووزنها:

لـقـد كـاد مـا أخـفـي مـن الـوجـد والـهـوى يـكـون جـوى بـيـن الـجـوانـح أوخـبـلا

صـوت

إذا قـال مـهـلاً ذو الـقـرابـة زادنـي وَلُـوعـاً بـذكـراهـا ووجْـداً بـهـا مَـهْـلا

فـلا يَـحْـسَـبِ الـبـيـضُ الأَوانـسُ أن فـي فـؤادي سـوى سُـعْـدَى لِـغـانـيـةٍ فَـضْـلا

فـأُقْـسِـمُ إن كـان الـهـوى غـيـرَ بـالـغ بِيَ الـقـتـلَ مـن سُـعْـدَى لـقـد جـاوز الـقـتـلا

فـيـا صـاحِ خَـبِّـرنـي الـذي أنـت صـانـعٌ بـقـاتـلـتـي ظُـلْـمـاً ومـا طَـلَـبَـتْ ذَحْـلَا

سـوى أنـنـي فـي الـحـبّ بـيـنـي وبـيـنـهـا شَـدَدْتُ عـلـى أكـظـام سِـرٍّ لـهـا قُـفْـلاً

[الطويل]

وذكر أحمد بن المكي أن لإسحاق في هذه الأبيات ثقيلاً أول بالوسطى فاستحسنت القصيدة وقلت: يا أبا معاذ، قد واللَّه أجدت وبالغت، فلو تفضلت بأن تُعيدَها، فأعادها على خلاف ما أنشدنيها في المرة الأولى، فتوهمت أنه قالها في تلك الساعة.

حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرُويه قال حدثني أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال:

كنت أكلم بشاراً وأورد عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد، فكان يقول: لا أعرف إلا ماعانيته أو عانيت مثله؛ وكان الكلام يطول بيننا، فقال لي: ماأظن الأمر يا أبا خالد إلا كما تقول، وأن الذي نحن فيه خذلان، ولذلك أقول:

طُـبِـعْـتُ عـلـى مـافـيَّ غـيـرَ مُـخَـيَّـرٍ هَـوايَ ولـو خُـيِّـرْتُ كـنـتُ الـمـهـذَّبـا

أُريـدُ فـلا أُعْـطـي وأُعـطـى ولـم أُرِدْ وَقَـصَّـرَ عِـلـمِـي أن أنـالَ الـمُـغَـيَّـبـا

فـأُصْـرَفُ عـن قـصـدي وعـلـمـي مُـقَـصِّـرٌ وأُمْـسـي ومـا أَعْـقَـبْـتُ إلا الـتَّـعـجُّـبـا

[الطويل]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرُويه قال حدثني أحمد بن خلاد بن المبارك قال حدثني أبي قال:

كان بالبصرة فتًى من بني منقر أمه عجلية، وكان يبعث إلى بشار في كل أضحية بأضحية من الأضاحي التي كان أهل البصرة يسمنونها سنةً وأكثر للأضاحي ثم تباع الأضحية بعشرة دنانير، ويبعث معها بألف درهم؛ قال: فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه، فاشترى له نعجة كبيرة غير سمينة وسرق باقي الثمن، وكانت نعجة عبدليةً من نعاج عبد اللَّه بن دارم وهو نتاج مرذول، فلما أدخلت عليه قالت له جاريته ربابة: ليست هذه الشاة من الغنم التي كان يبعث بها إليك؛ فقال: أدنيها مني فأدنتها ولمسها بيده ثم قال: اكتب ياغلام:

وهبت لنا يافتى مِنقَرٍ ... وعِجْلٍ وأكرمهم أولا
وأبسطهم راحة في الندى ... وأرفَعهم ذِروةً في العُلا
عجوزاً قد آوردها عمرُها ... وأسكنها الدهرُ دارَ البِلى
سَلوحاً توهَّمتُ أن الرِّعاء ... سَقَوْها ليُسهلها الحنظلا
وأضرَطَ من أُمَّ مُبتاعِها ... إنِ اقتحمتْ بكرةً حَرْمَلَا
فلو تأكلُ الزَّبدَ بالنِّرسِيان ... وتَدَّمِجُ المِسْكَ والمَنْدَلا
لما طَيَّبَ اللَّه أرواحَها ... ولا بلّ من عَظمِها الأقَحلا
وضعت يميني على ظهرها ... فخلْتُ حراقِفَها جَنْدَلا
وأهوتْ شمالي لِعُرقوبها ... فخِلتُ عَراقِبَها مِعْزَلا
وقَلَّبْتُ أَلْيَتَها بعد ذا ... فشَبَّهْتُ عُصْعُصَها مِنْجَلا
فقلت أبيع فلا مشرَباً ... أُرَجِّي لديها ولا مأكلا
أم آشوي وأطبخ من لحمها ... وأطيبُ من ذاك مضغُ السَّلى
إذا ما أُمِرَّتْ على مجلسٍ ... من العُجْبِ سَبَّحَ أو هَلَّلَا
رأوا آيةً خلفها سائقٌ ... يَحُثُّ وإن هَرْولتْ هَرْوَلا
وكنتَ أمرتَ بها ضَخْمَةً ... بلحمٍ وشحمٍ قد استكملا
ولكنّ رَوْحاً عَدا طورَه ... وما كنتُ أحسبُ أن يفعلا
فعضَّ الذي خانَ في أمرها ... مِنِ استِ أُمّه بَظْرَها الأغرلا
ولولا مكانك قلدته ... عِلَاطاً وأَنشقتُه الخَرْدَلا
ولولا استِحائِيكَ خَضَّبْتُها ... وعَلَّقت في جِيدها جُلْجُلا

فـجـاءتـك حـتـى تـرى حـالـهـا فـتـعـلـم أنـي بـهـا مُـبْـتَـلَـى
سـألـتُـك لـحـمـاً لِـصـبْـيـانـنـا فـقـد زدتـنـي فـيـهـم عَـيِّـلَا
فـخُـذْهـا وأنـت بـنـا مُـحْـسِـنٌ ومـازلـتَ بـي مُـحـسِـنـاً مُـجْـمِـلا

[المتقارب]

قال: وبعث بالرقعة إلى الرجل؛ فدعا بوكيله وقال له: ويلك تعلم أني أفتدي من بشار بما أعطيه وتوقعني في لسانه اذهب فاشتر أضحية، وإن قدرت أن تكون مثل الفيل فافعل، وابلغ بها مابلغت وابعث بها إليه.

شعره في رثاء بنية له:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال: رأيت بشاراً المرعث يرثي بنيةً له وهو يقول:

يـابـنـتَ مـن لـم يـكُ يـهـوى بـنـتـا مـاكـنـت إلا خـمـسـة أو سـتـا
حـتـى حَـلـلـتِ فـي الـحـشـى وحـتـى فـتـتِّ قـلـبـي مـن جـوًى فـانـفـتـا
لأنـت خـيـرٌ مـن غـلامٍ بـتـا يُـصـبـحُ سـكـرانَ ويُـمـسـي بَـهـتَـا

[الرجز]

مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال: كان نافع بن عقبة بن سلم جواداً ممدحاً، وكان بشار منقطعاً إلى أبيه، فلما مات أبوه وفد إليه وقد ولي مكان أبيه، فمدحه بقوله:

ولـنـافـعٍ فـضـلٌ عـلـى أكـفـائـه إن الـكـريـمَ أحـقَّ بـالـتـفـضـيـل
يـانـافـعَ الـشـبـراتِ حـيـن تـنـاوحـت هُـوجُ الـريـاحِ وأُعـقِـبـتْ بـوبُـول
أشـبـهـتَ عُـقـبـةَ غـيـرَ مـامُـتـشـبِّـهٍ ونـشـأتَ فـي حـلـمٍ وحـسـنِ قَـبـولِ
ووِلِـيـتَ فـيـنـا أشـهـراً فـكـفـيـتَـنـا عَـنَـتَ الـمُـريـبِ وَسَـلَّـة الـتـضـلـيـل
تُـدعـى هِـلالاً فـي الـزمـان ونـافـعـاً والـسَّـلـمُ نـعِـمَ أُبُـوَّةُ الـمـأمـول

[الكامل]

فأعطاه مثل ما كان أبوه يعطيه في كل سنة إذا وفد عليه.

أجاز شعراً للمهدي في جارية

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزي قال حدثني إبراهيم بن عقبة الرفاعي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم التمار البصري قال: دخل المهدي إلى بعض حجر الحرم فنظر إلى جارية منهن تغتسل، فلما رأته حصرت ووضعت يدها على فرجها، فأنشأ يقول:

نظرت عيني لحيني

ثم أرتج عليه، فقال: من بالباب من الشعراء؟ قالوا: بشار، فأذن له فدخل؛ فقال له: أجز:

نظرت عيني لحيني نظراً وافق شيني
سترت لما رأتني دونه بالراحتين
فضلت منه فضول تحت طي العكنتين

[مجزوء الرمل]

فقال له المهدي: قبحك اللَّه ويحكك أكنت ثالثنا ثم ماذا؟ فقال:

فتمنيت وقلبي للهوى في زفرتين
أنني كنت عليه ساعة أو ساعتين

[مجزوء الرمل]

فضحك المهدي وأمر له بجائزة؛ فقال: يا أمير المؤمنين أقنعت من هذه الصفة بساعة أوساعتين؟ فقال: اخرج عني قبّحك اللَّه. فخرج بالجائزة

أنشد شعراً على لسان حمار له مات

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرُويه قال حدثنا أبو شبل عاصم بن وهب البرجمي قال حدثني محمد بن الحجاج قال: جاءنا بشار يوماً فقلنا له: مالك مغتمّاً؟ فقال: مات حماري فرأيته في النوم فقلت له: لم مت؟ ألم أكن أحسن إليك. فقال:

سيدي خذ بي أتاناً عند باب الأصبهاني
تيمتني ببنان وبدل قد شجاني
تيمتني يوم رحنا بثنايا ها الحسان

وبـــــغـــــنـــــج ودلال سـل جـسـمـي وبـرانـي
ولـــهـــا خـــد أسـيـل مـثـل خـد الـشـيـفـران
فـلـذا مـت ولـو عـشـت إذا طـال هـوانـي
[مجزوء الرمل]

فقلت له: ما الشيفران؟ قال: ومايدريني. هذا من غريب الحمار، فإذا لقيته فاسأله رأيه فيما يكون عليه المجلس

أخبرني الحسن قال حدثني محمد بن القاسم قال حدثني علي بن إياس قال حدثني السري بن الصباح قال: شهد بشار مجلساً فقال: لا تصيروا مجلسنا هذا شعراً كله ولا حديثاً كله ولا غناء كله، فإن العيش فرص، ولكن غنوا وتحدثوا وتناشدوا وتعالوا نتناهب العيش تناهباً.

وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق.

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن ابن عائشة قال: جاء بشار يوماً إلى أبي وأنا على الباب، فقال لي: من أنت ياغلام؟ فقلت: من ساكني الدار؛ قال: فكلمني واللَّه بلسان ذرب وشدق هريتٍ.

أبطأ سهيل القرشي فيما كان يهديه له من تمر فكتب إليه يتنجزه.

أخبرني عمي قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال: كان سهيل بن عمر القرسي يبعث إلى بشار في كل سنة بقواصر تمر، ثم أبطأ عليه سنةً؛ فكتب إليه بشار:

تـمـركـم يـاسـهـيـلُ دَرٌ وهـل يـطـمـع فـي الـدر مـن يَـدَيّ مُـتـعـتـي
فـاحْـبُـنـي يـاسُـهـيـلُ مـن ذلـك الـتـمـر نـواةً تـكـون قُـرطـاً لـبـنـتـي
[الخفيف]

فبعث إليه بالتمر وأضعفه له، وكتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر.

سأله بعض أهل الكوفة ممن كانوا على مذهبه أن ينشدهم شعراً ثم عابثوه

ونسخت من كتاب هارون بن علي: عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صفوان قال:

جلس إلى بشار أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه، فسألوه أن ينشدهم شيئاً مما أحدثه، فأنشدهم قوله:

أَنَّـى دعـاه الـشـوقُ فـارتـاحـا مـن بـعـد مـا أصـبـح جَـحـجـاحـا
[السريع]

حتى أتى على قوله:

في حُلَّتي جسمُ فتًى ناحلٍ لو هَبَّتِ الريحُ به طاحا

[السريع]

فقالوا: يابن الزانية، أتقول هذا وأنت كأنك فيل عرضك أكثر من طولك. فقال: قوموا عني يابني الزناء؛ فإني مشغول القلب، لست أنشط اليوم لمشاتمتكم.

عشق امرأة وألح عليها فشكته إلى زوجها

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال: كان لبشار مجلس يجلس فيه بالعشي يقال له البردان، فدخل إليه نسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره، فعشق امرأة منهن، وقال لغلامه: عرفها محبتي لها، واتبعها إذا انصرفت إلى منزلها؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تجبه إلى ماأحب، فتبعها إلى منزلها حتى عرفه، فكان يتردد إليها حتى برمت به، فشكته إلى زوجها، فقال لها أجيبيه وعديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلت، وجاء بشار مع امرأة وجهت بها إليه، فدخل وزوجها جالس وهو لايعلم، فجعل يحدثها ساعة، وقال لها: ما اسمك بأبي أنت؟ فقالت: أمامة؛ فقال:

أمامة قد وصفت لنا بحسن وإنا لانراك فألمسينا

[الوافر]

قال: فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ، ففزع ووثب قائماً وقال:

عليّ ألِيَّة مادمتُ حيًّا أَمسُّكِ طائعاً إلا بعود
ولاأُهدي لقوم أنت فيهم سلام اللَّه إلا من بعيد
طلبتُ غنيمةً فوضعت كفي على أيرٍ أشدَّ من الحديد
فخيرٌ منكِ من لاخيرَ فيه وخيرُ من زيارتكم قُعودي

[الوافر]

وقبض زوجها عليه وقال: هممت بأن أفضحك؛ فقال له: كفاني، فديتك، مافعلت بي، ولست واللَّه عائداً إليها أبداً، فحسبك مامضى، وتركه وانصرف.

وقد روي مثل هذه الحكاية عن الأصمعي في قصة بشار هذه. وهذا الخبر بعينه يُحكى بإسناد أقوى من هذا الإسناد وأوضح عن أبي العباس الأعمى السائب بن فروخ، وقد ذكرته في أخبار أبي العباس بإسناده.

رثاؤه أصدقاءه

نسخت من كتاب هارون بن علي: قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني حمدان الآبنوسي قال حدثنا أبو نواس قال: كان لبشار خمسة ندماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البراء، فركب في زورق يريد عبور دجلة العوراء فغرق، وكان المهدي قد نهى بشاراً عن ذكر النساء والعشق، فكان بشار يقول: ماخيرٌ في الدنيا بعد الأصدقاء؛ ثم رثى أصدقاءه بقوله:

يابن موسى ماذا يقول الإمام في فتاة بالقلب منها أوامُ
بِتُّ من حبّها أُوَقَّرُ بالكأس ويهفو على فؤادي الهُيام
وَيْحَها كاعباً تُدِلُّ بجهم كعثبي كأنه حَمَّام
لم يكن بينها وبينيَ إلَّا كُتُبُ العاشقين والأحلام
يابن موسى اسقني ودع عنك سلمى إن سلمى حِمَّى وفيَّ احتشام
رُبَّ كأس كالسلسبيل تعللتُ بها والعيون عني نِيام
حُبِسَتْ للشُّراةِ في بيت رأس عُتِّقَتْ عانساً عليها الخِتام
نفحتْ نفحةً فهزَّت نديمي بنسيمٍ وانشقّ عنها الزكام
وكأنّ المعلولَ منها إذا را ح شَجٍ في لسانه بِرْسام
صدَمَتْه الشَّمولُ حتى بعينيه انكسارٌ وفي المفاصل خام
وهو باقي الأطراف حَيَّت به الكأس وماتت أوصالُه والكلام
وفتًى يشرب المدامة بالمال ويمشي يروم ما لا يُرام
أنفدتْ كأسه الدنانيرَ حتى ذهب العينُ واستمرَّ السَّوام
تركتْه الصَّهباء يرنو بعين نام إنسانُها وليست تَنام
جُنَّ من شَربة تُعلُّ بأخرى وبكى حين سار فيه المُدام
كان لي صاحباً فأودَى به الدّهر وفارقتُه عليه السلام
بَقيَ الناس بعد هُلك نَدامايَ وقوعاً لم يشعروا ما الكلام
كجزور الأيسار لا كَبِدٌ فيها لباغٍ ولاعليها سَنام
يابن موسى فَقْدُ الحبيبِ العين قَذاةٌ وفي الفؤاد سَقَام
كيف يصفو ليَ النعيم وَحيداً والأخَلَّاء في المقابر هام

نَـفِـسَـتْـهُـم عـلـيَّ أمّ الـمـنـايـا فـأَنـامـتـهُـمُ بـعُـنـفٍ فـنـامـوا
لا يَـغـيـض انـسـجـامُ عـيـنـي عـلـيـهـم إنـمـا غـايـة الـحـزيـن الـسِّـجـام
[الخفيف]

وفد على عمر بن هبيرة فمدحه

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي: أن بشاراً وفد إلى عمر بن هبيرة وقد مدحه بقوله:

يـخـاف الـمـنـايـا أن تـرحـلـتُ صـاحـبـي كـأن الـمـنـايـا فـي الـمُـقـمـام تُـنـاسِـبُـهْ
فـقـلـت لـه إن الـعـراقِ مُـقـامُـه وخـيـمٌ إذا هـبَّـت عـلـيـك جـنـائِـبُـهْ
لأَلـقـى بـنـي عَـيْـلان إن فَـعـالـهـم تـزيـد عـلـى كـل الـفَـعـال مَـراتـبُـهْ
أولاك الأُلـى شـقُّـوا الـعـمـى بـسـيـوفـهـم عـنِ الـعـيـن حـتـى أبـصـر الـحـقَّ طـالـبُـهْ
وجـيـش كـجُـنـح الـلـيـل يـزحـف بـالـحـصـا وبـالـشـوك والـخـطِّـيِّ حُـمـراً ثَـعـالـبُـهْ
غَـدَونـا لـه والـشـمـسُ فـي خِـدر أُمِّـهـا تُـطـالـعـنـا والـطَّـلُّ لـم يَـجـرِ ذائـبُـهْ
بـضَـربٍ يـذوق الـمـوتَ مـن ذاق طـعـمَـه وتُـدْرِك مـن نـجَّـى الـفِـرارُ مَـثـالـبُـهْ
كـأن مُـثـارَ الـنّـقـع فـوقَ رؤوسـنـا وأسـيـافَـنـا لـيـلٌ تـهـاوى كَـوَاكِـبُـهْ
بـعـثـنـا لـهـم مـوتَ الـفُـجـاءةِ إنـنـا بـنـو الـمـوت خـفَّـاق عـلـيـنـا سَـبـائِـبُـهْ
فـراحـوا فـريـقٌ فـي الإسـار ومـثـلُـه قـتـيـلٌ ومـثـلٌ لاذ بـالـبـحـر هـاربُـهْ
إذا الـمـلـك الـجـبَّـار صـعّـر خـدّه مـشـيـنـا إلـيـه بـالـسـيـوف نـعـاتِـبُـهْ
[الطويل]

فوصله بعشرة آلاف درهم، فكانت أول عطية سنية أعطيها بشار ورفعت من ذكره، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها:

صـوت

إذا كـنـت فـي كـل الأمـور مـعـاتـبـاً صـديـقَـك لـم تـلـق الـذي لاتـعـاتـبُـهْ
فـعِـشْ واحـداً أوصِـلْ أخـاك فـإنـه مُـقـارِفُ ذنـبٍ مـرة ومـجـانـبُـهْ
إذا أنـت لـم تـشـربْ مِـراراً عـلـى الـقـذى ظـمِـئْـتَ وأي الـنـاس تـصـفـو مـشـاربُـهْ
[الطويل]

الغناء في هذه الأبيات لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها.

شعره في العشق

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال ذكر أبو أيوب المديني عن الأصمعي قال: كان لبشار مجلس يجلس فيه يقال له البردان، وكان النساء يحضرنه فيه، فبينما هو ذات يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشقها، فدعا غلامه فقال: إذا تكلمت المرأة عرفتك فاعرفها، فإذا انصرفت من المجلس فاتبعها وكلمها وأعلمها أني لها محب؛ وقال فيها:

ياقومُ أُذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا: بمن لاترى تهذي. فقلت لهم: ... الأذن كالعين توفي القلب ما كانا
هل من دواء لمشغوف بجارية ... يلقى بلقيانها رَوحاً وريحانا

[البسيط]

وقال في مثل ذلك:

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها ... قلبي فأضحى به من حبها أثرُ
أنّى ولم ترها تهذي. فقلت لهم ... إن الفؤاد يرى مالايرى البصرُ
أصبحت كالحائم الحيران مجتنباً ... لم يقضِ وِرداً ولايُرجى له صَدَرُ

[البسيط]

قال يحيى بن علي وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشار في هذا المعنى وكان يستحسنه.

يُزْهِدني في حبّ عَبدةَ مَعشرٌ ... قلوبُهمُ فيها مخالفةٌ قلبي
فقلت دَعوا قلبي وماختار وارتضى ... فبالقلب لابالعين يُبصِر ذو الحبِّ
فما تُبصر العينان في موضع الهوى ... ولاتسمع الأُذنان إلا من القلبِ
وماالحسن إلَّا كلُّ حسنٍ دعا الصبا ... وألّف بين العشق والعاشق الصبّ

[الطويل]

قال أبو أحمد: وقال في مثل ذلك:

ياقلب مالي أراك لاتَقِرُ ... إياك أعني وعندك الخبرُ

أَذعتَ بعد الألى مَضَوْا حُرَقاً أم ضاع مااستودعوك إذ بكروا
إن سليمى واللَّهُ يكلؤها كالسُّكر تَزدادُهُ على السَّكَرِ
بُلِّغْتُ عنها شَكلاً فأَعجبني والسمعُ بكفيك غَيبة البصرِ
[المنسرح]

أنشد المهدي شعراً فلم يعطه شيئاً فقال شعراً مداره الحكمة

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال: زعم أبو العالية أن بشاراً قدم على المهدي، فلما استأذن عليه قال له الربيع: قد أذن لك وأمرك ألا تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فأدخل على ذلك، فأنشده قوله:

يامنظراً حسناً رأيته من وجه جارية فديتُهْ
بعثتْ إليَّ تسومني بُردَ الشباب وقد طويتُهْ
واللَّهِ ربِّ مُحمد ما إن غدرتُ ولانويتُهْ
أمسكتُ عنك وربّما عرض البلاءُ ومابتغيتهْ
إن الخليفة قد أبى وإذا أبى شيئاً أبيتهْ
ومخضَّبٍ رَخص البَنا ن بكى عليّ وما بكيتهْ
ويشوقني بيت الحبيب إذا اذّكرت وأين بيتهْ
قام الخليفة دونه فصبرت عنه وماقليتهْ
ونهاني الملك الهما م عن النسيب وماعصيتهْ
لابل وفيت فلم أُضِع عهداً ولارأياً رأيتُهْ
وأَنا المُطلّ على العِدا وإذا غلا عِلْق شريتهْ
أُصفِي الخليل إذا دنا وإذا نأَى عنّي نأيتهْ
[مجزوء الكامل]

ثم أنشده مامدحه به بلا تشبيب، فحرمه ولم يعطه شيئاً؛ فقيل له: إنه لم يستحسن شعرك؛ فقال: واللَّه لقد مدحته بشعر لو مدح له الدهر لم يخش صرفه على أحد، ولكنه كذب أملي لأني كذبت في قولي. ثم قال في ذلك:

خليليَّ إن العسرَ سوفَ يُفيقُ وإن يساراً في غدٍ لخليقُ
وماكنتُ إلا كالزمان إذا صحا صَحوتُ وإن ماق الزمان أموق

أأدمـاء لاأسـتـطـيـع فـي قـلـة الـثـرى خُـزوزاً ووَشـيـاً والـقـلـيـلُ مَـحـيـق
خُـذي مـن يـدي مـاقـلّ إن زمـانـنـا شَـمـوسٌ ومـعـروف الـرجـالَ رقـيـق
لـقـد كـنـتُ لاأرضـى بـأدنـى مَـعـيـشـة ولايَـشـتـكـي بُـخـلاً عـلـيَّ رفـيـق
خـلـيـلـيّ إن الـمـالَ لـيـس بـنـافـعٍ إذا لـم يَـنَـلْ مـنـه أخٌ وصـديـقُ
وكـنـت إذا ضـاقـت عـلـيّ مـحـلَّـةٌ تـيـممـت أخـرى مـاعـلـيّ تـضـيـق
ومـاخـاب بـيـنَ الـلَّـه والـنـاس عـامـلٌ لـه فـي الـتـقـى أو فـي الـمـحـامـد سُـوق
ولاضـاق فـضـلُ الـلَّـه عـن مُـتـعـفِّـفٍ ولـكـنَّ أخـلاقَ الـرجـال تـضـيـق

[الطويل]

أنشد المهدي شعراً في النسيب فتهدده إن عاد إلى مثله:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عمر بن شبة قال: بلغ المهدي قول بشار:

قـاس الـهـمـومَ تـنـلْ بـهـا نُـجُـحـا والـلّـيـلَ إن وراءه صُـبُـحَـا
لايُـؤْيَـسـنَّـك مـن مُـخـبَّـأةٍ قـولٌ تُـغـلِّـظـه وإن جَـرَحَـا
عُـسـر الـنِّـسـاءِ إلـى مُـيـاسَـرةٍ والـصَّـعْـبُ يُـمـكـن بـعـدمـا جـمَـحَـا

[الكامل]

فلما قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، وكان المهدي غيوراً، فغضب وقال: تلك أمّك ياعاض كذا من أمّه. أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبّآت. واللَّه لئن قلت بعد هذا بيتاً واحداً في نسيب لآتين على روحك؛ فقال بشار في ذلك:

والـلَّـه لـولا رِضـا الـخـلـيـفـة مـا أَعـطـيـتُ ضـيـمـاً عـلـيَّ فـي شَـجـنِ
وربَّـمـا خِـيـرَ لابـن آدمَ فـي الـكُـره وشـقَّ الـهـوى عـلـى الـبـدنِ
فـاشـربْ عـلـى أُبـنـة الـزمـان فـمـا تـلـقـى زمـانـاً صَـفـا مـن الأُبـنِ
ألـلَّـه يُـعـطـيـك مـن فـواضـلـه والـمـرء يُـغـضـي عـيـنـاً عـلـى الـكـمَـنِ
قـد عـشـتُ بـيـن الـريـحـان والـراح والـمِـزْهـر فـي ظـل مـجـلـس حـسـنِ
وقـد مـلأتُ الـبـلاد مـابـيـن فـغـفُـور إلـى الـقـيـروان فـالـيـمـنِ

[المنسرح]

قال عمر بن شبة: فغفور: ملك الصين.

شِعراً تُصلّي له العَواتِق وال ثِّيبُ صلاةَ الغُواة للوثنِ
ثم نهاني المهديّ فانصرفتْ نفسي صنيعَ الموفَّق اللّقِنِ
فالحمد للَّه لاشريكَ له ليس بباقٍ شيءٌ على الزمنِ
[المنسرح]

ثم أنشده قصيدته التي أولها:

تجاللتُ عن فهرٍ وعن جارتَي فهر

ووصف بها تركه التشبيب ومدحه فقال:

تَسَلَّى عن الأحباب صَرَّامُ خُلَّة ووصَّالُ أخرى مايُقيم على أَمرِ
وركّاض أفراس الصبابة والهوى جرت حِجَجاً ثم استقرَّت فما تَجري
فأصبحن ما يُركَبن إلا إلى الوغى وأصبحتُ لا يُزرى عليَّ ولا أَزري
فهذا وإني قد شرعت معَ التقى وماتت همومي الطارقاتُ فما تسري
[الطويل]

ثم قال يصف السفينة:

وعذراء لا تجري بلحم ولا دمٍ قليلة شكوى الأَين مُلجَمة الدُّبر
إذا ظَعَنت فيها الفُلول تشخَّصت بفُرسانها لا في وُعُوث ولا وعر
وإن قصدت زلَّت على مُتنصِّب ذليل القوى لا شيء يَفري كما تفري
تُلاعب تَيَّار البحور وربَّما رأيت نفوسَ القوم من جَريها تجري
[الطويل]

قال: وكان قال: نينان البحور فعابه بذلك سيبويه فجعله تيار البحور.

إلى ملك من هاشم في نبوة ومن حمِير في الملك في العدد الدثر
مِنَ المشترين الحمدَ تندى من النَّدى يداه ويندَى عارضاهُ من العِطر
فألزمتُ حبلي حبلَ من لا تُغبّه عُفاة الندى من حيث يَدري ولا يَدري
بنى لك عبد اللَّه بيتَ خِلافة نزلتَ بها بين الفَراقد والنسر
وعندك عهدٌ من وُصَاة محمد فَرَعتَ به الأملاكَ من ولد النضر
[الطويل]

هجا المهدي بعد أن مدحه فلما بلغه ذلك أمر بقتله فلم يحظ منه أيضاً بشيء، فهجاه فقال في قصيدته:

خـلـيـفـةٌ يـزنـي بـعـمَّـاتـه يـلـعـب بـالـدَّبـوق والـصـولـجـانْ
أبـدلـنـا الـلَّـه بـه غـيـرَه ودسّ مـوسـى فـي حَـرَا الـخـيـزران

[السريع]

وأنشدها في حلقة يونس النحوي، فسعي به إلى يعقوب بن داود، وكان بشار قد هجاه فقال:

بـنـي أمـيَّـةَ هُـبّـوا طـال نـومـكُـمُ إن الـخـلـيـفـة يـعـقـوبُ بـنُ داودِ
ضـاعـتْ خِـلافـتـكـم يـا قـومُ فـالـتـمـسـوا خـلـيـفـةَ الـلَّـه بـيـن الـزِّقِّ والـعُـودِ

[البسيط]

فدخل يعقوب على المهدي فقال له: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك؛ فقال: بأي شيء؟ فقال: بما لا ينطق به لساني ولا يتوهمه فكري، قال له: بحياتي إلا أنشدتني! فقال: واللَّه لو خيرتني بين إنشادي إياه وبين ضرب عنقي لأخترت ضرب عنقي؛ فحلف عليه المهدي بالأيمان التي لا فسحة فيها أن يخبره؛ فقال: أما لفظاً فلا، ولكني أكتب ذلك، فكتبه ودفعه إليه؛ فكاد ينشق غيظاً، وعمد على الانحدار إلى البصرة للنظر في أمرها، وما وكده غير بشار، فانحدر، فلما بلغ إلى البطيحة سمع أذاناً في وقت ضحى النهار، فقال: أنظروا ما هذا الأذان! فإذا بشار يؤذن سكران، فقال له: يا زنديق يا عاض بظر أمه، عجبت أن يكون هذا غيرك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران! ثم دعا بابن نهيك فأمره بضربه بالسوط فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطاً أتلفه فيها، فكان إذا أوجعه السوط يقول: حس ـ وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع ـ فقال له بعضهم: انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول: حس، ولا يقول: باسم اللَّه؛ فقال: ويلك! أطعامٌ هو فأسمي اللَّه عليه! فقال له الآخر: أفلا قلت الحمد للَّه؛ قال: أو نعمةٌ هي حتى أحمد اللَّه عليها! فلما ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه، فألقي في سفينة حتى مات ثم رمي به في البطيحة، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدفن بها.

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال: لما ولي صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهدي البصرة، قال بشار يهجوه:

هـم حـمـلـوا فـوق الـمـنـابـر صـالـحـاً أخـاك فـضـجـت مـن أخـيـك الـمـنـابـرُ

[الطويل]

فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهدي فقال: يا أمير المؤمنين، أبلغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجو أمير المؤمنين! قال: ويحك! وما قال؟ قال: يعفيني أمير المؤمنين من إنشاده، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه. فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره: وخاف يعقوب بن داود أن يقدم على المهدي فيمدحه ويعفو عنه، فوجه إليه من استقبله فضربه بالسياط حتى قتله ثم ألقاه في البطيحة في الخرارة.

هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه وعن جماعة من رواة البصريين، وأخبرنا يحيى بن علي عن أحمد بن أبي طاهر عن علي بن محمد، وخبره أتم، قالوا: خرج بشار إلى المهدي، ويعقوب بن داود وزيره، فمدحه ومدح يعقوب، فلم يحفل به يعقوب ولم يعطه شيئاً، ومر يعقوب ببشار يريد منزله، فصاح به بشار:

طال الثواء على رسوم المنزل

فقال يعقوب:

فإذا تشاء أبا معاذ فارحل

فغضب بشار وقال يهجوه:

بني أمية هبوا طال نومكم ... إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة اللَّه بين الزق والعود

[البسيط]

قال النوفلي: فلما طالت أيام بشار على باب يعقوب دخل عليه، وكان من عادة بشار إذا أراد أن ينشد أو يتكلم أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق بإحدى يديه على الأخرى، ففعل ذلك وأنشد:

يعقوبُ قد ورد العُفاةُ عشيّةً ... مُتعرضين لسبيك المنتاب
فسقيتهم وحسبتني كمونةً ... نبتت لزارعها بغير شرابِ
مهلاً لديك فإنني ريحانة ... فاشمم بأنفك واسقها بذنابِ
طال الثواء على تنظُّرِ حاجةٍ ... شَمِطَتْ لديك فمن لها بخِضابِ
تعطي الغزيرةَ درَّها فإذا أبت ... كانت ملامتُها على الحُلَّابِ

[الكامل]

يقول ليعقوب: أنت من المهدي بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم

يوصل إلى درها فليس ذلك من قبلها، إنما هو من منع الحالب منها، وكذلك الخليفة ليس من قبله لسعة معروفة، إنما هو من قبل السبب إليه. قال: فلم يعطف ذلك يعقوب عليه وحرمه، فانصرف إلى البصرة مغضباً. فلما قدم المهدي البصرة أعطى عطايا كثيرةً ووصل الشعراء، وذلك كله على يدي يعقوب، فلم يعط بشاراً شيئاً من ذلك، فجاء بشار إلى حلقة يونس النحوي فقال: هل هاهنا أحد يحتشم؟ قالوا له: لا؛ فأنشأ بيتاً يهجو فيه المهدي، فسعى به أهل الحلقة إلى يعقوب؛ فقال يونس للمهدي: إن بشاراً زنديق وقامت عليه البينة عندي بذلك، وقد هجا أمير المؤمنين، فأمر ابن نهيك بأخذه، وأزف خروجهم فخرجوا وأخرجه ابن نهيك معه في زورق.

وفاة بشار:

فلما كانوا بالبطيحة ذكره المهدي فأرسل إلى ابن نهيك يأمره أن يضرب بشاراً ضرب التلف ويلقيه بالبطيحة، فأمر به فأقيم على صدر السفينة وأمر الجلادين أن يضربوه ضرباً يتلفون فيه نفسه ففعلوا ذلك، فجعل يسترجع؛ فقال بعض من حضر: أما تراه لا يحمد اللَّه! فقال بشار: أنعمةٌ هي فأحمد اللَّه عليها! إنما هي بلية أسترجع عليها، فضرب سبعين سوطاً مات منها وألقي في البطيحة.

قال يحيى بن علي فحكى قعنب بن محرز الباهلي قال حدثني محمد بن الحجاج قال:

لما ضرب بشار بالسياط وطرح في السفينة قال: ليت عين أبي الشمقمق رأتني حين يقول:

إن بـــشـــار بـــن بـــرد تـــيـــسٌ أعـــمـــى فـــي سـفـيـنـهْ

[مجزوء الرمل]

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمار وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال:

أمر المهدي عبد الجبار الزنادقة فضرب بشاراً، فما بقي بالبصرة شريفٌ إلا بعث إليه بالفرش والكسوة والهدايا ومات بالبطيحة. قال: وكانت وفاته وقد ناهز ستين سنة.

قال عمر بن شبة حدثني سالم بن علي، قال: كنا عند يونس فنعى بشاراً إلينا ناع، فأنكر يونس ذلك وقال: لم يمت؛ فقال الرجل: أنا رأيت قبره، فقال: أنت رأيته؟ قال: نعم، وإلا فعليّ وعليّ، وحلف له حتى رضي، فقال يونس لليدين وللفم.

قال أبو زيد وحدّثني جماعة من أهل البصرة منهم محمد بن عون بن بشير، وكان يتهم بمذهب بشار فقال: لما مات بشار ألقيت جثته بالبطيحة في موضع يعرف بالخرّارة، فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة البصرة فأخذ فأتي به أهله فدفنوه، قال وكان كثيراً ما ينشدني:

ستـــرى حـــولَ ســـريـــري حُـسّـراً يَـلْـطِـمـن لَـطـمـا
يـــا قـــتـــيـــلاً قـــتـــلـــتـــه عـــبـــدة الـــحـــوراء ظـــلـــمـــا

[مجزوء الرمل]

قال: وأخرجت جنازته فما تبعها أحد إلا أمة له سوداء سندية عجماء ما تفصح، رأيتها خلف جنازته تصيح: واسيداه! وا سيداه!.

شماتة الناس بموته وما قيل في ذلك من الشعر:

قال أبو زيد وحدثني سالم بن علي قال: لما مات بشار ونعي إلى أهل البصرة تباشر عامتهم وهنأ بعضهم بعضاً وحمدوا اللّه وتصدقوا، لما كانوا منوا به من لسانه.

وقال أبو هشام الباهلي فيما أخبرنا به يحيى بن علي في قتل بشار:

يـا بـؤسَ مَـيْـتٍ لـم يَـبْـكِـهِ أحـدُ أجـل ولـم يـفـتـقـده مُـفـتـقِـدُ
لا أمُّ أولاده بـــكـــتْـــه ولـــم يَـبـكِ عـلـيـه لـفُـرقـةٍ وَلَـدُ
ولا ابـنُ أخـتٍ بـكـى ولا ابـن أخٍ ولا حـمـيـمٌ رقَّـت لـه كـبِـدُ
بـل زعـمـوا أنّ أهـلـه فـرحـاً لـمـا أتـاهـم نَـعِـيُّـه سـجـدوا

[المنسرح]

قال: وقال أيضاً في ذلك:

قـد تـبـع الأعـمـى قَـفـا عَـجْـرَدٍ فـأصـبـحـا جـارَيـن فـي دار
قـالـت بِـقـاعُ الأرض لامَـرحـباً بـروح حـمَّـادٍ وبـشـار
تـجـاورا بـعـد تـنـائـيـهـمـا مـا أبـغـضَ الـجـارَ إلـى الـجـار
صـارا جـمـيـعـاً فـي يـدي مـالـكٍ فـي الـنـار والـكـافـرُ فـي الـنـار

[السريع]

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمد عن أحمد بن خلاد عن أبيه قال: مات بشار سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نيفاً وسبعين سنة.

ندم المهدي على قتله:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهْرُويه قال: لما ضرب المهدي بشاراً بعث إلى منزله من يفتشه، وكان يتهم بالزندقة فوجد في منزله طومار فيه:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

إني أردت هجاء آل سليمان بن علي لبخلهم فذكرت قرابتهم من رسول اللَّه ﷺ فأمسكت عنهم إجلالاً له ﷺ، على أني قد قلت فيهم:

ديـنـار آل سـلـيـمـان ودرهـمـهـم كـالـبـابـلـيـيـن حُـفًّـا بـالـعـفـاريـت

لا يُـبـصَـران ولا يُـرَجـى لـقـاؤهـمـا كـمـا سـمـعـتَ بـهـاروتٍ ومـاروتِ

[البسيط]

فلما قرأه المهدي بكى وندم على قتله، وقال: لا جزى اللَّه يعقوب بن داود خيراً، فإنه لما هجاه لفق عندي شهوداً على أنه زنديق فقتلته ثم ندمت حين لا يغني الندم.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدثني محمد بن هارون قال: لما نزل المهدي البصرة كان معه حمدويه صاحب الزنادقة فدفع إليه بشاراً وقال: اضربه ضرب التلف فضربه ثلاثة عشر سوطاً، فكان كلما ضربه سوطاً قال له: أوجعتني ويلك! فقال: يا زنديق، أتضرب ولا تقول: باسم اللَّه! قال: ويلك! أثريد هو فأسمي اللَّه عليه! قال: ومات من ذلك الضرب.

ولبشار أخبار كثيرة قد ذكرت في عدة مواضع: منها أخباره مع عبدة فإنها أفردت في بعض شعره فيها الذي غنى فيه المغنون، وأخباره مع حماد عجرد في تهاجيهما فإنها أيضاً أفردت، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهلي فإنّا لم نجمع جميعها في هذا الموضع، إذ كان كل صنف منها مستغنياً بنفسه حسبما شرط في تصدير الكتاب.

أخبار يزيد حوراء

[ولاؤه وهو مغن من طبقة ابن جامع والموصلي]

يزيد حورْاء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني لَيْث بن بَكْر بن عبد مناة ابن كنانة، ويُكنى أبا خالد، مغنٍّ مُحْسِنٌ كثيرُ الصِّناعة، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصليّ، وكان ممن قَدِمَ على المهديّ في خلافته فغنَّاه، وكان حسنَ الصوت حُلوَ الشمائل.

[حسد الموصلي له]

وذكرَ ابنُ خُرْدادْبَه أنه بلغه أن إبراهيم الموصليّ حسده على شمائِلِهِ وإشارته في الغناء، فاشترى عدَّةَ جوارٍ وشاركه فيهنّ، وقال له: عَلِّمْهن فما رَزَقَ اللَّه فيهن من رِبْحٍ فهو بيننا، وأمرهن أن يجعلْنَ وَكْدَهنَ[1] أَخْذَ إشارته ففعلن ذلك، وكان إبراهيم يأخذُها عنهنَّ هو وابنه ويأمرهن بتعليم كلِّ من يعرفنَهُ ذلك حتى شهرها في الناس؛ فأبطلَ عليه ما كان منفرداً به من ذلك.

[كان صديقاً لأبي العتاهية وغنى للمهديّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن موسى قال حدَّثني جماعةٌ من موالي الرشيد: أنَّ يزيدَ حوراء كان صديقاً لأبي العتاهية، فقال أبو العتاهية أبياتاً في أمر عُتْبَةَ يتنجَّزُ فيها المهديّ ما وعد إيَّاه من تزوجيها، فإذا وجد المهديَّ طيِّب النفسِ غنَّاه بها، وهي:

ولَقَدْ تَنَسَّمْتُ الرِّياحَ لِحاجَتِي ... فإذا لَها مِن راحَتَيْكَ نَسِيمُ

أشْرَبْت نفسي من رجائك ما له ... عَنَقٌ[2] يَخبّ إليك بي ورَسِيمُ[3]

---

(١) وكدهن: قصدهن.

(٢) العَنَق: من سيْرِ الدَّوابِّ. والنَّعْتُ مِعْناقٌ ومُعْنِقٌ وعَنيقٌ. وسَيْر عَنيقٌ، وبِرْذَونٌ عَنَقٌ. ويجوز للشاعر أن يجعل العَنقَ من السَّير عَنيقاً.

(٣) ناقة رَسُومٌ تَرْسُمُ رَسْماً أي تؤثِّرُ في الأرض من شِدَّةِ وَطْئِها.

وَرَمَيْتُ نَحْوَ سَماءِ جُودِكَ[1] ناظِرِي أَرْعَى مَخايِلَ بَرْقِها وأَشِيمُ
ولَرُبَّما اسْتَيْأَسْتُ ثُمَّ أَقُولُ: لا إِنَّ الذي وَعَدَ النَّجاحَ كَرِيمُ

[الكامل]

فصَنَعَ فيها لحناً وتوخَّى لها وقتاً وجد المهديّ فيه طيِّبَ النفسِ فغنَّاه بها، فدعا بأبي العتاهِيةَ وقال له: أمَّا عُتْبة فلا سبيل إليها لأنَّ مولاتَها مَنَعَت من ذلك. ولكن هذه خمسون ألف درهمٍ فاشترِ ببعضها خيراً من عُتبة، فحُمِلَتْ إليه وانصرف.

[كان نظيفاً ظريفاً حسن الوجه جميل الخصل]

أخبرني عمي قال حدَّثني أحمد بن المَرْزُبان قال حدَّثنا شَيْبة بن هشام عن عبد اللَّه بن العبَّاس الرَّبيعيّ قال: كان يزيدُ حوراء نظيفاً ظريفاً حسنَ الوجه شكلاً، لم يَقْدَمْ علينا من الحجاز أنظفُ ولا أشكلُ منه، وما كُنْتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلةً فيه لا تراها في أحد منهم إلا رأيتَها فيه، وكان يتعصَّبُ لإبراهيم الموصليّ على ابن جامع، فكان إبراهيم يرفعُ منه ويُشيع ذكرَه بالجميل ويُنَبِّه على مواضع تَقَدُّمه وإحسانه ويَبْعَث بابنه إسحاقَ إليه يأخُذُ عنه.

[رثاه صديقه أبو مالك حين مات]

وكان صديقاً لأبي مالكٍ الأعرج التَّميميّ لا يكادُ أن يُفارقَهُ، فَمَرِضَ مَرَضاً شديداً واحتُضِر، فاغتمّ عليه الرشيدُ وبعث بمسرورٍ الخادم يسألُ عنه، ثم مات؛ فقال أبو مالك يَرْثِيه:

صـوت

لم يُمتَّعْ من الشباب يزيدُ صار في التُّربِ وهو غَضٌّ جديدُ
خانَهُ دهرُهُ وقابلَهُ منه بِنَحْسٍ ودابَرَتْهُ[2] السُّعودُ
حين زُفَّتْ دُنياه من كُلِّ وجهٍ وتدانى إليه منه البعيدُ
فكأنْ لم يَكُنْ يزيدُ ولم يَشجُ نديماً يَهُزُّهُ التَّغريدُ

[الخفيف]

(١) الجَودُ: المطر الغزير. تقول: جاد المطر جَوْداً فهو جائِدٌ، والجمع جَوْدٌ. وهاجتْ لنا سماءٌ جَوْدٌ، ومُطِرنا مَطْرَتَيْنِ جَوْدَينِ. وقد جيدَت الأرضُ، فهي مَجودَةٌ. وجادَ الرجُلُ بمالِه يجود جوداً بالضم، فهو جَوادٌ وكريم.
(٢) أعطته دبرها أو أدارت له ظهرها.

وفي هذه الأبيات لحسين بن محرز لحنٌ من الثقيل الثاني بالبنصر، من نسخة عمرو بن بانة.

[توسط لأبي العتاهية حتى ذكره للمهدي فكلم فيه عتبة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيه قال حدَّثني أحمد بن أبي يوسف قال حدَّثني الحسين بن جُمهور بن زِياد بن طَرْخان[1] مولى المنصور قال حدَّثني أبو محمد عبد الرحمن بن عُيَينة بن شارِيةَ الدُّؤليّ قال حدَّثني محمد بن مَيْمون أبو زيد قال حدَّثني يزيد حوراء المغنِّي قال: كلَّمني أبو العتَاهِية في أن أُكَلِّمَ له المهديّ في عُتبة، فَقُلْتُ له: إنَّ الكلام لا يمكنني ولكن قُلْ شعراً أُغَنِّهِ به، فقال:

صــوت

نَـفْـسِـي بـشَـيْءٍ مِـن الـدُّنْـيـا مُـعَـلَّـقَـةٌ ... أَلـلّـهُ والـقـائِـمُ الـمَـهْـدِيُّ يَـكْـفِـيـهـا
إِنِّـي لأَيْـأَسُ مِـنْـهـا ثُـمَّ يُـطْـمِـعُـنِـي ... مـنـهـا احْـتِـقـارُكَ لـلـدُّنْـيـا ومـا فِـيـهـا

[السريع]

قال: فَعَمِلْت فيه لحناً وغنَّيْتُهُ به، فقال: ما هذا؟ فأخبرتُهُ خبرَ أبِي العتاهية، فقال: ننظرُ فيما سأل، فأخبرْتُ أبا العتاهية، ثم مضى شهرٌ فجاءني وقال: هل حدث خبر؟ فقُلْتُ: لا، قال: فاذكرني للمهديّ، قُلْتُ: إنْ أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرِّكه وتُذكِّره وعدَه حتى أغنِّيَه به، فقال:

صــوت

لَـيْـتَ شـعـري مـا عـنـدكـم لَـيْـتَ شِـعْـري ... فـلـقـد أُخِّـرَ الـجـوابُ لأمـرِ
مـا جـوابٌ أوْلَـى بـكـلِّ جـمـيـلٍ ... مـن جـوابٍ يُـرَدُّ مـن بـعـد شـهـرِ

[الخفيف]

قال يزيد: فغنَّيْتُ به المهديّ فقال: عليَّ بِعُتبة فأُحضِرَتْ، فقال: إنَّ أبا العتاهية كلَّمني فيك، فما تقولين، ولك وله عندي ما تُحبَّان مما لا تبلُغُهُ أمانيكما؟ فقالَتْ لَهُ: قَدْ عَلِمَ أميرُ المؤمنين ما أوجبَ اللَّهُ عليَّ من حقِّ مولاتي، وأريدُ أن أذكُرَ لها هذا، قال: فافعلي؛ قال: وأعلَمْتُ أبا العتاهية، ومَضَتْ أيَّامٌ فسألني معاودَةَ المهديّ، فقلت: قد عَرِفْتَ الطريقَ فقل ما شِئْتَ حتى أغنِّيه به، فقال:

---

(١) اسم رجل في خراسان، وهو يعني الرجل الشريف.

صـوت

أَشْرَبْتُ نفسي من رجائك ما له ... عَنَقٌ يَخُبّ إليك بي ورَسيمُ[١]
وَأَمَلتُ نَحْوَ سَماءِ جُودِكَ ناظِري ... أَرْعَى مَخايِلَ بَرْقِها وأَشِيمُ
ولَرُبَّما اسْتَيْأَسْتُ ثُمَّ أَقُولُ: لا ... إِنَّ الذي وَعَدَ النَّجاحَ كَرِيمُ

[الكامل]

قال يزيد: فغنَّيته المهديّ، فقال: عليَّ بِعُتْبة فجاءت، فقال: ما صَنَعْتِ؟ فقالت: ذكرتُ ذلك لمولاتي فَكَرِهَتْهُ وأبته، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يُريدُ، فقال: ما كُنْتُ لأفعلَ شيئاً تكرَهُهُ، فأعلمْتُ أبا العتاهية بذلك، فقال:

قَطَعْتُ مِنْكِ حبائِلَ الآمالِ ... وأَرَحْتُ من حلٍّ ومن تَرْحالِ
ما كان أشأمَ إذْ رجاؤُكِ قَاتِلي[٢] ... وبناتُ وعدِكِ يَعْتَلِجْنَ[٣] بِبالي
ولئن طَمِعتُ لَرُبّ بَرْقٍ خُلَّبٍ ... مالَت بذِي طَمَعٍ ولُمْعَةِ آلِ

[الكامل]

[مغازلته لجارية]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدَّثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قال يزيد حوراء: كُنْتُ أجلسُ بالمدينة على أبواب قُريش، فكانت تمرُّ بي جاريةٌ تختلِفُ إلى الزرقاء تتعلَّم منها الغِناء، فَقُلْتُ لها يوماً: افهَمِي قولي ورُدِّي جوابي وكوني عند ظَنِّي، فقالت: هاتِ ما عندك، فقُلْتُ: باللَّه ما اسمك؟ فقالت: ممنَّعة؛ فأطرقْتُ طيرةً[٤] من اسمها مع طَمَعِي فيها، فَقُلْتُ: بل باذلة أو مبذولة إن شاء اللَّه، فاسمعي منِّي، فقالت وهي تتبسَّمُ: إن كان عندك شيءٌ فقل، فقلت:

لِيَهنِكِ[٥] منِّي أنني لَسْتُ مُفْشِياً ... هواكِ إلى غيري ولو مُتُّ من كَرْبِ
ولا مانحاً خلقاً سواك مودتي ... ولا قائلاً ما عشت من حبكم حسبي

[الطويل]

---

(١) ناقة رَسُومٌ تَرْسُمُ رَسْماً أي تؤثِّرُ في الأرض من شِدَّةِ وَطْئِها.
(٢) ورد في كتاب «زهر الآداب» للقيرواني «قادني» بدل « قاتلي».
(٣) يعتلجن ببالي: يخطرن ببالي.
(٤) طيرة: شؤماً.
(٥) كلمة عامية، تعني ليهنأ.

قال: فَنَظَرَت إليّ طويلاً، ثم قالت: أنشُدُكَ اللَّه، أعن فَرْطِ محبَّةٍ أم اهتياج غُلْمةٍ تكلَّمت؟ فَقُلْتُ: لا واللَّه ولكن عن فَرْطِ محبَّة، فقالت:

فوالـلَّـهِ ربِّ الـنـاس لا خُـنـتُـكَ الـهـوى ولا زلـتَ مـخـصـوصَ الـمـحـبَّـة مـن قـلـبـي
فَـثِـقْ بِـي فَـإِنِّـي قَـدْ وَثِـقْـتُ ولا تَـكُـنْ عـلـى غـيـرِ مـا أظـهـرْتَ لـي يـا أخـا الـحُـبِّ

[الطويل]

قال: فواللَّه لكأنَّما أضرمتْ في قلبي ناراً، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكُهُ فتحدّثني وأتفرّج[1] بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، فكانت تكاتبني وتُلاطفني دهراً طويلاً.

صـــوت

من المائة المختارة

يـا لـيـلـةً جـمـعَـتْ لـنـا الأحـبـابـا لـو شـئـتِ دام لـنـا الـنـعـيـمُ وطـابـا
بِـتـنـا نُـسَـقَّـاهـا شـمـولاً قـرقـفـاً[2] تـدعُ الـصـحـيـحَ بـعـقـلـه مُـرتـابـا
حـمـراءُ مـثـل دمِ الـغـزال وتـارة عـنـد الـمِـزاجِ تـخـالـهـا زِرْيـابـا[3]
مـن كـفِّ جـاريـةٍ كـأنَّ بـنَـانَـهـا مـن فِـضَّـة قـد قُـمِّـعَـتْ[4] عُـنَّـابـا
وكـأن يُـمـنـاهـا إذا نـقَـرَتْ بـهـا تُـلـقـي عـلـى الـكـفِّ الـشِّـمـال حِـسـابـا

[الكامل]

عروضه من الكامل. الشعر لعُكاشة العَمِّيّ، والغناء لعبد الرحيم الدَّفَّاف، ولحنُهُ المختار هزَجٌ بإطلاق الوتر في مَجْرى الوسطى.

(١) أتفرج بها: أصير بها ذا فرج.
(٢) القرقف: من اسماء الخمرة.
(٣) الزرياب: الذهب وقيل ماؤه.
(٤) القمع: وهو الغلاف الذي يكون على رأس التمرة.

[أخبار عكاشة العمِّيّ ونسبه]

[أصل قومه]

هو عُكَّاشة بن عبد الصَّمَد العَمِّيّ من أهل البصرة من بني العمّ. وأصلُ بني العمّ كالمدفوع، يُقالُ: إنَّهم نَزِلُوا ببني تميم بالبصرة في أيَّام عُمَر بن الخطَّاب فأسلموا وغَزَوا مع المسلمين وحَسُنَ بلاؤهم، فقال الناسُ: أنتم، وإن لَم تكونوا من العرب، إخوانُنا و أهلُنا وأنتم الأنصارُ والإخوانُ وبنو العمِّ، فلُقبوا بذلك وصاروا في جملة العرب.

[هجا كعب بن معدان بني ناجية وشبههم ببني العم]

وقال بعضُ الشعراء ـ وهو كعبُ بن مَعدان ـ يهجو بني ناجيةَ ويشبِّهُهُم ببني العم:

وجـدْنـا آلَ سـامـةَ فـي قُـريـشٍ كَـمِـثـل الـعـمِّ بـيـن بـنـي تـمـيـم

[الوافر]

ويروي «في سَلَفَيْ تميم».

[أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير]

أخبرني عيسى بن الحسين عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثني أبو عُبيدة قال: لما تواقف[1] جريرٌ والفرزدقُ بالمِربَدِ للهجاء اقتتلَتْ بنو يَربوع وبنو مُجاشع، فأمَدَّتْ بنو العمّ بني مُجاشع وجاؤوهم وفي أيديهم الخشبُ فطردوا بني يَربوع، فقال جرير: من هؤلاء؟ قالوا: بنو العمّ، فقال جرير يهجوهم:

مـا لِـلـفَـرَزدَقِ مِـن عِـزٍّ يَـلـوذُ بِـهِ إلاّ بَـنـو الـعَـمِّ فـي أَيـديـهِـمُ الـخَـشَـبُ

سيروا بَني العَمِّ فَالأَهوازُ[2] مَنزِلُكُم وَنَهرُ تِيرى[3] فَلَم تَعرِفكُمُ العَرَبُ

[البسيط]

---

(١) تواجه أحدهما مع الآخر.

(٢) الأهوازُ: سَبْعُ كُوَر بين البصرة وفارس، لكل واحدة منهنّ اسمٌ، على حِدَةٍ، ويَجْمَعُهنَّ الأهواز ولا تُفردُ واحدة منها بهَوْز.

(٣) نَهْرُ تِيرَى كضِيزَى بالأَهْوازِ، حَفَرَه أَرْدَشِيرُ الأصغَرُ بنُ بابَكَ.

وعُكَّاشةُ شاعر مُقِلّ من شعراء الدولة العباسيَّة، ليس ممن شُهِرَ وشاع شعرُهُ في أيدي الناس ولا ممن خَدَمَ الخُلفاءَ ومدَحَهم.

[ذكر لصديقه حميد الكاتب حبه لنعيم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهرُوَيه قال حدَّثني عليّ بن الحسن عن ابن الأعرابيّ قال حدَّثني سعيد بن حُمَيد الكاتب البصريّ قال: قال أبي: كان عُكاشة بن عبد الصَّمَد العمي صديقاً لي وإلفاً، وكنَّا نتعاشرُ ولا نكاد نفترقُ ولا يكتُمُ أحدُنا صاحِبَهُ شيئاً فرأيتُهُ في بعض أيامه متغيرَ الهيئةِ عمَّا عهدته مُقسَّمَ القلبِ والفكر غيرَ آخذٍ ما كُنَّا فيه من الفُكاهةِ والمُزاح، فسألته عن حاله فكاتَمَنِيها مَليّاً، ثم أخبرني أنه يهوى جاريةً لبعض الهاشميِّين يُقالُ لها نُعَيم، وأنَّ مَرامها عليه مستصعبٌ لا يراها إلاَّ من جناح لدارِهم، تُشْرِفُ عليه في الفيئة[1] بعد الفيئة فتكلِّمُهُ كَلاماً يسيراً ثم تذهب، فعاتَبْتُهُ على ذلك فلم يَزْدَجِرْ وتمادى في أمرِهِ، ثم جاءني يوماً، فقال: قَدْ وَعَدتنِي الزيارة لأنَّ شكواي إليها طالت، فَقُلْتُ لَهُ: فهل حقَّقَتْ لك الوعدَ على يوم بعينِهِ؟ قال: لا، إنَّما سألْتُها الزيارةَ فقالت: نعم أفعلُ، فَقُلْتُ له: هذا واللَّه أعجبُ مِن سائرِ ما مضى، وأيُّ شيءٍ لك في هذا من الفائدة بلا تحصيلِ وعدٍ! فقال لي: يا أَخي، إنَّ لي في قولها: «نعم» فرجاً كبيراً، فَقُلْتُ: أنت أقنعُ الناس؛ ثم جاءني بعدَ يومين وهو كاسِفُ البال[2] مهمومٌ، فَقُلْتُ له: ما لك؟ فقال: مَضَيْتُ إلى نُعَيم فتنجَّزْتُ وعدَها، فقالت لي: إنَّ لي صاحبةً أستَنْصِحُها وأعلمُ أنَّها تُشْفِقُ عليَّ شَفَقَةَ الأختِ على أختِها والأمِّ على ولَدِها وقد نَهَتْنِي عن ذلك، وقالت لي: إن في الرجال غَدراً ومكراً، ولا آمنُ أن تفتضحي ثم لا تَحصُلي منه على شيء؛ وقد انقطَعَت عنِّي ثم أنشدني لِنَفْسِهِ:

عَـلامَ حـبـلُ الـصـفـاءِ مُـنْـصَـرِمُ ... وفـيـمّ عـنِّـي الـصـدودُ والـصَّـمَـمُ
يـا مـن كَـنَـيـنـا عـن اسـمـه زمـنـاً ... نـتـبـعُ مَـرضـاتَـهُ ويَـجْـتَـرِمُ
قـد عِـيـلَ صـبـري وأنـتِ لاهـيـةٌ ... عـنِّـي وقـلـبـي عـلـيـكِ يَـضـطـرِمُ
مَـنْ جَـذَّ حـبـلَ الـوفـاء سـيِّـدتـي ... مـنـكِ ومـن سـامـنـي لـه الـعـدَمُ
فـكـم أتـانـي واشٍ يـعـيـبـكُـمُ ... فـقُـلْـتُ إخـسَـأْ لأنـفِـكَ الـرَّغَـمُ

(١) الفيئة: الحين.

(٢) من المجاز: رجل كاسف الوجه: عابس، وقد كسف وجهه. وكاسف البال: سيء الحال، وكسفت حاله. وكسف بصره إذا لم ينفتح من رمد، وكسف بصره: خفضه.

أنتَ الفِدا والحِمى لمن عِبْتَ فار جِعْ صاغِراً راغِماً لك النَدَمُ
[المنسرح]

صوت

يا ربِّ خُذْ لي من الوُشاةِ إذا قاموا وقُمْنا إليك نَخْتَصِمُ
دَبُّوا إليها يُوَسوسون لها كي يستزلُّوا حبيبتي زَعَموا
هيهات مِنْ ذاك ضَلَّ سعيُهُمُ ما قلبها المستعارُ يُقْتَسَمُ
يا حاسدينا موتوا بغيظِكُمُ حَبْلِي متينٌ بقولها نَعَمُ
باللَّه لا تُشمِتي العُداةَ بنا كوني كقلبي فَلَسْتُ أتّهِمُ
[المنسرح]

[زيارة نعيم]

ـ الغناءُ في هذه الأبيات لعَريبَ رَمَلٌ. وقيل: إنه لغيرها ـ قال: ثم طال تَردادُه إليها واستصلاحُهُ لها.

[زارته نعيم وغنته ثم ذهبت]

فلم ألبَثْ أن جاءتني رُقْعَتُهُ في يوم خميس يُعلِمُنِي أنها قَدْ حَصَلَتْ عنده ويستدعيني فَحَضَرْتُ، وتوارَتْ عنِّي ساعةً وهو يُخْبِرُها أنه لا فرق بيني وبينه ولا يحتشمني في حالٍ البتَّةَ إلى أن خَرَجَتْ، فاجتمعنا وشربنا وغنَّتْ غِناءً حَسَناً إلى وقتِ العصر ثم انصرَفَتْ، وأخذَ دُواةً ورُقعةً فكتب فيها:

سَقْياً لِمَجْلِسَنا الذي كُنَّا به يومَ الخميسِ جماعةً أتْرابا
في غُرفةٍ مَطَرَت سماوةُ[1] سقفها بحيَا النعيم من الكروم شَرَابا
إذ نحنُ نُسقاها شَمولاً قَرْقَفاً تَدَعُ الصحيحَ بعقلِهِ مُرتابا
حمراء مثل دمِ الغزال وتَارةً بعد المِزاج تخالُها زِريابا
مِنْ كَفِّ جاريةٍ كأنَّ بَنانَها من فِضَّةٍ قد قُمِّعَتْ عُنَّابا
تزدادُ حُسْناً كأسُها من كفِّها ويطيبُ منها نشرُها أحقابا
وإذا المِزاجُ عَلاَ فَشَجَّ جبينَها نَفَثَتْ بألسِنةِ المِزاج حَبابا

(١) السماوة: السماءُ وكلُّ ما علا الإنسان وأظله.

وتـخـالُ مـا جَـمَـعَـتْ فـأحـدق سِـمـطُـهُ ... بـالـطَّـوقِ رِيـقَ حـبـائـبٍ ورِضَـابـا
كَـفَـتِ الـمـنـاصِـفَ[1] أن تّـذُبَّ أكُـفُّـهـا ... عـنـهـا إذا جَـعَـلَـتْ تَـفـوحُ ذُبـابـا
والـعُـودُ مُـتَّـبـعٌ غِـنـاءَ خَـرِيـدةٍ[2] ... غَـرِداً يـقـول كـمـا تـقـول صـوابـا
وكـأنَّ يُـمـنـاهـا إذا نَـطَـقَـتْ بِـهِ ... تُـلـقـي عـلـى يـدهـا الـشِّـمـالِ حِـسـابـا
فـهـنـاك خَـفَّ بـنـا الـنـعـيـمُ وصـار مـن ... دون الـثـقـيـلِ لـنـا عـلـيـه حِـجـابـا
آلَـيْـتُ لا ألـحـى عـلـى طـلـب الـهـوى ... مُـتَـلـذِّذاً حـتـى أكـون تـرابـا

[البسيط]

[اغتراب نعيم]

قال: ثم قَدِمَ قادم من أهل بغداد فاشترى نُعَيْمَ هذه من مولاتها ورَحَلَ إلى بغداد، فعَظُمَ أسَفُ عُكَّاشة وحزنُهُ عليها واستُهِيم بها طولَ عمره، فاستحالت صورتُهُ وطبعُهُ وخُلْقُه إلى أن فرَّق الدهر بيننا، فكان أكثر وَكْده[3] وشُغْله أنْ يقولَ فيها الشعر وينوحَ به عليها ويبكيَ؛ قال حُمَيد بن سعيد فأنشدني أبي له في ذلك:

أَلا لَـيْـتَ شِـعـري هـل يـعـودنّ مـا مـضـى ... وهـل راجـعٌ مـا مـات مـن صِـلـة الـحَـبـلِ
وهـل أَجـلـسـنْ فـي مـثـل مـجـلِـسَـنـا الـذي ... نَـعِـمْـنـا بـه يـومَ الـسـعـادة بـالـوصـلِ
عـشـيَّـةَ صَـبَّـتْ لـذَّةُ الـوصـل طِـيـبَـهـا ... عـلـيـنـا وأفـنـانُ الـجِـنـانِ جَـنَـى الـبَـذْلِ
وقـد دار سـاقـيـنـا بـكـأسٍ رَوِيّـةٍ ... تُـرحِّـلُ أحـزانَ الـكـئـيـبِ مـع الـعـقـلِ
وشَـجَّ شَـمُـولاً بـالـمِـزاج فـطـيَّـرت ... كـألـسـنـة الـحَـيَّـات خـافَـتْ مـن الـقـتـلِ
فـبِـتْـنَـا وعـيـنُ الـكـأسِ سَـحٌّ دمـوعُـهـا ... لِـكـلِّ فـتًـى يـهـتـزّ لـلـمـجـد كـالـنَّـصـلِ
وقَـيْـنَـتُـنَـا كـالـظـبـي تـسـمـح بـالـهـوى ... وبَـثٍّ تـبـاريـح الـفـؤاد[4] عـلـى رِسْـلِ[5]
إذا مـا حَـكَـت بـالـعُـودِ رَجْـعَ لـسـانِـهـا ... رأيْـتَ لـسـانَ الـعـودِ مـن كَـفِّـهـا يُـمـلـي
فـلـم أر كـالـلـذات أمـطـرتِ الـهـوى ... ولا مـثـلَ يـومـي ذاك صـادفَـه مـثـلـي

[الطويل]

---

(١) المناصف: الخدام.
(٢) جارية خَريدةٌ أي: بِكْرٌ لم تمسس، والجمع: خَرائدُ وخُرَّدٌ. وجارية خَرودةٌ: خَفِرةٌ حَيِيَّةٌ، جاوزت الإعصار ولم تبلغ التعنيس.
(٣) الوكد: الهم والقصد.
(٤) تباريح: توهج.
(٥) التَّرسُّلُ في الأمر والمنطق كالتَّمَهُّل والتَّوَقُّرِ والتَثَبُّت.

ومما قاله فيها:

أُنـعَـيْـم حـبُّـكِ سَـلَّـنـي وبَـلانـي وإلـى الأمَـرِّ مـن الأمـور دعـانـي
أُنـعَـيْـم لـو تَـجِـديـنَ وَجْـدِي والـذي أَلـقـى بَـكَـيـتِ مـن الـذي أبـكـانـي
أُنـعَـيْـم سيِّـدتـي عـلـيـك تَـقَـطَّـعَـتْ نـفـسـي مِـنَ الـحَـسَـرات والأحـزانِ
أُنـعَـيْـم قـد رَحِـمَ الـهـوى قـلـبـي وقـد بَـكَـتِ الـثـيـابُ أسًى عـلـى جُـثـمـانـي
أُنـعَـيْـم وانـحـدَرَتْ مـدامِـعُ مُـقْـلَـتِـي حـتـى رَحِـمْـتُ لـرحـمـتـي إخـوانـي
أُنـعَـيْـم مـثَّـلـك الـهُـيـامُ لـمـقـلـتـي فـكـأنَّـنِـي ألـقـاكِ كـلّ مـكـانِ
أُنـعَـيْـم نـظـرةُ سـحـرِ عـيـنـكِ بـالـهـوى مـعـروفـةٌ بـالـقـتـلِ فـي إنـسـانِ
أُنـعَـيْـمٌ[1] آشْـفـي أو دَعـي مَـنْ داؤه ودواؤه بـيـديـكِ مُـقـتـرنـانِ
هـذا وكـم مـن مَـجْـلِـسٍ لـي مُـؤْنِـقٍ بـيـن الـنـعـيـم وبـيـن عـيـشٍ دانـي
نـازعـتُـهُ أردانَـه فَـلَـبِـسـتُـهـا مـع ظَـبـيـةٍ فـي عـيـشـنـا الـفَـيْـنـانِ
تُـنـسـي الـحـلـيـمَ مـن الـرجـال مَـعـادَه بـيـن الـغـنـاء وعُـودِهـا الـحـنَّـانِ
حـتـى يـعـودَ كـأنَّ حَـبَّـةَ قـلـبـه مـشـدودةٌ بَـمـثـالِـثٍ ومـثـانـي
ظَـلَّـتْ تُـغَـنِّـيـنـي وتَـعـطِـفُ كَـفَّـهـا بـالـعُـودِ بـيـن الـرَّاح والـرَّيْـحـانِ
فَـسَـمِـعْـتُ مـا أَبـكـى وأَضْـحَـكَ سـامـعـاً وسَـكِـرْتُ مِـنْ طَـرب ومِـنْ أشـجـانِ
وَمَـشَـيْـتُ فـي لُـجَـجِ الـهـوى مُـتَـبَـخْـتِـراً ومـشـى إلـيّ الـلَّـهـوُ فـي الألـوانِ
فَـعَـلِـمْـتُ أنْ قـد عـاد قـلـبـي عـائـدٌ مـن بـيـن عُـودٍ مُـطْـرِبٍ وبَـنـان

[الكامل]

ومما قاله أيضاً فيها:

نُـعَـيْـمٌ هـل بَـكَـيْـتِ كـمـا بَـكَـيْـتُ وهـل بـعـدي وَفَـيـتِ كـمـا وَفَـيْـتُ
ألا يـا لـيـت شِـعـري كـيـف بَـعـدي اصـطـبـارُكِ إذ نَـأَيـتِ وإذ نـأيْـتُ
فَـكَـمْ مِـنْ عَـبْـرةٍ ذَرَفَـتْ فـلـمَّـا خَـشَـيْـتُ عـيـونَ أهـلـي واسـتَـحَـيْـتُ
نَـهَـضْـتُ بـهـا مُـكـاتَـمـةً فـلـمَّـا خـلـوتُ ذَرَفـتُـهـا حـتـى اشـتـفَـيْـتُ
وقُـلْـتُ لـصُـحْـبـتـي لـمَّـا رَمـانـي هـواكِ بـدائـه حـتـى انـطـويْـتُ

(١) التنوين لضرورة الشعر.

أراني من هموم النفسِ ميتاً ... ولم أرَ في نُعَيمٍ ما نَوَيْتُ
فليتَ الموتَ عَجَّلَ قبضَ رُوحي ... جِهاراً فاسترحْتُ وأين ليت
[الوافر]

وقال أيضاً في فراقه إياها:

أنُعَيْمُ في قلبي عليك شَرارُ ... وعلى الفؤاد من الصَّبابةِ نارُ
وعلى الجفون غِشاوةٌ وعلى الهَوى ... داعٍ دَعَتْهُ لِحَيْنِيَ الأقدارُ
بمُضِلَّةٍ لُبَّ الحليم إذا رَمَتْ ... بالمُقلتين، كأنَّها سَحَّارُ
طالبتُها حَوْلَيْنِ لا لَيْلي بها ... ليلٌ ولا هذا النهارُ نهارُ
حتى إذا ظَفِرَت يدايَ بكاعبٍ ... كالشمس تَقْصُر دونها الأبصارُ
وثَلِجْتُ صدراً بالفتاة وصارتا ... كالنفسِ نفسانا وقَرّ قَرارُ
بَلَغَ الشقاءُ أشدَّ ما يَسْطيعُهُ ... فينا وفَرَّق بيننا المِقدارُ
[الكامل]

ومما يُغَنَّى فيه من شعر عُكَّاشة الذي قاله في هذه الجارية:

صوت

لَهْفِي على الزمن الذي ... وَلَّى ببهجتِهِ القصيرِ
قد كان يُؤْنِقُني الهوى ... ويُقِرُّ عيني بالسرورِ
إذ نحن خُلَّانُ الهوى ... رَيْحانُنا عَبِقُ العبيرِ
وغناؤنا وصفُ الهوى ... نلتذُّ بالحبِّ اليسيرِ
[مجزوء الكامل]

الغناء في هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته. وفيه لأبي العُبَيْس بن حَمدون خفيفُ رمل. وتمام هذه الأبيات:

وجهُ التواصُلِ بيننا ... في الحسن كالقمرِ المنيرِ
إيماؤنا يَحكي الكلا ... مَ وسِرُّنا فَطَنُ المشيرِ
وحديثُنا بحواجبٍ ... نَطَقَت بألسنة الضَّميرِ
بل رُسْلنا الكُتُبُ التي ... تجري بخافيةِ الصدورِ
[مجزوء الكامل]

[أنشد للمهدي قوله في الخمر فأراد حده]

حدثني الحسن بن عُلَيل قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيه قال حدَّثنا أبو مُسْلِمٍ عن المدائنيّ قال: أنشد عُكَّاشةُ بن عبدِ الصَّمدِ المهديَّ قولَهُ في الخمر:

حَمْراءُ مثل دم الغزال وتارةً عند المِزاج تَخالها زريابا

[الطويل]

فقال له المهديّ: لقد أحْسَنْتَ في وصفها إحسانَ من قد شربها، ولقد استحقَقْتَ بذلك الحدَّ، فقال: أيؤمِّنني أميرُ المؤمنين حتى أتكلَّمَ بِحُجَّتي؟ قال قد أمَّنْتُك، قال: وما يُدريك يا أمير المؤمنين أنِّي أحسنت وأجدت صِفَتَها إن كنت لا تعرفها؟ فقال له المهديّ: أعزُبْ قبَّحَكَ اللَّه.

[سمع له مثل ذلك مع الهادي]

قال الحسن وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدِّمشقي قال حدَّثنا الزُبيرُ بن بكَّار أنّ عكَّاشة أنشد موسى الهاديَ هذا الشعر ثم أنشده قولَهُ:

كأنَّ فُضولَ الكأسِ من زَبَداتها[1] خَلاخِلُ شُدَّتْ بالجُمان إلى حَجْلِ[2]

[الطويل]

فقال له موسى: واللَّه لأجلِدنَّكَ حدّ الخمر، قال: ولِمَ يا أمير المؤمنين! إنَّما نقولُ ولا نفعلُ، فقال: كَذَبْتَ، قد وصَفْتَها صفة عالم بها، قال: فاجعل لي الأمان حتى أتكلَّم بِحُجَّتي، قال: تكلَّم وأنت آمِنٌ، قال: أجَدْتُ وَصْفَها أم لم أُجِدْ؟ قال: بلى قد أجدت، قال: وما يُدريك أنِّي أجدتُ إن كُنْتَ لا تعرفها! إن كُنْتُ وصفتُها بطبعي دون امتحاني فقد شركتني في ذلك بطبعك، وإن كان وصفُها لا يُعلَم إلا بالتجربة فقد شركتني أيضاً فيها؛ فَضَحِكَ موسى وقال له: قد نَجَوْتَ بحيلتك منِّي، قاتلك اللَّه فما أدهاك!.

ما غني فيه من شعره

ومما وَجْدتُ فيه غناءً من شعر عُكَّاشة قوله:

وَجاؤوا إِلَيهِ بِالتَّعاويذِ وَالرُّقى وَصَبّوا عَلَيهِ الماءَ مِن أَلَمِ النُّكسِ

---

(١) الزبدات جمع زبد، الزَّبَدُ: لعاب أبيض على مِشفر الجَمَل، وأكثر ما يكون في الاغتلام. والبحر واللّبن زَبَدٌ، وهو ما يرتفع فوقه إذا حلبت أزْبَد اللَّبَنُ والبحر. وتزبّد الإنسان: خرج على شِدْقَيْهِ زَبَدٌ من الغَضَب.

(٢) الحجل: الخلخال.

وَقالوا بِهِ مِن أَعيُنِ الجِنِّ نَظرَةٌ وَلَو عَقَلوا قالوا بِهِ نَظرَةُ الإِنسِ
[الطويل]

الغناء لعريبَ. ومنها:

طَرْفِي يذوبُ وماءُ طَرفكِ جامدُ وعليَّ من سِيما هواكِ شواهِدُ
هذا هواكِ قَسَمتِهِ بين الورى ومنحْتِني أرقاً وطَرْفُكَ راقدُ
فعليَّ منه اليومَ تسعةُ أسهُمٍ وعلى جميع النَّاسِ سهمٌ واحدُ
[الكامل]

الغناءُ لجَحْظة. ومنها:

غادِ[1] الهَوى بِالكَأسِ بَردا وَأَطِع إِمارَةَ مَن تَبَدّى
[مجزوء الكامل]

ومنها:

كما اشتهَتْ خُلقتْ حتى إذا اعتدلت تَمَّتْ قواماً فلا طولٌ ولا قِصَرُ
[البسيط]

ومنها:

وزَعفرانيَّة في اللَّون تَحْسبُها إذا تأملتها في جسم كافُورِ
تخال أنَّ سقيط الطَّلّ بينهما دمعٌ تحيَّر في أجفان مَهْجُورِ
[البسيط]

(١) أمر «غادى».

أخبار عبد الرحيم الدفاف ونسبه

[نسبه والخلاف في اسم أبيه]

عبد الرَّحيم بن الفَضْل الكوفيّ، ويُكنى أبا القاسم، وقيل: هو عبد الرحيم بن سعد، وقيل: عبد الرّحيم بن الهَيْثَم بن سعد، مولى لآل الأشعث بن قَيس، وقيل: بل هو مولى خُزاعة.

[سمعه حماد الراوية يغني]

ذكر أبو أيُّوب المدينيّ أن حمَّاداً الراويةَ حدَّثه قال: رأيْتُ عبدَ الرَّحيم الدفَّاف أيَّامَ هارون الرشيد[1] بالرَّقة وقد ظَهَرْتُ، فَحَضَرني وسمعتُهُ يُغنِّي يومئذ صوتاً سُئِلَ عنه فذكر أنه من صِنْعتِهِ وهو:

فَدَيْتُكِ لو تَدْرين كيف أُحِبُّكم ... وكيف إذا ما غِبتُ عنكِ أقولُ

[الطويل]

[كان منقطعاً إلى علي بن المهديّ]

وكان عبد الرحيم مُنْقَطِعاً إلى عليّ بن المهديّ المعروف بأمِّه رَيْطة بنت أبي العبَّاس.

[تعريضه بالرشيد]

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن يزيدَ المبرَّد قال حدَّثني عبد الصَّمد بن المُعذَّل قال: غَنَّتْ جاريةٌ يوماً بحضرة الرشيد:

قُل لعليّ أيا فتى العربِ ... وخيرَ نامٍ وخيرِ مُكْتَسِبِ

أعلاك جَدَّاك يا عليّ إذا ... قصَّر جدٌّ عن ذروة الحسبِ

[المنسرح]

---

(١) المعروف أن حماداً الراوية لم يبق إلى أيام هارون الرشيد، فهو توفي في خلافة المنصور سنة ١٥٥هـ، وبعض المصادر تذكر أنه توفي في خلافة المهديّ سنة ١٦٩هـ.

فأمر بضرب عنقها، فقالت: يا سيّدي ما ذنبي! هذا صوت عُلِّمْتُهُ، واللَّه ما أدري من قاله ولا فيمن قيل؛ فعلم أنَّها صدقت، فقال لها: عَمَّن أخذته؟ فقالت: عن عبد الرحمن الدّفَّاف، فأمر بإحضارِهِ فَأُحْضِرَ، فقال له: يا عاضَّ بَظْرَ أمِّه، أتغنِّي في شعرٍ تُفاخِرُ فيه بيني وبين أخي! جرِّدوه، فجرَّدوه، ودعا له بالسِّياط، فضرب بين يديه خمسَمائة سوطٍ.

[غنى لعليّ بن المهدي فأجازه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُويه قال حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سَعد عن القَطِرانيّ عن محمد بن جَبْر قال: قال لي عبد الرحيم بن القاسم الدفَّاف: دَخَلْتُ على عليّ بن رَيطة يوماً وسِتارتُهُ منصوبةٌ، فغنَّت جاريتُهُ:

أناسٌ أمنَّاهمْ فنمُّوا حديثَنا فلمَّا كتمْنا السِّرَّ عنهمُ تقوَّلوا

[الطويل]

فَقُلْتُ: أرأيتَ إن غنَّيتُك هذا الصوتَ وفي تمامه زيادةُ بيتٍ واحدٍ، أيَّ شيءٍ لي عليك؟ قال: خِلعتي التي عليَّ، فغنَّيته:

فَلَمْ يحفَظوا الوُدّ الذي كان بيننا ولا حين هَمّوا بالقَطيعة أجملوا

قال: فنزع خِلْعَتَهُ فَخَلعَها عليّ، وأقمْتُ عنده بقيَّةَ يومي على عربدةٍ كانت فيه.

الشعر لعباس بن الأحنف، والغناءُ لعبد الرحيم الدَّفَّاف هَزَجٌ بالبنصر. وهذا أخذه العبَّاس من قول أبي دَهْبَل:

صوت

أَمِنّا أُناساً كنتِ تأتمنينهم فزادوا علينا في الحديث وأوْهَمُوا

وقالوا لها ما لم نقلْ ثُمَّ أكثروا عليَّ وباحوا بالذي كُنْتُ أكتمُ

[الطويل]

وفي هذين البيتين أغانيُّ قديمةٌ: منها لحنٌ لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبَّابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق. ولابن زرزور الطائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه خفيفُ رَملٍ بالبنصر والوسطى لمتَّيَمَ وعَريبَ.

صـوت

من المائة المختارة

بَـكَـرَت سُـمَـيَّـةُ غُـدوَةً فَـتَـمَـتَّـعِ وَغَـدَتْ غُـدُوَّ مُـفـارِقٍ لَـم يَـرجِـعِ
وَتَـعـرضَـت لـك فـاسـتَـبَـتـكَ بِـواضِـحٍ صَـلـتٍ كَـمُـنـتَـصّ الـغَـزالِ الأَتـلَـعِ

[الكامل]

عروضه من الكامل. والشعر للحادِرة الثَّعْلبيّ، والغناء في اللحن المختار لسعيد بن مِسْجَح، وإيقاعُهُ من خفيف الثقيل الأوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكَر عمرو بن بانة أنَّه لابن مُخرِز. وفيهما للغريض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو. وفيهما خفيفُ

رملٍ بالوُسطى لابن سُرَيج عن حبش.

وممَّا يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة:

أَسُـمَـيّ مـا يُـدريـكِ كـم مـن فِـتْـيَـة بـادرتُ لَـذَّتَـهـم بـأدكَـنَ مُـتْـرَعِ
بَـكَـروا عـلـيّ بـسُـحْـرة فَـصَـبَـحـتُـهُـم مـن عـاتـقٍ كـدَم الـذبـيـح مُـشَـعْـشَـعِ

[الكامل]

غنَّاه مالك، ولحنُهُ من الثقيل الأوَّل بالبنصر عن عمرو. وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيل آخر أيضاً. وفيهما لِعَلُّوَيه ثقيلٌ أوّلُ صحيحٌ من جيِّدِ صَنْعته. قوله: فتمتَّعي يخاطب نفسه، أي تمتَّعي منها قبل فِراقها. ولم يربع: لم يُقِمْ. والواضح الصَّلْت: يعني عُنُقَها، وأصل الصلت: الماضي، ومنه الناقة المِصلاتُ: الماضية، وشَدَّ عليه بالسيف صَلْتاً أي خارجاً من غِمْدِهِ. والصلت في هذا الشعر: الطويل الذي لا قِصَرَ فيه. والمنتصّ: المُنتصب، يُقالُ: انتصّ فلان أي انتصب، ومِنَصَّة العروس مأخوذةٌ من هذا، ومنه نصَّ الحديثَ: رَفَعَهُ إلى صاحبه. واسْتَبَتْكَ: غَلَبَتْكَ على عقلك. والواضح: الخالص الأبيض. وأدكن مترع يعني الزِّقَّ. والمشعشَع: المُرَقْرَق بالماء.

[أخبار الحادرة ونسبه]

[نسب الحادرة وسبب لقبه بذلك]

الحادرة لَقَّبٌ غَلَبَ عليه، والحُوَيْدِرة أيضاً، واسمه قُطْبة بن أوْس بن مُحَصِن ابن جرول بن حَبيب بن عبد العُزَّى بن خُزَيمة بن رِزَام بن مازِن بن ثعلبة بن سعد[١] بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، شاعر جاهلي مُقِلّ. أخبرني بنسبه هذا محمد بن العباس اليزيدي عن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن قريب ابن أخي الأصمعي عن عمه. قال: وإنما سمي الحادرة بقول زبان بن سيار الفزاري له:

كَأَنَّكِ حادِرَةُ المَنكَبَينِ رَصعاءُ تُنقِضُ في حائِرِ
عَجوزُ الضَّفادِعِ قَد حدرَت تُطيفُ بِها وِلْدَةُ الحاضِرِ
[المتقارب]

قال: والحادرة: الضخم.

وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ أنَّ الحادرةَ خرج هو وزَبَّان الفزاريّ يصطادان فاصطادا جميعاً، فخرج زبَّان يشتوي ويأكلُ في الليل وحدَهُ؛ فقال الحادرة:

تَرَكتَ رَفيقَ رَحلِكَ قَد تَراهُ وَأَنتَ لِفيكَ في الظَّلماءِ هادِ
[الوافر]

فحقَدها عليه زبَّان، ثم أَتَيا غديراً فتجرَّد الحادرة، وكان ضخم المنكبين أرسح، فقال زبَّان:

كَأَنَّكِ حادِرَةُ المَنكَبَينِ رَصعاءُ تُنقِضُ في حائِرِ
[المتقارب]

فقال له الحادرة:

لَحا اللَّهُ زَبّانَ مِن شاعِرٍ أَخي خَنعَةٍ[٢] غادِرٍ فاجِرٍ

(١) يتصل نسب الحادرة عند هذا الجد بنسب ابن ميادة.

(٢) الخنعة: الخَنْعُ: ضرْب من الفُجُورِ. خَنَعَ إليها: أتاها ليلاً للفُجُورِ. ووقفْتُ منه على خَنْعة: أي =

كَـأَنَّـكَ فُـقّـاحَـةٌ[1] نَـوَّرَت مَـعَ الـصُّـبـحِ فـي طَـرَفِ الـحـائِـرِ
[المتقارب]

فَغَلَبَ هذا اللّقبُ على الحادرة.

[كان حسان بن ثابت مُعْجباً بقصيدته: بكرت سمية]

حدَّثني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدَّثني عمِّي قال سَمِعْتُ شيخاً من بني كِنانة من أهل المدينة يقول: كان حسَّان بن ثابت إذا قيل له: تُنُوشدَتِ الأشعارُ في موضع كذا وكذا يقول: فهل أُنْشِدتْ كلمةُ الحُوَيْدِرة:

بَـكَـرَتْ سُـمَـيَّـةُ غُـدْوَةً فَـتَـمـتَّـعـي

قال أبو عبيدة: وهي من مختار الشعر، أصمعية مفضلية.

[سبب الهجو بينه وبين زبان]

نَسَخْتُ من كتاب ابن الأعرابيّ قال حدَّثني المفضَّل قال: كان الحادرةُ جاراً لرجلٍ من بني سُلَيم، فأغار زبَّان بن سيَّار على إبلِهِ فأخذَها فدفعها إلى رجلٍ من أهل وادي القُرى يهوديٍّ، وكان له عليه دَيْنٌ فأعطاه إيَّاها بدينِهِ، وكان أهلُ وادي القرى حُلَفاءَ لبني ثَعْلَبة؛ فلما سَمِعَ اليهوديّ بذلك قال: سيجعل الحادرةُ هذا سبباً لنقض العهد الذي بيننا وبينه، ونحنُ نقرأُ الكتاب ولا ينبغي لنا أن نَغْدُرَ، فردَّ الإبلَ على الحادرة فردَّها على جارِهِ، ورَجِعَ إلى زبَّان فقال له: أعطِني ما لي الذي عليك، فأعطاه إياه زبَّان، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة؛ فقال الحادرة فيه:

لِـعَـمـرَةَ بَـيـنَ الأَخـرَمَـيـنِ[2] طُـلـولُ تَـقـادَمَ مِـنـهـا مُـشـهِـرٌ[3] وَمُـحـيـلُ
وَقَـفـتُ بِـهـا حَـتّـى تَـعـالـى لِـيَ الـضُّـحـى لِأُخـبَـرَ عَـنـهـا إِنَّـنـي لَـسَـؤولُ
[الطويل]

= فَجْرَةٍ. وخَنَعَ فُلانٌ لفُلان أي ضرع إليه إذا لم يكن صاحبُه أهلاً لذلك. وأخْنَعَتْهُ الحاجة إليه: أخْضَعَتْهُ، والاسم الخُنْعَة.

(١) تَفَقَّحَتِ الوردةُ، أي تَفتَّحتْ. وعلى فلانٍ حُلَّةٌ فُقَّاحِيَّةٌ، وهي على لون الورد حين همَّ أن يتفتَّح. والفُقَّاحُ: نَوْرُ الإذْخِرِ. والفَقْحَةُ: حلقة الدُّبر، والجمع الفِقاحُ. وهم يَتفاقَحونَ، إذا جعلوا ظهورهم، كما تقول: يتقابلون، ويتظاهرون. وفَقّحَ الجرو تفقيحاً، إذا فَتَح عينيه أول ما يفتح.

(٢) الأخرمان: مثنى أخرم، وهو اسم لعِدّة مواضع: منها جبل في ديار سليم، وجبل قبل توز.

(٣) مشهر: أي مرَّت عليه شهور وأحوال فغيرته.

يقول فيها:

فَإِن تَحسَبوها بِالحِجابِ ذَليلَةً ... فَما أَنا يَوماً إِن رَكِبتُ ذَليلُ
سَأَمنَعُها في عُصبَةٍ ثَعلَبِيَّةٍ ... لَهُم عَدَدٌ وافٍ وَعِزٌّ أَصيلُ
فَإِن شِئتُمُ عُدنا صَديقاً وَعُدتُمُ ... وَإِمّا أَبَيتُم فَالمَقامُ زَحولُ[1]

[الطويل]

قال: وَلَجَّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سبَبَهُ.

[غزوة بني عامر وما قاله الحادرة فيها]

ونَسَخْتُ مِنْ كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ يذكر عن أبيه: أنَّ جيشاً لبني عامر بن صَعْصَعة أقبل وعليهم ثلاثةُ رؤساء: ذُؤابُ بن غالب من عُقَيل ثم من بني كَعْب بن رَبيعة، وعبدُ اللَّه بن عمرو من بني الصَّمُوت، وعُقَيل بن مالك من بني نُمَيرٍ، وهم يريدون غَزْو بني ثَعْلَبة بن سعد رهط الحادرة ومن معهم من مُحارب، وكانوا يومَئِذٍ معهم، فَنَذِرَتْ[2] بهم بنو ثعلبة، فركب قيس بن مالك المُحارِبيُّ الخَصَفيّ وجُؤَيَّة بن نَصْر الجَرْميَ أحد بني ثَعْلبة لِلنَّظَرِ إلى القوم، فلما دَنَوا منه عَرَفَ عُقَيل بنُ مالك النميريّ جُويَّةَ بن نَصْر الجَرْميّ، فناداه: إليَّ يا جُؤيَّة بن نَصر فإنَّ لي خَبراً أُسِرَّه إليك؛ فقال: إليكَ أقبلتُ لكن لغير ما ظَنَنْتَ، فقال له: ما فَعَلَتْ قَلوصُ؟ ـ يعني امرأته ـ؛ فقال: هي في الظُّعُن أسَرَّ ما كانت قطُّ وأجملَهُ؛ ثم حَمَلَ كلّ واحدٍ منهما على صاحبِهِ واختلفا طَعْنتين[3] فطعنه جُؤَيَّة طعنةً دَقَّتْ صُلْبَه، وانطلق قيس بن مالك المُحارِبيّ إلى بني ثعلبة فأنذَرَهُم، فاقتتلوا قِتَالاً شديداً، فهُزِمَتْ بنو نُمَير وسائرُ بني عامر ومات عُقَيل النميريّ وقُتِلَ ذؤاب بن غالب وعبدُ اللَّه بن عمرو أحدُ بني الصَّمُوت؛ فقال الحادرة في ذلك:

كَأَنَّ عُقَيلاً في الضُّحى حَلَّقَت بِهِ ... وَطارَت بِهِ في الجَوِّ عَنقاءُ مُغرِبُ[4]

[الطويل]

---

(١) مالي عنه مزحل: مبعد، وقد زحلت عنه. ودخل عليه فزحل له عن مكانه. وعقبة زحول: بعيدة. ورجل زحل وزحلة: متنح عن الشيء. ومن المجاز: أزحلت إليه الأمر: ألجأته إليه.

(٢) نذرت: عَلِمَت بهم.

(٣) طعنتين: اي اختلفت طعنتاهما فكانت إحدى الطعنتين في إثر الأخرى.

(٤) طارت به عنقاء مغربٌ: زعموا أنه طائر كان على عهد حنظلة بن صفوان الحميري بني أهل الرس عظيم العنق، وقيل: كان في عنقه بياض ولذلك سمّي عنقاء، وكان أحسن طائر خلقه اللَّه فاختطف غلاماً فأغرب به ولذلك سمّى المغرب، فدعا عليه حنظلة فرمي بصاعقة، ومغرب كقولهم: لحية =

ويروى: «وطارت به في اللَّوح»، وهو الهواء.

وَذي كَـرَمٍ يَـدعـوكُـمُ آلَ عـامِـرٍ لَـدى مَـعـرَكٍ سِـربـالُـهُ يَـتَـصَـبَّـبُ
رَأَت عـامِـرٌ وَقـعَ الـسُّـيـوفِ فَـأَسـلَـمـوا أَخاهُـم وَلَـم يَعطِف مِنَ الخَيلِ مُرهِبُ
وَسَـلَّـمَ لَـمّـا أَن رَأى الـمَـوتَ عـامِـرٌ لَـهُ مَـركَـبٌ فَـوقَ الأَسِـنَّـةِ أَحـدَبُ
إِذا مـا أَظَـلَّـتـهُ عَـوالـي رِمـاحِـنـا تَـدَلّـى بِـهِ نَـهْـدُ[1] الـجُـزارَةِ مِـنـهَـبُ[2]
عَـلـى صَـلَـوَيـهِ[3] مُـرهَـفـاتٌ كَـأَنَّـهـا قَـوادِمُ نَـسـرٍ بُـزَّ عَـنـهُـنَّ مَـنـكِـبُ

[الطويل]

قال: وفي هذه الوقعة يقول خِداشُ بن زَهَير[4]:

أيـا أَخَـوَيـنـا مِـن أَبـيـنـا وَأُمِّـنـا إِلَـيـكُـم إِلَـيـكُـم لا سَـبـيـلَ إِلـى جَـسـرِ

[الطويل]

جَسْر: قبيلة من مُحارِب. قال: وهذا اليومُ يُعْرَف بيومِ شُواحِط، قبيلة من مُحارب.

[يوم الكفافة وما قاله الحادرة فيه]

وقال أبو عمرو: خرج خارجةُ بن حِصْن في جمع من بني فَزَارة ومن بني ثَعْلَبة بن سعد وهو يريدُ غزو بني عَبس بن بَغيض، فلقُوا جيشاً لبني تَميم على ماءٍ يقال له «الكُفافة»[5] وتميم في جمع سعد والرِّباب وبني عمرو، فقاتلوهم قتالاً شديداً وهُزِمَتْ تميم وأجْفَلَت، وهذا اليومُ يقال له: «يومُ كُفافة»، فقال الحادرة في ذلك:

= ناصل وناقة ضامر، على مذهبي الخليل وسيبويه. والعرب إذا أخبرت عن هلاك شيء قالت: حلقت به في الجوّ عنقاء المغرب.

(١) نهد الجزارة: ضخمها.

(٢) المنهب: الفرس الفائق العدو. ويقال: المُناهَبَةُ: المُباراةُ في الحُضْرِ والجَرْيِ؛ فرسٌ يُناهِبُ فرساً. وتَناهَبَ الفَرسانِ: ناهَبَ كلُّ واحدٍ منهما صاحِبَه.

(٣) الصلا وسط الظهر من الناس ومن كلّ ذى أربع وما انحدر من الوركين، يقال: ضرب الفرس صلويه: بذنبه ما عن يمينه وشماله، وكلّ أنثى إذا ولدت: انفرج صلواها.

(٤) خداش بن زهير العامري، من بني عامر بن صعصعة. شاعر جاهلي، من أشراف بني عامر وشجعانهم، كان يلقب (فارس الضحياء)، يغلب على شعره الفخر والحماسة. يقال إن قريشاً قتلت أباه في حرب الفجار، فكان خداش يكثر من هجوها. وقيل أدرك حنيناً، وشهدها مع المشركين وتوفي سنة ٦هـ.

(٥) الكفافة بالضم، وهو اسم ماء بين بني فزارة وبني عمرو بن تميم.

وَنَحنُ مَنَعنا مِن تَميم وَقَد طَغَت ... مَراعي المَلا حَتّى تَضَمَّنَها نَجدُ
كَمُعْطِفنا يومَ الكُفافة خَيْلَنا ... لِتَتْبَع أُخرى الجيش إذ بلغ الجِدُّ
عَلى حين شالَت[1] وَٱستَخَفَّت رِجالَهُم ... جَلائِبُ أَحياءٍ يَسيلُ بِها الشَّدُّ
إذا هي شَكَّ السَّمْهَريُّ نحورَها ... وخامَت[2] عن الأبطال أتعبها القِدُّ[3]
تكُرُّ سِراعاً في المَضيق عليهِمُ ... وتُثْنَى بِطاءً ما تخبُّ ولا تَعدو
فأثْنُوا علينا لا أبا لأبيكُمُ ... بإحساننا إنَّ الثناءَ هو الخُلْدُ

[الطويل]

(١) شالت: رفعت ذنبها.
(٢) خامَ فلانٌ يَخيمُ خَيْماً أي: كاد يكد كيداً فرجع عليه ونكص، وكذلك خَامُوا في الحرب فلم يظفروا بخير وضعفوا.
(٣) قدّه طولاً، وقطّه عرضاً، وقدّ القلم وقطّه. وتقول: إذا جاد قدّك وقطّك، فقد استوى خطّك. وقدّه نصفين. وانقدّ الجلد والثوب: انشقّ. وقدّد اللحم. وصاروا قددا: فرقاً. وتقول: طاروا بدداً، وصاروا قدداً. وأسره بالقد: بالسير من الجلد غير المدبوغ. وفلان ما يعرف القدّ من القِد أي مسك السّخلة من السّير.

أخبار ابن مسجح ونسبه

[ولاؤه وهو مغن أسود متقن نقل غناء الفرس]

سعيد بن مِسْجَح أبو عثمان مولى بني جُمَح، وقيل: إنه مولى بني نَوفَل بن الحارث بن عبد المطَّلب. مكيٌّ أسودُ، مُغنٍّ متقدِّمٌ من فحول المُغنِّين وأكابرهم، وأوَّلُ مَنْ صَنَعَ الغناء منهم، ونقل غِناءَ الفُرس إلى غِناءِ العرب، ثم رَحَلَ إلى الشام وأخذ ألحانَ الروم والبَرْبطيَّة(١) والأسطوخوسية(٢)، وانقلب إلى فارس فأخذَ بها غِناءً كثيراً وتعلَّم الضربَ، ثم قَدِمَ إلى الحجاز وقد أخذ محاسِنَ تلك النَّغَم، وألقى منها ما استقبحه من النَّبَرات والنغم التي هي موجودةٌ في نَغَم غِناء الفُرس والروم خارجةً عن غناء العرب، وغنَّى على هذا المذهب، فكان أوَّلَ من أثبت ذلك ولحَّنه وتَبِعَهُ الناسُ بعدُ.

(١) البَرْبَطُ، كجَعْفَرٍ أَهْمَلَهُ الجَوْهَرِيّ، وقال اللَّيْثُ: هو العودُ من آلاتِ المَلاهي، قيل: هو مُعَرَّبُ رِبْط، بكَسْرِ الرّاء، أَي صَدْرُ الإوزِّ، وبَرْ بالفارِسيّة: الصَّدْرُ لأنَّه يُشْبِهُه. وفي حديثِ عليٍّ زين العابدين رَضِيَ اللَّه عَنْه: « لا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ فيها البَرْبَطُ». وقال ابن الأثير: أَصْلُه بَرْبَتْ إِنَّ الضَّارِبَ به يَضَعُه عَلَى صَدْرِه، واسم الصَّدْرِ بَرْ. وبِرْباطُ، بالكَسْرِ كما نَقَلَهُ الصَّاغَانِيُّ وضبطه ياقوتٌ بالفتح: وادٍ بالأَنْدَلُس، من أَعمالِ شَذُونَةَ، عَلَى شاطِئِ نَهْرٍ سَبَتة من شَماليِّه، قالَهُ ابن حَوْقَل. وَبْربطانِيَةُ، بالفَتْح وتَخْفيفِ الياء التَّحْتِيَّة: وادٍ كَبيرٌ بها، أَي الأَنْدَلُس يَتَّصِلُ عَمَلُه بعَمَلِ لاردَةَ، وكانت سَدًّا بَيْنَ المُسْلِمين والرُّوم، ولها مُدُنٌ وحُصونٌ، وفي أَهْلِها جَلادةٌ ومُمانَعَةٌ للعَدوِّ، وهي في شَرْقيِّ الأَنْدَلس، اغْتَصَبَهَا الفِرِنْجُ، خَذَلَهُم اللَّه تعالى، فهي اليومَ بأَيْديهم، أَعادَها اللَّه إِلَى الإِسْلام. والبِرْبِيطِياءُ، بالكَسْرِ والمدّ: النَّباتُ، عن أَبي عَمْرٍو، هَكَذا ضَبَطَه الصَّاغَانِيُّ في كِتابَيْهِ بالنُّون والباء المُوَحَّدةِ. وفي المُعْجَم عن أَبي عَمْرٍو: البِرْبِيطِياءُ ثِيابٌ، وهكذا وَقَع في اللِّسان جمع ثَوْبٍ. والبِرْبِيطِياءُ أَيْضاً: يُنْسَبُ إليه الوَشْيُ وبه فُسِّرَ قَوْلُ ابن مُقْبِلٍ:

خُـزامَـى وسَـعْـدانٌ كـأَنَّ رِيـاضَـهـا مُـهِـدْنَ بِـذي الـبِـرْبِـيـطِـياءِ الـمُـهَـدَّبِ

قُلْتُ: وهذا يُؤَيِّدُ قَوْلَ أَبي عَمْرٍو السابق: إِنَّهُ ثِيابٌ، وسَبَق أَنَّهُ لا نظيرَ له إِلَّا قِرْقِيسِياء: اسم بَلَدٍ. وممَّا يُسْتَدْرَكُ عَلَيْه: قالَ ابن حَبيب: في أَسَد بن خزَيْمَةَ: بِرْباطُ بن بَهْدِ بن سَعْدِ بن الحارث بن ثَعْلَبَة بن دودانَ بن أَسَدٍ.

(٢) الأسطوخوسية: يراد بهم قوم من أسطوخرس أو أسطوحادس، وهي جزيرة في جنوبيّ فرنسا كان أهلُها معروفين بالغناء والمجون، وسكانها خليط من اليونان والفلسطينيين والقلطيين.

[علَّمَ ابن سريج والغريض الغناء]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، والحسين بن يحيى قالا: حدَّثنا حمَّاد ابن إسحاق عن أبيه عن هِشام بن المُرِّيّة: أنَّ أوَّل من غنَّى هذا الغناء العربيَّ بمكَّةَ ابن مِسْجَح مولى بني مَخْزُوم، وذلك أنه مرَّ بالفُرسِ وهم يَبنون المسجدَ الحرام، فَسَمِعَ غناءَهم بالفارسيَّة فقلبه في شعرٍ عربيٍّ؛ وهو الذي علَّم ابن سريج والغريضَ، وكان ابن مِسجَح مولَّداً أسودَ يُكنى بأبي عيسى.

[احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير وبناؤه لها]

أخبرني محمد بن عُبيد اللَّه بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائنيّ، وذكر إسحاق عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال: كان سببُ بناء ابن الزُّبير الكعبة لمَّا احترقت، أنَّ أهل الشام لما حاصروه سَمِعَ أصواتاً بالليل فوق الجبل فخافَ أن يكون أهلُ الشام قد وصلوا إليه، وكانت ليلة ظلماءَ ذات ريحٍ شديدةٍ صعبةٍ ورعدٍ وبرقٍ، فَرَفَعَ ناراً على رأس رمح لِيَنْظُرَ إلى الناس فأطارتها الريح فَوَقَعَتْ على أستارِ الكعبة فأحرقتها واستطالت فيها، وجَهِدَ الناس في إطفائِها فلم يقدروا، وأصْبَحَتِ الكعبةُ تتهافتُ[1] وماتَتَ امرأة من قريش، فَخَرَجَ الناسُ كلُّهم في جنازتِها خوفاً من أن يَنْزَلَ العذابُ عليهم، وأصبحَ ابن الزُّبير ساجداً يدعو ويقول: اللَّهم إنِّي لم أتعمَّد ما جرى فلا تُهلِك عِبادَك بذنبي وهذه ناصيتي بين يديك؛ فلمَّا تعالى النهارُ أمِنَ وتراجَع الناسُ، فقال لهم: اللَّهَ اللَّهَ أن يَنْهَدِمَ في بيت أحدكم حجرٌ فيزولَ عن موضِعِه فيبنيه ويُصْلِحُهُ وأتركَ الكَعبةَ خراباً؛ ثم هدمَها مُبتدئاً بيده وتَبِعَهُ الفَعَلةُ حتى بلغوا إلى قواعدِها، ودعا ببنَّائين من الفُرسِ والرومِ فبناها.

[نقل غناء الفرس من بَنَّائي الكعبة الذين استقدمهم ابن الزبير]

قال إسحاق: وأخبرني ابن الكلبيّ عن أبي مِسكين قال: كان سَعيدُ بن مِسْجَح أسودَ مولَّداً يُكنى أبا عيسى مولى لبني جُمَح، فرأى الفُرسَ وهم يعملون الكعبةَ لابن الزُّبير ويتغنَّون بالفارسيَّة فاشتقَّ غِناءَهُ على ذلك.

قال إسحاق: وحدَّثني محمد بن سلاَّم عن شُعَيب بن صَخَر وجَرير قالا: كان سعيد بن مِسْجَح أسودَ وهو مولى بني جُمَح يُكنى أبا عيسى.

---

(١) تتهافت: تتساقطُ حجراً حجراً.

[كان ولاؤه هو وابن سريج لِرَجُلٍ واحدٍ]

قال إسحاق: وحدّثني المدائنيّ عن صَخْر بن جعفر عن أبي قَبيل بمثل ذلك، وذَكَرَ أنه كان يُكنى أبا عثمان. قال: وهو مولًى لبني نَوفل بن الحارث كان هو وابن سُرَيج لرجلٍ واحدٍ، ولِذَلِكَ قَبل عنه ابن سُرَيج.

[ابن مسجح في حداثته]

قال إسحاق: وحدَّثني الهَيْثَمُ بن عديّ عن صالح بن حسَّان فذكر مثل ما ذكر أبو قَبِيل من كنيته وولائه، وقال: كان ابن مسجح فَطِناً كَيِّساً ذكيّاً، وكان أصفرَ حسنَ اللون، وكان مولاه مُعْجَباً به، وكان يقول في صِغَرِهِ: ليكونَنَّ لهذا الغلام شأنٌ، وما منعني من عتقِهِ إلاَّ حُسْنُ فِراستي فيه، ولَئِن عِشْتُ لأتعرَّفنَّ ذلك، وإن مُتُّ فهو حرٌّ، فَسَمِعَهُ مولاهُ يوماً وهو يتغنى بشعر ابن الرِّقاع العامليِّ[١]، وهو من الثقيلِ الأوَّلِ بالسبَّابة في مجرى الوسطى:

صـــوت

أَلْـمِـمْ عَـلـى طَـلَـلٍ عَـفـا مُـتَـقـادِمِ بَينَ اللّكيك[٢] وَبَينَ غَيبِ الناعِمِ[٣]
لَـولا الـحَـيـاءُ وَأَنَّ رَأسِـيَ قَـد عَـثـا فـيـهِ الـمَـشـيـبُ لَـزُرتُ أُمَّ الـقـاسِـمِ

[الكامل]

فدعا به مولاه فقال له: يا بُنيّ أَعِدْ ما سمعْتُهُ منك عليَّ، فأعاده فإذا هو أحسنُ مما ابتدأ به، فقال: إنَّ هذا لمن بعض ما كُنْتُ أقول، ثم قال: أنىَّ لك هذا؟ قال: سَمِعْتُ هذه الأعاجمَ تتغنَّى بالفارسيَّة فَثَقِفْتُها[٤] وقلبْتُها في هذا الشعر، قال له: فأنت حرٌّ لوجه اللَّه، فَلَزِمَ مولاه وكَثُر أدبُهُ واتسعَ في غنائِهِ ومَهَرَ بِمَكَّةَ وأُعجبوا به لِظَرْفِهِ وحُسنِ ما سمعوه منه، فَدَفَعَ إليه مولاه عُبيدَ بن سُرَيج، وقال له: يا بُنيَّ علِّمْهُ واجتهد

(١) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع من عاملة. شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود. كان معاصراً لجرير، مهاجياً له، مقدماً عند بني أمية، مدّاحاً لهم، خاصة بالوليد بن عبد الملك. لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام، مات في دمشق سنة ٩٥هـ.

(٢) اللَّكيك: موضع في ديار بني عامر.

(٣) غيب الناعم: موضع لم يحدد بشكل دقيق.

(٤) ثَقُفَ الرجل ثَقْفاً وثَقافَةً، أي صار حاذقاً خفيفاً فهو ثَقْفٌ. ومنه المُثاقَفَةُ. والثِّقافُ: ما تُسَوَّى به الرماحُ. وتَثْقيفُها: تسويتها. وَثَقِفْتُهُ ثَقْفاً، أي صادفتُهُ.

فيه؛ وكان ابنُ سُريج أحسن الناس صوتاً، فتعلَّم منه ثم برَّزَ عليه حتى لم يُعرَف له نظيرٌ.

[غناء نافع الخير عند رجل من قريش]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال حدَّثنا أخي هارونُ عن ابن الماجِشون عن شيخ من أهل المدينة، وأخبرني محمدُ بنُ خَلَف بن المَرْزُبان والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر ابن الكلبيّ عن أبي مِسكينٍ عن شيخ من أهل المدينة قال: دخَلْتُ على رَجُلٍ من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكنُ الطَّرف نبيلٌ تأخذه العينُ، لا أعرفه؛ فقال له القرشيّ أقسمْتُ عليك إلاَّ ما غنَّيْتَ صوتاً، فحوَّل خاتمه من خِنصره اليُسْرى إلى بنصره اليمنى، ثم تناول قَدَحاً، فغنَّاه لحنَ ابن سُريج في شعر كعب بن جُعَيلٍ:

إذا امتَشَطَتْ عالَوا لها بِوِسادةٍ ... ومَدَّتْ عَسيبَ المتن أن يتعَفَّرا
ثَوَتْ نِصْفَ شهر تَحْسَبُ الشهرَ ليلةً ... تُناغي[1] غزالاً ساجي[2] الطرف أحورا[3]
تَزَيَّنُ حتى تَسلُبَ المرءَ عَقْلَهُ ... وحتى يَحارَ الطرْفُ فيها ويَسكُرا[4]

[الطويل]

ثم غنَّى في شعر تَوْبةَ بن الحُمَيِّر:

وَغَيَّرَني إن كنتِ لمَّا تَغَيّري ... هواجِرُ تَكْتَنِّيْنَها وأسيرُها
وأَدْماء[5] من سِرّ[6] المَهاري[7] كأنَّها ... مَهَاةُ[8] صُوار[9] غير ما مسَّ كُورُها

---

(١) قال الليث: المناغاة تكليمك الصبي بما يهوى من الكلام، نغيت إلى فلان نغيةً ونغى إليَّ أُخرى: إذا ألقيت إليه كلمة وألقى إليك أخرى.

(٢) ساجي الطرف: فاتره وساكنه.

(٣) الحَوَرَ أيضاً: شِدَّةُ بياض العين في شدّة سوادِها. يقال: امرأةٌ حوراءُ بيِّنةُ الحَوَرِ. ويقال: احْوَرَّتْ عينهُ احْوِراراً. واحْوَرَّ الشيء: ابيضَّ. وتَحْويرُ الثياب: تبيضها.

(٤) يسكر: يقال سكرت عينه تسكر؛ إذا تحيرت عينه وسكنت عن النظر.

(٥) قال الليث: يقال: بينهما أُدمة ومُلْحة أي خُلطةٌ، قالوا: الأُدمة في الناس شربة من سواد، وفي الإبل والظباء، بياض، يقال: ظبية أدماءُ، ولم أسمع أحداً يقول للذكر من الظباء: آدم وإن كان قياساً.

(٦) السرّ: المحض.

(٧) قال الجوهري في تفسير قوله مشاش المهر: يقال هو عَظْم في زُوْر الفرس. ومَهْرَةُ بن حَيْدان: أَبو قبيلة، وهم حيّ عظيم، وإبل مَهْرِيَّة منسوبة إليهم، والجمع مَهارِيُّ ومَهارٍ ومَهارَى، مخففة الياء.

(٨) المَها بالفتح: جمع مَهاةٍ، وهي البقرة الوحشية، والجمع مَهَواتٌ.

(٩) الصيرانُ: جمع صُوار، وهو القطيع من البقر.

قَـطَـعْـتُ بـهـا أجـوازَ[١] كـلِّ تَـنـوفَـةٍ مَـخـوفٍ رَداهـا كُـلَّـمـا استـنَّ[٢] مُـورُهـا[٣]
تَـرَى ضُـعـفـاءَ الـقـومِ فـيـهـا كـأنَّـهـم دَعـامـيـصُ[٤] مـاءٍ نَـشَّ عـنـهـا غَـدِيـرُهـا[٥]

[الطويل]

قال: فَقُلْتُ له إنِّي لَأَرْوي هذا الشعرَ وما أَعرِفُ هذه الأبيات فيه، فقال: هكذا رَوَيتُها عن عبد اللَّه بن جعفر، قال: وإذا هو نَافِعُ الخيرِ مولى عبد اللَّه بن جعفر.

الغناءُ في هذين اللحنين لابن مِسْجَح ولم أَجِدْ لهما طريقةً في شيءٍ من الكُتُبِ التي مرَّت. وذكر حبشٌ أن في أبيات كعب بن جُعَيل لإبراهيمَ خفيفَ رملٍ بالوسطى.

[دور معاوية بمكة]

حدَّثني جعفرُ بن قُدامةَ بن زِياد الكاتبُ وعَمِّي وحبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قالوا حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدَّثني عبد اللَّه بن محمد بن موسى الهاشميّ قال حدَّثني أحمد بن موسى بن حمزة بن عِمارة بن صَفوانَ الجُمَحيّ عن أبيه قال: أوّلُ مَنْ نَقَلَ الغناءَ الفارسيّ من الفارسيّ إلى الغناء العربيّ سعيدُ بن مِسْجَح مولى بني مَخزوم. قال: وقد يُختلفُ في وَلائِه إلا أنَّ الأغلب عليه ولاءُ بني مخزوم، وذلك أنَّ معاوية بن أبي سفيان لما بنى دُورَه التي يُقالُ لها: «الرُّقْطُ»[٦] وهي ما بين الدارَين إلى الرّدْم[٧]: أوَّلها الدار البيضاء وآخرها دارُ الحمَّام، وهي على يسار المُصْعِدِ من المسجد إلى «رَدْمِ عُمَرَ» حمل لها بَنَّائينَ فُرْساً منَ العراق فكانوا يبنونها بالجِصِّ والآجُرِّ، وكان سعيدُ بن مِسجَح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بنيانهم، فما استحسَنَ من ألحانهم أخذه ونقلَهُ إلى الشعر العربيّ، ثم صاغ على نحو ذلك؛ وهو الذي عَلَّمَ الغريضَ، فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني:

(١) جَوْزُ كل شيء: وسطه. والجمع: أَجْواز. سيبويه: لم يكسر على غير «أفعال» كراهة الضمة على الواو.
(٢) استن: هاج وثار من استن الفرس في الميدان إذا جرى في نشاطه على سنن.
(٣) المَوْرُ: تُرابٌ وجَوْلانٌ تَمورُ به الرِّيحُ. وفي القرآن: «يوم تَمُورُ السّماء موراً.
(٤) قَال ابنُ بَرّيّ: الدُّعْمُوص: دُوَيْدَةٌ لها رَأْسانِ، تَراها في الماءِ إذا قَلّ. والدُّعْمُوصُ: الدَّخّالُ في الأُمُورِ الزَّوّارُ للمُلُوكِ،
(٥) نشّ الغدير: أخذ في النضوب. وكانوا في منشّ الساحل وهو ما انحسر عنه الماء. ونشّ أي نضب.
(٦) الرقطة: الرقط وهو نقط صغار من سواد وبياض أو من حمرة وصفرة تكون في الشاء والدجاج والحيّات. ولم يذكر الأزرقي في كتابه تاريخ مكة، أن معاوية بنى منزلاً بهذا الاسم، بينما ذكر منازل أخرى كالرقطاء لأنها بنيت بالآجرّ الأحمر والجصّ الأبيض ـ .والبيضاء، لأنها بنيت بالجص ثم طليت به.
(٧) يراد به ردم عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.

صـــوت

أَسـلامُ إِنَّـكِ قَـد مَـلَـكـتِ فـأَسـجِـحـي ... قَـد يَـمـلِـكُ الـحُـرُّ الـكَـريـمُ فَـيَـسـجِـحُ
مُـنّـي عَـلـى عـانٍ أَطَـلـتِ عَـنـاءَهُ ... فـي الـغُـلِّ عِـنـدَكِ والـعُـنـاةُ تُـسَـرَّحُ
إِنّـي لأَنـصَـحُـكُـم وأَعـلَـمُ أَنَّـهُ ... سـيّـان عِـنـدَكِ مَـن يَـغُـشُّ وَيَـنـصَـحُ
وإِذا شَـكَـوتُ إِلـى سَـلامَـةَ حُـبَّـهـا ... قـالَـت أَجِـدٌّ مِـنـكَ ذا أَم تَـمـزَحُ

[الكامل]

[أخذ عنه معبد]

الشعر للأحْوَص. والغناء لابن مِسْجَح ثقيلٌ أَوَّل بالبنصر. ولِدَحْمان فيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر. ولمالكٍ فيه خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ قال: وهو أوَّل من غنَّى الغِناءَ العربيّ المنقولَ عن الفارسيّ. وعاش سعيدُ بن مِسْجَح حتى لَقِيَهُ معبدٌ وأخذَ عنه في أيَّام الوليد بن عبد الملك.

[نفاه دحمان الأشقر والي مكة إلى الشام]

حدَّثني عمِّي والحسينُ بن القاسم الكوفيّ قالا جميعاً حدَّثنا محمدُ بن سعيد الكِرانيّ قال حدَّثني النضرُ بن عمرو قال حدَّثني أبو أُميَّةَ القرشيّ قال حدَّثنا دَحْمان الأشقرُ قال: كُنْتُ عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكة فَنُمِيَ إليه أنَّ رَجُلاً أسودَ يُقالُ له: سعيدُ بن مَسْجَح أفسَدَ فِتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم، فَكَتَبَ إليَّ: أن اقبِض ماله وسَيِّرْهُ، فَفَعَلْتُ. فتوَّجَهَ ابنُ مِسْجَح إلى الشام فَصَحِبَهُ رجلٌ له جَوارٍ مُغَنِّياتٌ في طريقه، فقال له: أين تُريدُ؟ فأخبرَهُ خبرَه، وقال له: أُريدُ الشامَ، قال له: فتكونُ معي؟ قال: نعم، فَصَحِبَهُ حتى بلغا دِمَشقَ فدخلا مَسْجِدَها فسألا: من أخَصُّ الناس بأمير المؤمنين؟ فقالوا: هؤلاء النفرُ من قُرَيش وبنو عمه، فوقف ابن مِسْجَح عليهم وسلَّم ثم قال: يا فِتيانُ، هل فيكم مَنْ نُضيفُ رَجُلاً غريباً من أهل الحجاز؟ فَنَظَرَ بعضُهم إلى بعضٍ وكان عليهم مَوعِدٌ أن يذهبوا إلى قَيْنَةٍ يُقالُ لها: «بَرْقُ الأُقُحِ» فتثاقَلوا به إلا فتى منهم تذَمَّم[1] فقال: أنا أُضيفُكَ، وقال لأصحابِهِ: انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضيفي، قالوا: لا، بل تجيء أنت وضيفَكَ، فذهبوا جميعاً إلى بيت القَيْنَةِ، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيدٌ: إنِّي رجلٌ أسودُ ولعلَّ فيكم من يَقذَرُني فأنا أجلِسُ وآكلُ ناحيةً وقام، فاستحيَوْا منه وبعثوا إليه بما أكل، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثلَ

(١) تذمم: خشي اللوم والذم.

ذلك، ففعلوا به، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضِعَ لهما، فغنَّتا إلى العِشاء ثم دخلتا، وخَرَجَتْ جاريةٌ حَسَنَةُ الوجهِ والهيئةِ وهما معها فَجَلَسَتْ على السرير وجلستا أسفلَ منها عن يمين السريرِ وشماله، قال ابن مِسْجَح: فتمثَّلْتُ[1] هذا البيت:

فَقُلْتُ أشمسٌ أمَ مَصابيحُ بِيعَةٍ بَدَتْ لكَ خَلْفَ السَّجْفِ[2] أم أنت حالمُ

[الطويل]

فَغَضِبَتْ الجاريةُ وقالت: أَيَضْرِبُ هذا الأسودُ بي الأمثالَ! فنظروا إليَّ نظراً مُنكراً ولم يزالوا يُسكِّنونها، ثم غنَّتْ صوتاً، فقال ابن مِسْجَح: أحسَنْتِ واللَّه، فَغَضِبَ مولاها وقال: أمثلُ هذا الأسودِ يُقدِمُ على جاريتي! فقال لي الرجلُ الذي أنزلني عنده: قُمْ فانصرف إلى منزلي فقد ثَقُلْتَ على القوم، فَذَهَبْتُ أقومُ فتذَّمَمَ القومُ وقالوا لي: بل أقِمْ وأحسِنْ أدَبَكَ فأقَمْتُ، وغَنَّتْ فَقُلْتُ: أخطأتِ واللَّه يا زانيةُ وأسأتِ، ثم اندفَعْتُ فَغَنَّيْتُ الصوتَ فَوَثَبَتِ الجاريةُ فقالت لمولاها: هذا واللَّه أبو عثمان سعيدُ بنُ مِسْجح، فَقُلْتُ: إني واللَّه أنا هو، واللَّه لا أُقيمُ عندكم، فوثب القُرشِيُّون فقال هذا: يكون عندي، وقال هذا: يكون عندي، وقال هذا: بل عندي، فَقُلْتُ: واللَّه لا أُقيمُ إلا عند سيِّدكم ـ يعني الرجل الذي أنزله منهم ـ ثم سألوه عما أقدمه فأخبرهم الخبرَ، فقال له صاحِبُه: إني أسمرُ الليلةَ مع أمير المؤمنين فهل تُحْسِنُ أن تَحدُوَ؟ قال: لا، ولكنِّي أستعملُ حداءً، قال: فإنَّ منزلي بحذاءِ منزل أمير المؤمنين فإن وافَقْتُ منه طَيِّبَ نفس أرسلتُ إليكَ، ومضى إلى عبد الملك فلما رآه طَيِّبَ النفس أرسلَ إلى ابن مسحج وأخرج رأسَهُ من وراء شُرَف القصر ثم حَدا:

إنَّكَ يا مُعاذُ يابنَ الفُضَّلِ إن زُلْزِلَ الأَقدامُ لم تُزلْزَلِ

عن دينِ موسى والكتابِ المُنزلِ تُقيمُ أَصداغَ[3] القُرونِ المُيَّلِ

[الرجز]

للحقِّ حتى ينتَحُوا للأعدل

فقال عبد الملك للقرشي: مَنْ هذا؟ قال: رجلٌ حجازي قَدِمَ عليَّ، قال: أحْضِرْه فأحضره له، وقال له: أَحْدُ مُجِدّاً، ثم قال له: هل تُغَنِّي غِناءَ الركبان؟ قال: نعم، قال: غَنِّهِ، فتغنَّى، فقال له: فهل تُغنِّي المُتقن؟ قال: نعم، قال: غَنِّهِ، فتغنَّى فاهتزَّ عبد الملك طَرَباً، ثم قال له: أقسم إن لك في القوم لأسماء كثيرة، مَنْ أنت؟

(١) تمثل: ضربه مثالاً.

(٢) السَّجْفُ والسِّجْفُ: الستْرُ. وأَسْجَفْتُ الستر، أي أرسلته.

(٣) صدغ: مال.

ويلك! قال له: أنا المظلوم المقبوض مالُهُ المُسَيَّر عن وطنِهِ سعيدُ بنُ مِسْجَح، قَبَضَ مالي عاملُ الحجاز ونفاني، فتبسَّم عبدُ الملك ثم قال له: قد وَضَحَ عذر فتيان قريش في أن يُنْفِقوا عليك أموالَهم، وأمَّنه ووَصله وكتب إلى عامله برد ماله عليه وألاَّ يَعرِض له بسوء.

صـــوت

من المائة المختارة

سَـلاَ دار لـيـلـى هـل تُـبـيـن فَـتَـنـطِـقُ وأنَّـى تَـرُدَّ الـقـولَ بـيـداءُ سَـمْـلَـقُ(١)
وأنَّـى تـــردّ الـــقـــولَ دارٌ كـــأنَّـــهـــا لِـطُـولِ بِـلاهـا والـتـقـادُمِ مُـهْـرَقُ(٢)

[الطويل]

عروضُهُ من الطويل، الشِّعر لابن المَوْلى. وذكرَ يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أنَّ الشعرَ للأعشى؛ وذلك غلط، وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذُكِرَ في شعراء العرب فلم نَجده، ولا رواه أحدٌ من الرُّواة لأحد منهم، ووجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيِّدة، وقد أثبتناها بِعَقِب أخباره ليُوقَف على صحَّةِ ما ذكرناه، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج إلى إيضاح الحجة على ما خالفه والدَّلالة على الصواب فيه. والغناءُ في اللحن المختار لعَطَرَّد ثقيلٌ أوَّل بالسَّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو، وفيه لأيُّوب زهرة خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ. وفي غناء أيّوب زهرة زيادة بيتين وهما:

وقـال خـلـيـلـي والـبـكـا لـيَ غـالـبٌ أقـاضٍ عـلـيـك ذا الأسـى والـتَّـشـوُّقُ
وقـد طـالَ تَـوقـانـي أُكَـفْـكِـفُ عَـبْـرةً تـكـاد إذا ردَّت لـهـا الـنـفـسُ تَـزْهَـقُ

[الطويل]

(١) السَّلْمَقُ: القاع الأملس..
(٢) المهرق: الصحيفة.

أخبار ابن المولى ونسبه

[نسبه وصفته]

هو محمد بن عبد اللَّه بن مُسَلِم بن المولى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عَوْف، شاعرٌ مُتَقدِّمٌ مُجَيدٌ من مُحَضْرَمي الدولتين ومَدّاحي أهلهما، وقَدِمَ على المهديّ وامتدحه بعدَّة قصائد فوصَلَهُ بِصِلاتٍ سنِيَّةٍ، وكان ظريفاً عفيفاً نَظِيفَ الثياب حسنَ الهيئةِ.

[قدم على المهدي ومدحه فأجزل صلته]

أخبرني عمي قال حدَّثنا محمد بن عبد اللَّه الحَزَنْبَل قال: قال لي محمد بن صالح بن النَّطَّاح: كان ابن المولى يُسمَّى محمداً مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار، وكان مَسْكَنُهُ بقُباءِ، وكان يَقْدَم على المهديّ فيمدحُهُ، فَقَدِمَ عليه فأنشدَهُ قولَهُ:

سَلاَ دارَ ليلى هل تُبِين فَتَنْطِقُ ... وأنَّى تردّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ
وأنَّى تَرُدَّ القولَ دارٌ كأنَّها ... لطول بلاها والتقادم مُهْرَقُ
وقال خليلي والبكا ليَ غالِبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأَسى والتَّشوُّقُ
وإنسانُ عيني في دوائرِ لُجَّةٍ ... من الدمع يبدو تارةً ثم يَغْرَقُ

[الطويل]

يقول فيها:

إلى القائِمِ المهديِّ أَعْمَلْتُ ناقتي ... بِكُلِّ فلاةٍ آلُها[1] يترقرقُ
إذا غَالَ[2] منها الركب صحراء بَرَّحَتْ ... بهم بعدها في السير صحراءُ دردقُ[3]

---

(١) الآل: السراب.

(٢) قال أَبو الهيثم: غالَتِ الخمر فلاناً إذا شربها فذهبت بعقله أَو بصحة بدنه، وسميت الغُول التي تَغُول في الفَلوات غُولاً بما توصِّله من الشرِّ إِلى الناس، ويقال: سميت غُولاً لتلوُّنها، واللَّه أَعلم.

(٣) الدَّرْدَقُ: الصِّبْيان الصِّغار. يقال: وِلْدانٌ دَرْدَقٌ ودَرادِقُ. والدَّرْدَق: الصغير من كل شيء، وأَصله الصغار من الغنم، والجمع الدَّرادق. والدَّرْداقُ: دكٌّ صغير مُتَلبِّد، فإذا حَفَرْتَ كشفْتَ عن رمل.

رَمَيْتُ قَراها[١] بين يومٍ وليلةٍ بِفَتْلاء[٢] لم ينكُبْ لها الزَّوْرَ مِرْفَقُ
مُزَمِّرةً[٣] سقباً[٤] كأنَّ زِمامَها بجرداء من عُمّ[٥] الصَّنَوْبر مُعْلَقُ
موكَّلةً بالفادحات كأنَّها وقد جَعَلَت منها الثَّمِيلةُ[٦] تَخْلُقُ
بِقِيّ[٧] الملا هَيْقٌ[٨] أمام رِئاله[٩] أصَمُّ هِجَفٌّ[١٠] أقرعُ الرأس نِقْنِقُ[١١]
تراها إذا استعجلتَها وكأنَّها على الأين يَعْرُوها من الرَّوْعِ أَوْلَقُ[١٢]
مورَّكة[١٣] أرضَ العُذَيب[١٤] وقد بدا فَسُرّ به للآئبين الخَورنقُ[١٥]

[الطويل]

فاستحسنها المهديّ وأجزلَ صِلَتهُ، أمر فغُنِّي في نسيب القصيدة. فأمَّا ما شَرَطْتُ ذكره من تمام القصيدة فهو بعقِب البيت الثاني منها:

عَفَتْها[١٦] الرياحُ الرامِساتُ[١٧] مع البلى بأذيالها والرائحُ المُتَبَعِّقُ[١٨]

(١) قراها: ظهرها.
(٢) تقول: بنو فلان قوم فتل، يذهب في جراحتهم الزيت، ومن المجاز: رجل مفتول السّاعد أنه فتل فتلاً لقوته. وناقة فتلاء الذراعين، وفي ذراعيها فتلٌ وهو تباعدهما عن الجنبين كأنهما فتلا عنهما.
(٣) لعلَّ من الأصوب القول «مذمرة» بمعنى سريعة السير لأنها محثوثة عليه.
(٤) السقب: ولد الناقة. وقيل: هو سقب ساعة تضعه أمه.
(٥) العَميم: الطَّويلُ من النَّباتِ، ومن الرجال أيضاً، ويجمع على عُمُم. وجاريةٌ عَميمةٌ. وعَمَّةٌ أي طويلةٌ. والعُمُّ: الطوال من النَّخيل، التَّامَّةُ، واستوى الشَّابُّ والنَّباتُ على عَمِّه وعَميمِه: أي تمامُهُ. وعَمَّ الشيءُ بالناس يَعُمُّ عَمًّا فهو عامٌّ إذا بلغ المواضع كُلَّها.
(٦) الثَّميلَةُ: البقيّةُ من الماء في الصخرة وفي الوادي، والجمع ثَميلٌ. والثَّميلَةُ أيضاً: البقيّةُ تبقى من العلف والشراب في بطن البعير وغيره. وكلُّ بقيةٍ ثَميلَةٌ.
(٧) القيّ: الفقر.
(٨) الهَيقُ: الظليمُ، وكذلك الهَيْقَمُ، والميم زائدة.
(٩) نعامة ذات رئال ورئلان وهي أولادها، ولها رأل ورألة.
(١٠) الهِجَفُّ: الظّليمُ المُسِنُّ.
(١١) النقنق: الظليم.
(١٢) به أولق: مسّ من جنون.
(١٣) موركة: مجاوزة.
(١٤) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة.
(١٥) الخَوَرْنَقُ، كفَدَوْكَس: قصرٌ بالعِراق للنعْمانِ الأكْبَرِ الذي يُقال له: الأَعْوَر، وهو الذي لَبِسَ المُسُوحَ، وساحَ في الأرْضِ.
(١٦) عفتها: مسحتها ودرستها.
(١٧) الرامسات: الدوافن للآثار.
(١٨) من المجاز: تبعق المطر وانبعق وهو انفتاحه بشدة.

بِكُلِّ شآبيبٍ من الماء خَلْفَها ... شآبيبُ ماءٍ مُزْنُها مُتألِّقُ
إذا رَيَّقٌ[١] منها هُريقَت سِجَاله ... أُعِيد لها كِرفِيء[٢] ماء وريِّقُ
فأصبح يرمي بالرَّباب[٣] كأنَّما ... بأرجلِهِ منه نَعامٌ مُعَلَّقُ
فلا تبكِ أطلالَ الدِّيار فإنَّها ... خبالٌ لمن لا يدفع الشوقَ عَوْلَقُ[٤]
وإنَّ سَفاهاً أن تُرَى مُتَفَجِّعاً ... بأطلال دارٍ أو يقودَك مَعْلَقُ
فلا تَجْزَعَنْ للبين كلُّ جماعةٍ ... وجَدِّك مكتوبٌ عليها التفرُّقُ
وخُذْ بالتعزِّي كلَّ ما أنْتَ لابسٌ ... جديداً على الأيام بالٍ ومُخْلِقُ
فصبرُ الفتى عما تولَّى فإنَّه ... من الأمرِ أولى بالسَّدادِ وأوفقُ

[الطويل]

ويروى: «أدنى للذي هو أوفق».

وإنَّك بالإشفاق لا تدفع الرّدى ... ولا الحَيْنُ مجلوب فما لك تُشْفِقُ
كأنْ لم يَرُعْكَ الدهرُ أو أنتَ آمن ... لأحدائه فيما يُغادي ويَطْرُقُ
وقال خليلي والبكا ليَ غالِبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتَّشوُّقُ
وقد طالَ تَوْقاني أُكَفْكِفُ عَبرةً ... على دِمْنَةٍ كادت لها النفسُ تَزهَقُ
وإنسانُ عيني في دوائرِ لُجَّةٍ ... من الماء يبدو تارة ثم يَغْرَقُ
وللدَّمعِ من عيني شَرِيجا[٥] صبابةٍ ... مُرِش[٦] الرَّجا[٧] والجائِلُ المُترقرِقُ
وكُنْتُ أخا عِشْقٍ ولم يك صاحبي ... فيعذِرَني ممَّا يَصَبُّ ويَعْشَقُ
وقَدْ يعذِرُ الصبُّ السقيم ذوي الهوى ... ويَلحَى المُحبِّين الصديقُ فَيَخْرَقُ

(١) الرَّيقُ: تردد الماء على وجه الأرض من الضحضاح ونحوه. وراقَ الماء يريق رَيْقاً، وأَرَقْتُه أنا إراقةً، وهَرَقْتُه، دخلت الهاء على الألف من قرب المخرج. وراقَ السراب يريقُ رَيْقاً إذا تصحصح فوق الأرض. والرَّيِّقُ من كل شيء أفضله، وريق الشباب وريق المطر.
(٢) الكرفيء: السحاب المرتفع.
(٣) الرَّبابُ: السَّحابُ الذي فيه ماء، الواحدةُ: رَبابة.
(٤) العَوْلَقُ: الغُول، وقيل: الكلبة الحريصة.
(٥) أصبحوا في هذا الأمر شرجين: فرقتين. وشرّج الشيء: مزجه وجعله شريجين: لونين.
(٦) المرش: أرضٌ إذا وقع عليها ماءُ المطر رأيتها كلَّها تسيل، يمرُش الماء من وجهها في مواضع لا يبلغ أن يحفر حفر السَّيل، والجميع: أمراش.
(٧) الرجا: ناحية البئر.

وعـابَ رِجـالٌ أن عَـلِـقْـتُ وقـد بـدا لـهـم بـعـضُ مـا أهـوى وذو الـحـلـم يَـعْـلَـقُ
[الطويل]

والقصيدة طويلة. وفي بعض ما ذكرته منها دلالةٌ على صُحَّةِ ما قلته.

[كان يشبب بليلى فَسُئِلَ عنها]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: خَرَجْتُ أنا وأبو السائب المخزوميّ وعُبَيْد اللَّه بن مُسلِم بن جُنْدب وابن المولى وأَصْبغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُباء، وابن المولى مُتَنكِّب[١] قوساً عربية، فأنشدَ ابن المولى لنفسه:

وأبـكـي فـلا لـيـلـى بَـكَـتْ مـن صـبـابـةٍ إلـيَّ ولا لـيـلـى لـذي الـودِّ تـبـذلُ
وأخـنَـعُ[٢] بـالـعُـتْـبَـى إذا كُـنـتُ مـذنـبـاً وإن أذنـبـتْ كـنـتُ الـذي أتـنـصـلُ
[الطويل]

فقال له أبو السائِب وعبيد اللَّه بن مسلم بن جُندَب: من ليلى هذه حتى نقودَها إليك؟ فقال لهما ابن المولى: ما هي واللَّه إلاَّ قَوسي هذه سمَّيتها ليلى.

في هذين البيتين ثقيلٌ أوَّل مطلق في مجرى الوسطى لِخَزْرَجٍ، ويُقالُ: إنَّه لهاشم بن سليمان.

[مدح يزيد بن حاتم فوهبه كل ما يملك]

أخبرني عمي قال حدَّثنا أبو هفَّان قال أخبرني أبو محلِّم عن المفضَّل الضَّبيّ قال: وَفَدَ ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

يـا واحـدَ الـعـرب الـذي أضْـحَـى ولـيـس لـه نـظـيـرُ
لـو كـان مـثـلـك آخـرٌ مـا كـان فـي الـدُّنـيـا فـقـيـرُ
[مجزوء الكامل]

قال: فدعا بخازنِهِ وقال: كم في بيت مالي؟ فقال له: من الوِرق[٣] والعين[٤]

---

(١) انتكب الرجلُ كِنانَته، وتنكَّبها: ألقاها على مَنْكِبه.

(٢) خَنَع له، وإليه، يخنَعُ خُنوعاً: ضرع، وطلب إليه وليس بأهل لذلك. وأخْنَعَتْهُ الحاجة إليه: اضطرته. وخنع: أخضع.

(٣) الوِرق: الفضة.

(٤) العين: الذهب.

بقيَّةٌ عشرون ألفَ دينار، فقال: ادفعها إليه، ثم قال: يا أخي، المَعْذِرَة إلى اللَّه وإليك، واللَّه لو أنَّ في مِلكي أكثرَ لما احتجبْتُها[١] عنك.

[كان مداحاً لجعفر بن سليمان وقثم بن عباس ويزيد بن حاتم]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن خلف بن المَرْزُبان قالا حدَّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال حدَّثنا مُصعَب الزُّبيريّ عن عبد الملك بن الماجِشون قال: كان ابن المولى مَدَّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العبَّاس الهاشميَّيْن ويزيد بن حاتم بن قَبيصة بن المهلَّب، واستفرغ مدحَهُ في يزيد وقال قصيدَتهُ التي يقول فيها:

يا واحدَ العرب الذي دَانَتْ لَهُ ... قَحطانُ قاطبةً وساد نِزارا
إنِّي لأرجو إن لَقَيْتُكَ سالماً ... ألا أعالِجَ بعدَك الأسفارا
رِشْتَ النَّدَى[٢] ولقد تَكَسَّر رِيشُهُ ... فعلا النَّدى فوق البلاد وطارا

[الكامل]

[مرض عند يزيد بن حاتم]

ثم قَصَدَهُ بها إلى مصر وأنشده إيَّاها؛ فأعطاه حتى رَضِيَ. ومَرِضَ ابن المولى عنده مَرَضاً طويلاً وثَقُلَ حتى أشفى[٣]، فلمَّا أفاق من عِلَّته ونهضَ، ودَخَلَ عليه يزيدُ بن حاتم مُتَعَرِّفاً خَبرَه، فقال: لودَدْتُ واللَّه يا أبا عبد اللَّه إلا تُعالج بعدي الأسفار حقّاً، ثم أضعفَ صِلَتَهُ.

[كان يمدح يزيد دون أن يراه]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا أحمد بن زُهَير قال حدَّثني الزُّبيرُ بن بَكَّار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال: كُنْتُ أَمدَحُ يزيدَ بن حاتم من غير أن أعرِفَهُ ولا ألقاه، فلمَّا ولَّاه المنصور مصرَ أخذ على طريق المدينة فَلَقِيْتُهُ فأنشدْتُهُ، وقد خَرَجَ من مسجد رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم إلى أن صار إلى مسجد الشَّجرة، فأعطاني رِزمَتي[٤] ثياب وعشرةَ آلاف دينار فاشترَيْتُ بها ضِياعاً تُغِلّ[٥] ألفَ دينار، أقومُ في أدناها وأصيح بِقَيِّمي ولا يَسْمَعُني وهو في أقصاها.

---

(١) لعلّ المقصود «حجبتها» أي منعتها.
(٢) رشت الندى: جعلت له ريشاً.
(٣) أشفى: أشرف على الموت.
(٤) عنده رزمة من الثياب وهي ما شد منها في ثوب واحد.
(٥) تغلّ: تعطي مقداراً من الغلة والإنتاج.

[عَنَّفَهُ الحسن بن يزيد على ذكر ليلى فقال: إنها قوسه فضحك]

أخبرني عمي قال حدَّثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو قال: بَلَغَنِي أنَّ الحسنَ بن زيد دعا بابن المولى فأغْلَظَ له وقال: أَتُشبِّبُ بِحُرَمِ المسلمين وتُنْشِدُ ذلك في مسجد رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وفي الأسواق والمَحافل ظاهراً! فَحَلَف له بالطَّلاقِ أنَّه ما تَعَرَّضَ لِمُحرَّمٍ قطّ ولا شَبَّبَ بامرأة مُسلم ولامُعاهِدٍ قطّ، قال: فمن ليلى هذه التي تَذْكُرُ في شعرِك؟ فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلا قَوسي هذه، سمَّيْتُها ليلى لأذكُرَها في شعري، فإنَّ الشعر لا يحسن إلاَّ بالتشبيب، فَضَحِكَ الحسن ثم قال: إذا كانت القصة هذه فقل ما شِئْتُ.

[كان بالعراق وتشوق إلى المدينة]

فقال[١] الحزنبل: وحُدّثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال: قَدِمَ ابن مولى إلى العراق في بعض سِنِيِّه فأخْفَقَ وطالَ مُقامه وغَرِضَ[٢] به وتشوَّق إلى المدينة فقال في ذلك:

صوت

ذَهَبَ الرجالُ فلا أُحِسّ رِجالا ... وأرى الإقامةَ بالعراق ضَلالا

وطَرِبْتُ إذ ذكر المدينةَ ذاكِرٌ ... يومَ الخميس فهاجَ لي بَلْبالا[٣]

فَظَلَلْتُ أَنظُرُ في السماء كأنَّني ... أبغي بناحية السماء هِلالا

طَرَباً إلى أهلِ الحِجاز وتارة ... أبكي بدمع مُسبِل إسبالا[٤]

[الكامل]

غنَّى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة. ولحنهُ ثاني ثقيل عن الهشاميّ. وذكره حمَّاد عن أبيه في أخباره ولم يذكر طريقتَهُ.

فَيُقالُ قد أضحى يُحَدِّثُ نَفْسَهُ ... والعينُ تَذْرِفُ في الرِّداءِ سِجالا[٥]

---

(١) الفاء هنا من زيادات النساخ.
(٢) غَرِضْتُ منه غَرَضاً أي: مللت ملالة.
(٣) البلبال: شدة الهم.
(٤) السَّبَلُ بالتحريك: المطر. والسَّبَلُ أيضاً: السُّنْبُلُ. وقد أَسْبَلَ الزرعُ، أي خرج سُنْبُلُهُ.
(٥) السَّجْل: الدلو الضخمة المملوءة.

إنَّ الـغـريـبَ إذا تـذكَّـر أوشـكـت منـه الـمـدامـع أن تَـفـيـضَ عِـلالا[١]
ولـقـد أقـولُ لـصـاحـبـي وكـأنَّـه مـمَّـا يـعـالـج ضُـمِّـن[٢] الأغـلالا
خَـفِّـضْ عـلـيـك فـمـا يُـرَدْ بِـك تَـلْـقَـهُ لا تُـكـثِـرنّ وإن جَـزِعْـتَ مَـقَـالا
قـد كُـنْـتَ إذ تَـدَع الـمـديـنـة كـالـذي تَـرَكَ الـبـحـارَ ويَـمَّـمَ الأوشـالا[٣]
فـأجـابـنـي خـاطـرْ بِـنَـفْـسِـكَ لا تـكـن أبـداً تُـعَـدّ مـع الـعِـيـال عِـيـالا
واعـلـم بـأنَّـك لـن تَـنَـالَ جَـسـيـمـةً حـتـى تُـجَـشِّـم نَـفْـسَـكَ الأهـوالا
إنِّـي وجـدّك يـومَ أتـرك زاخـراً بـحـراً يُـنـفّـل سـيـبُـهُ[٤] الأنـفـالا[٥]
لأضـلُّ مـن جـلَـب الـقـوافـيَ صَـعْـبـةً حـتـى أذَلّ مُـتـونـهـا إذلالا

[الكامل]

[مدح المهديّ وعرض بالطالبيِّين فأجازه]

قال الحَزَنْبَلُ: وحدَّثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدَّثني مولى للحسن ابن زيد قال:

ومـا قـارَعَ الأعـداءَ مـثـلُ مـحـمـد إذا الحرب أبدت عن حُجولِ الكَواعبِ
فـتًـى مـاجـدُ الأعـراق مـن آلِ هـاشـمٍ تَـبَـحْـبَـحَ[٦] مـنـهـا فـي الـذُّرى والـذَّوائِـبِ
أشـمُّ مـن الـرَّهـط الـذيـن كـأنَّـهـم لدى حِنْدِس[٧] الظَّلماء زُهْرُ الكَواكبِ
إذا ذُكِـرَتْ يـومـاً مَـنَـاقِـبُ هـاشـمٍ فـإنَّـكُـمُ مـنـهـا بـخـيـرِ الـمـنـاصِـبِ
ومـن عِـيـبَ فـي أخـلاقِـهِ ونِـصـابِـهِ[٨] فـمـا فـي بـنـي الـعـبَّـاس عَـيـبٌ لِـعـائـبِ
وإنَّ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن ورَهْـطَـهُ لأهـلُ الـمـعـالـي مـن لُـؤَيِ بـن غـالـبِ
أولـئـك أوتـادُ الـبـلادِ ووارِثـو الـنَّـبـيِّ بـأمـرِ الـحـقِّ غـيـر الـتَّـكـاذُبِ

[الطويل]

---

(١) علالا: مرة بعد أخرى.
(٢) ضمن الاغلال: قيد بها.
(٣) الوشلُ: الماء القليل يتحلَّبُ من صخرةٍ أو جبل يقطر منه قليلاً قليلاً. وجبلٌ واشلٌ: يقطر منه الماء، وماء واشلٌ يشلُ وشلاً.
(٤) السَّيْبُ: العطاء والكرم والجود.
(٥) الأنفال: الهبة والعطية.
(٦) التَّبَحْبُحُ: التَّمكُّن في الحُلُول والمُقام.
(٧) الحِنْدِسُ: الليل الشديد الظلمة.
(٨) النصاب: الأصل.

ثم ذكر فيها آل أبي طالب فقال:

وما نَقَموا إلا المودَّة منهمُ ... وإن غادرُوا فيهم جزيلَ المواهِبِ
وأنهمُ نالوا لهم بدمائِهم ... شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ
وقاموا لهم دون العدا وكفَوْهُمُ ... بِسُمرِ القنا والمُرهَفاتِ القواضِبِ[1]
وحامَوا على[2] أحسابِهم وكرائم ... حسانِ الوجوهِ واضحاتِ التَّرائِبِ
وإنَّ أميرَ المؤمنين لعائِدٌ ... بإنعامِهِ فيهم على كلِّ تائِبِ
إذا ما دَنَوا أدناهُمُ وإذا هفَوْا ... تجاوز عنهم ناظِراً في العواقِبِ
شفيقٌ على الأقصَيْنِ أن يركبوا الرّدى ... فكيف به في واشِجات[3] الأقارب

[الطويل]

[مدح الحسين بن زيد فعاتبه بالتعرض بأهله]

قال: فوصله المهديّ بصلة سنيَّة، وقَدِمَ المدينة فأنفق وبنى دارَهُ ولبس ثياباً فاخرةً، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه. ثم قَدِمَ على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفةٌ في كلِّ سنة فدخل عليه فانشده قولَهُ يَمدحُهُ:

هَاجَ شوقي تفرّقُ الجِيرانِ ... واعترتني طوارِقُ الأحزانِ
وتذكَّرْتُ ما مضى من زماني ... حين صار الزمانُ شرَّ زمانِ

[الخفيف]

يقولُ فيها يمدح الحسن بن زيد:

ولوَ انَّ امرأً ينال خلوداً ... بِمَحلٍّ ومَنْصِبٍ ومكانِ
أو ببيتٍ ذُراه تَلْصَق بالنجم قِراناً في غير بُرجِ قِرانِ
أو بمجد الحياة أو بسماحٍ ... أو بحلم أوفى على ثَهْلانِ[4]
أو بفضلٍ لنا له حسَنُ الخَيرِ بفضلِ الرسول ذي البرهانِ
فضلُهُ واضِحٌ برهط أبي القا ... سم رهطِ اليقين والإيمانِ
هم ذَوُو النور والهُدى ومدى الأمر وأهلُ البرهان والعِرفانِ

---

(١) القواضب: القواطع.
(٢) «على» هنا بمعنى «عن».
(٣) واشجات: وهي الرحم المتصلة.
(٤) ثهلان: جبل ضخم بالعالية.

مَـعْـدِنُ الـحـق والـنـبـوّة والـعـد ل إذا مـا تـنـازع الـخَـصـمـانِ
وابـنُ زيـدٍ إذا الـرجـال تَـجـارَوْا يـوم حَـفْـلٍ وغـايـةٍ ورِهـانِ
سـابِـقٌ مُـغْـلِـقٌ مُـجـيـزُ رِهـانٍ وَرِث الـسَّـبْـقَ مـن أبـيـه الـهِـجـانِ(١)
[الخفيف]

قال: فلما أنشده إياها دعا به خالياً ثم قال له: يا عاضَّ كذا من أمِّه، أمَّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا، وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول:

وإنَّ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن ورهـطَـهُ لـرَهْـطُ الـمـعـالـي مـن لُـؤَيِّ بـن غـالـبِ
أولـئـك أوتـاد الـبـلاد ووارِثـوا الـنَّـبـيِّ بـأمـر الـحـقِّ غـيـر الـتَّـكـاذُبِ
[الطويل]

فقال له: أتُنْصِفني يابن الرسول أم لا؟ فقال: نعم، فقال: ألم أقل:

وإنَّ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن ورهـطَـهُ

ألستم رهطه؟ فقال: دَعْ هذا، ألم تَقْدِر أن يَنْفُقَ شِعْرُك ومديحك إلا بتهجين أهلي والطعنِ عليهم والإغراء بهم حيث تقول:

ومـا نَـقَـمـوا إلا الـمـودَّةَ مـنـهُـمُ وأن غـادروا فـيـهـم جـزيـلَ الـمـواهِـبِ
وأنَّـهـمُ نـالـوا لـهـم بـدمـائِـهـم شـفـاء نُـفـوسٍ مـن قـتـيـلٍ وهـاربِ
[الطويل]

فَوَجَمَ ابنُ المولى وأطرق ثم قال: يابن الرسول إنَّ الشاعر يقولُ ويتقرَّبُ بجهْدِهِ، ثم قامَ فخرج من عنده مُنْكَسِراً، فأمرَ الحسنُ وكيلَهُ إليه أن يحملَ إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل، فقال ابن المولى: واللَّه لا أقبلها وهو عليَّ ساخِطٌ، فأما إن قرنها بالرضا فقبلتُها، وأما إن أقام وهو عليّ ساخط البتَّة فلا؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبرَهُ؛ فقال له: قل له: قد رضيْتُ فاقبلها. ودخل إلى الحسن فأنشده قولَهُ فيه:

سـألْـتُ فـأعـطـانـي وأَعـطـى ولـم أَسَـلْ وجـادَ كـمـا جـادت غـوادٍ(٢) رَوَاعِـدُ
فـأُقْـسِـمُ لا أنـفـكُّ أُنْـشِـدُ مَـدْحَـهُ إذا جـمـعـتـنـي فـي الـحـجـيـج الـمـشـاهِـدُ
إذا قُـلْـتُ يـومـاً فـي ثـنـائـي قـصـيـدةً ثَـنَـيْـتُ بـأخـرى حـيـث تُـجـزَى الـقـصـائـدُ
[الطويل]

(١) الهِجان من الأبل: البيضُ الكِرامُ. ناقة هِجانٌ وبعيرٌ هجانٌ، ويُجْمَعُ على الهَجائن.
(٢) الغوادي: جمع غادية وهي السحابة تنشأ غدوة.

[مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز وغلبته على الأزارقة]

قال الحزَنْبَل: وحدَّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلَّبي قال: لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارِقة[١] وقد ظَفِرَ، خُلِعَ عليه وعُقِدَ له لواءٌ على كُوَر الأهواز وسائر ما افتتحه، فدخل عليه ابن مولى وقد مدَحَهُ فاستأذن في الإنشاد فأُذِنَ له فأنشده:

صـــوت

ألا يـالَـقَـومـي هـل لـمـا فـات مَـطـلـبُ ... وهـل يُـعَـذَرَنْ ذو صَـبْـوة وهـو أَشْـيَـبُ
يـحـن إلـى لـيـلـى وقـد شـطـت الـنـوى ... بـلـيـلـى كـمـا حَـنَّ الـيَـراعُ الـمـثَـقَّـبُ

[الطويل]

غنَّى في هذين البيتين عَطَرَّد، ولحنُهُ رمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة؛ وفيه ليونس لحن ذكرَهُ لنفسه في كتابه ولم يذكر طريقتَهُ.

تَـقَـرَّبْـتُ لـيـلـى كـي تُـثِـيـب فـزادنـي ... بِـعـاداً عـلـى بُـعـدٍ إلـيـهـا الـتـقـرّبُ
فَـدَاوَيْـتُ وجـدي بـاجـتـنـابٍ فَـلَـمْ يَـكُـنْ ... دواءً لِـمـا ألـقـاه مـنـهـا الـتـجـنُّـبُ
فـلا أنـا عـنـد الـنَّـأْي سـالٍ لِـحُـبِـهـا ... ولا أنـا مـنـهـا مُـشْـتَـفٍ حـيـن تَـصْـقَـبُ[٢]
وَمَـا كُـنْـتُ بـالـراضـي فـمـا غـيـرُهُ الـرِّضـا ... ولـكـنَّـنـي أنـوي الـعـزاءَ فـأُغْـلَـبُ
ولـيـلٍ خُـدارِيّ[٣] الـرِّواق جَـشِـمْـتُـهُ ... إذا هـابـه الـسـارون لا أتـهـيَّـبُ
لأظـفَـرَ يـومـاً مـن يـزيـد بـن حـاتـم ... بـحـبـل جِـوارٍ ذاك مـا كُـنْـتُ أَطـلـبُ
بَـلَـوتُ وقَـلَّـبْـتُ الـرجـال كـمـا بـلا ... بـكـفَّـيـه أَوسـاطَ الـقِـداح مُـقَـلِّـبُ
وصَـعَّـدنـي هـمِّـي[٤] وصَـوَّب مـرَّةً ... وذو الـهـمّ يـومـاً مُـصْـعَـدٌ ومُـصـوَّبُ
لأعـرف مـا آتـى فـلـم أرَ مـثـلـه ... مـن الـنـاس فـيـمـا حـاز شـرقٌ ومَـغْـرِبُ

---

(١) الأزارقة: فرقة من الخوارج، وهم أصحاب نافع بن الأزرق.
(٢) صقبت داره صقباً: دنت. وفي الحديث «المرء أحق بصقبه» وأصقب اللَّه تعالى داره: أدناها.
(٣) ليل خُداريٌّ: شديد الظلمة.
(٤) الهَمُّ: الحُزنُ، والجمع الهُمومُ. وأهَمَّني الأمرُ، إذا أقلقك وحزَنك. ويقال: هَمُّكَ ما أهَمَّكَ. والمُهِمُّ: الأمر الشديد. وهَمَّني المرضُ: أذابني. وانْهَمَّ الشحمُ والبَرَدُ: ذابا. والاهتِمامُ: الاغتمام. وفي القصيدة استخدم الشاعر الكناية للدلالة على العزم.

أَكَـرَّ عـلـى جـيـش وأعـظـمَ هـيـبـةً وأوهـبَ فـي جـود لـمـا لـيـس يُـوهـبُ
تـصـدَّى رجـالٌ فـي الـمـعـالـي لِـيَـلْـحَـقـوا مَـداك ومـا أدركـتَـهُ فَـتَـذَبْـذَبـوا
ورُمْـت الـذي رامـوا فـأذلَـلْـت صَـعْـبَـهُ وراموا الـذي أذْلَـلْـت مـنـه فـأصـعَـبـوا[1]
ومـهـمـا تَـنْـاول مـن مَـنـال سَـنِـيَّـة يساعدُك فيها الـمُـنْـتَـمى والـمُـركَّـبُ[2]
ومَـنْـصِـبُ آبـاء كِـرامٍ نـمـاهُـمُ إلـى الـمـجـد آبـاءٌ كِـرامٌ ومـنـصِـبُ

[الطويل]

صـوت

كـواكِـبُ دَجْـنٍ كُـلَّـمـا انـقـضَّ كـوكـبٌ بـدا مِـنْـهُـمُ بـدرٌ مـنـيـرٌ وكـوكـبُ
أنـارَ بـه آل الـمـهـلَّـب بـعـدمـا هـوى مَـنْـكِـبٌ مـنـهـم بـلـيـلٍ ومَـنْـكِـبُ
ومـازال إلـحـاحُ الـزمـان عـلـيـهِـمُ بَـنَـائِـبةٍ كـادَتْ لـهـا الأرض تَـخْـرَبُ[3]
فَـلَـو أبـقـتِ الأيَّـامُ حـيّـاً نَـفـاسـةً لأبـقـاهُـمُ لـلـجـود نـابٌ ومِـخْـلَـبُ
وكُـنْـتُ لـيـومـي نِـعـمـةٍ ونِـكـايـةٍ كـمـا فـيـهـمـا لـلـنـاس كـان الـمـهـلَّـبُ
ألا حـبَّـذا الأحـيـاءُ مـنـكـم وحـبَّـذا قـبـورٌ بـهـا مَـوتـاكُـمُ حـيـن غُـيِّـبـوا

[الطويل]

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخِلعةٍ وأقسم على من كان بحضرته أن يجيزوه كلُّ واحدٍ منهم بما يمكنه، فانصرف بملء يده.

[استحسان شعره]

قالَ الحَزَنْبَلُ: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسِنُها:

صـوت

حَـيّ الـمـنـازلَ قـد بَـلَـيـنـا أقـوَيـنَ[4] عـن مَـرِّ الـسِّـنـيـنـا
وسـلِ الـدِّيـار لـعـلَّـهـا تُـخـبـرك عـن أُمِّ الـبَـنـيـنـا

(١) يُقال: أصعب الرجل الشيء إذا وجده صعباً.
(٢) المركّب: الأصل والمنبت.
(٣) تخرب: تجدب.
(٤) أقوين: أقفرن.

بـــانَـــتْ وكُـــلُّ قَـــريـــنـــةٍ يـــومـــاً مُـــفـــارِقَـــةٌ قـــريـــنـــا
وأخـــو الـــحـــيـــاة مـــن الـــحـــيـــا ةِ مُـــعـــالـــجٌ غِـــلَـــظـــاً ولـــيـــنـــا
[مجزوء الكامل]

غنَّى في هذه الأبيات نبيهٌ[1] خفيفَ ثقيل بالبنصر.

وَتَـــرى الـــمُـــوَكَّـــل بـــالـــغـــوا نـــي راكـــبـــاً أبـــداً فُـــنـــونـــا
وَمِـــنَ الـــبَـــلِـــيَّـــةِ أن تُـــدا نَ بـــمـــا كَـــرِهْـــتَ ولـــن تَـــديـــنـــا
والـــمـــرءُ تُـــحـــرَم نَـــفْـــسُـــهُ مـــا لا يـــزال بـــه حَـــزِيـــنـــا
وتَـــراه يَـــجْـــمَـــعُ مـــالَـــهُ جـــمـــعَ الـــحـــريـــص لـــوارثـــيـــنـــا
يـــســـعـــى بـــأفـــضـــلِ ســـعـــيـــه فـــيـــصـــيـــرُ ذاك لـــقـــاعـــديـــنـــا
لـــم يُـــعـــطِ ذا الـــنَّـــسَـــبِ الـــقـــريـــب ولـــم يَـــجُـــدْ لـــلأبـــعـــديـــنـــا
قـــد حـــلَّ مَـــنْـــزِلَـــهُ الـــذمـــيـــمَ وفـــارق الـــمـــتـــنـــصِّـــحـــيـــنـــا
[مجزوء الكامل]

[مدح المهدي بولايته الخلافة فأكرمه]

قال الحزنبل: وذكر أحمد بن صالح بن النَّطَّاح عن المدائني: أنَّ المهديّ لمَّا ولِيَ الخلافة وحَجَّ فرَّق في قريشٍ والأنصارِ وسائرِ الناس أموالاً عظيمةً ووَصَلَهُم صِلاتٍ سَنِيَّةً، فَحَسُنَتْ أحوالُهم بعد جُهد أصابَ الناس في أيَّام أبيه، لِتَسَرعهم مع محمد بن عبد اللَّه بن حسن، وكانت سنة ولايته سنة خِصب ورُخص، فأحبَّهُ الناس وتَبَرَّكوا به، وقالوا: هذ هو المهديّ، وهذا ابن عمّ رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وسميُّه، فلقوه فدعوا له وأثنَوْا عليه، ومدحته الشعراء، فمدَّ عينه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبِهِ فقُرِّبَ منه؛ فقال له: هاتِ يا مولى الأنصار ما عندك، فأنشده قوله فيه:

يـا لـيـلَ لا تَـبـخَـلـي يـا لـيـلَ بـالـزادِ واشـفـي بـذلـك داءَ الـحـائـم الـصـادي
وأنـجـزي عِـدَّةً كـانـت لـنـا أمَـلاً قـد جـاء مِـيـعـادُهـا مـن بـعـد مِـيـعـادِ
مـا ضـرَّه غـيـر أن أبـدى مَـودَّتـه إنَّ الـمُـحـبَّ هـواه ظـاهـرٌ بـادي
[البسيط]

(١) العرب يسمون بنبيه كزبير وبنبيه كأمير، ولم نستطع ترجيح أحد الضبطين في هذا الاسم.

ثم قال فيها يصف ناقته:

تَطوي البلادَ إلى جمٍّ منافِعُهُ ... فَعَّالِ خيرٍ لفعل الخير عوّادِ
للمهتدين إليه من منافِعِه ... خيرٌ يروحُ وخيرٌ باكِرٌ غادي
أغنَى قُرَيشاً وأنصارَ النبيّ ومَنْ ... بالمَسْجِدَين بإسعاد وإحفادِ[1]
كانت منافِعُهُ في الأرض شائِعةً ... تَتْرَى[2] وسيرته كالماء للصَّادي
خليفةُ اللَّه عبدُ اللَّه والدُهُ ... وأُمُّه حُرَّةٌ تنمى لأمجادِ
من خير ذي يَمنٍ في خير رابيةٍ ... من القبول إليها مَعْقِل[3] النادي[4]

[البسيط]

حتى أتى على آخرها؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة، وأمر صاحب الجاري بأن يجري له ولعياله في كل سنة مايكفيهم، وألحقهم في شرف العطاء.

قال: وذكر ابن النطاح عن عبد اللَّه بن مصعب الزبيري قال: وفدنا إلى المهدي ونحن جماعة من قريش والأنصار، فلما دخلنا عليه سلمنا ودعونا وأثنينا، فلما فرغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فقال: هات يا محمد ما قلت، فأنشده:

صوت

نادي الأحبَّة باحتمالِ ... إنَّ المُقيم إلى زَوالِ
ردَّ القيانُ[5] عليهمُ ... ذُلُلَ المطيّ من الجِمالِ
فتحمَّلوا بعقيلةٍ ... زهراءَ آنسةِ الدَّلالِ
كالشمس راق جَمالُها ... بين النِّساء على الجمالِ
لمَّا رأيتُ جمالهم ... في الآل[6] تَغرَق بالآلي

(١) الحَفْدُ: الخِفَّة في العمل والخِدمة، وسَمِعتُ في شعْرٍ مُحدَث حُفَّداً أقدامُها أي سِراعاً خِفافاً. وفي سورة القُنوت: وإليك نَسعَى ونحفد أي نخفّ في مَرْضاتك. والاحتفاد: السُّرعة في كلّ شيء.

(٢) قال اللَّه تعالى: «ثمَّ أرسلْنا رُسُلَنا تَتْرى»، أي واحداً بعد واحد.

(٣) معقل: ملجأ.

(٤) النادي: تَنادَوْا، أي نادى بعضُهم بعضاً. وتَنادَوْا، أي تجالَسوا في النادي. وناداهُ: جالسَه في النادي. والنَّدِيُّ على فَعيلٍ: مجلس القوم ومتحدَّثهم، وكذلك النَّدْوَةُ والنادي والمُنْتَدى.

(٥) «أكذب من القين»، وله قِين وقينة: عبد وأمة، وهو يهب القيان.

(٦) الآل: السراب.

يـــا لـــيـــت ذلـــك بـــعـــدَ أنْ أظـــهـــرتَ أنَّـــك لا تُـــبـــالـــي
ولِـــمـــثْـــل مـــا جـــرَّبْـــتَ مـــن إخـــلافـــهـــنّ لـــذي الـــوصـــالِ
أســـلاكَ عـــن طـــلـــب الـــصِّـــبـــا وأخـــو الـــصِّـــبـــا لا بُـــدَّ ســـالـــي
يـــابـــن الأطـــايـــب لـــلأطـــا يـــب ذا الـــمَـــكـــارم والـــمـــعـــالـــي
وابـــنَ الـــهُـــداة بـــنـــى الـــهـــدا ةِ وكـــاشـــفـــي ظُـــلَـــم الـــضَّـــلالِ
أصـــبـــحـــتَ أكـــرمَ غـــالـــبٍ عـــنـــد الـــتَّـــفـــاخـــر والـــنِّـــضـــالِ
وإذا تُـــحـــصَّـــلُ هـــاشـــمٌ يـــعـــلـــو بـــمـــجـــدِكَ كُـــلُّ عـــالـــي
ويـــكـــون بـــيـــتُـــكَ مـــنـــهـــمُ فـــي الـــشـــاهـــقـــات مـــن الـــقِـــلالِ[1]
هـــذا وأنـــت ثِـــمـــالُـــهـــا[2] وابـــنُ الـــثِّـــمـــال أخـــو الـــثِّـــمـــالِ
ومـــآلُـــهـــا بـــأمـــورهـــا إنَّ الأمـــورَ إلـــى مـــآلِ

[مجزوء الكامل]

قال: فأمر له خاصَّةً بعشرة آلاف درهم معجَّلة، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثلَ ما أعطاهم، قال: ذلك بحق المديح، وهذا بحق الوِفادة.

[سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرَفيّ أبو أحمد وعمي قالا حدَّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العنزيّ قال حدَّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد اللَّه قال حدَّثني عبد اللَّه بن إبراهيم الجُمَحيّ قال: قَدِمَ عبد الملك بن مروان المدينة، وابن المولى يُكْثِرُ مَدْحَهُ، وكان يسألُ عنه من غير أن يكونا التقيا ـ قال: وابن المولى مولى الأنصار ـ فلما قَدِمَ عبدُ الملك المدينة قَدِمَ ابن المولى، لما بلغه من مسألة عبد الملك عنه، فوردَها وقد رَحَلَ عبد الملك عنها، فأتْبعه فأدركه بإضم بذي خُشُب بين عين مروان وعين الحديد، وهما جميعاً لمروان، فالتفت عبدُ الملك إليه وابن المولى على نجيبٍ مُتَنكِّباً قوساً عربِيَّةً، فقال له عبد الملك: ابن المولى؟ قال: لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين؛ قال: مرحباً بمن نالنا شكرُهُ ولم يَنَلْهُ منا فعلٌ، ثم قال له: أخبرني عن ليلى التي تقول فيها:

وأبـكـي فـلا لـيـلـى بَـكَـتْ مـن صَـبـابـةٍ إلـيَّ ولا لـيـلـى لـذي الـوُدّ تَـبْـذُلُ

[الطويل]

(١) قلال: جمع قلة وهي أعلى الجبل.
(٢) ثمال قومه أي قوامهم وغياثهم، وقد ثملهم يثملهم.

واللَّه لئن كانت ليلى حُرَّةً لأزوِّجنَّكها، ولئن كانت أمَةً لأبتاعنَّها لك بما بَلَغَتْ، فقال: كلا يا أمير المؤمنين، واللَّه ما كُنْتُ لأذكر حُرمةَ حُرّ أبداً ولا أمَتَه، واللَّه ما ليلى إلاَّ قوسي هذه، سميتها ليلى لِأُشَبِّب بها، وإنَّ الشاعر لا يُسْتَطاب إذا لم يَتشبَّب؛ فقال له عبد الملك: ذلك واللَّه أظرف لك، فأقام عنده يومه وليلته يُنْشِدُهُ ويُسامِرُهُ، ثم أمر له بمال وكسوة، وانصرف إلى المدينة.

[وقف لجعفر بن سليمان على طريقه]

أخبرني حبيب المهلَّبيّ عن الزُّبير وغيره عن محمد بن فَضالة النحويّ قال: قَدِمَ ابن المولى البصرة، فأتى جعفر سليمان فوقَفَ على طريقِهِ وقد ركب فناداه:

كَمْ صَارِخٍ يَدْعُو وذي فاقةٍ ... يا جعفرَ الخيراتِ يا جعفرُ
أنت الذي أحييتَ بذْلَ الندى ... وكان قد مات فلا يُذْكَرُ
سليلُ عبَّاسٍ وليّ الهدى ... ومن به في المَحْلِ يُسْتَمْطَرُ
هذا امتداحِيكَ عَقيدَ[1] الندى ... أشهد بالمجد لك الأشقَرُ

[السريع]

(١) العقيد: المتحالف والحليف.

أخبار عطرّد ونسبه

[ولاؤه وصفته]

عَطَرَّد مولى الأنصار، ثم مولى بن عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مُزَينَة، مدَنيٌّ، يُكنى أبا هارون، وكان ينزل قُباء. وزعم إسحاق أنه كان جميلَ الوجه، حسنَ الغناء، طيِّبَ الصوت، جَيِّدَ الصَّنعة، حسنَ الرأي والمروءة، فقيهاً، قارِئاً للقرآن، وكان يُغَنِّي مرتجلاً، وأدرك دولةَ بني اُمَيَّة، وبقي إلى أيام الرشيد، وذكر ابن خُرْداذْبه فيما حدَّثني به عليّ بن عبد العزيز عنه: أنه كان مُعدِّل الشهادة بالمدينة؛ أخبرَهُ بذلك يحيى بن عليّ المنجم عن أبي أيّوب المدينيّ عن إسحاق.

[جاءه عباد بن سلمة وطلب منه أن يغنيه]

وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه: أن سَلَمَة بن عبَّاد وَلِيَ القضاء بالبصرة، فقصد ابنُهُ عَبَّادُ بن سَلَمَة عطرَّداً وهو بها مُقْيمٌ قد قصد آلَ سليمان بن عليّ وأقام معهم؛ فأتى بابَهُ ليلاً فَدَقَّ عليه ومعه جماعةٌ من أصحابِهِ أصحابِ القَّلانس، فَخَرَجَ عطرَّد إليه، فلما رآه ومن معه فَزِعَ، فقال: لا تُرَعْ.

إنِّي قَصَدْتُ إليك من أهلِي ... في حاجةٍ يأتِي لها مِثْلي

[الكامل المرفل]

فقال: وما هي أصلحك اللَّه؟ قال:

لا طَالِباً شيئاً إلَيْكَ سوى ... «حيِّ الحُمُولَ بِجانبِ العَزْلِ[1]»

[السريع]

فقال: انزلوا على بركة اللَّه فلم يَزَلْ يُغَنِّيهم هذا وغيرَه حتى أصبحوا.

نسبة هذا الصوت

صوت

حيِّ الحمُول بجانب العَزْلِ ... إذ لا يوافقُ شكلُها شَكْلِي

(١) العزل: موضع في ديار قيس.

ألـلَّـهُ أنـجـح مـا طَـلَـبْـتَ بـه والـبِـرُّ خـيـرُ حـقـيـبـة الـرَّحْـلِ
إنِّـي بِـحَـبْـلـك واصـلٌ حـبـلـي وبـريـش نَـبْـلـك رائـشٌ نَـبْـلـي
وشـمـائـلـي مـا قـد عَـلِـمْـتَ ومـا نَـبِـحَـتْ كِـلابُـك طـارقـاً مـثـلـي
[الكامل]

الشعر لأمرىء القيس بن عابس الكِنديّ، هكذا روى أبو عمر الشيبانيّ، وقال: إنَّ من يرويه لأمرىء القيس بن حُجْر يَغْلَطُ. والغِناء لعطرَّد ثقيلٌ أوَّل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وفيه لعمرو بن بانة ثقيلٌ بالوسطى من روايتِهِ أيضاً، وفيه لابن عائشةَ خفيفُ رملٍ بالبِنْصر، وفيه عنه وعن دنانيرَ لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوَّل بالوسطى، وفيه عنه لإبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر.

[غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهديّ]

وأخبرني يحيى بن عليّ قال: حدثَّنا أبو أيّوب المدينيّ وأخبرني به الحسن بن عليّ قال: كَتَبَ إليَّ أبو أيّوب المَدينيّ، وخبرُهُ أتمّ، قال: حدَّثني عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المُعَيْطيّ قال: دَخَلْتُ على المهديّ، وقد كان وُصِفَ له غنائي، فسألَنِي عن الغناء وعن علمي به، فجاذبْتُهُ من ذلك طَرَفاً؛ فقال لي: أَتُغَنِّي النواقيس؟ قُلْتُ: نعم، وأغنِّي الصُّلبان يا أمير المؤمنين، فتبسَّم. والنواقيسُ لحن مَعبد، كان معبد وأهلُ الحجاز يسمونه النواقيس، وهو:

سَـلاَ دارَ لـيـلـى هـل تُـبـيـن فَـتَـنْـطِـقُ وأنَّـى تَـرُدُّ الـقـولَ بـيـداءُ سَـمْـلِـقُ(١)
[الطويل]

قال: ثم قال لي المهديّ وهو يضحك: غَنِّه، فغنَّيْته فأمرَ لي بمالٍ جزيلٍ وخَلَعَ عليَّ وصَرَفَنِي، ثم بلغني أنه قال: هذا مُعَيْطيٌّ وأنا لا آنَسُ به، ولا حاجةَ لي إلى أن أُدْنيَه من خَلْوتي وأنا لا آنسُ بِهِ. هكذا ذَكَرَ في هذا الخبر أنَّ اللَّحن لمعبد، وما ذَكَرَهُ أحدٌ من رُواة الغِناء له، ولا وُجِدَ في ديوانٍ من دواوينهم منسوباً إليه على انفراد به ولا شِركة فيه، ولعلَّه غلط.

[تنادر إبراهيم بن خالد المعيطي على ابن جامع]

وقد أخبرني هذا الخبر الحَرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال: كان إبراهيم المُعَيْطيّ يُغَنِّي، فَدَخَلَ يوماً الحمَّام وابنُ جامع فيه: وكان له شيءٌ يجاوز

(١) السَّملَقُ: القاع الأملس. وعجز سَمْلقٌ: سيئة الخلق. والسَّمْلَقةُ: الرديئة في البضع.

ركبتيه، فقال له ابنُ جامع: يا إبراهيم أتبيع هذا البغلَ؟ قال لا بل أحملك عليه يا أبا القاسم؛ فلما خَرَجَ ابنُ جامع من الحمَّام رأى ثيابَ المعيطيّ رَثَّةً فَأَمَرَ له بِخَلْعَةٍ من ثيابه، فقال له المُعيطيّ: لو قَبِلْتَ حُملاني[1] قَبِلْتُ خِلْعَتَكَ، فَضَحِكَ ابن جامع وقال له: ما لك أخزاك اللَّه! ويلك! أما تَدَع ولَعَك وبطالتَّكَ وشرَّك! ودخل إلى الرشيد فحدَّثَهُ حديثَهُ؛ فَضَحِكَ وأمرَ بإحضاره؛ فَأُحْضِرَه، فقال له: أتُغَنِّي النواقيس قال: نعم، وأُغنِّي الصلبان أيضاً. ثم ذكر باقيَ الخبر مثلَ الذي تقدَّمه.

[كان عطرَّد منقطعاً إلى آل سليمان بن عليّ]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثني أبو أيّوب المدينيّ عن إسحاق قال: كان عطرَّد مُنْقَطِعاً في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن عليّ لم يَخْدُمْ غيرَهُم وتُوفِّيَ في خلافة المهديّ. قال: وكان يَوْماً يُغَنِّي بين يَدَي سليمان بن عليّ فغنَّاه:

صوت

أُلْهُ فكم من ماجدٍ قد لها ... ومِنْ كَريمٍ عِرضُهُ وافِرُ

[السريع]

ـ الغِناءُ لعَطَرّد ثاني ثقيل عن الهشاميّ ـ فَقِيلَ له: سَرقتَ هذا من لحن الغريض:

يَا رَبعَ سلَّامةَ بالمُنْحَنَى ... فَخَيْفِ[2] سَلْعٍ[3] جادَكَ الوابِلُ

[السريع]

فقال: لم أسرِقْهُ ولكنَّ العقولَ تتوافق، وحَلَفَ أنه لم يسمعه قطّ.

نسبة هذا الصوت

صوت

يا رَبعَ سلَّامةَ بالمُنْحَنى ... فَخَيْفِ سَلْع جادكَ الوابلُ

---

(١) الحُمْلانُ، بالضمّ: ما يُحْمَلُ عليه من الدوابّ، في الهِبَةِ خاصَّةً كذا في المُحكَم والعُباب. قال اللَّيث: ويكون الحُمْلانُ أَجْراً لما يُحْمَلُ. زاد الصاغانيُّ: حُملاَنُ الدَّراهِم في اصطِلاح الصاغَةِ جَمع صائغ: ما يُحْمَلُ على الدَّراهِم من الغِش تسميةً بالمَصدَر، وهو مَجَاز. وحَمَلَهُ على الأمرِ يَحْمِلُه فانْحَمَلَ: أَغْراهُ به عن ابن سِيدَه.

(٢) الخَيْفُ: ما انحدر عن غِلَظِ الجبلِ وارتفع عن مسيل الماء. ومنه سمِّي مسجد الخَيْفِ بمنًى.

(٣) هذه سلعة مربحة، وهي من أربح السلع وهي المتاع المتجور فيه. وتقول: ما هذه سلعة، إنما هي =

إنْ تُـمْـسِ وحـشـاً طـالـمـا قـد تُـرى وأنـتَ مـعـمُـورٌ بـهـم آهِـلُ
أيـامَ سـلاَّمـةُ رُعْـبُـوبـةٌ[١] خَـوْدٌ لَـعُـوبٌ حـبُّـهـا قـاتِـلُ
محطوطةُ[٢] المتنِ هَضُيمُ[٣] الحشى لا يـطـبـيـهـا[٤] الـوَرِعُ[٥] الـواغـل[٦]

[السريع]

الغِناءُ للغريض ثاني ثقيل بالوُسطى عن عمرو بن يحيى المكيّ. قال: ومن الناس من ينسِبهُ إلى ابن سريج.

[حبسه زبراء والي المدينة مع المغنين ثم أطلقه وأطلقهم]

أخبرني أحمد بن عليّ بن يحيى قال سَمِعْتُ جَدِّي عليّ بن يحيى قال حدَّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدَّثني خالد بن كلثوم قال: كُنْتُ مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها؛ وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المُطَّلب، فأمر بأصحاب الملاهي فحبسوا وحُبِسَ عطرَّد فيهم، فَجَلَسَ لِيَعرِضَهُم، وحضر رجالٌ من أهل المدينة شَفَعوا لعطرَّد، وأخبروه أنه من أهل الهيئة والمُروءة والنِّعمة والدّين، فدعا به فخلَّى سبيلَهُ، وأمره بِرَفع حوائِجِهِ إليه، فدعا له، وخَرَجَ فإذا هو بالمغنين أُحضِروا لِيُعرَضوا، فعاد إليه عطرَّد، فقال: أصلح اللَّهُ الأميرَ، أعَلى الغِناء حبَسْتَ هؤلاء؟ قال: نعم؛ قال: فلا تَظْلمهم، فواللَّه ما أحسنوا منه شيئاً قط! فَضَحِكَ وخلَّى سبيلهم.

[استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة فغناه فطرب وألقى نفسه في بركة الخمر]

أخبرني محمد بن مَزْيَد وجَحْظةُ قالا حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق قال قَرَأْتُ على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمه أيّوبَ بن إسماعيل قال: لمَّا اسْتُخْلِفَ الوليدُ بن يزيد كَتَبَ إلى عاملِهِ بالمدينة يأمرُهُ بالشخوص

= سلعة؛ وهي الغدة الدائصة وبالفتح الشجة، ورجل مسلوع فيهما. وأمر من السلع وهو شجر، وتقول: قدم الصبر والمهل تجن من السلع العسل.

(١) جارية رُعْبوبَةٌ ورُعْبُوبٌ ورِعْبِيبٌ: شطبة تارة، الأخيرة عن السيرافي، وقيل: هي البيضاء الحسنة الرطبة الحلوة والجمع رعابيب.

(٢) جاريةٌ مَحْطُوْطةُ المتْنَين: أي مَرْدُوْدةٌ مُستوِيةٌ،

(٣) هضيم: مستقيم.

(٤) لا يطيبها: لا يستميلها.

(٥) الوَرَعُ: الجبان وقيل: هو الصغير الضعيف من المال وغيره. والجمع أوْرَاعٌ والأنثى من كل ذلك وَرَعَةٌ.

(٦) الواغل: الدّاخل في قوم على طعام أو شراب، من غير دعوة. وَغَلَ يَغِلُ وَغْلاً.

إليه بعطرّد المغنِّي؛ قال عطرَّد: فأقرأني العاملُ الكتاب وزوَّدني نفقةً وأشخصني إليه، فأُدْخِلْتُ عليه وهو جالِسٌ في قصرِهِ على شَفِيرِ بِرْكةٍ مرصَّصَةٍ مملوءةٍ خمراً ليست بالكبيرة ولكنَّها يدور الرجل فيها سِبَاحةً، فواللَّه ما تركني أُسَلِّمُ عليه حتى قال: أعَطرَّد؟ قُلْتُ: نعم يا أميرالمؤمنين؛ قال: لقد كُنْتُ إليك مُشْتَاقاً يا أبا هارون. غنِّني:

حيِّ الحمُولَ بجانبِ العَزْلِ ... إذ لا يُلائم شكلُها شكلي
إني بحبلِكَ واصلٌ حبلي ... وبريش نَبْلكِ رائشٌ نبلي
وشمائلي ماقد عَلِمْتَ وما ... نَبَحَتْ كلابُك طارقاً مثلي

[الكامل]

قال: فغنَّيْتُهُ إيَّاه، فواللَّه ماأتمَمْتُهُ حتى شقَّ حُلَّةَ وَشْي كانت عليه لا أدري كم قيمتها، فَتَجَرَّد منها كما ولدته أُمُّهُ وألقاها نِصْفَيْن، ورَمَى بِنَفْسِهِ في البركة فَنَهِلَ منها حتى تَبَيَّنتُ ـ عَلِمَ اللَّه ـ فيها أنها قد نَقَصَتْ نُقْصَاناً بَيِّناً، وأُخْرِجَ منها وهو كالمَيِّتِ سُكراً، فأضْجِعَ وغُطِّيَ، فَأَخَذْتُ الحُلَّةَ وقمت، فواللَّه ما قال لي أحدٌ: دَعْها ولا خُذْها، وانصرَفْت إلى منزلي مُتَعجِّباً مما رَأَيْتُ من ظَرْفِه وفعله وطَرَبه؛ فلما كان من غدٍ جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني، فلما دَخَلْتُ عليه قال لي: يا عطرَّد، قُلْتُ: لَبَّيك يا أمير المؤمنين؛ قال غنِّني:

أَيَذْهَبُ عُمْري هكذا لم أَنَلْ بِها ... مَجالسَ تَشْفِي قَرْحَ قلبي من الوجدِ
وقالوا تَداوَ إنَّ في الطبِّ راحةً ... فعلَّلْتُ نفسي بالدواء فلم يُجْدِ

[الطويل]

فغنَّيته إيَّاه، فشقَّ حلَّةَ وَشْي كانت تَلْتَمع عليه بالذهب التماعاً احتقرْتُ واللَّه الأولى عندها، ثم ألقى نفسَهُ في البركة فَنَهِلَ فيها حتى تبيَّنْتُ ـ علم اللَّه ـ نقصانَها، وأُخرِجَ منها كالميِّتِ سُكْراً، وأُلقي وغُطِّيَ فَنَامَ، وأخذتُ الحلَّة فواللَّه ما قال لي أحد: دعها ولا خذها، وانصَرَفْتُ؛ فلما كان اليوم الثالث جاءني رسولُهُ فَدَخَلْتُ إليه وهو في بَهْوٍ قد أُلْقِيَتْ سُتُورُه، فَكَلَّمَني من وراءِ الستور وقال: يا عطرَّد، قُلْتُ: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال: كأنِّي بك الآن قد أتَيْتَ المدينةَ فَقُمْتَ بي في مَجْلِسِها ومَحفِلِها وقَعْدَتَ وقُلْتَ: دعاني أميرُ المؤمنين فَدَخَلْتُ إليه فاقترحَ عَلَيَّ فغنَّيْته وأطربتُهُ فشقَّ ثيابَهُ وأخذْتُ سَلَبَه وفعلَ وفعلَ، واللَّه يابن الزانية، لَئِنْ تَحَرَّكَتْ شَفَتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضرِبَنَّ عُنقَكَ، يا غلام أَعْطِهِ ألفَ دينار، خُذْها وانصرف إلى المدينة؛ فَقُلْتُ: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذَنَ لي في تقبيل يده، ويزوِّدَني نظرةً منه وأُغَنِّيه صوتاً! فقال: لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك، فانصرِفْ. قال عطرَّد: فَخَرَجْتُ من عنده وما

علم اللَّه أني ذَكَرْتُ شيئاً مما جرى حتى مَضَت من دولة بني هاشم مدَّة.

نسبة هذين الصوتين

الصوت الأول مما غنَّاه عطرَّد الوليدَ قد نُسِبَ في أوّل أخباره، والثاني الذي أوَّله:

أَيَـذْهَـبُ عـمـري هـكـذا لـم أنَـلْ بـهـا

الغِناءُ فيه لعطرَّد ثاني ثقيل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه ليونس من كتابه لحنٌ لم يذكر طريقته؛ وذكر عمرو بن بانة أنَّ فيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

صـوت

من المائة المختارة

إنَّ أمـرأً تَـعْـتَـادُه ذِكَـرٌ ... مـنـهـا ثَـلاثُ مِـنًـى لـذو صَـبْـرِ
ومـواقِـفٌ بـالـمَـشْـعَـرَيْـنِ[١] لـهـا ... ومـنـاظـرُ الـجَـمـرات[٢] والـنـحـر[٣]
وإفـاضـةُ الـرُّكـبـان خَـلْـفَـهُـمُ ... مـثـل الـغـمـام أَرَذّ[٤] بـالـقَـطْـرِ
حـتـى اسـتـلَـمْـنَ الـركـن فـي أُنُـفٍ[٥] ... مـن لـيـلـهِـنَّ يَـطَـأن فـي الأُزْرِ[٦]
يَـقْـعُـدن فـي الـتَّـطـواف آونـةً ... ويَـطُـفـن أحـيـانـاً عـلـى فَـتْـرِ[٧]

---

(١) والمَشْعَرِ: موضع المنسك من مشاعر الحج من قول اللَّه: «فاذكُرُوا اللّهَ عندَ المَشْعَرِ الحَرام» وكذلك الشِّعارة من شعائر الحج، وشعائر اللَّه مناسك الحج، أي: علاماته، والشّعيرة من شعائر الحج، وهو أعمال الحج من السعي والطَّواف والذبائح، كل ذلك شعائر الحجّ.

(٢) الجَمْرَةُ: اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأَها من سائر القبائل؛ ومن هذا قيل لمواضع الجِمَارِ التي ترمى بِمِنًى جَمَراتٌ لأَن كلَّ مَجْمَعٍ حَصًى منها جَمْرَةٌ وهي ثلاث جَمَراتٍ.

(٣) النَّحْرُ: موضع القلادة من الصدر، وهو المَنْحَرُ. والمَنحَرُ أيضاً: الموضع الذي يُنْحَرُ فيه الهَديُ وغيره..

(٤) أرذ: أمطر الرذاذ وهو المطر الخفيف.

(٥) الأنف: أوّل زمان مستقبل.

(٦) الأزر جمع إزار وهو الثوب.

(٧) الفَتْرَة: الإنكسارُ والضعفُ.

فـفـرَغـن مـن سَـبْـع وقـد جُـهِـدَت[١] أحـشـاؤهـنَّ مَـوائـلَ الـخُـمـرِ[٢]

[الكامل]

الشعر للحارث بن خالد المخزومي، والغناء في اللحن المختار للأبجر، وإيقاعه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأول والثاني والسادس من الأبيات عن إسحاق.

وفيه للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. ولابن سريج في الثالث والرابع رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) الجَهْدُ: ما جَهَد الإنسانَ من مَرَضٍ، أو أمرٍ شاقٍّ فهو مَجهودٌ والجُهْدُ لغة بهذا المعنى والجُهدُ: شيءٌ قليلٌ يعيش به المُقِلُّ على جَهْدِ العَيْش.

(٢) خَمِر الشيء يَخْمُره خَمْراً، وأخْمره: سَتره.

أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه

[نسبه من قبل أبويه]

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد اللَّه بن عمرو بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وأُمّه فاطمةُ بنتُ أبي سعيد بن الحارث بن هشام، وأُمُّها بنت أبي جهل بن هشام. وكان العاص بن هشام جَدَّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بَدْر فَقَتَلَهُ أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب رِضي اللَّه عنه.

[قامر أبو لهب العاص على نفسه فاسترقه وأرسله بدله يوم بدر]

حدَّثني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمَّار قال حدَّثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدَّثني مُصعَب بن عبد اللَّه قال: قامَرَ أبو لَهَب العاصَ بن هشام في عَشْرٍ من الإبل فَقَمَرَهُ[١] أبو لهب، ثم في عشرٍ فقمره، ثم في عشرٍ فقمره، ثم في عشرٍ فقمره، إلى أن خلعه من ماله فلم يَبْقَ له شيءٌ، فقال له: إنِّي أرى القِداحَ قد حالفتْك يابن المطَّلِب فهلمَّ أُقامِرْك، فأيُّنا قُمِرَ كان عبداً لِصَاحِبِهِ، قال: افعل، ففعل، فقمره أبو لهب فكره أن يسترقَّهُ فَتَغْضَب بنو مخزوم، فمشى إليهم وقال: افتَدُوه منِّي بعشرٍ من الإبلِ؛ فقالوا: لا واللَّه ولا بِوَبرة، فاسترقَّهُ فكان يرعى له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر. وقال غيرُ مُصْعَب: فاسترقَّه وأجلسه قَيْناً[٢] يعملُ الحديدَ. فلما خَرَجَ المشركون إلى بدر كان مَنْ لم يَخْرُجْ أخرَجَ بديلاً، وكان أبو لهب عليلاً فأخرجه وقَعَدَ، على أنه إن عاد إليه أعتقه، فقتله عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّه عنه يومئذٍ.

[ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل]

والحارثُ بن خالد أحدُ شعراء قريش المعدودين الغَزَلِيِّين، وكان يذهبُ مَذْهَبَ عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوزُ الغزل إلى المديح ولا الهجاء، وكان يهوى عائشة بنت

(١) قمره: غلبه بالقمار.
(٢) القَيْنُ: الحدَّاد، والجمع القيونُ.

طَلْحَةَ بن عبيد اللَّه ويُشَبِبُ بها؛ وولاَّه عبدُ الملك بن مروان مكَّةَ، وكان ذا قَدرٍ وخَطرٍ ومنظرٍ في قريش؛ وأخوه عِكْرَمةُ بن خالد المخزوميّ مُحَدِّثٌ جليلٌ من وجوه التابعين، قد روَى عن جماعةٍ من الصحابة؛ وله أيضاً أخٌ يُقالُ له عبد الرحمن بن خَالد، شاعر، وهو الذي يقول:

رَحَلَ الشبابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَرْحَلِ ... وغدا لِطيَّةِ[1] ذاهبٍ مُتَحَمِّلِ[2]
ولَّى بلا ذَمٍّ وغادر بعَدَهُ ... شيْباً أقام مكانَهُ في المَنْزِلِ
ليت الشبابَ ثَوى لدينا حِقْبَةً ... قبل المشيب وليته لم يَعْجَلِ
فَنُصيبَ من لذَّاتِهِ ونعيمِهِ ... كالعهد إذ هو في الزمان الأوَّلِ

[الكامل]

وفيه غناء.

[بضائع أبي عمرو]

حدَّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا الرياشيّ قال حدَّثنا الأصمعي قال: قال مُعاذ بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء: كان أبو عمرو إذا لم يَحجّ استَبْضَعَني[3] الحروفَ أسأل عنها الحارثَ بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وآتيه بجوابِها؛ قال: فَقَدِمتُ عليه سنةً من السنين وقد ولاَّه عبدُ الملك بن مروان مكةَ، فلما رآني قال: يا معاذ، هاتِ ما معك من بضائع أبي عمرو، فَجَعَلْتُ أعجب من اهتمامِهِ بذلك وهو أمير.

[هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين]

أخبرني الحَرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار، وأخبرني به الحسن ابن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزُّبير، ولفظُه أتمّ، قال حدَّثني محمد بن الضحَّاك الخزاميّ قال: كانت العربُ تُفَضِّلُ قريشاً في كل شيء إلاَّ الشعر، فلما نَجَمَ في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزوميّ والعَرْجيّ وأبو دَهْبَل وعبيد اللَّه بن قيس الرُّقيَّات، أقرَّت لها العرب بالشعر أيضاً.

[تفاخر مولى له ومولى لابن أبي ربيعة بشعريهما]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم وإسماعيل بن يونس وحَبيب بن نصر

(١) الطية: المنتأى. والقصد، والنية التي تنتوى.
(٢) المتحمل: الراحل. (٣) استبضع: جعله بضاعته.

وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثني محمد بن يحيى أبو غَسَّان قال: تفاخرَ مَوْلًى لعمر بن أبي ربيعة ومولى للحارث بن خالد بِشِعريهما، فقال مولى الحارث لمولى عمر: دعني منك فإنَّ مولاك واللَّه لا يَعْرِفُ المنازلَ إذا قُلِبَت، يعني قول الحارث:

إنـي ومـا نَـحـرُوا غَـداةَ مِـنًـى ... عـنـد الـجِـمـار تَـؤُودهـا[1] الـعُـقْـلُ
لـو بُـدِّلَـتْ أعْـلـى مـسـاكِـنـهـا ... سُـفْـلاً وأصـبـح سُـفـلُـهـا يَـعْـلُـو
فـيـكـادُ يَـعْـرِفُـهـا الـخـبـيـرُ بـهـا ... فـيـرُدّه الإقـواءُ والـمَـحـلُ
لـعـرفْـتُ مَـغـنـاهـا بـمـا احـتَـمَـلَـتْ ... مـنِّـي الـضـلـوعُ لأهـلـهـا قَـبْـلُ

[الكامل]

ـ قال عمر بن شبَّة: وحدَّثني محمد بن سلاَّم بهذا الخبر على نحوٍ ممَّا ذَكَرَهُ أبو غسَّان، وزاد فيه: ـ فقال مولى ابنِ أبي ربيعة لمولى الحارث: واللَّه ما يُحْسِنُ مولاك في شعرٍ إلا نُسِبَ إلى مولاي.

قال ابن سلاَّم: وأنشد الحارثُ بن خالد عبدَ اللَّه بن عمرَ هذه الأبيات كلَّها حتى انتهى إلى قوله:

لَـعَـرفـتُ مَـغـنـاهـا بِـمـا احـتَـمَـلَـتْ ... مِـنِّـي الـضُـلـوعُ لِأَهـلِـهـا قَـبْـلُ

[الكامل]

فقال له ابنُ عمر: قُلْ: إن شاء اللَّه؛ قال: إذاً يَفْسُد بها الشعرُ يا عَمَّ، فقال له: يابن أخي، إنه لا خيرَ في شيء يُفْسِدُهُ «إن شاء اللَّه». قال عمر: وحدَّثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يُسنِدْها إلى أحدٍ، وأَظنُّهُ لم يَروِها إلا عن محمد بن سلاَّم. وأخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان عن أبي الفضل المَرْوَرُّوذيّ عن إسحاق عن أبي عُبيدة، فذكر قصَّةَ الحارث مع ابن عمر مثلَ الذي تقدّمه.

[اعتراف له بالتقدم]

أخبرني عمي قال حدَّثنا الكِرانيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثني أبو سَلَمَةَ الغِفاريّ عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَينَة عن أبيه قال: كان كُثَيِّرٌ جالساً في فتيةٍ من قُريش إذ مَرَّ بهم سعيدُ الراس، وكان مُغَنِّياً، فقالوا لِكُثيِّر[2]: يا أبا صخر، هل لك أن

(١) تؤودها: تنقلها.

(٢) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة وأمه جمعة بنت الأشيم الخزاعية. شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر ولد في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ٤٠هـ، =

نُسْمِعَك غناء هذا، فإنَّه مُجيدٌ؟ قال: افعلوا؛ فَدَعوا به فسألوه أن يُغَنِّيَهم:

صـــوت

هــلاَّ ســألْــتَ مــعــالِــمَ الأَطــلالِ[١] بِــالــجَــزعِ مِــن حُــرُضٍ[٢] وهُــنَّ بَــوالِ
سَــقــيــاً لِــعَــزَّةَ خُــلَّــتــي سَــقــيــاً لَــهــا إذ نَــحــنُ بِــالــهَــضَــبــاتِ مِــن أَمــلالِ[٣]
إذ لا تُــكَــلِّــمُــنــا وَكــانَ كَــلامُــهــا نَــفــلاً[٤] نُــؤَمِّــلُــهُ مِــنَ الأَنــفــالِ

[الكامل]

فغنَّاه، فَطُرِبَ كُثَيِّراً وارتاح، وطُرِبَ القومُ جميعاً، واستحسنوا قولَ كُثَيِّر، وقالوا له: يا أبا صَخر ما يستطيع أحدٌ أن يقول مثل هذا؛ فقال: بلى، الحارث بن خالد حيث يقول:

صـــوت

إنِّــي ومــا نَــحَــروا غَــداةَ مِــنًــى عــنــدَ الــجِــمــارِ تَــؤودُهــا الــعُــقْــلُ
لَــوْ بُــدِّلَــتْ أعــلــى مَــســاكِــنــهــا سُــفــلاً، وأصْــبَــحَ سِــفــلُــهــا يَــعــلــو
لَــعَــرَفــتُ مَــغــنَــاهــا بــمــا احــتَــمَــلَــتْ مــنِّــي الــضّــلــوعُ لأهــلِــهــا قَــبــلُ

[مرفل الكامل]

= وتوفي والده وهو صغير السن وكان منذ صغره سليط اللسان وكفله عمه بعد موت أبيه وكلفه رعي قطيع له من الإبل حتى يحميه من طيشه وملازمته سفهاء المدينة. واشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي: عزة بنت حُميل بن حفص من بني حاجب بن غفار كنانية النسب كناها كثير في شعره بأم عمرو ويسميها تارة الضميريّة وابنة الضمري نسبة إلى بني ضمرة. وسافر إلى مصر حيث دار عزة بعد زواجها وفيها صديقه عبد العزيز بن مروان الذي وجد عنده المكانة ويسر العيش. وتوفي في الحجاز سنة ١٠٥هـ هو وعكرمة مولى ابن عباس في نفس اليوم فقيل: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس.

(١) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي:

إربَــع فَــحَــيَّ مَــعــارِفَ الأَطــلالِ

(٢) حرض: وادٍ عند أحد.

(٣) أملال: موضع على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة.

(٤) النَّفَلُ: الغُنْمُ، والجمعُ: الأَنْفال. ونفّلْت فُلاناً: أعطيته نَفَلاً وغُنْما. والإمامُ ينفِّلُ الجُنْد، إذا جعل لهم ما غَنِموا. والنّافِلةُ: العطيّة يُعطيها تَطوُّعاً بعد الفريضة من صَدَقةٍ أو صلاحٍ أو عَمَلِ خيرٍ.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في أبيات كُثَيِّر الأُول التي أوّلها:

هـلاَّ سـألْـتَ مـعـالِـمَ الأَطـلالِ

لابن سُرَيج منها في الثاني والثالث رَملٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في الأوّل والثاني ثقيلٌ أَوَّلُ مطلق في مجرى البنصر عنه. وفيهما لِعَلُّوَيهْ رَمل بالوسطى عن عمرو. وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصليّ رَمل بالسبَّابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق أيضاً.

[تمثل أشعب بشعره في علو الزبيرين على العلويين]

أخبرني عمي قال حدَّثنا الكِرانيّ قال حدَّثنا الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن الهَيثم بن عَدِيّ قال: دَخَلَ أَشعَبُ مَسجِدَ النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فَجَعَلَ يطوف الحِلقَ[1]، فقيل له: ما تريد؟ فقال: أستَفْتي في مسألة؛ فبينما هو كذلك إذ مرَّ بِرَجُلٍ من ولد الزُّبير وهو مُسْنَدٌ إلى سارية[2] وبين يديه رجلٌ عَلَويّ، فخرج أشعب مبادراً؛ فقال له الذي سأله عن دخوله وتَطْوافه: أوَجَدْتَ من أفتاك في مسألتك؟ قال: لا، ولكنِّي عَلِمْتُ ماهو خير لي منها؛ قال: وما ذاك؟ قال: وَجَدْتُ المدينةَ قد صارت كما قال الحارث بن خالد:

قَـدْ بُـدِّلَـت أعـلـى مـسـاكـنـهـا سُـفـلاً وأصـبـح سُـفْـلـهـا يـعـلـو[3]

[مرفل الكامل]

رأيْتُ رَجُلاً من ولد الزُّبير جالساً في الصدر، ورجلاً من ولد عليّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه جالساً بين يديه، فكفى هذا عَجَباً، فانصرفْتُ.

[كان مروانيًا وكل بني مخزوم زبيريّة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة، وأخبرني هذا الخبر إسماعيلُ بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثنا محمد بن يحيى أبو غسَّان، وأخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثنا [أبو] عبد اللَّه بن محمد بن حَفْص عن أبيه قال: قال محمد بن خلف أخبرني به أبو

(١) الحلق: جمع حلقة، وهي دائرة القوم وحلقتهم.

(٢) السارية: العامود.

(٣) ورد البيت في بعض المصادر على الشكل التالي:

لَـو بُـدِّلَـت مَـغـنـى ديـارِهِـم سُـفـلاً وَأَصـبَـحَ سُـفـلُـهـا يَـعـلـو

أيوب سليمان بن أيوب المدنيّ قال حدَّثنا مُصْعَبٌ الزُّبيريّ، وأخبرني به أيضاً الحرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدَّثني عمي، وقد جَمَعْتُ رواياتهم في هذا الخبر:

إنَّ بني مخزوم كُلَّهم كانوا زُبَيْرِيَّة سوى الحارث بن خالد فإنَّه كان مَرْوانيّاً.

[ذهب إلى الشام مع عبد الملك فحجبه وجفاه]

فلما ولي عبد الملك الخلافةَ عامَ الجماعة وَفَدَ عليه في دَينٍ كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين؛ وقال مَصْعَبٌ في خبرِهِ: بل حجَّ عبدُ الملكِ في تلك السنة فلما انصرفَ رَحَلَ معه الحارثُ إلى دمشق، فَظَهَرَتْ له منه جَفْوةٌ، وأقامَ بَبَابِهِ شهراً لا يَصِل إليه، فانصرف عنه وقال فيه:

صَحِبْتُكَ إذ عَيْني عليها غِشاوةٌ فلما انجلَتْ قَطَّعْتُ نفسي ألومُها
وَما بي وَإِن أَقصَيتَني مِن ضَراعَةٍ وَلا افتَقَرَت نَفسي إِلى مَن يَضيمُها
[الطويل]

هذا البيت في رواية ابن المَرزُبان وحده:

عَطِفتُ عَلَيكَ النَّفسَ حَتّى كَأَنَّما بِكَفَّيكَ بُؤسي أَو عَلَيكَ نَعيمُها
[الطويل]

وبَلَغَ عبدَ الملك خبرُهُ وأُنْشِدَ الشعرَ، فأرسل إليه مَنْ ردّه من طريقه؛ فلما دخل عليه قال له: حارِ[1]، أخبرْني عنك: هل رأيْتَ عليك في المُقام ببابي غَضاضةً أو في قصدي دَنَاءةً؟ قال: لا واللَّه يا أمير المؤمنين؛ قال: فما حملك على ما قُلْتَ وفعلت؟ قال: جفوةٌ ظَهَرَتْ لي، كُنْتُ حقيقاً بغير هذا، قال: فاختَرْ، فإن شِئْتَ أعطيتُكَ مائة ألف درهم، أو قَضَيْتُ دَيْنَكَ، أو ولَّيتُك مكة سنة، فولاَّه إياها.

[عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة]

فحجَّ بالناسِ وحَجَّت عائشةُ بنت طَلْحة عامَئِذٍ، وكان يهواها، فأرسَلَتْ إليه: أخِّر الصلاةَ حتى أفرُغَ من طَوافي، فَأَمَرَ المؤذِّنين فأخَّروا الصلاة حتى فَرَغَتْ من طوافِها، ثم أُقيمت الصلاةُ فصلَّى بالناس، وأنكر أهلُ الموسم ذلك من فعله وأعظَموه، فعزَلَهُ وكَتَبَ إليه يؤنِّبُهُ فيما فعل؛ فقال: ما أهونَ واللَّهِ غَضَبَهُ إذا رَضِيَتْ! واللَّه لو لم تفرغ من طوافِها إلى الليل لأخّرْتُ الصلاةَ إلى الليل. فلما قَضَتْ حَجَّها

(١) حار: تفخيم حارث.

أَرْسَلَ إليها: يابنة عمي ألِمِّي بنا أوعِدينا مَجْلِساً نتحدَّثُ فيه؛ فقالت: في غَدٍ أفعلُ ذلك، ثم رحلت من ليلتها؛ فقال الحارثُ فيها:

صـوت

مـا ضَـرَّكُـم لَـو قُـلـتُـمُ سَـدَداً إنَّ الـمَـطـايـا عـاجِـلٌ غَـدُهـا
وَلَـهـا عَـلَـيـنـا نِـعـمَـةٌ سَـلَـفَـت لَـسـنـا عَـلـى الأَيـامِ نَـجـحَـدُهـا
لَـو تَـمَّـمَـت أَسـبـابَ نِـعـمَـتِـهـا تَـمَّـت بِـذَلِـكَ عِـنـدَنـا يَـدُهـا

[الكامل]

لِمَعْبَد في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودَنانيرَ، وقد ذَكره إسحاق فنسبه إلى ابن محرز ثقيلاً أول في أصوات قليلة الأشباه؛ وقال عمرو بن بانة: من الناس من نسبه إلى الغريض

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صـوت

ومـا بـي وإنْ أَقـصَـيـتِـنِـي مـن ضَـراعـة ولا افـتـقَـرَتْ نـفـسـي إلـى مـن يُـهـيـنُـهـا
بَـلـى بـأبـي إنِّـي إلـيـك لـضـارعٌ فـقـيـرٌ ونـفـسـي ذاك مـنـهـا يُـزيـنُـهـا

[الطويل]

البيتُ الأوّل للحارث بن خالد، والثاني أُلْحِقَ به. والغناءُ للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن ابن المكيّ. وذكر الهشاميّ أن لحن الغريض خفيفُ ثقيلٍ في البيت الأوّل فقط، وحكى أنَّ قافيتَهُ على ما كان الحارث قاله:

ولا افْـتَـقَـرَتْ نـفـسـي إلـى مـن يَـضـيـمـهـا

وأنَّ الثقيل الأوّل لعُلَيَّة بنت المهديّ، ومن غنائها البيتُ لا مضاف. وأَخْلِقْ بأن يكون الأمرُ على ما ذكره، لأنَّ البيت الثانيَ ضَعيفٌ يُشبِهُ شِعرَها.

[تزوج مصعب بعائشة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا: حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثني أبو غسَّان محمد بن يحيى قال: لما تزوَّج مُصْعَب بن الزبير عائشةَ بنت طلحة ورَحَلَ بها إلى العراق، قال الحارث بن خالد في ذلك:

صـــوت

ظَـعَـنَ الأمـيـرُ بـأحْـسَـنِ الـخَـلْـقِ وغـدا بِـلُـبِّـكَ مَـطْـلَـعَ الـشَّـرقِ
فـي الـبـيـت ذي الـحـسـبِ الـرفـيـع ومـن أهـل الـتُّـقَـى والـبـرِّ والـصِّـدقِ
فَـظَـلِـلْـتُ كـالـمـقـهـورِ مـهـجـتـه هـذا الـجـنـونُ ولـيـس بـالـعِـشْـقِ
أُتـرجَّـةٌ عَـبِـقَ الـعـبـيـرُ بـهـا عَـبَـقَ الـدِّهـانِ بـجـانـب الـحُـقِّ
مـا صَـبَّـحَـتْ أحـداً بـرؤيـتـهـا إلا غـدا بـكـواكـب الـطَّـلْـقِ

[مرفل الكامل]

وهي أبيات، غنَّى ابن مُحرز في البيتين الأوَّلين خفيف رَملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أن فيهما لمالك ثقيلاً بالوسطى، وذكر حَبَش أن فيهما لمالك رملاً بالوسطى، وذكر حبش أيضاً أن فيهما لِلدلاَّل ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن سُرَيج ومالك رَمَلين، ولسعيد بن جابر هزَجاً بالوسطى.

[استأذن على عائشة بنت طلحة وكتب لها مع الغريض]

أخبرني محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاَّم عن ابن جُعْدُبَة قال: لما أن قَدِمَتْ عائشةُ بنتُ طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أميرٌ على مكة: إنِّي أُريد السلامَ عليك، فإذا خفَّ عليكِ أذِنتِ، وكان الرسولُ الغريضَ، فقالت له: إنَّا حُرُم، فإذا أحلَلْنا أذِنَّاك، فلما أحلَّت سَرَتْ على بَغَلاتها، ولَحِقَّها الغريضُ بِعسفان[1] أو قريب منه، ومعه كتابُ الحارث إليها:

مـا ضـرَّكـم لـو قُـلْـتُـمُ سَـدَداً

ـ الأبيات المذكورة ـ؛ فلما قَرَأتِ الكتابَ قالت: ما يَدَعُ الحارث باطله! ثم قالت للغريض: هل أحدثْتَ شيئاً؟ قال: نعم، فاسمعي، ثم اندفع يُغنِّي في هذا الشعر؛ فقالت عائشة: واللَّه ما قلنا إلا سَدداً، ولا أردنا إلا أن نشتريَ لسانَهُ؛ وأتى على الشعر كلِّه، فاستحسنته عائشة، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب، وقالت: زدني، فغنَّاها في قول الحارث بن خالد أيضاً:

زَعَـمـوا بِـأَنَّ الـبَـيـنَ بَـعـدَ غَـدٍ فـالـقَـلـبُ مِـمّـا أَحـدَثـوا يَـجِـفُ

(١) عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة.

والـعَـيـنُ مُـنـذ أُجِـدَّ بَـيـنُـهـمُ مِـثـلَ الـجُـمـانِ دُمـوعُـهـا تَـكِـفُ
وَمَـقـالُـهـا وَدُمـوعُـهـا سُـجُـمٌ أَقـلِـل حَـنـيـنَـكَ حـيـنَ تَـنـصَـرِفُ
تَـشـكـو وَنَـشـكـو مـا أَشَـتَّ[1] بِـنـا كُـلٌّ بِـوَشـكِ الـبَـيـنِ[2] مُـعـتَـرِفُ

[الكامل]

ـ إيقاع هذا الصوت ثقيلٌ أوَّلُ مُطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ، ولم يذكر له حمَّادٌ طريقاً ـ قال: فقالت له عائشةُ: يا غريض، بحقي عليك أهو أمَرَكَ أن تغنِّيَني في هذا الشعر؟ فقال: لا، وحياتِكَ يا سيدتي! فأمَرَتْ له بخمسة آلاف درهم.

[غناها الغريض بشعر ابن أبي ربيعة]

ثم قالت له: غَنِّني في شعرِ غيره؛ فغناها قولَ عمر فيها:

صـوت

أَجْـمَـعَـتْ[3] خُـلّـتـي مـع الـفـجـر بَـيـنـا جَـلَّـل[4] الـلَّـهُ ذلـك الـوجـهَ زَيـنـا
أَجَـمَـعَـتْ بـيـنَـهـا ولـم نَـكُ مـنـهـا لَـذّةَ الـعـيـشِ والـشـبـابِ قَـضَـيْـنـا
فـتـولَّـت حُـمُـولُـهـا واسـتـقـلَّـت لـم نَـنَـلْ طـائِـلاً ولـم نُـقْـضَ دَيْـنـا
ولـقـد قُـلْـتُ يـومَ مـكّـة لـمَّـا أَرْسَـلَـتْ تَـقْـرأ الـسـلامَ عـلـيـنـا
أنـعـم الـلَّـهُ بـالـرسـول الـذي أُر سِـلَ والـمُـرسِـلِ الـرسـالـةَ عَـيْـنـا

[الخفيف]

ـ الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وغيرُهُ يَنْسِبُهُ إلى ابن سريج. وفيه لمعبدٍ خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو، وأظنه هذا اللحن ـ قال: فَضَحِكَتْ ثم قالت: وأنت يا غريض فأنعم اللَّهُ بك عيناً، وبابن أبي ربيعة عيناً، لقد تَلطَّفْتَ حتى أدَّيت إلينا رسالته، وإنَّ وفاءك له لممَّا يزيدُنا رغبةً فيك وثقةً بك. وقد كان عمر سألَ أن يغنِّيَها هذا الصوت لأنه قد كان تَرْكَ ذِكْرَها لمَّا غضبت بنو تَيْم من ذلك، فلم يحبّ التَّصريحَ بها وكَرِهَ

(١) أشت: فرّق أمرنا.
(٢) البين: البَيْنُ: الفراق. تقول منه: بانَ يَبينُ بَيْناً وبَيْنونَةً. والبَيْنُ: الوصلُ وهو من الأضداد. والمقصود هو المعنى الأول.
(٣) أجمعت بيننا: يقال أَجْمَعْتُ الأمرَ وعلى الأمرِ، إذا عزمتَ عليه.
(٤) وجَلَّلَ الشيءَ تَجْليلاً، أي عَمَّ. والمُجَلِّلُ: السحابُ الذي يُجَلِّلُ الأرضَ بالمطر، أي يَعُمُّ.

إغفالَ ذكرها؛ وقال له عمر: إن أَبْلغتها هذه الأبيات في غناء فَلَكَ خمسةُ آلاف درهم، فَوَفى له بذلك، وأمَرَتْ له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى.

[غنّى الغريض عاتكة بنت يزيد]

ثم انصرف الغريضُ من عندها فَلَقِيَ عاتِكَةَ بنت يزيد بن معاوية امرأةَ عبد الملك بن مروان، وكانت قد حجَّتْ في تلك السنة، فقال لها جَواريها: هذا الغريضُ؛ فقالت لَهُنَّ: عليَّ به، فَجِيءَ به إليها. قال الغريض: فما دَخَلْتُ سلَّمتُ فردَّت عليَّ وسألتني عن الخبر، فَقَصَصْتُه عليها؛ فقالت: غنِّني بما غنَّيْتَها به، فَفَعَلْتُ فلم أرها تَهِشّ لذلك، فغنَّيتُها مُعرِّضاً لها ومُذَكِّراً بنفسي في شعر مرَّة بن مَحكان السَّعْديّ يُخاطِبُ امرأَتَهُ وقد نَزَلَ به أضيافٌ:

أقولُ والضَّيفُ مَخْشِيٌّ ذِمامَتُهُ[1] على الكريم وحقُّ الضَّيفِ قد وَجبا

[البسيط]

صوت

يا رَبَّةَ البيت قومي غيرَ صاغِرةٍ ضُمِّي إليك رِحال القوم والقِرَبا
في ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أندِيَةٍ لا يُبْصِرُ الكلبُ من ظَلْمائِها الطُّنُبا
لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتى يَلُفَّ على خَيْشومه الذَّنَبا

[البسيط]

ـ الشعر لِمُرَّة بن محكان السَّعْديّ، والغناءُ لابن سريج. ذَكَرَ يونس أنَّ فيه ثلاثةَ ألحان، فَوَجَدْتُ منها واحداً في كتاب عمرو بن بانة رَملاً بالوسطى، والآخرَ في كتاب الهِشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى، والآخر ثانيَ ثقيلٍ في كتاب أحمد بن المكيّ ـ قال: فقالت وهي متبسِّمة: وقد وَجَبَ حقُّك يا غريض، فغنِّني؛ فغنَّيتُها:

صوت

يا دَهْرُ قد أكثَرْتَ فَجْعتَنا بسَراتنا وَوَقَرْتَ[2] في العَظْمِ

(١) ذمة وذمام ومذمة: عهد يلزم الذم مضيعه. وهو في ذمتي وذمامي. وأذهب مذمتهم بشيء أي أعطهم ما تقضى به حق ذمامهم.

(٢) الوَقير والوَقِيرَةُ: النُّقْرَةُ العظيمة في الصخرة تُمْسِكُ الماء، وفي التهذيب: النقرة في الصخرة العظيمة تمسك الماء، وفي الصحاح: نقرة في الجبل عظيمة. وهي هنا بمعنى صدعه.

وسَـلَـبْـتَـنـا مـا لَـسْـتَ مُـخـلِـفَـهُ يـا دهـرُ مـا أَنْـصَـفْـتَ فـي الـحُـكـمِ
لـــو كـــان لـــي قِـــرنٌ أُنـــاضِـــلـــه مـا طـاش عـنـد حَـفِـيـظـةٍ سَـهْـمـي
لـو كـان يُـعـطـي الـنِّـصْـفَ[1] قُـلْـتُ لـه أحـرَزْتَ سـهـمـك فَـالْـهُ عـن سَـهْـمـي[2]

[الكامل]

فقالت: نُعطيك النِّصفَ ولا نُضَيعُ سهمك عندنا، ونُجْزِلُ لك قِسمك، وأمَرت لي بخمسة آلاف درهم وثيابٍ عَدَنيَّةٍ وغير ذلك من الألطاف، وأتيْتُ الحارثَ بن خالد فأخبرته الخبرَ وقَصَصْتُ عَليه القِصَّة؛ فأمر لي بِمثلِ ما أمَرَتا لي به جميعاً، فأتَيْتُ ابنَ أبي ربيعة وأعلمتُهُ بما جرى، فأمرَ لي بمثل ذلك، فما انصرف واحد من ذلك الموْسم بمثل ماانصرفْتُ به: بنظرة من عائشة ونظرةٍ من عاتكة وهما من أجمل نساء عالمهما، وبما أمرتا لي به، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكة، وابن أبي ربيعة، وما أجازاني به جميعاً من المال.

[لما حجت عائشة بنت طلحة فاستأذنها]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدَّثنا أبو الحسن المَرْوَزيّ قال حدَّثنا محمد بن سلاَّم عن يونس قال: لما حجَّتْ عائشةُ بنتُ طَلْحَة أرسل إليها الحارثُ بن خالد وهو أمير مكة: أنعم اللَّهُ بكِ عيناً وحيَّاكِ، وقد أرَدْتُ زيارتَكِ فَكَرِهْتُ ذلك إلا عن أمرك، فإن أذِنتِ فيها فَعَلْتُ؛ فقالت لِمَولاَة لها جَزْلةٍ[3]: وما أَرُدُّ على هذا السفيه؟ فقالت لها: أنا أَكفيكِ، فَخَرَجَتْ إلى الرسول وقالت له: اقرأ عليه السلامَ، وقل له: وأنت أنعم عليك بِكَ عيناً وحيَّاك، نَقضي نُسُكَنا ثم يأتيك رسولُنا إن شاء اللَّه، ثم قالت لها: قُومي فطوفي واسعي واقضي عُمرتَكِ واخرجي في الليل، فَفَعَلَتْ؛ وأصبح الحارثُ فسألَ عنها فأُخبِر خبرَها، فوَّجَهَ إليها رسولاً بهذه الأبيات، فوجَدَها قد خَرَجَتْ عن عمل مكة، فأوصل الكتاب إليها، فقالت لمولاتها: خُذِيه فإني أظنه بعضَ سفاهاته، فأخذْته وقرأته وقالت له: ما قُلنا إلا سَدَداً[4] وأنت فارغ للبَطَالة[5]، ونحن عن فَراغك في شغل.

---

(١) النصف: اسم بمعنى الانتصاف.

(٢) السهم: النصيب والحظ. والسهم: ما يرمى به واحد النبل.

(٣) الجزلة: العاقلة الأصيلة الرأي.

(٤) التَّسْديدُ: التوفيقُ للسداد، وهو الصوابُ والقصدُ من القول والعمل. ورجلٌ مُسَدَّدٌ، إذا كان يعمل بالسداد والقصد. والمُسَدَّدُ: المُقَوَّمُ.

(٥) الباطِلُ: ضدّ الحق وهو اللَّهو، والجمع أَباطيلُ على غير قياس، كأنهم جمعوا إبْطيلاً. وقد بَطَلَ الشيءُ يَبْطُلُ بُطْلاً وَبُطولاً وبُطْلاناً، وأَبْطَلَهُ غيره. ويقال: ذهب دمه بُطْلاً، أي هَدراً.

[سألت عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعراً]

أخبرني أحمد بن عبيد اللَّه بن عمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وحبيب ابن نصر المهلَّبيّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قالوا حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: زعم كُلْثُوم بن أبي بكر بن عمر بن الضَّحَّاك بن قيس الفِهْريّ قال: قَدِمَ المدينةَ قادِمٌ من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة، فقالت له: من أين أقبل الرجل؟ قال: من مكة، فقالت: فما فعل الأعرابيّ؟ فلم يَفْهَمْ ما أرادت، فلما عاد إلى مكة دخل على الحارث، فقال له: من أين؟ قال: من المدينة، قال: فهل دَخَلْتَ على عائشة بنت طلحة؟ قال: نعم، قال: فَعَمَّاذا سألتْك؟ قال: قالت لي: ما فعل الأعرابيّ؟ قال له الحارث: فَعُدْ إليها ولك هذه الراحلةُ والحلة ونفقتك لطريقك وادفع إليها هذه الرقعة، وكتب إليها فيها:

صـــوت

مَـنْ كـان يَـسْـأَلُ عـنـا أيـن مَـنْـزِلُـنـا ... فـالأُقُـحُـوانَـةُ مـنـا مَـنْـزِلٌ قَـمَـنُ
إذْ نَـلْـبِـسُ الـعـيـشَ صـفـواً مـا يـكـدِّرُهُ ... طَـعْـنُ الـوُشـاة ولايـنـبـو بـنـا الـزمـنُ

[البسيط]

قال إسحاق: وزادني غيرُ كلثوم فيها:

لَـيْـتَ الـهـوى لـم يـقـرّبـنـي إلـيـكِ ولـم ... أعـرِفـك إذ كـان حـظِّـي مـنـكُـم الـحَـزَنُ

[البسيط]

غنَّى في هذه الأبيات ابن مُحرِز خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصرِ عن إسحاق، وذكر يونس أن فيها لحناً ولم يُجنِّسه، وذكر عمرو أن فيه لبابُوَيه ثانيَ ثقيل بالبنصر.

[غَضِبَ على الغريض]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن محمد بن سلاَّم، قال: لما وَلَّى عبدُ الملك بن مروان الحارثَ بن خالد المخزوميّ مكةَ بَعَثَ إلى الغريض فقال له: لا أَرَينَّكَ في عملي[1]، وكان قبل ذلك يطلبه ويَستدعيه فلا يُجيبُهُ، فخرج الغريضُ إلى ناحية الطائف، وبَلَغَ ذلك الحارث فرقَّ له فردَّه وقال له: لِمَ كنت تُبغِضنا وتهجر

(١) عملي: البلد الذي تحت حكمي.

شِعرَنا ولا تَقْرَبُنا؟ قال له الغريض: كانت هفوةً من هفوات النفس، وخطرةً من خَطَرات الشيطان، ومثلُكَ وَهَبَ الذنبَ، وصَفَحَ عن الجُرْم، وأقال العَثْرةَ، وغَفَرَ الزلَّة، ولَسْتُ بعائدٍ إلى ذلك أبداً؛ قال: وهل غَنَّيْتَ في شيء من شعري؟ قال: نعم، قد غنَّيْتُ في ثلاثة أصوات من شعرك، قال: هات ما غنَّيْتَ، فغنَّيْتُ:

صـــوت

بـانَ الـخـلـيـطُ فـمـا عـاجـوا ولاعَـدَلـوا ... إذ ودّعـوك وحـنَّـت بـالـنَّـوى الإبـلُ

كـأن فـيـهـم غـداةَ الـبـيـن إذ رَحَـلـوا ... أدْماءَ[١] طاعَ[٢] لها الحَوْذانُ[٣] والنَّفَلُ[٤]

[البسيط]

ـ الغِناءُ للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش؛ قال حَبَش: وفيه لابن سُرَيج خفيفُ رَمل بالبنصر، ولإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر ـ فقال له: أحسنْتَ واللَّه يا غريض، هات ماغنَّيت أيضاً من شعري، فغنَّاه في قوله:

صـــوت

يـا لَـيـتَ شِـعـري وَكَـم مِـن مُـنـيـةٍ قُـدِرَت ... وِفـقـاً وَأُخـرى أَتـى مِـن دونِـهـا الـقَـدَرُ

وَمُـضـمَـرِ الـكَـشـحِ يَـطـويـهِ الـضَـجـيـعُ لَـهُ ... طَـيَّ الـحِـمـالَـةِ[٥] لا جـافٍ وَلا فَـقِـرُ[٦]

لَـهُ شَـبـيـهـانِ لا نَـقـصٌ يَـعـيـبُـهُـمـا ... بِـحَـيـثُ كـانـا وَلا طُـولٌ وَلا قِـصَـرُ

[البسيط]

ـ لم أعْرِف لهذا الشعر لحناً في شيءٍ مِنَ الكُتُبِ ولاسمعتُهُ ـ فقال له

---

(١) الأدماء: الظبية البيضاء يعلوها جُدَدٌ فيها غبرة. وقيل الناصعة البياض، وقيل: هي التي لونها كلون الجبال.

(٢) طاع له المرتع: أي اتسع وامكنه رعيه متى شاء.

(٣) الحوْذانُ: نبات مثل الهِنْدِبا ينبت مسطحاً في جَلَد الأَرض وليانها لازقاً بها، وقلما ينبت في السهل، ولها زهرة صفراء. وفي حديث قس عمير حَوْذان: الحوذان نبت له ورق وقصب ونَور أَصفر. وقال في ترجمة هوذ: والهاذة شجرة لها أَغصان سَبْطَةٌ لا ورق لها، وجمعها الهاذ؛ قال الأَزهري: روى هذا النضر والمحفوظ في باب الأَشجار الحاذ. وحَوْذان وأَبو حَوْذان: أَسماء رجال.

(٤) النَّفَلُ: ضَرْبٌ من النَّبَاتِ من دِقِّ الشَّجَرِ، وهي النَّفَلَةُ أيضاً.

(٥) الحمالة: علاقة السيف.

(٦) الفَقارُ منضد بعضه ببعض من لدن العجب إلى قحفة الرأس. والفقر: الكسير الفقار.

الحارث: أحسنت واللَّه يا غريض، إيهِ، وماذا أيضاً؟ فغنَّاه قوله:

عَـفَـت الـدِّيـارُ فَـمـا بِـهـا أَهـلُ حِـزَّانُـهـا[1] وَدِمـاثُـهـا[2] الـسَّـهـلُ

إِنّـي وَمـا نَـحَـروا غَـداةَ مِـنًـى عِـنـدَ الـجِـمـارِ يَـؤُودُهـا الـعُـقـلُ

[الكامل]

ـ الأبيات المذكورة وقد مضت نسبتها معها ـ فقال له الحارث: يا غريضُ لا لومَ في حبِّكَ، ولا عُذر في هجرِك، ولا لذَّة لمن يروِّح قلبه بك، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظٌّ إلا أنت لكان حظّاً كافياً وافياً، يا غريض إنَّما الدنيا زينة، فأزْيَنُ الزينة ما فرَّحَ النفسَ، ولقد فَهِمَ قَدْرَ الدنيا على حقيقته من فَهِمَ قَدْرَ الغناء.

[أُنْشِدَتْ سكينة بنت الحسين بيتاً من شعره فنقدته]

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير عن مُصْعَب الزُّبيريّ قال:

أُنْشِدَتْ سُكَيْنَةُ بنت الحسين قول الحارث بن خالد:

فَـفَـرَغْـن مـن سَـبْـع وقـد جُـهِـدَت أحـشـاؤهـن مـوائِـلَ الـخُـمْـرِ

[الكامل]

فقالت: أَحَسَنٌ عندكم ما قال؟ قالوا: نعم، وما حُسْنُهُ! فواللَّه لو طافَتِ الإبلُ سَبْعاً لجُهِدت أحشاؤها.

[قيل له ما يمنعك من عائشة وقد مات زوجها فأجاب]

أخبرني الحسين عن حمَّاد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال: لما مات عمر بن عبد اللَّه التَّيْميّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصْعَب بن الزبير قيل للحارث بن خالد: ما يمنعك الآن منها؟ قال: لا يتحدَّثُ واللَّه رجالٌ من قريش أنَّ نَسيبي بها كان لشيء من الباطل.

[تنازع هو و أبان بن عثمان ولاية الحج فغلبه أبان]

أخبرنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدَّثني عمي عبيد اللَّه عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: لما خَرَجَ ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان شُغِلَ عن أن يولِّيَ على الحَجّ رجُلاً، وكان الحارثُ بن خالد عامِلَهُ على مكة، فخرج

(١) الحَزِيْزُ: مَوضِعٌ من الأرض كَثُرتْ حِجارتُه وغَلُظَتْ كأنَّها سكاكينُ، ويجمعُ على حِزّان.

(٢) الدَّماثةُ: اللِّينُ، والدَّمْثُ المكان السَّهْلُ. والدَّميث: السَّهْل الخُلُق، وقد دَمِثَ دَمَثاً، والاسْمُ الدَّماثة.

إبانُ بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكة لِيَحُجَّ بالناس؛ فنازَعَهُ الحارثُ وقال له: لم يأتِني كتابُ أمير المؤمنين بِتَوْلِيتك على المَوْسِم، وتغالَبا فَغَلَبَهُ أبانُ بن عثمان بنسبِه، ومال إليه الناسُ فحجَّ بهم؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك:

فَإِن تَنجُ مِنها يا أَبانُ مُسَلَّماً ... فَقَد أَفلَتَ الحَجّاجَ خَيلُ شَبيبِ
وَكادَ غَداةَ الدَّبرِ[1] يُنفِذُ حِضنَهُ ... غُلامٌ بِطَعنِ القِرنِ جِدُّ طَبيبِ
وَأَنسَوهُ وَصفَ الدَّيرِ لَمّا رَآهُمُ ... وَحَسَّنَ خَوفُ المَوتِ كُلَّ مَعيبِ

[الطويل]

فَلَقِيَهُ الحجَّاجُ بعد ذلك، فقال: ما لي ولك يا حارث! أيُنازِعُكَ أبانُ عملاً فتذكرني! فقال له: ما اعتمدْتُ مساءَتك ولكن بلغني أنك أنت كاتبتهُ، قال: واللَّه ما فعلت، فقال له الحارث: المَعْذِرة إلى اللَّه وإليك أبا محمد.

[قال هشام حين سمع شيئاً من شعره هذا كلام معاين]

نَسَخْتُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات: حدَّثني عمرو بن سلم قال حدَّثني هارون بن موسى الفَرْوِيّ قال حدَّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدَّثني مؤدِّب لبني هشام بن عبد الملك قال:

بَينا أنا أُلقِي على ولد هشامٍ شعرَ قريشٍ إذ أنشدتهُم شعرَ الحارث بن خالد:

إنَّ ٱمرأً تَعتادُهُ ذِكَرٌ ... مِنها ثَلاثُ مِنًى لَذو صَبرِ

[الكامل]

وهشامٌ مُصْغٍ إليَّ حتى ألقَيْتُ عليهم قوله:

فَفَرَغنَ مِن سَبْعٍ وقد جُهِدَتْ ... أحشاؤهُن موائلَ الخُمْرِ

[الكامل]

فانصرف وهو يقول: هذا كلامُ مُعاينٍ.

[قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة فقال شعراً]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أبو عبد اللَّه السَّدُوسِيّ قال وحدَّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال أخبرنا أبو عُبيدة قال: قَدِمَتْ عائشةُ بنت طلحة مكةَ تريد العُمرة، فلم يزل الحارث يدور حولها وينظرُ إليها ولا يُمْكِنُهُ كلامُها حتى

(١) هو دير الجماجم، وفيه كانت الواقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن الأشعث.

خَرَجَتْ، فأنشأ يقول ـ وذكر في هذه الأبيات بُسرةَ حاضِنَتَها وكنى عنها ـ :

صـــوت

يـــا دارُ أَقْـــقَـــرَ رســـمُـــهـــا بـيـن الـمُـحَـصَّـبِ[١] والـحَـجـونِ[٢]
أَقْـــوَتْ وغـــيَّـــر آيـــهـــا مَـــرُّ الـــحـــوادث والـسِّـــنـــيـــنِ
واســتــبــدلــوا ظَـلْـفَ[٣] الـحـجـا ز وسُـــرَّةَ[٤] الـــبـــلـــد الأمـــيـــنِ
يـــا بُـــســـر إنِّـــي فـــاعـــلـــمـــي بـــالـــلَّـــه مُـجْـتَـهِـداً يَـمـيـنـي
مـــا إن صَـــرَمْـــتُ حـــبـــالـــكـــم فَـصِـلـي حـبـالـي أو ذَرِيـنـي

[مجزوء الكامل]

في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ، قال: وفيها لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل، وذكر أحمد بن المكيّ أنَّ فيها لابن سريج رملاً بالبنصر؛ وفيها لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حَبَش.

[شبب بزوجته أم عبد الملك]

أخبرني الطُّوسيّ والحرَميّ بن أبي العلاء قالا حدَّثنا الزُّبيرُ بن بكَّار قال حدَّثني مُصْعَب بن عثمان بن مُصعب بن عُروة بن الزُّبير، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المَرزُبان عن أحمد بن زُهَير عن مُصْعَب الزُّبيريّ قال: كانت أمُّ عبد الملك بنت عبد اللَّه بن خالد بن أسِيد عند الحارث بن خالد، فَوَلَدَتْ منه فاطمةَ بنت الحارث، وكانت قَبْلَه عند عبد اللَّه بن مُطيع، فولدت منه عِمرانَ ومحمداً، فقال فيها الحارث وكنَّاها بابنها عمران:

يـا أُمَّ عِـمـرانَ مـا زالَـت وَمـا بَـرِحَـت بيَ الـصَّـبـابَـةُ حَـتّـى شَـفَّـنـي[٥] الـشَّـفَـقُ[٦]

(١) المُحَصَّبُ: مَوْضِعُ رَمْيِ الجِمَارِ بِمِنًى.
(٢) الحَجُوْنُ: مَوْضِعٌ بمَكَّةَ، سُمِّيَتْ بذلك لأنَّ الطَّريقَ انْحَجَنَ منه إلى مِنى. وحَيْجُوْنُ وحَيْجَانُ: نَهرانِ بالشّام.
(٣) الظلف: ما لان من الأرض، وقيل: ما صلب وغلظ منها.
(٤) سرّة البلد: الوقبة في وسط البطن، وهو وسط كل شيء.
(٥) شفني: هَزَلني.
(٦) الشَّفَقُ: الرَّديءُ من الأشياء، وأشْفَقْتُ العَطاءَ، وشَفَّقْتُ الثَّوْبَ: رَقَّقْته. وهو الخَوْفُ أيضاً، أنا مُشْفِقٌ عليك: أي خائف.

أَلقَلْبُ تاقَ إِلَيكُم كي يُلاقيَكُم[١] كَما يَتوقُ إِلى مَنجاتِهِ الغَرِقُ
تُنيلُ نَزراً قَليلاً وَهيَ مُشفِقَةٌ كَما يَخافُ مَسيسَ الحَيَّةِ الفَرِقُ[٢]
[البسيط]

قال مصعب بن عثمان: فأنشَد رجل يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبد اللَّه بن مُطِيع هذا الشعرّ، ثم فَطِنَ فأمسك؛ فقال له: لاعليك، فإنَّها كانت زوجتَهُ. وقال ابنُ المرزُبان في خبره: فقال لَهُ: امضِ رَحِمَكَ اللَّهُ وما بأس بذلك، رجلٌ تزوَّج بنت عمه وكان كُفئاً كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ، فكان ماذا!

[شبب بأم بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة وحادثها]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدَّثني أحمد بن عبد الرحمن التَّميمي عن أبي شُعَيْب الأسديّ عن القَحْذَميّ قال: بينا الحارث بن خالد واقف على جَمرة العَقَبة إذ رأى أمَّ بكر وهي تَرْمِي الجَمرةَ فرأى أحسنَ الناس وجهاً، وكان في خدِّها خالٌ ظاهِرٌ، فسأل عنها فأُخْبِرَ باسمها حتى عَرَفَ رَحْلَها، ثم أرسل إليها يسألُها أنْ تأذنَ له في الحديث، فَأَذِنَتْ له، فكان يأتيها يتحدَّثُ إليها حتى انقضت أيام الحجّ، فأرادت الخروجَ إلى بلدها، فقال فيها:

أَلا قُل لِذاتِ الخالِ يا صاحِ في الخَدِّ تَدومُ إِذا بانَت عَلى أَحسَنِ العَهدِ
وَمِنها عَلاماتٌ بِمَجرى وِشاحِها وَأُخرى تَزينُ الجيدَ مِن مَوضِعِ العِقدِ
وَتَرعى مِنَ الوُدِّ الَّذي كانَ بَينَنا فَما يَستَوي راعي الأَمانَةِ والمُبدي
وَقُل قَد وَعَدتِ اليوم وَعداً فَأَنجِزي وَلا تُخلِفي لا خَيرَ في مُخلِفِ الوَعدِ
وَجودي عَليَّ اليومَ مِنكِ بِنائِلٍ وَلا تَبخَلي قُدِّمتُ قَبلَكِ في اللَّحدِ
فَمَن ذا الَّذي يُبدي السُّرورَ إِذا دَنَت بِكِ الدارُ أَو يُعنى بِنأيكُمُ بَعدي
دُنُوُّكُمُ مِنّا رَخاءٌ نَنالُهُ وَنأَيُكُمُ والبُعدُ جَهدٌ عَلى جَهدِ
كثير إذا تدنو اغتباطي بك النوى ووجدي إذا ما بِنْتُمُ ليس كالوجدِ

(١) ورد الصدر في بعض المصارد على الشكل التالي:
يَتوقُ قَلبي إِلَيكُم كي يُلاقيَكُم
(٢) رجل فَروقةٌ وامرأة فَروقةٌ، وقد فَرِقَ فَرَقاً فهو فَرِقٌ من الخوف.

أقول ودمعي فوق خدِّي مُخضِّل[١] ... له وَشَلٌ[٢] قد بَلَّ تَهْتَانُهُ[٣] خدِّي
لقد منح اللَّهُ البخيلةَ وُدَّنا ... وما مُنِحَت ودّي بدعوى ولا قَصْدِ
[الطويل]

[شبب بليلى بنت أبي مرة لما رآها بالكعبة]

أخبرني محمد بن خلف قال وحُدّثت عن المدائنيّ ولست أحفظ من حدَّثني به قال: طافَتْ ليلى بنت أبي مرَّة بن عُرْوة بن مسعود وأمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها:

أَطافَت بِنا شَمسُ النَّهارِ وَمَن رأَى ... مِنَ الناسِ شَمساً بِالعِشاءِ تَطوفُ
أبو أُمّها أوفى قريشٍ بِذِمَّةٍ ... وأعمامُها إمَّا سألْتَ ثَقيفُ
[الطويل]

وفيها يقول:

أَمِن طَلَلٍ بِالجِزعِ مِن مَكَّةَ السِّدرِ ... عَفا بَينَ أَكنافِ المُشَقَّرِ[٤] فالحَضرِ[٥]
ظَلِلتُ وَظَلَّ القَومُ مِن غَيرِ حاجَةٍ ... لَدُن غُدوَةٍ[٦] حَتّى دَنَت حَزَّةُ[٧] العَصرِ
يُبَكُّونَ مِن لَيلى عُهوداً قَديمةً ... وَماذا يُبَكّي القَومُ مِن مَنزِلٍ قَفرِ
[الطويل]

الغناءُ في هذه الأبيات لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخِنصر والبنصر عن يحيى المكيّ، وذكر غيرُهُ أنه للغريض. وفي ليلى هذه يقول ـ أنشدنَاه وكيعٌ عن عبد اللَّه بن شَبيب عن إبراهيم بن المُنْذِر الحِزاميّ للحارث بن خالد، وفي بعض الأبيات غناءٌ ـ :

---

(١) خضل الشيء: ندي حتى ترشرش نداه، فهو خضل، واخضل فهو مخضل، وأخضله وخضّله: ندّاه. وأخضلتنا السماء. واخضلّت لحيته بالدموع.
(٢) الوَشَلُ بالتحريك: الماء القليل. وفي المثل: «وهل بالرَمل أَوْشالٌ». ووَشَلَ الماءُ وَشَلاناً، أي قَطَرَ. وجبلٌ واشِلٌ: يقطر منه الماء. وجاء القومُ أَوْشالاً، أي يتبع بعضهم بعضاً. والوُشولُ: قلّةُ الغناءِ والضعف. وفلان واشِلُ الحظّ، أي ناقصه. وناقةٌ وَشولٌ: كثيرة اللبن. والمقصود هنا الكثير.
(٣) هتلت السماء وهتنت. وجاءهم تهتان من المطر وهو تتابع القطر.
(٤) المشقر: سوق الطائف.
(٥) الحضر موضع بين مكة والمدينة.
(٦) لدن من الظروف التي تجر ما بعدها، وقد سمع نصب غدوة بعدها وهو نادر.
(٧) الحزَّة: الساعة والحين.

صـوت

لَقَدْ أَرْسَلَتْ في السرّ ليلى تلومني ... وتزعُمني ذا مَلَّةٍ طَرِفاً[١] جَلْدا
وَقَد أخلفتنا كلَّ ما وَعَدَتْ به ... ووالـلَّه ماأخلفْتُها عامداً وعدا
فَقُلْتُ مُجيباً للرسول الذي أتى ... تُراه، لكَ الوَيلاتُ، من قولِها جِدّا؟
إذا جئتَها فأقرَ السلامَ وقُلْ لها ... دَعِي الجَوْرَ ليلى واسلكي مَنْهَجاً قَصْدا
أفي مُكْثِنا عنكم ليالٍ مَرِضتُها ... تَزِيدِيننني ليلى على مَرضي جَهدا
تَعُدِّين ذنباً واحداً ما جنيتُهُ ... عليَّ وما أُحصِي ذنوبَكُمُ عَدّا
فإن شئتِ حرّمتُ النساء سِواكمُ ... وإن شئتِ لم أطعَمْ نُقاخاً[٢] ولا بَرْدا
فإنْ شئْتِ غُرنا[٣] بعدكم ثم لم نزل ... بمكةَ حتى تَجلِسي[٤] قابلاً نجدا

[الطويل]

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى. وذكر ابنُ المكيّ أن فيه لدَحمانَ ثانيَ ثقيل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيرُهُ. وفيه ثقيلٌ أوَّلُ للأبجر عن يونس والهشاميّ. وفيه لابن سُرَيج رَمَل بالبنصر. ولِعَرار خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ وحَبَش.

[غلبه أبان بن عثمان على الصلاة]

أخبرني محمد بن خَلَفَ قال أخبرني محمد بن الحارث الخَرَّاز قال حدَّثنا أبو الحسن المدائنيّ قال: كان الحارثُ بن خالد والياً على مكة، وكان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب الخليفة أن يُصَلِّيَ بالناس ويُقيمَ لهم حَجَّهم، فتأخَّرَ عنه في سنة الحرب كتابُهُ ولم يأتِ الحارث كتابٌ، فلما حضر المَوسِمُ شَخَصَ أبان من المدينة، فصلَّى بالناس وعاونَتْه بنو أمية ومَواليهم فَغَلَبَ الحارثَ على الصلاة، فقال:

فَإِن تَنجُ مِنها يا أَبانُ مُسَلَّماً ... فَقَد أَفْلَتَ الحَجّاجَ خَيلُ شَبيبِ

[الطويل]

فبلغ ذلك الحجَّاجَ فقال: ما لي وللحارث! أيغلِبُهُ أبان بنُ عثمان على الصلاة

(١) الطرف: ما لا يثبت على صاحب.
(٢) النَّقْخُ: نَقْفُ الرأس عن الدماغ. والنُّقاخُ: الماء البارد العذب الذي يَنْقَخُ الفؤاد لبرودته.
(٣) غار الرجل: أتى الغو ر.
(٤) جلس الرجل: أتى نجدا.

ويهتف بي أنا! ما ذكره أياي! فقال له عُبَيدُ بن مَوْهَب: أتأذَن أيها الأمير في إجابته وهِجائِهِ؟ قال: نعم؛ فقال عبيد:

أبا وابصٍ رَكِّبَ عَلاَتك[1] والتَّمِس ... مَكَاسِبَهَا إنَّ اللئيم كَسوبُ
ولا تَذْكُرِ الحجَّاج إلا بِصالِحٍ ... فَقَدْ عِشْتَ من معروفِهِ بذَنوب[2]
ولَسْتَ بوالٍ ما حيِّيتَ إمارةً ... لِمُسْتَخلفٍ إلا عليك رقيبُ

[الطويل]

[سأله عبد الملك عن أي البلاد أحب إليه فأجاب وقال شعراً]

قال المدائنيّ: وبلغني أن عبد الملك قال للحارث: أيّ البلاد أحبّ إليك؟ قال ما حَسُنتْ فيه حالي وعرُض وجهي، ثم قال:

لا كوفةٌ أُمِّي ولا بَصْرةٌ أبي ... ولَسْتُ كمن يَثنيه عن وجهه الكَسَلْ

[الطويل]

[الغناء في شعره]

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها في تشبيب الحارث بامرأته أمّ عمران:

صوت

بانَ الخَليطُ الَّذي كُنّا بِهِ نَثِقُ ... بانوا وَقَلبُكَ مَجنَونٌ بِهِم عَلِقُ
تُنيلُ نَزْراً قَليلاً وَهْيَ مُشفِقَةٌ ... كَما يَخافُ مَسيسَ الحَيَّةِ الفَرِقُ
يا أُمَّ عِمرانَ ما زالَت وَما بَرِحَت ... بيَ الصَّبابَةُ حَتّى شَفَّني الشَّفَقُ
لا أَعتَقَ اللَّهُ رِقّي مِن صَبابَتِكُم ... ما ضَرَّني أَنَّني صَبٌّ بِكُم قَلِقُ
ضَحِكْتِ عَن مُرهَفِ الأَنيابِ ذي أُشُرٍ[3] ... لا قَضَمٌ في ثَنايَاهُ وَلا رَوَقُ[4]

---

(١) علاتك: السندان، وتطلق على الناقة تشبيهاً لها بالسندان في صلابتهِ.

(٢) الذَّنوبُ: مِلءُ دَلْوٍ من ماءٍ، ويكون النَّصيبُ من كلِّ شيءٍ كذلك.

(٣) قال أبو عبيد: الوَاشِرة: المرأة التي تَشِر أسنانها؛ وذلك أنها تفلِّجُها وتُحَدِّدها حتى يكون لها أُشُر؛ والأشر تحدُّد ورقة في أطراف الأسنان، ومنه قيل: «ثغر مؤشّر»، وإنما يكون ذلك في أسنان الأحداث، تفعله المرأة الكبيرة، تتشبه بأولئك، ومنه المثل السائر: «أعييتني بأُشر، فكيف أرجوك بدرر».

(٤) الرَّوَقُ: طول الأسنان وإشراف العليا على السفلى، والنعت أَروَقُ.

يَـتـوقُ قَـلـبـي إِلَـيـكُـم كـي يُـلاقـيَـكُـم كَـمـا يَـتـوقُ إِلـى مَـنـجـاتِـهِ الـغَـرِقُ

[البسيط]

غنَّى ابنُ محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني، ولحنه من القَدْرِ الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق، وللغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو، ولسلسل في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل مطلق عن الهشاميّ، ولابن سُرَيج في الثاني والأول والرابع والخامس رمل بالخنصر في مجرى البنصر بالوسطى، ولابن مُحرِز ثاني ثقيل آخر بالبنصر. وذكر الهشاميّ أن لابن سُريج في الأبيات خفيف رمل.

وممّا يُغنّى فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً بُبسرةَ جاريتِها:

صـوت

يـا رَبـعَ بُـسـرَةَ بِـالـجَـنـابِ تَـكَـلَّـمِ وَأَبِـنْ لَـنـا خَـبَـراً وَلا تَـسـتَـعـجِـمِ

مـالـي رَأَيـتُـكَ بَـعـدَ أَهـلِـكَ مـوحِـشـاً خَـلَـقـاً كَـحَـوضِ الـبـاقـرِ[1] الـمُـتَـهَـدِّمِ

تَـسـبـي الـضَّـجـيـعَ إِذا الـنُّـجـومُ تَـغَـوَّرَت طَـوعُ الـضَّـجـيـعِ أَنـيـقَـةُ الـمُـتَـوَسِّـمِ

قُـبُّ[2] الـبُـطـونِ أَوانِـسٌ مِـثـلُ الـدُّمـى يَـخـلِـطـنَ ذاكَ بِـعـفَّـةٍ وتَـكَـرُّمِ

[الكامل]

الغناء لمعبدٍ خفيفُ رَملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. والأبياتُ أكثر من هذه إلا أني اعتمدْتُ على ما غُنِّيَ فيه.

ومنها صوتٌ قد جُمِعَتْ فيه عدَّة طرائقَ وأصوات في أبياتٍ من القصيدة:

أَعَـرفـتَ أَطـلالَ الـرُسّـومِ تَـنَـكَّـرَت بَـعـدي وبُـدِّلَ آيـهُـنَّ دُثـورا[3]

وَتَـبـدَّلَـت بَـعـدَ الأَنـيـسِ بِـأَهـلِـهـا عُـفـراً[4] بـواغِـمَ[5] يَـرتَـعـيـنَ وُعـورا

(١) الباقر: جماعة البقر.

(٢) القَبَبُ: دقة الخصر، والفعل: قَبَّه يَقُبُّه قَبّاً، وهو شدة الدمج للاستدارة، والنعت أَقَبُّ، والجمع قُبٌّ.

(٣) دَثَرَ أي دَرَسَ فهو داثِرٌ، ورُوي عن الحَسَن أنه قال: حادِثوا هذه القلوبَ بذكر اللَّه فإنها سريعةُ الدُّثور والدِّثار من فِعل المُتَدثِّر.

(٤) العفْرُ من الظباء: التي يعلو بياضها حمرةٌ، قصار الأعناق، وهي أضعف الظباء عَدواً، تسكن القفاف وصلابة الأرض.

(٥) بَغَمَ الظَّبيُ يَبْغَمُ بُغوماً وهو أَرْخَمُ صَوْتِه.

مِن كُلِّ مُصْبِيَةِ الحَديثِ تَرى لَها ... كَفَلاً كَرابِيَةِ الكَثيبِ وَثيرا
دَعْ ذا وَلَكِن هَل رَأَيتَ ظَعائِناً ... قَرَّبنَ أَجمالاً لَهُنَّ بُكورا
قَرَّبنَ كُلَّ مُخَيَّسٍ[1] مُتَحَمِّلٍ ... بُزلاً[2] تُشَبِّهُ هامَهُنَّ قُبورا
يَفتِنَّ لا يَألونَ كُلَّ مُغَفَّلٍ ... يَملآنَهُ بِحَديثِهِنَّ سُرورا
يا دارُ حَسَّرها[3] البِلى تَحسيرا ... وَسَفَت عَلَيها الريحُ بَعدَكِ بورا
دَقَّ التُّرابُ نَخيلَهُ فَمُخَيِّمٌ ... بِعِراصِها وَمُسَيِّرٌ تَسييرا
يا رَبعَ بُسْرَةَ إِن أَضَرَّ بِكَ البِلى ... فَلَقَد عَهِدتُكَ آهِلاً مَعمورا
عَقَبَ الرَّذاذُ خِلافَهُم فَكَأَنَّما ... بَسَطَ الشَّواطِبُ[4] بَينَهُنَّ حَصيرا
إِنْ يُمسِ حَبْلُكِ بعد طولِ تواصُلٍ ... خَلَقاً ويُصبحُ بينُكم مهجورا
فَلَقَد أرانِي، والجديدُ إلى بِلًى ... زمناً بوصلِكِ قانِعاً مسرورا
جَذِلاً بمالي عندكم لا أبتغي ... للنفس غيرَكِ خُلَّةً وعشيرا
كُنْتِ المُنى وأعزَّ من وطِىء الحصا ... عندي وكُنْتُ بذاكِ منكِ جديرا

[الكامل]

غنَّى في الأول والثاني من هذه الأبيات معبد، ولحنُهُ ثقيلٌ أوَّلُ بالبنصر عن عمرو، مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض فيه ثقيلٌ أوَّلُ بالبنصر عن عمرو، ولإسحاق فيهما ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيهما وفي الثالث خفيفُ ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابنِ المكِّيِّ، وغنَّى الغريضُ في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وغنَّى معبدٌ في السابع والثامن والعاشر خفيفَ ثقيلٍ بالسبَّابة والوسطى عن يحيى المكيّ؛ وفيها ثاني ثقيل يُنْسَبُ إلى طُوَيس وابن مِسجح وابن سُرَيج، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشرَ والثاني عشرَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبَّابة والوسطى عن يحيى المكيّ، وفيها بأعيانها لابن سُرَيج رملٌ بالسبَّابة والوسطى عن يحيى أيضاً، وليحيى المكيّ في الحادي عشر وما بعده إلى أخر

(١) المخيس: المذلل.
(٢) بَزَلُ البعيرُ يَبْزُلُ بُزولاً: فَطَرَ نابُهُ، أي انشَقَّ، فهو بازِلٌ، ذكراً كان أو أنثى، والجمع بُزُلٌ وبُزَّلٌ وبَوازِلُ. والبازِلُ أيضاً: اسمٌ للسنّ التي طلعتْ. وبَزَلْتُ الشراب. وشَجَّةٌ بازِلَةٌ: سالَ دمُها.
(٣) حسرها: أضرّ بها وأذهب بهجتها.
(٤) الشَّطْبَةُ: السَّعَفَةُ الخضراء الرَّطبَةُ، والجمع الشطْبُ. وشَطَبتِ المرأةُ الجَريدَ شَطْباً، إذا شَقَّقتْهُ لتعمل منه الحُصْرَ.

الأبيات ثاني ثقيل، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيلٌ أول عن الهشاميّ، وفيها لإسحاق رَمَلٌ، وفي الثالث والرابع لحنٌ لِخُلَيْدَةَ المكيَّة خفيفُ رملٍ عن الهشاميّ أيضاً.

ومنها أبيات قالها بالشام عند عبد الملك أوّلها:

هَل تَعرِفُ الدارَ أَضحَت آيُها عُجُما ... كالرَّقِّ[1] أَجرى عَلَيها حاذِقٌ قَلَما
بِالخَيفِ هاجَت شُؤوناً[2] غَيرَ جامِدَةٍ ... فانْهَلَّتِ العَينُ تَذري واكِفاً سَجِما
دارٌ لِبُسرَةَ أَمسَت ما تُكَلِّمُنا ... وَقَد أَبَنتُ لَها لَو تَفقَهُ الكَلِما
واهاً لِبُسرَةَ لَو يَدنو الأَميرُ بِها ... يا لَيتَ بُسرَةَ قَد أَمسَت لَنا أَمَما

[البسيط]

صوت

حَلَّت بِمَكَّةَ لا دارٌ مُصاقِبَةٌ ... هَيهاتَ جَيرونُ مِمَّن يَسكُنُ الحَرَما
يا بُسرُ إِنَّكُمُ شَطَّ البِعادُ بِكُم ... وَما نَسيتُ لَكُم وَصلاً وَلا صُرُما

[البسيط]

غنى هذين البيتين الهذلي ثاني ثقيل بالوسطى، وفيهما ليحيى المكي ثقيل أول بالبنصر، جميعاً من روايته:

قَد قُلتُ بِالخَيفِ إِذ قالَت لِجارَتِها ... ما دامَ وَصلُ الَّذي أَهدى لَنا الكَلِما

[البسيط]

صوت

لا يُرغِمُ اللَّهُ أَنفاً أَنتَ حامِلُهُ ... بَل أَنفُ شانيكِ فيما سرّكُم رَغِما
إِن كانَ رابَكِ شَيءٌ لَستُ أَعلَمُهُ ... مِنّي فَهذي يَميني بِالرّضا سَلِما[3]
أَو كُنتُ أَحبَبتُ شَيئاً مِثلَ حُبِّكُمُ ... فَلا أَرحتُ إِذَن أهلاً ولا نَعَمَا
لا تَكلِيني إِلى مَن لَيسَ يَرحَمُني ... وَقاكِ مَن تُبغِضينَ الحَتفَ وَالسَّقَما

---

(١) الرِّقُّ من المِلْكِ، وهو العبوديَّة. والرِّقُّ أيضاً: الشيء الرقيق. ويقال للأرض الليِّنَةِ: رِقٌّ. والرَّقّ بالفتح: ما يُكْتَبُ فيه، وهو جلد رقيق.

(٢) الشؤون: الدموع.

(٣) السلم: الاسم من التسليم.

إِنَّ الـوُشـاةَ كَـثـيـرٌ إِن أَطَـعـتِـهِـمُ لا يَـرقَـبـونَ بِـنـا إِلاًّ[1] وَلا ذِمَـمـا

[البسيط]

غنَّى ابن محرز في:

لا يُـرغِـمُ الـلَّـهُ أَنـفـاً أَنـتَ حـامِـلُـهُ

خفيفَ ثقيل بالبنصر، ولابن مِسجَح فيه ثاني ثقيل عن حَبَش؛ وفي:

لا تـكـلـيـنـي إلـى مـن لـيـس يـرحـمـنـي

لابن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حَبَشٍ والهشاميّ.

[أخر الصلاة لعائشة بنت طلحة]

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى قالا: أخبرنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه الزُّبيري قال: أَذَّنَ المؤذِّنُ يوماً وخرج الحارثُ بن خالد إلى الصلاة، فأرسَلَتْ إليه عائشةُ ابنةُ طلحة: إنه بقي علي شيءٌ من طوافي لم أُتِمَّهُ، فَقَعَدَ وأمرَ المؤذِّنين فكفُّوا عن الإقامة وجعل الناسُ يصيحون حتى فَرَغَتْ من طوافِها، فَبَلَغَ ذلك عبد الملك بن مروان، فعزله وولَّى مكةَ عبد الرحمن بن عبدِ اللَّه بن خالد بن أَسِيد، وكَتَبَ إلى الحارث: وَيْلَكَ، أتركت الصلاةَ لعائشة بنتِ طلحة! فقال الحارث: واللَّه لو لم تَقضِ طوافها إلى الفجر لما كَبَّرت؛ وقال في ذلك:

لَـم أُرَ حِّـب بِـأَن سَـخِـطـتِ وَلَـكِـن مَـرحَـبـاً أَن رَضـيـتِ عَـنّـا وَأَهـلا

إِنَّ وجـهـاً[2] رَأَيـتُـهُ لَـيـلَـةَ الـبَـد رِ عَـلـيـهِ أَنـثَـنـى الـجَـمـالُ وَحَـلاّ

وَجـهُـهـا الـوجـهُ لَـو يُـسـأَلُ بِـهِ الـمُـز نُ مِـنَ الـحُـسـنِ والـجَـمـالِ أَسـتَـهَـلاّ

إِنَّ عِـنـدَ الـطَّـوافِ حـيـنَ أَتَـتـهُ لَـجَـمـالاً فَـعـماً[3] وَخُـلـقـاً رِفَـلاّ[4]

وكُـسـيـن الـجـمـالَ إن غِـبـنَ عـنـهـا فـإذا مـا بَـدَتْ لـهُـنَّ اضـمـحـلاَّ

[الخفيف]

[الغناء في شعره]

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كُلَّ ما في شعره منه على اختلاف طرائقه، وهو:

(١) الإلّ: العهد.
(٢) ورد في بعض المصادر «شخصاً» بدل «وجها».
(٣) يقال: فَعُمَ فَعامَةً وفُعُومةً، فهو فَعْمٌ، أي: ملآن.
(٤) الرفل: الواسع.

صـوت

أَثـلَ جـودي عَـلـى الـمُـتَـيَّـمِ أَثـلا ... لا تَـزيـدي فُـؤَادَهُ بِـكِ خَـبـلا
أَثـلَ إِنّـي وَالـراقِـصـاتِ[1] بِـجَـمـعٍ ... يَـتَـبـارَيـنَ فـي الأَزِمَّـةِ فُـتـلا[2]
سـانِـحـاتٍ يَـقـطَـعـنَ مِـن عَـرفـاتٍ ... بَـيـنَ أَيـدي الـمَـطـيِّ حَـزنـاً وَسَـهـلا
والأَكُـفِّ الـمُـضَـمَّـراتِ عَـلـى الـرُّك ... نِ بِـشُـعـثٍ سَـعَـوا إِلـى الـبَـيـتِ رَجـلى[3]
لا أَخـونُ الـصَّـديـقَ فـي الـسِّـرِّ حَـتّـى ... يُـنـقَـلَ الـبَـحـرُ بِـالـغَـرابـيـلِ نَـقـلا
أَو تَـمُـرَّ الـجِـبـالُ مَـرَّ سَـحـابٍ ... مُـرتَـقٍ قَـد وَعـى مِـنَ الـمـاءِ ثِـقـلا
أَنـعَـمَ الـلَّـهُ لـي بِـذا الـوَجـهِ عَـيـنـاً ... وَبِـهِ مَـرحَـبـاً وَأَهـلاً وَسَـهـلا
حـيـنَ قـالَـت لا تُـفـشِـيـنَّ حَـديـثـي ... يـا بـنَ عَـمّـي أَقَـسَـمـتُ قُـلـتُ أَجَـل لا
إِتَّـقـي الـلَّـهَ واقـبَـلـي الـعُـذرَ مِـنِّـي ... وَتَـجـافـي عَـن بَـعـضِ مـا كـانَ زَلاّ
لا تَـصُـدّي فَـتَـقـتُـلـيـنـيَ ظُـلـمـاً ... لَـيـسَ قَـتـلُ الـمُـحِـبِّ لِـلـحِـبِّ حِـلاّ
مـا أَكُـن سُـؤتُـكُـم بِـهِ فَـلَـكِ الـعُـت ... بـى لَـديـنـا وَحَـقَّ ذاكَ وَقَـلاّ
لَـم أُرَ حِّـب بِـأَن سَـخِـطـتِ وَلَـكِـن ... مَـرحَـبـاً أَن رَضـيـتِ عَـنّـا وَأَهـلا
إِنَّ شَـخـصـاً رَأَيـتُـهُ لَـيـلَـةَ الـبَـد ... رِ عَـلـيـهِ أَنـثَـنـى الـجَـمـالُ وَحَـلاّ
جَـعَـلَ الـلَّـهُ كُـلَّ أُنـثـى فِـداءً ... لَـكِ بَـل خَـدَّهـا لِـرِجـلِـك نَـعـلا
وَجـهُـكِ الـبَـدرُ لَـو سَـأَلـتُ بِـهِ الـمُـز ... نَ مِـنَ الـحُـسـنِ والـجَـمـالِ اسـتَـهَـلاّ

[الخفيف]

غنَّى معبدٌ في الأبيات الأربعة الأولى خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، ولابن تَيْزَن في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق، ولابن سريج في الأول والثاني والخامس ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ، وللغريض في الخامس إلى الثامن خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، ولِدَحْمان في التاسع والعاشر والثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو، ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحنٌ ذَكَرَهُ يونس ولم يجنِّسْه، ولابنِ سُرَيج في هذه الأبيات بعينها رمل بالوسطى عن عمرو، وللغريض فيها

(١) الراقصات: النوق المسرعات في سيرها.
(٢) ناقة فَتْلاءُ إذا كان في ذراعِها فَتَلٌ وبانت عن الجنب.
(٣) رجلى: ماشين على أرجلهم، جمع رجلان كعجلان وعجلى.

أيضاً خفيفُ رَملٍ بالبنصر عن ابن المكيّ، ولابن عائشة في الخامس إلى أخر الثامن لحن ذكره حمَّاد عن أبيه ولم يذكرطريقتَهُ.

ومنها:

صــوت

أَحَـقـاً أَنَّ جـيـرَتَـنـا اسـتَـحَـبّـوا ... حُـزونَ الأَرضِ بِـالـبَـلَـدِ الـسَّـخـاخِ[١]

إِلـى عُـقـرِ الأَبـاطِـحِ[٢] مِـن ثَـبـيـرٍ[٣] ... إِلـى ثَـورٍ[٤] فـمَـدفَـعِ[٥] ذي مُـراخِ[٦]

فَـتِـلـكَ ديـارُهُـم لَـم يَـبـقَ فـيـهـا ... سِـوى طَـلَـلِ الـمُـعَـرَّسِ والـمُـنـاخِ

وَقَـد تَـغـنـى[٧] بِـهـا فـي الـدارِ حُـورٌ ... نَـواعِـمُ فـي الـمَـجـاسِـدِ[٨] كـالإِراخِ[٩]

[الوافر]

غنّى في هذه الأبيات الغريضُ، ولحنُهُ من الثقيل الأوّل بالوسطى عن الهشاميّ.

[جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة فلما سمعت شعر الحارث طابت به نفساً]

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال: حدَّثنا عبد اللَّه بن محمد قال: أخبرني محمد بن سلام قال: كانت سوداءُ بالمدينة مشغوفةً بشعر عمر بن أبي ربيعة، وكانت من مولَّدات مكة، فلما ورد على أهل المدينة نَعْيُ عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك واشتدّ عليهم، وكانت السوداءُ أشدَّهم حُزناً وتَسَلُّباً[١٠] وجعلت لا تمرُّ بسكة من سكك المدينة إلا نَدَبَتْهُ، فلقِيَها بعضُ فتيان مكة، فقال لها: خَفِّضي عليك، فقد نشأ

(١) السَّخاخ: الأرض اللَّينة الحرَّة

(٢) بَطَحْتُه فانبَطَحَ. والبَطْحاء: مَسيل فيه دُقاق الحَصَى، فإنْ عَرُضَ واتَّسَعَ سُمِّيَ أبطَح. والبَطيحة: ماء مستنقِع بينَ واسِطٍ والبصرة، لا يُرَى طَرَفاه من سَعَته، وهو مَغيض دجلةَ والفُرات، وكذلك مَغايض ما بين البصرة والأهواز، والطَّفُ: ساحل البَطيحة.

(٣) ثبير: جبل في مكة.

(٤) ثور: جبل في مكة المكرمة.

(٥) المدفع: السيل، أو أحد مدافع المياه التي تجري فيها.

(٦) ذو مراخ: موضع قريب من المزدلفة، وقيل: هو بطن كساب حبل بمكة المكرمة.

(٧) تغنى: من غنى الرجل في المكان؛ أي أقام.

(٨) المجاسد: جمع مجسد، وهو الثوب الذي يلي البدن.

(٩) الإراخ: بقر الوحش.

(١٠) التسلب: حداد المرأة على زوجها، أو غير زوجها.

ابن عمّ له يشبه شعرُه شِعرَه، فقالت: أنشدني بعضه، فأنشدها قوله:

إِنّـي وَمـا نَـحَـروا غَـداةَ مِـنًـى عِـنـدَ الـجِـمـارِ يَـؤُودُهـا الـعُـقـلُ

[أخذ الكامل]

الأبيات كُلَّها، قال: فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول: الحمد للَّه الذي لم يُضيِّعْ حَرمَه.

[ناضل سليمان بن عبد الملك بينه وبين رجل من أخواله]

أخبرني اليزيديّ قال حدَّثني عمي جَدُّ عُبيد اللَّه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: ناضلَ سليمانُ بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عَبْس، فرمى الحارث بن خالد فأخطأ ورمى العَبْسيّ فأصاب، فقال:

أنـا نَـضَـلـت الـحـارث بـن خـالـدِ

ثم رمى العبسيّ فأخطأ ورمى الحارثُ فأصاب، فقال الحارثُ:

حَـسِـبْـتَ نَـضْـلَ الـحـارث بـن خـالـدِ

ورَمَيا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارثُ، فقال الحارثُ:

مَـشْـيـكَ بـيـن الـزَّرْبِ[1] والـمَـرابـدِ[2]

ورَمَيا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارثُ، فقال الحارثُ:

وإنَّـك الـنّـاقـصُ غـيـر الـزائـدِ

فقال سليمانُ: أقسَمْتُ عليك يا حارثُ إلا كَفَفْتَ عن القولِ والرَّمْي فَكَفَّ.

(١) الزرب: موضع الغنم.

(٢) المرابد: مواضع حبس الإبل.

أخبار الأبجر ونسبه

[اسم الأبجر ولقبه وولاؤه]

الأبجَر لَقَبٌ غلب عليه، واسمه عُبيد اللَّه بن القاسم بن ضبية، ويُكَنَى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبد اللَّه بن مالك عن إسحاق، وروى هارون بن الزَّيات عن حمَّاد عن أبيه: أنَّ اسمه محمد بن القاسم بن ضبية، وهو مولى لكنانة ثم لبني بكر، ويُقالُ: إنَّه مولى لبني لَيْث.

[نشأته]

أخبرني عمي قال حدَّثني عبد اللَّه بن أبي سعد قال حدَّثنا محمد بن عبد اللَّه بن مالك وأخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهرُويه وهارون بن الزيّات قالا حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد عن محمد بن عبد اللَّه بن مالك قال: كُنا يوماً جلوساً عند إسحاق، فغنَّتنا جارية يقال لها «سَمحةُ»:

إِنَّ الـعُـيـونَ الَّـتـي فـي طَـرفِـهـا حَـوَرٌ قَـتَـلـنَـنـا ثُـمَّ لَـم يُـحـيـيـنَ قَـتـلانـا

[البسيط]

فَهِبْتُ إسحاق أَن أسألَهُ لِمَنْ الغناء، فَقُلتُ لبعضِ من كان معنا: سَلْه، فسأله فقال له إسحاق: ما كان عهدي بك في شيبتك لتسألنا عن هذا، فقال: أَحْبَبْتهُ لما أَسْنَنْتُ، فقال: لا ولكنّ هذا النَّقْبَ عملُ هذا اللّص، وضربَ بيدِهِ إلى تَلابيبي[1]، فقال له الرجلُ: صدقْتَ يا أبا محمد، فأقبل عليّ فقال لي: أَلَمْ أَقُلْ لك إذا اشتَهَيْتَ شيئاً فَسَلْ عنه، أما لأُعطيَنَّك فيه ما تُعايي[2] به مَنْ شئْتَ منهم، أتدري ما اسمه؟ فقلتُ لجرير، فقال لي: والغناء للأبجر، وكان مَدَنِيّاً مَنشَؤه بمكة، أو مكيًّا منشؤه بالمدينة، أتدري ما كنيته؟ قلت: لا، قال: اسمه عبيد اللَّه بن القاسم بن ضبية، أتدري ما كنيته؟ قُلْتُ: لا، قال: أبو طالب، ثم قال: اذهب فَعايِ بهذا من شئتَ منهم فإنك تظفر به.

---

(١) وكُلُّ مَنْ جَمَعَ ثِيَابَه وتَحَزَّمَ: فَقَدْ تَلَبَّبَ.

(٢) عايا صاحبه معاياة إذا ألقى عليه كلاماً أو عملاً لا يهتدي لوجهه. وتقول: إياك ومسائل المعاياة، فإنها صعبة المعاناة.

[كان ولاؤه لبني كنانة وقيل لبني ليث وكان يلقب بالحسحاس]

وقال هارون: حدّثني حمَّاد عن أبيه قال: الأبجر اسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرّة أخرى: عبيد اللَّه بن القاسم، مولى لبني بكر بن كِنانة، وقيل: إنَّه مولى لبني ليث، يُلَقَّبُ بالحسحاس(١).

[ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه]

قال هارون: وحدَّثني حماد عن أبيه قال حدَّثني عَوْرَك اللّهبيّ قال: لم يكن بمكة أحدٌ أظرفَ ولا أسْرى ولا أحسنَ هيئةً من الأبجر، كانت حُلَّتُه بمائة دينار وفرسُه بمائة دينار ومركَبُهُ بمائة دينار، وكان يقف بين المأزِمَيْن(٢) فيرفع صوتَهُ فَيَقِفُ الناسُ له يركَبُ بعضُهم بعضاً.

[احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء فأمضى حكمه]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن [عبيد اللَّه بن] عبد اللَّه بن خُرداذبه عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قالا: جَلَسَ الأبجرُ في ليلة اليوم السابع من أيام الحجّ على قريبٍ من التَّنعيم(٣) فإذا عَسْكرٌ جرَّار قد أقبل في آخر الليل، وفيه دوابُّ تُجنَبُ وفيها فرسٌ أدهَمُ عليه سَرْجٌ حِليتُهُ ذهب فاندفع، فغنَّى:

عَـرَفْـتُ ديـارَ الـحـيّ خـالـيـةً قَـفْـرا كـأنَّ بـهـا لـمَّـا تـوهـمـتـهـا سَـطْـرا

[الطويل]

فلما سَمِعَهُ من في القِباب والمحامل أمسكوا، وصاحَ صائحٌ: ويحك! أعِدِ الصَّوتَ، فقال: لا واللَّه! إلا بالفرس الأدهم بسرجِهِ ولِجامِهِ وأربعمائة دينار، فإذا الوليدُ بن يزيد صاحبُ الإبل، فنُودِيَ: أين منزلُك ومَنْ أنت؟ فقال: أنا الأبجر ومنزلي على باب زُقاق الخرَّازِين، فغدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتَخْتٍ من ثياب وَشْي وغيرِ ذلك، ثم أتى به الوليد فأقامَ عنده، وراح مع أصحابه عشيَّةَ التَّرْوِية(٤) وهو أحسنهم هيئةً، وخرج معه أو بعده إلى الشام.

---

(١) الحسحاس: الرجل الجواد.

(٢) المأزمان: جبلا مكة، وقيل هو اسم موضع بمكة بين المشعر والحرام وعرفة.

(٣) التنعيم: جبل بمكة المكرمة، سُمي بذلك لأن جبلاً عن يمينه يقال له نعيم وآخر عن شماله يُقال له ناعم.

(٤) التَّروية: عشية اليوم الثامن من ذي الحجة، وسمِّيَ يوم التَّرْوِيَةِ لأنَّهم كانوا يَرْتَوونَ فيه من الماء لما بَعْدُ.

[خرج معه إلى الشام]

قال إسحاق: وحدّثني عَوْرَكاللَّه بيّ أن خروجه كان معه، وذلك في ولاية محمد بن هشام بن إسماعيل مكة، وفي تلك السنة حَجّ الوليد، لأنَّ هشاماً أمره بذلك ليَهتِكه عند أهل الحَرَم، فيجدَ السبيلَ إلى خَلْعِهِ، فظهر منه أكثرُ مما أراد به من التَّشاغُلِ بالمغنِّين واللَّهو، وأقبل الأبجرُ معه حتى قُتِلَ الوليدُ، ثم خرج إلى مصر فمات بها.

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صـــوت

عَـرَفْـتُ ديـارَ الـحـيّ خـالـيـةً قَـفْـرا كـأنَّ بـهـا لـمَّـا تـوهـمـتـهـا سَـطْـرا
وَقَـفْـتُ بـهـا كـيـمـا تَـرُدّ جـوابَـهـا فـمـا بيَّـنـت لـي الـدارُ عـن أهـلـهـا خُـبْـرا

[الطويل]

الغناء لأبي عبَّاد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، وفيه لسِياط خفيفُ رمَلَ بالبنصر.

[أخذ صوتا من الغريض]

قال إسحاق: وحُدِّثْتُ أنَّ الأبجرَ أخذ صوتاً من الغريض ليلاً ثم دخل في الطواف حين أصبح، فرأى عطاء بن أبي رَباح يطوفُ بالبيت، فقال: يا أبا محمد، إسمع صوتاً أخذتُهُ في هذه الليلة من الغريض؛ قال له: ويحك! أفي هذا الموضع! فقال: كفرتُ بربِّ هذا البيت لئن لم تسمَعْهُ منِّي سراً لأجهَرَنّ به؛ فقال: هاته، فغنَّاه:

صـــوت

عُـوجِـي عـلـيْـنـا ربَّـةَ الـهـودجِ إنّـكِ إلَّا تـفـعـلِـي تَـحَـرَّجِـي[1]
إنِّـي أُتـيـحـتْ لِـي يـمـانـيَّـةٌ إحـدَى بـنِـي الـحـارثِ مـنْ مَـذْحِـجِ
نـلـبَـثُ حـولاً كـامـلاً كـلَّـهُ مَـا نـلـتـقِـي إلَّا عـلَـى مَـنـهَـجِ
فـي الـحـجِّ إنْ حـجَّـتْ، ومَـاذَا مـنًـى وأهـلُـهُ، إنْ هـيَ لـمْ تـحـجُـجِ!؟

[السريع]

(١) مَكانٌ حَرَجٌ وحَرِجٌ، أي ضيِّقٌ كثير الشجَر لا تصل إليه الراعية. وقد حَرِجَ صدرُه يَحْرَجُ حَرَجاً. والحَرَجُ: الإثمُ.

فقال له عطاء: الخيرُ الكثيرُ واللَّه في مِنًى وأهلِهِ حجَّت أو لم تحجّ، فاذهب الآن. وقد مرَّت نسبة هذا الصوت وخبرُه في أخبار العَرجيّ والغريض.

[ختن عطاء بنيه فغنى لهم]

قال إسحاق: وذكر عمرو بن الحارث عن عبد اللَّه بن عُبيد بن عُمَير قال: خَتَنَ عطاءُ بن أبي رباح بنيه أو ابن أخيه، فكان الأبجرُ يختلفُ إليهم ثلاثةَ أيام يغنِّي لهم.

[نازع ابن عائشة في الغناء فتشاتما]

قال هارون بن محمد حدَّثني حمَّاد بن إسحاق قال نَسَخْتُ من كتاب ابن أبي نجيح بخطِّهِ: حدَّثني غُوَير بن طَلْحة الأرقميّ عن يحيى بن عِمران عن عمر بن حفص بن أبي كلاب قال:

كان الأبجرُ مولانا وكان مَكِّيّاً، فكان إذا قَدِمَ المدينةَ نَزَلَ علينا، فقال لنا يوماً: أسمِعوني غناءَ ابن عائشتِكم هذا، فأرسلنا فيها فَجَمَعْنا بينهما في بيت ابن هَبَّار فتغنَّى ابن عائشة، فقال الأبجر: كلّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن تَغَنَّيْتُ معك إلاَّ بنصف صوتي، ثم أدخل إصبعه في شِدقَهِ فتغنَّى، فَسَمِعَ صوتَه مَنْ في السُّوقِ فَحُشِر الناسُ علينا، فلم يفترقا حتى تشاتما؛ قال: وكان ابن عائشة حديداً[١] جاهلاً.

[غنى الوليد وقد عرف سره من خادمه فنشط له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مهرُويه قال وحدَّثني ابن أبي سعد قال حدَّثني القطرانيّ المغنِّي عن محمد بن جَبْر عن إبراهيم بن المهديّ قال حدَّثني ابن الأشعب عن أبيه قال: دُعِيَ ذات يوم المغنُّون للوليد بن يزيد، وكُنْتُ نازلاً معهم، فَقُلْتُ للرسول: خُذني فيهم؛ قال: لم أُومَرْ بذلك وإنما أُمِرْتُ بإحضار المغنِّين وأنت بَطَّال[٢] لا تدخل في جملتهم؛ فَقُلْتُ: أنا واللَّه أحسنُ غِنَاءً منهم، ثم اندفَعْتُ فغنَّيته؛ فقال: لقد سَمِعْتُ حَسَناً ولكنِّي أخافُ؛ فَقُلْتُ لا خوفَ عليك، ولك مع هذا شرطٌ، قال: وما هو؟ قُلْتُ: كلّ ما أصبتُهُ فلك شَطْرُهُ؛ فقال للجماعة: اشهدوا عليه، فشهدوا، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِس[٣]

(١) الحِدَّةُ: ما يَعْتَري الإنسانَ من النَّزَقِ والغَضب.

(٢) البطال: الذي يتهكم ويهزل بحديثه.

(٣) اللَّقِسُ: الشره النفس، الحريص على كل شيء، ولَقِسَت نفسه إلى الشيء: نازعته حرصاً. وفي الحديث: «لا تقل خبثت نفسي، ولكن لَقِسَتْ».

النفس، فغنَّاه المغنُّون في كل فنّ من خفيفٍ وثقيلٍ، فلم يتحرَّك ولا نَشِطَ، فقام الأبجر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل الخادمُ عن خبره، وبأيِّ سببٍ هو خاثر[1]؟ فقال: بينه وبين امرأته شرٌّ، لأنه عَشِقَ أختها فَغَضِبَتْ عليه فهو إلى أختها أميل، وقد عَزَمَ على طلاقها وحلفَ لها ألاَّ يذكُرَها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة، وخرج على هذا الحال من عندها؛ فعاد الأبجر إلينا وما جلس حتى اندفع فغنَّى:

صـــوت

فَبِيني فإنّي لا أُبالي وأَيْقَني أَصَعَّد باقي حبِّكم أَم تَصَوَّبا
أَلَم تَعْلَمي أَنِّي عَزُوفٌ عن الهوى إِذا صاحبي من غيرِ شيءٍ تَغَضَّبا

[الطويل]

فَطُرِبَ الوليد وارتاح قال: أَصَبْتَ يا عُبيدُ واللَّه ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشَرِبَ حتى سَكِرَ، ولم يحظَ بشيء أحدٌ سوى الأبجر، فلما أيقَنْتُ بانقضاء المجلس وثَبُتَ فَقُلْتُ: إن رأيت يا أميرَ المؤمنين أن تأمُرَ من يَضْرِبني مائةَ الساعةَ بِحَضْرَتِكَ فضحك وقال: قَبَّحَك اللَّه وما السببُ في ذلك؟ فأخبرتُهُ بقصتي مع الرسول وقُلْتُ: إنه بَدَأني من المكروه في أول يومه بما اتصل عليّ إلى آخره، فَأُريدُ أن أُضرَبَ مائةً ويُضرَبَ بعدي مثلَها، فقال له: لقد لَطُفْتَ، أعطوه مائةَ دينار وأعطُوا الرسولَ خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أَراد أن يأخذَها؛ فقبضتُها وما حَظِيَ أحدٌ بشيء غيري وغيرَ الرسول. والشعر الذي غنَّى فيه الأبجر الوليدَ بنَ يزيدَ لعبد الرحمن بن الحكم أخي مَروان بن الحكم، والغناء للأبجر ثقيلٌ أوَّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لغيره عدّة ألحان نُسِبَتْ.

صـــوت

من المائة المختارة من رواية جحظة

حَمزَةُ المُبْتَاعُ بالمالِ الثَّنا ويَرَى في بَيْعِه أن قد غَبَنْ
فهُوَ إن أعطَى عطاء فاضلاً ذا إخَاءٍ لم يُكدّرهُ بِمَنّ

(١) من المجاز: خثرت نفسه: غثت، وهو خاثر النفس إذا لم تكن طيبة.

وإذا مـا سَـنَـةٌ مُـجْـدِبَـةٌ بَـرَتِ الـنـاسَ كـبَـرْيٍ بـالـسَّـفَـنْ[1]
حَـسَـرتْ عـنْـهُ نـقـيًّـا عِـرْضُـهُ ذا بَـلَاءٍ عـنـد مَـحْـيَـاهَـا حَـسَـنْ
نُـورُ صِـدْقٍ بَـيِّـنٌ فـي وجْـهِـه لـم يـدنِّـسْ ثـوبَـهُ لَـوْنُ الـدَّرَنْ

[الرمل]

عروضه من الرمل. الشعر لموسى شَهَوات. والغناءُ لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوَّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) وقال الليث: قد يُجعل من الحديد ما يُسفن به الخشب: أي يُحكّ به حتى يلين. قال: والريح تَسفِن التراب: تجعله دُقاقاً.

أخبار موسى شهوات ونسبه

وخبره في هذا الشعر

[نسبه وسبب لقبه]

هو موسى بن يَسار مولى قريش، ويُخْتَلَفُ في وَلائه فيُقالُ: إنَّه مولى بني سَهْم، ويُقالُ: مولى بني تَيم بن مُرَّة، ويقال: مولى بني عَديّ بن كعب؛ ويُكنى أبا محمد، وشَهوات لقبٌ غَلَب عليه. وحدَّثني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال: إنَّما لُقِّبَ موسى شهوات لأنَّه كان سؤولاً مُلحِفاً، فكان كُلَّما رأى مع أحد شيئاً يُعْجِبُهُ من مالٍ أو متاعٍ أو ثوب أو فرس، تَباكى، فإذا قيل له: مالك؟ قال: أشتهي هذا؛ فسُمِّيَ موسى شهوات. قال: وذكر آخرون أنه كان من أهل أذَربيجان وأنه نشأ بالمدينة وكان يجلب إليه القَنْدُ[1] والسكَّرُ، فقالت له امرأة من أهله: ما يزال موسى يَجيئنا بالشهوات؛ فَغَلَبَتْ عليه.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال: كان محمد بن يحيى يقول: موسى شهوات مولى بني عَدِيّ بن كَعْب، وليس ذاك بصحيح، هو مولى تَيم بن مُرَّة. وذكر عبد اللَّه بن شَبيب عن الحزامِيّ: أنَّه مولى بني سهم. وأخبرني وَكِيع عن أحمد بن أبي خَيْثَمةَ عن مصعَب ومحمد بن سلَّام قال: موسى شهوات مولى بني سهم.

[عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدة قال: هَوِيَ موسى شهوات جاريةً فاستُهيم بها وساومَ مولاها فيها فاستام[2] بها عشرة آلاف

---

(١) القَنْدُ: عصارة قصب السكر إذا جمد، ومنه يتخذ الفانيذ وسويق مَقْنودٌ ومُقَنَّدٌ.

(٢) استام: سام: السَّوْم عرضُ السِّلْعة على البيع. وقال أبو زيد فيما روى أبو عبيد عنه: سُمَتُ بالسِّلعة أسوم بها. ويقال: فلان غالي السِّيمةِ: إذا كان يُغلي السَّوْم. قال: ويقال: سُمْتُ فلاناً سلعتي سوماً: إذا قلت: أتأخذها بكذا من الثمن، ومثل ذلك سُمْتُ بسلعتي سوماً أو يقال استمت عليه بسلعتي استياماً إذا كنت أنت تذكر عنها. ويقال استام مني بسلعتي استياماً إذا كان هو العارض عليك الثمن، وسامني الرجل بسلعته سوماً.

درهم، فجمع كلَّ ما يملكه واستماح إخوانه فبلغ أربعة آلاف درهم، فأتى إلى سعيد بن خالد العثماني فأخبرَهُ بحاله واستعان به، وكان صديقَهُ وأوثقَ الناس عنده، فدافَعَهُ[١] واعتلَّ عليه فخرج من عنده؛ فلما ولَّى تَمثَّل سعيدٌ قولَ الشاعر:

كتبتَ إليّ تستهدي الجَوارِي ... لقد أَنْعَظْتَ مِن بلد بَعيدِ

[الوافر]

[أتى سعيد بن خالد بن عبد اللَّه بن أسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه فمدحه]

فأتى سعيدَ بن خالد بن عبد اللَّه بن خالد بن أسِيد فأخبرَه بقصَّتِهِ فأمر له بستة آلاف درهم، فلما قبَضَها ونهضَ قال له: اجلس، إذا ابتعتَها بهذا المال وقد أنفدتَ كلّ ما تَملِك فبأيِّ حالٍ تعيشان! ثم دفع إليه ألفي درهم وكُسوةً وطيباً، وقال: أصلِحْ بهذا شأنكما؛ فقال فيه:

أبا خالدٍ أعني سعيدَ بن خالدٍ ... أخا العُرْف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ

ولكنَّني أعني ابنَ عائشةَ الذي ... أبو أبوَيه خالدُ بن أَسِيدِ

عقيدُ الندى ما عاش يرضى به الندى ... فإن مات لم يَرضَ النَّدى بوقودِ

دَعُوه دعوه إنَّكم قد رَقَدتُمُ ... وما هو عن أحسابكم برقُودِ

قَتَلْتَ أُناساً هكذا في جلودِهم ... من الغيظِ لم تقتُلْهُمُ بحديدِ

[الطويل]

[رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميّه الذي أعانه هجواً له فشكاه]

قال: فشكاه العثمانيّ إلى سُليمان بن عبد الملك، فأحْضَرَ موسى وقال له: يا عاضَ كذا وكذا، أتهجو سعيدَ بن خالد! فقال: واللَّهِ يا أمير المؤمنين ما هجوتُهُ ولكني مَدَحْتُ ابن عمه فَغَضِبَ هو، ثم أخبره بالقصَّة؛ فقال للعثماني: قد صَدَقَ، إنَّما نُسِبَ مَنْ مَدَحَهُ إلى أبيه لِيُعْرَفَ. قال: وكان سليمانُ إذا نَظَرَ إلى سعيد بن خالد بن عبد اللَّه يقول: لعمري واللَّه ما أنت عن أحسابنا برقود[٢].

وأخبرني محمد بن عبد اللَّه اليزيديّ قال حدَّثنا سليمان بن أبي الشيخ قال حدَّثنا مُصْعَب بن عبد اللَّه بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكر أبو عُبيدة وقال فيه: وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه المُوتةُ[٣] في كلِّ سنة، فأرادوا عِلاجَهُ، فتكلَّمَت صاحبتُهُ

(١) دافعه: راوغ وماطل. (٢) الرُّقادُ: النَّوْمُ.

(٣) به موتة: فتور في العقل. وأخذته الموتة: الغشي. وبها موتة: فتور في عينيها كأنها وسنى.

على لسانه وقالت: أنا كريمة بنت مِلحان سيِّدِ الجنّ، وإن عالَجتموه قتلتموه، فواللَّه لو وجدْتُ أكرم منه لَهَويتُهُ.

أخبرني وكيع عن أبي حَمْزة أنس بن خالد الأنصاريّ عن قَبيصة بن عمر بن حَفْص المهلَّبيّ عن أبي عُبيدة قال حدَّثني الحارث بن سليمان الهُجَيْميّ، ـ وهو أبو خالد بن الحارث المحدّث ـ قال: وكان عنده رُؤْبةُ بن العَجَّاج، قال: شَهِدْتُ مجلسَ أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأتاه سعيدُ بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفَّان، فقال: يا أمير المؤمنين، أتيتُكَ مُستَعْدِياً، قال: ومَنْ بك؟ قال: موسى شَهَوات، قال: وما له؟ قال: سَمَّعَ[١] بي واستطالَ في عرضي، فقالَ: يا غُلام، عليّ بموسى فأْتِنِي به، فقال: ويلك! أسمَّعت به واستطلت في عِرْضِهِ؟ قال: ما فعلْتُ يا أمير المؤمنين ولكنِّي مدَحْتُ ابنَ عمه فَغَضِبَ هو، قال: وكيف ذلك؟ قال: عَلِقْتُ جاريةً لم يبلغ ثَمنُها جدَتي[٢]، فأتيتُهُ وهو صديقي فَشَكَوْتُ إليه ذلك، فلم أُصِب عنده شيئاً، فأتَيْتُ ابنَ عمه سعيدَ بن خالد بن عبد اللَّه بن خالد بن أسيد فَشَكَوْتُ إليه ما شكوتُهُ إلى هذا، فقال: تعودُ إليَّ، فتركتُهُ ثلاثاً ثم أتيتُهُ فسهَّلَ من إذني، فلمَّا استقرَ بي المجلسُ قال: يا غلام، قل لقيِّمتي: هاتي ودِيعتي، ففتح باباً بين بيتين وإذا بجاريةٍ، فقال لي: أهذِهِ بُغْيتُكَ[٣]؟ قُلْتُ: نعم فِداك أبي وأمِّي قال: اجلِس ثم قال: يا غلام، قل لقيِّمتي: هاتي ظَبْيَةَ[٤] نفقتي، فأُتيَ بظبيةٍ فنُثِرَتْ بين يديه فإذا فيها مائةُ دينار ليس فيها غيرها فرُدَّت في الظَّبْية، ثم قال: عَتيدةَ[٥] طيبي، فأُتيَ بها، فقال: مِلْحَفَةَ[٦] فِراشي، فأُتِيَ بها، فصيَّر ما في الظبية وما في العتيدة في حواشي المِلْحفة، ثم قال: شأنَكَ بهواك واستعِنْ بهذا عليه؛ فقال له سليمانُ بن عبد الملك: فذلك حين تقول ماذا؟ قال: قُلْتُ:

[ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد]

أبا خالدٍ أعني سعيدَ بن خالدٍ أخا العُرْف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكنَّني أعني ابنَ عائشةَ الذي أبو أبوَيه خالدُ بن أَسِيدِ

(١) سمَّع: شهّر به وفضحه بين الناس. (٢) اليسار: الغنى والسعة.
(٣) بغيتك: ما تريد.
(٤) في الحديث «أتي بظبية فيها خرز» وهي جريب من جلد ظبي عليه شعره وبها سمّي الحياء.
(٥) العتيدة: الحقة يكون فيها طيب الرجل أو العروس.
(٦) ملحفة: ملاءة.

عقيدُ الندى ما عاش يرضى به الندى فإن مات لم يَرضَ النَّدى بعقيدِ
دَعُوُه دعوه إنَّكم قد رَقَدتُمُ وما هو عن أحسابكم برقُودِ
[الطويل]

فقال سليمان: عليَّ ياغُلام بسعيد بن خالد، فأُتيَ به، فقال: أحقٌّ ما وَصَفَك بِهِ موسى؟ قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك يا أميرَ المؤمنين، قال: فما طوّقتك هذه الأفعال؟ قال: دَيْنَ ثلاثين ألفَ دينار؛ فقال له: قد أمَرْتُ لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثُلُث مثلها، فحملت إليه مائةَ ألف دينار؛ قال: فلقيْتُ سعيدَ بن خالد بعد ذلك فَقُلْتُ له: ما فعل المالُ الذي وَصلك به سليمان؟ قال: ما أصبحْتُ واللَّه أملِك منه إلا خمسين ديناراً؛ قُلْتُ: ما اغتاله؟ قال: خَلَّةٌ[1] من صديق أو فاقة من ذي رَحِم.

أخبرني وكيع قال حدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَة عن مُصْعَب الزبيريّ ومحمد بن سلاَّم قال: عَشِقَ موسى شهوات جاريةً بالمدينة فأعطى بها عشرَةَ آلاف درهم؛ ثم ذكر باقيَ الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شَيخ؛ وقال فيه: أما واللَّه لئن مدحْتُهُ وهو سَميُّك وأبوه سَميُّ أبيك ولم أُفرِّق بينكما ليقولنّ الناسُ: أهذا أم هذا، ولكن واللَّه لأقولنّ لا يُشَكُّ فيه. وتمامُ هذه الأبيات التي مَدَحَ بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها:

فِدًى للكريم العَبْشَميّ ابنِ خالد بنيّ ومالي طارِفي وتَليدي
على وجهه تلقى الأيامِنَ واسمِهِ وكُلُّ جَواري طيره بسُعودِ
أبان وما استغنى عن الثَّدْيِ خيرُهُ أبان به في المهدِ قبلَ قُعودِ
دعوه دعوه إنكم قد رقدتُمُ وما هو عن أحسابِكم بِرَقودِ
ترى الجُنْدَ والجُنَّابَ[2] يَغْشَوْن بابَهُ بحاجاتِهِم من سيِّد ومَسودِ
فيُعطي ولا يُعطى ويُغشى ويُجتدى وما بابُه للمجْتَدي بسديدِ
قتلتَ أُناساً هكذا في جلودِهم من الغيظ لم تَقْتُلهمُ بحديدِ
يعيشون ما عاشوا بغيظٍ وإن تَحِنْ مَنايا هُمُ يوماً تَحنْ بِحقُودِ
فَقُلْ لبُغاة العُرْف قد مات خالدٌ ومات النّدَى إلا فُضولَ سعيدِ
[الطويل]

(١) اخْتُلَّ إلى فلان، أي احتيج عليه، من الخَلَّة، وهي الحاجة.
(٢) الجناب: جمع جانب وهو الغريب.

قال وكيعٌ في خبره: أمَّا قوله: «لا أعني ابنَ بنت سعيد» فإنَّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمِنةُ بنتُ سعيد بن العاصي، وعائشةَ عقيد الندى بنت عبد اللَّه بن خلف الخُزاعيَّة أختُ طَلْحة الطَّلَحاتِ، وأمَّها صَفية بنت الحارث بن طَلْحة بن أبي طَلْحة من بني عبد الدار بن قُصيّ، وأمَّ أبي عقيد الندى رَمْلة بنت معاوية بن أبي سفيان.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال: لما أنشد موسى شهوات سليمان بن عبد الملك شعرَه في سعيد بن خالد قال له: اتّفق اسماهُما واسما أبوَيهما، فتخوّفْتُ أن يذهب شعري باطلاً ففرّقْتُ بينهما بأمّهما، ولكنِّي لا أجد إليك سبيلاً، فأطلَقَه.

[شاعر ومغن]

أخبرني وكيع قال حدَّثني أحمد بن زُهَير قال حدَّثنا محمد بن سلاَّم قال حدَّثنا محمد بن مَسلمة الثقفيّ قال: قال موسى شهوات لِمَعْبَد: أأمْدَحُ حَمزةَ بن عبد اللَّه بن الزبير بأبياتٍ وتُغنِّي فيها ويكون ما يُعطينا بيني وبينك؟ قال: نعم؛ فقال موسى:

حْمـزَةُ الـمُـبْـتَـاعُ بـالـمـالِ الـثَّـنـا ... ويَـرَى فـي بَـيـعِـه أن قـد غَـبَـنْ
فـهْـوَ إن أعـطَـى عـطـاءً فـاضـلاً ... ذا إخَـاءٍ لـم يُـكـدّرهُ بَـمـنّ
وإذا مـا سَـنَـةٌ مُـجْـحِـفَـةٌ ... بَـرَتِ الـنـاسَ كـبَـرْيٍ بـالـسَّـفَـنْ
حَـسَـرتْ[1] عـنْـهُ نـقـيًّـا عِـرْضُـهُ ... ذا بَـلَاءٍ عـنـد مُـخـنـاهَـا[2] حَـسَـنْ
نُـورُ صِـدْقٍ بَـيِّـنٌ فـي وجْـهِـه ... لـم يُـدنِّـسْ ثـوبَـهُ لَـوْنُ الـدَّرَنْ
كـان لـلـنـاسِ ربـيـعـاً مُـغـدِقـاً ... سـاقِـطَ الأكـنـافِ إنْ رُجّ ٱرجَـحَـنّ

[الرمل]

قال أحمد بن زهير: وأوّل هذه القصيدة عن غير ابن سلاَّم:

شـاقَـنـي الـيـومَ حـبـيـبٌ قـد ظَـعَـنْ ... فـفـؤادي مُـسْـتـهـامٌ مُـرتَـهَـن
إنَّ هـنـداً تَـيَّـمـتـنـي حِـقـبـةً ... ثـم بـانـت وهـي لـلـنـفـس شَـجَـنْ
فـتـنـةٌ ألـحَـقَـهـا الـلَّـهُ بـنـا ... عـائـذٌ بـالـلَّـه مـن شـرِّ الـفِـتَـنْ

[الرمل]

(١) حَسَرْتُ كُمِّي عن ذراعي أَحْسِرُهُ حَسْراً: كشفت.
(٢) تقول: أَخْنَى عليهم الدهر أي أهلكهم.

[عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت إلى عبد اللَّه بن عمرو بشعر]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال أخبرني الطَّلحي قال أخبرني عبد الرحمن بن حمَّاد عن عِمران بن موسى بن طَلحة قال: لما زُفَّت فاطمةُ بنت الحسين رضوان اللَّه عليه إلى عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان بن عفان، عارَضَها[1] موسى شهوات:

طَلحةُ الخيرِ جَدّكم ... ولخيرِ الفَواطمِ
أنتِ للطاهراتِ مِنْ ... فَرْعِ تَيمٍ وهاشمِ
أرتَجيكمْ لنفعِكُم ... ولِدَفعِ المظالِمِ

[مجزوء الخفيف]

فأمر له بكُسوةٍ ودنانيرَ وطيب.

[هجا داود بن سليمان لما تزوج فاطمة بنت عبد الملك]

قال حدَّثنا الكِرانيّ قال حدَّثنا العَنَزيّ عن العُتبيّ قال: كانَتْ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمرَ بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوَّجها داودُ بن سليمان بن مروان وكان قبيحَ الوجه، فقال في ذلك موسى شهوات:

أبعد الأغرِّ ابن عبد العزيز ... قريعِ[2] قريشٍ إذا يُذكَرُ
تَزَوَّجْتِ داودَ مختارةً ... ألا ذلك الخلفُ الأعورُ[3]

[المتقارب]

فكانت إذا سَخِطَتْ عليه تقولُ: صدق واللَّهِ موسى، إنَّك لأنتَ الخَلَف الأعور، فيشتُمُهُ داود.

[مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأجازه]

أخبرني عمي قال حدَّثنا الكِرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن لقيط قال: أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بِدِمَشق، وكان فتًى

(١) عارضها: مدحها.
(٢) السيد والرئيس المسيطر، ويُقال: هذا قريع الشّول: لفحلها لأنه يقرعها.
(٣) الأعور: الرديء من كل شيء. وفي الحديث «لما اعترض أبو لهب على النبي ﷺ عند إظهاره الدعوة قال له أبو طالب: يا أعور ما أنت وهذا» التفسير لابن الأعرابي حكاه عنه ثعلب. والأعْورُ: الضعيف الجبان البليد الذي لا يدل ولا يندل ولا خير فيه.

جواداً سَمِحاً، فلما رَكَبَ وثبَ إليه فأخَذَ بِعنان دابّته، ثم قال:

قُمْ فصوِّتْ إذا أتيت دِمَشقاً: يا يزيدَ بن خالدِ بن يزيد
يا يزيدَ بن خالدٍ إن تُجِبني يَلقَني طائري بنجم السُّعودِ

[الخفيف]

فأمر له بخمسة آلاف وكسوة، وقال له: كلما شئْتَ فنادِنا نُجِبك.

[تزوج بنت داود بن أبي حميدة]

أخبرنا وكيع قال حدَّثني أحمد بن زُهَير قال حدَّثنا مُصعَب الزُّبيري قال: زُوِّجَ موسى شهوات بنتَ مولًى لِمَعْن بن عبد الرحمن بن عَوْف يُقَالُ له: داود بن أبي حُميدة، فلما جُلِيَت[١] عليه قال داود: ما للجَلْوة؟ فأنشأ يقول:

تقولُ ليَ النساءُ غداةَ تُجلى حميدةُ يا فتى ما لِلْجلاءِ
فَقُلْتُ لهم سَمَرقَنْدٌ[٢] وبلخ[٣] وما بالصين من نَعَمٍ[٤] وشاء[٥]
أبوها حاتمٌ إن سِيلَ خيراً وليثُ كريهةٍ عند اللقاءِ

[الوافر]

[هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه]

أخبرني وكيع قال حدَّثنا أحمد بن زُهير قال حدَّثنا مصعَب قال: قَضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حُوَيطِب على موسى شهوات بقضيَّة، وكان خالدُ بن عبد الملك[٦] استقضاه في أيام هشام بن عبد الملك، فقال موسى يهجوه:

وجدتُكَ فَهّاً[٧] في القضاء مُخلِّطاً[٨] فقدْتُك من قاضٍ ومن مُتأمِّرِ
فدَعْ عنك ما شيدته ذات رخة[٩] أذى الناس لا تَحْشُرْهُمُ كلَّ مَحشَرِ

[الطويل]

---

(١) الماشطةُ تجلو العروس جلوة وجِلوة، وقد جُليت على زوجها واجتلاها زوجها، أي: نظر إليها.
(٢) سمرقند: مدينة عظيمة وهي عاصمة الصغد.
(٣) بلخ: مدينة شهيرة بخرسان. (٤) النعم: الإبل.
(٥) الشاء: الغنم.
(٦) هو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ولي المدينة لهشام بن عبد الملك.
(٧) رجلٌ فهٌّ وفَهيهٌ: إذا جاءت منه سقطة أو جهلة من العِيِّ. ورجلٌ فَهٌّ: عَيٌّ عن حجّته.
(٨) من المَجَازِ قولُهم هو حَاطِبُ لَيْلٍ، يَتَكَلَّمُ بالغَثِّ والسَّمِينِ مُخَلِّطٌ في كَلَامِه وأَمْرِه، لا يَتَفَقَّدُ كلامَه.
(٩) رخة: سهلة ورخوة.

ثم وَلِيَ القضاءَ سعيدُ بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاريّ، فقال يمدحه:

مَنْ سَرَّهُ الحُكْمُ صِرْفاً لا مِزاجَ له ... من القُضاة وعدلٌ غير مَغْمُوزِ
فليأتِ دارَ سعيد الخَيْر إنَّ بها ... أمضى على الحقِّ من سيف ابن جُرمُوزِ[1]

[البسيط]

[هجاؤه سعد بن إبراهيم والي المدينة]

قال: وكان سعدُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف، قد ولِيَ المدينةَ واشتدّ على السفهاءِ والشعراء والمغنِّين، ولحِقَ موسى شهوات بعضُ ذلك منه، وكان قبيحَ الوجه، فقال موسى يهجوه:

قُل لِسَعْدٍ وجهِ العجوز لقد كُنْتَ لما قد أُوتِيتَ سعداً مخيلا
إنْ تَكُنْ ظالماً جهولاً فقد كا ... ن أبوك الأدنى ظلوماً جهولا

[الخفيف]

وقال يهجوه:

لَعَنَ اللَّهُ والعبادُ ثُطَيطَ[2] ال ... وجه لا يُرتَجى قبيحَ الجِوارِ
يَتَّقي الناسُ فُحشه وأذاه ... مثل ما يتَّقون بولَ الحِمارِ
لا تَغُرَّنْك سَجدةٌ بين عينيه حَذارِ منها ومنه حَذارِ
إنها سَجْدة بها يَخدَعُ النا ... سَ، عليها من سَجدة بالدَّبارِ[3]

[الخفيف]

[مدح عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان حين نفحه بعطية]

أخبرني عمي قال أخبرني ثعلب عن عبد اللَّه بن شَبِيب قال: ذكر الحِزاميّ أنَّ موسى شَهَوات سأل بعض آل الزُّبير حاجةً فدفعه عنها، وبلغ ذلك عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان، فبعث إليه بما كان التمسه من الزُّبيريّ من غير مسألة؛ فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد، ثم أنشأ يقول:

ليْسَ فيما بَدَا لنا مِنْكَ عَيْبٌ ... عابَهُ الناسُ غَيْرَ أَنَّكَ فاني

---

(١) هو عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوام.

(٢) ابنُ دُرَيدٍ: رَجُلٌ ثطّ بيّنُ الثَّطَاطَةِ والثُّطُوْطَةِ من قَوْم ثطاطٍ؛ والمصدَرُ: الثَّطَطَ وهو خِفّةُ اللّحْيةِ من العارِضَيْنِ، ولا يُقال: أثطّ؛ وإن كانت العامةُ قد أوْلَعتْ به.

(٣) الدبار: مثل الهلاك والدمار.

أَنْتَ نِعْمَ المَتَاعُ لو كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لا بَقَاءَ لِلإِنْسَانِ

[الخفيف]

والشعر المذكور فيه الغناء، يقوله موسى شَهَوات في حَمزة بن عبد اللَّه بن الزُّبير، وكان فتًى كريماً جواداً على هَوَج كان فيه، وولاَّه أبوه العِراقَين وعَزَل مُصعَباً لما تزوَّج سُكَيْنة بنت الحسين رضي اللَّه عنه وعائشةَ بنت طلحة وأمهر كل واحدةٍ منهما ألفَ ألفِ درهم.

[سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة وتوليته ابنه حمزة]

أخبرني أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عمَّار قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ بن مصعب الزبيريّ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة، وأخبرني عبيد اللَّه بن محمد الرازيّ والحسينُ بن عليّ: قال عُبيد اللَّه حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، وقال الحسين حدَّثنا الحارث بن أبي أُسامة عن المدائنيّ عن أبي مِخنَف: أنَّ أنس بن زُنَيم اللَّيثي كتب إلى عبد اللَّه بن الزُّبير:

أَبْلِغْ أميرَ المؤمنين رسالةً مِنْ ناصح لك لا يُريك خِداعا
بَضَعَ[1] الفتاة بألفِ ألفٍ كاملٍ وتَبيتُ قاداتُ الجيوش جِياعا
لو لأبي حَفْصٍ أقولُ مقالتي وأُبِثُّ ما أبثثتُكُم لارتاعا[2]

[الكامل]

فلما وَصَلَتِ الأبياتُ إليه جَزِعَ ثم قال: صَدَقَ واللَّه، لو لأبي حفصٍ يقول: إنَّ مُصعباً تزوَّج امرأتين بألفي ألفِ درهم لارتاع، إنَّا بعثنا مصعباً إلى العِراق فأغمد سيفه وسَلَّ أيره وسَنَعْزِلُهُ، فدعا بابنه حمزةَ، وأمّه بنت منظور بن زيَّان الفَزاريّ وكان لها منه محلٌّ لطيف، فولاَّه البصرة وعَزَلَ مصعباً. فبلغ قوله عبدَ الملك في أخيه مصعب، فقال: لكنّ أبا خُبيَب أغمد سيفه وأيرَه وخَيرَه.

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال: هذه الأبيات لعبد اللَّه بن همام السَّلوليّ.

[عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه]

قالوا جميعاً: فلما وليَ ابنه حمزة البصرة أساء السِّيرة وخلَّطَ تخليطاً شديداً،

(١) البُضْعُ: اسم باضعتها، أي: باشرتها. وبضعتها بَضْعاً، وبُضعاً، وهو الجماع.
(٢) ارتاع: فزع.

وكان جواداً شجاعاً أهوجَ، فوفدت إلى أبيه الوفود في أمره، وكتب إليه الأحنف بأمرِهِ وما يُنْكِرُهُ الناسُ منه وأنه يخشى أن تفسُدَ عليه طاعتُهُم؛ فعزله عن البصرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا المدائنيّ قال: لما قَدِمَ حمزةُ بن عبد اللَّه البصرة والياً عليها، وكان جواداً شجاعاً مُخلِّطاً: يجودُ أحياناً حتى لا يدعَ شيئاً يملكه إلا وَهَبَهُ ويمنعُ أحياناً ما لا يُمنع من مثله، فَظَهَرَتْ منه بالبصرة خِفَّة وضعف. وركب يوماً إلى فيض[1] البصرة، فلما رآه قال: إنَّ هذا الغدير إن رفقوا به لَيَكْفِيَنَّهم صَيْفتهم هذه، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً[2] فقال: قد رأيته ذات يوم فَظَنَنْتُ أن لن يكفيَهم؛ فقال له الأحنف: إنَّ هذا ماءٌ يأتينا ثم يَغيض عنَّا ثم يعود. وشَخَص إلى الأهواز فرأى جبلها، فقال: هذا قُعَيْقِعان ـ وقعيقعان: جبلٌ بمكة ـ فلُقِّبَ ذلك الجبلُ بقُعَيقعان.

قال أبو زيد: وحدَّثني غيرُ المدائنيّ أنه سمع بذكر الجبل بالبصرة، فدعا بعامله فقال له: ابعث فأْتنا بخراج الجبل؛ فقال له: إن الجبل ليس ببلد فآتيك بخراجه. وبعث إلى مَردانْشاه فاستحثَّه بالخراج فأبطأ به، فقام إليه بسيفه فقتله؛ فقال له الأحنف: ما أحَدَّ سيفك أيها الأمير! وهمَّ بعبد العزيز بن شبيب بن خياط أن يضربه بالسياط؛ فكتب إلى الزبير بذلك وقال له: إذا كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرف ابنك عنها وأعِدْ إليها مصعباً؛ ففعل ذلك. وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويَعيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جَزرَ:

يـابـن الـزُّبـيـر بَـعَـثْـتَ حـمـزةَ عـامـلاً ... يـا لـيـتَ حـمـزةَ كـان خـلـفَ عُـمـانِ
أزرى بـدَجـلـةَ حـيـن عَـبَّ عُـبـابُـهـا ... وتـقـاذفَـتْ بـزواخـر الـطُّـوفـانِ

[الكامل]

[نفار النوار من الفرزدق]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو غسَّان دَماذ عن أبي عُبيدة قال: خَطَبَ النَّوارَ ابنة أَعْيَن المُجاشِعيَّة رجلٌ من قومها، فجعلت أمرها إلى الفرزدق، وكان ابنَ عمهما دِنيةً[3]، ليزوِّجها منه، فأشهد عليها بذلك وبأنَّ أمرها إليه شُهوداً عُدولاً؛ فلما أشهدتْهم على نَفْسِها قال لهم الفرزدق: فإنِّي أشهدكم أنِّي قد تزوّجتها، فمنعته

(١) فيض البصرة: نهرها.
(٢) الجَزرُ: انقطاع المدِّ، وجَزر البحرِ، والجَزرُ: نهرٌ أو مدُّ البحر والنَّهرِ في كثرةِ الماء.
(٣) يقال: هو ابن عم دنية أي لاصق النسب.

النَّوار نفسها وخرجت إلى الحجاز إلى عبد اللَّه بن الزُّبير، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زبَّان، وخرج الفرزدق فعاذَ بابنه حمزةَ، وقال يمدحه:

يا حَمْزُ هَلْ لك في ذي حاجةٍ عَرَضَتْ أَنضاؤه بمكانٍ غيرِ ممطورِ
فأَنت أَولى قُريشٍ أَن تكونَ لها وأَنْتَ بين أَبي بكرٍ ومنظورِ
[البسيط]

فجعل أمرُ النَّوار يقوى وأمر الفرذدق يضعُف؛ فقال الفرزدق في ذلك:

أَمَّا بَنُوهُ فلم تُنفع شفاعتُهم وشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظُورِ بنِ زَبَّانَا
لَيْسَ الشَّفِيعُ الذي يأْتيكَ مُؤْتَزراً مِثْلَ الشَّفيعِ الذي يَأتيكَ عُرْيَانَا
[البسيط]

فبلغ ابنَ الزُّبير شعرُهُ، ولقيَه على باب المسجد وهو خارجٌ منه فضغط حلقه حتى كاد يقتله، ثم خَلاَّه وقال:

لقد أصبحَتْ عِرْسُ الفرزدق نَاشِزاً ولو رَضِيَت رَمحَ ٱسْتِه لاستقرّتِ
[الطويل]

ثم دخل إلى النَّوار فقال لها: إنْ شِئْتِ فَرَّقْتُ بينك وبينه ثم ضربْتُ عنقه فلا يهجونا أبداً، وإن شئتِ أمضيتِ نِكاحه فهو ابن عمك وأقربُ الناسِ إليك، وكانت امرأةً صالحةً، فقالت: أو ما غيرُ هذا؟ قال: لا؛ قالت: ما أُحِبّ أن يُقتَل ولكني أُمضي أمرَهُ فلعلَّ اللَّه أن يجعل في كرهي إيَّاه خيراً؛ فمضَتْ إليه خيراً؛ وَخَرَجَتْ معه إلى البصرة.

[غنّى معبد حمزة بشعره فأجازه]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قالا حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه الزُّبيريّ: أنَّ حمزة بن عبد اللَّه كان جواداً، فدخل إليه مَعبد يوماً وقد أرسله ابن قَطَن مولاه يقترض له من حمزة ألفَ دينار فأعطاه ألف دينار، فلما خرج من عنده قِيل له: هذا عبد بن قَطَن وهو يروي فيك شعر موسى شَهوات فَيُحْسِنُ روايتَه، فأمر بردِّه فرُدَّ، وقال له ما حكاه القوم عنه، فغنَّاه مَعبد الصوتَ فأعطاه أربعين ديناراً؛ ولما كان بعد ذلك رَدّ ابنُ قَطَن عليه المالَ فلم يقبله، وقال له: إنه إذا خرج عنِّي مالٌ لم يَعُد إلى ملكي. وقد رُوِيَ أنَّ الداخلَ على حمزة والمُخاطَبَ في أمره بهذه المخاطبة ابنُ سُريج، وليس ذلك بثَبَتٍ، هذا هو الصحيح، والغناء لمعبد.

[أنشد حمزة بن عبد اللَّه شعراً]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة عن محمد بن يحيى الغسَّانيّ: أن موسى شهوات أملق، فقال لمعبد: قد قُلْتُ في حمزة بن عبد اللَّه شعراً فغنِّ فيه حتى يكون أجزلَ لصلتنا؛ ففعل ذلك معبد وغنَّى في هذه الأبيات، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيَّاها موسى ثم غنَّاه فيها مَعبد، فأمر لكل واحد منهما بمائتي دينار.

[كان من شعراء الحجاز وكان خلفاء بني أمية يحسنون إليه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدَّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبد اللَّه عن عبد اللَّه بن عيَّاش قال: كان موسى شهوات مولًى لسليمان بن أبي خَيْثَمةَ بن حُذَيفة العدويّ، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز، وكان الخُلفاء من بني أُميَّة يُحْسِنون إليه ويُدِرُّون عطاءه وتجيئه صِلاتُهُم إلى الحجاز.

[هجا داود بن سليمان بن مروان الذي تزوج فاطمة بنت عبد الملك]

وكانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز[١]، فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمانَ بن مروان وكان دميماً قبيحاً، فقال موسى شهوات في ذلك:

أبعد الأغرِّ ابن عبد العزيز ... قريع قريشٍ إذا يُذكرُ
تزوَّجْتِ داود مختارةً ... إلا ذلك الخلفُ الأعورُ

[المتقارب]

فَغَلبَ عليه في بني مروان، فكان يُقال له: الخلفُ الأعور.

صوت

من المائة المختارة

عُوجا خَليلِيَّ عَلى المَحضَرِ[٢] ... وَالرَبعِ مِن سَلاّمَةَ المُقفِرِ
عوجا به فاستنطِقاه فقد ... ذكَّرني ما كُنْتُ لم أذكُرِ

(١) خليفة أموي، عُرفَ بعدلِه، واعتبر خامس الخلفاء الراشدين.
(٢) حَضْرَةُ الرجل: قُربه وفِناؤه. والحَضْرُ: بلدٌ بإزاء مَسكَن. ويقال: كَلَّمته بَحَضْرَةِ فلانٍ وبِمَحْضَرٍ من فلان، أي بمشهدٍ منه.

ذَكَّـرَنـي سَـلـمـى وَأَيّـامَـهـا إذ جـاوَرَتـنـا بِـلِـوى عَـسـجَـرِ[١]
بِـالـرَبـعِ مِـن وُدّانَ مَـبـدًا لَـنـا وَمَـحـوَراً نـاهـيـكَ مِـن مَـحـوَرِ
فـي مَـحـضَـرٍ كُـنّـا بِـهِ نَـلـتَـقـي يـا حَـبَّـذا ذلِـكَ مِـن مَـحـضَـرِ
إذ نَـحـنُ وَالـحَـيُّ بِـهِ جـيـرَةٌ فـيـمـا مَـضـى مِـن سـالِـفِ الأَعـصُـرِ

[السريع]

الشعر للوليد بن يزيد، وقيل: إنه لعمرَ بن أبي ربيعة، وقيل: إنه للعرجيّ، وهو للوليد صحيح، والغناء واللحن المختار لابن سُريج خفيفُ رمل بالبنصر في مجراها، وفيه لشاريةَ خفيفُ رملٍ آخر عن ابن المعتزّ، وذكر الهشاميّ أنَّ فيه لِحكمٍ الوادِيّ خفيفَ رملٍ أيضاً.

[عتب عمرو بن عثمان على زوجه]

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال: كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوج سُكَينة بنتَ الحسين رضي اللَّه تعالى عنه، فَعَتَبَ عليها يوماً، فخرج إلى مال له، فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت له: إن ابن عثمان خرج عاتباً عليّ فاعلم له حاله، قلت: لا أستطيع أن أذهبَ إليه الساعة، فقالت: أنا أعطيكَ ثلاثين ديناراً، فأعطتني إياها فأتيته ليلاً فدخلْتُ الدار، فقال: انظروا من في الدار، فأتوه فقالوا: أشعبُ[٢]، فنَزِلَ عن عرشه وصار إلى الأرض فقال: أَشُعَيب؟ قُلْتُ: نعم، قال: ما جاء بك؟ قلت: أرسلتني سُكَيْنَةُ لأعلمَ خبركَ، أتذكَّرتَ منها ما تذكَّرت منك؟ وأنا أعلمُ أنك قد فعلت حين نَزَلتَ عن عرشك وصِرْتَ إلى الأرضِ، قال: دعني من هذا وغنِّني:

عـوجـا بـه فـاسـتـنـطِـقـاه فـقـد ذكَّـرنـي مـا كُـنْـتُ لـم أذكُـرِ

[السريع]

فغنَّيتُهُ فلم يَطرَبْ، ثم قال: غنِّني ويحك غير هذا، فإن أصبتَ ما في نفسي فلك حلَّتي هذه وقد اشتريتها آنفاً بثلثمائة دينار، فغنَّيته:

صـوت

عَـلِـقَ الـقَـلـبَ بَـعـضُ مـا قَـد شَـجـاهُ مِـن حَـبـيـبٍ أَمـسـى هَـوانـاً هَـواهُ

(١) عسجر: موضع قرب مكة المكرمة.
(٢) أشعب شخصية من التراث الإسلامي، عُرِفت بظرفها.

مـا ضِـراري نَـفـسـي بِـهَـجـرَان مَـن لَـيـسَ مُـسـيـئـاً وَلا بَـعـيـداً نَـواهُ
وَاجْـتِـنـابـي بَـيـتَ الـحَـبـيـبِ وَمـا الـخُـلـدُ بِـأَشـهـى إِلَـيَّ مِـن أَن أَراهُ
[الخفيف]

فقال: ما عَدَوْتَ ما في نفسي، خُذِ الحلَّةَ، فأخذتُها ورَجِعْتُ إلى سكينةَ فَقصصْتُ عليها القصة، فقالت: وأين الحلَّةُ؟ قُلْتُ: معي، فقالت: وأنت الآن تريدُ أن تلبسَ حلَّة ابن عثمان لا واللَّه ولا كرامةَ! فقلْتُ: قد أعطانيها، فأي شيء تُريدينَ منِّي فقالَتْ: أنا اشتريها منكَ، فبعتُها إيَّاها بثلثمائة دينار.

الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للدارميّ خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه للهذليّ، وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى.

[غاضب رجل جارية كان يهواها فغنت مغنية من شعره فاصطلحا]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما، واتَّفق أنَّ مغنيةً دخلت فغنتهما:

مـا ضِـراري نـفـسـي بـهـجـرانِ مـن لـيـسَ مُـسـيـئـاً ولا بـعـيـداً نـواهُ
[الخفيف]

فقالت الجاريةُ: لا شيء واللَّه إلا الحمقُ، ثم قامت إلى مولاها فقبَّلَتْ رأسه واصطلحا.

صـوت

من المائة المختارة

يـا وَيـحَ نَـفـسـي لَـو أَنَّـهُ أَقـصَـر[1] مـا كـانَ عَـيـشـي كَـمـا أَرى أَكـدَر
يـا مَـن عَـذيـري مِـمَّـن كَـلِـفـتُ بِـهِ يَـشـهَـدُ قَـلـبـي بِـأَنَّـهُ يَـسْـحَـر
يـا رُبَّ يَـومٍ رَأَيـتُـنـي مَـرِحـاً آخـذُ فـي الـلَّـهـوِ مُـسـبِـلَ الـمِـئـزَر
بَـيـنَ نَـدامـى تَـحُـثُّ كَـأسَـهُـمُ عَـلَـيـهِـمُ كَـفُّ شـادِنٍ أَحـوَر
[المنسرح]

الشعرُ لأبي العتاهية والغناءُ لفريدةَ خفيفُ رمل بالبنصر.

(١) أقصر فلان عن الشيء: كف عنه وانتهى.

فهرس المحتويات

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه ٥
نسبه ٥
أخذه بثأر أبيه وجده ٥
اعجاب بشعره ٩
أنشد النابغة من شعره فاستجاده ١٠
صفاته الجثمانية ١١
أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت ١١
عرض عليه رسول اللَّه الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة ١٢
قتله الخزرج بعدما هدأت الحرب بينهم وبين الأوس ١٢
مهاجاته حسان بن ثابت ١٢
غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره ١٤
حسان بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت ١٥
ومما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم ١٨
الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمر بن عوف وسبب ذلك ١٩
ذكر طويس وأخباره ٢٦
اسمه وكنيته ٢٦
أول من غنى بالعربية في المدينة ٢٦
شؤمه ٢٦
الغناء لطويس هزج بالبنصر ٢٧
كان يحب قريشاً ويحبونه ٢٧
مروان بن الحكم والنغاشي المخنث ٢٨
طلبه مروان في المخنثين ففر منه حتى مات ٢٨
هيت المخنث وبادية بنت غيلان ٢٩

ضافه عبد اللَّه بن جعفر فأكرمه وغناه ٣٠
عرّض بسعيد بن عبد الرحمن في شعرٍ غناه فأغضبه ٣١
مدح ابن سريج غناءه ٣٢
تبع جارية فزجرته ٣٣
حديث طويس والرجل المسحور ٣٣
قصة عروة وامرأته سلمى الغفارية ٣٤
تحريشه بالغناء ٣٥
سبب الحرب بين الأوس والخزرج ٣٦
أنشد عمر بن عبد العزيز شيئاً من شعره ٣٨
ومما في المائة المختارة من أغاني طويس ٣٨
من المائة المختارة من صنعة قفا النجار ٣٩
من المائة المختارة ٤٠
ذكر الدَّارميّ وخبره ونسبه نسبه وكان من الشعراء وأرباب النوادر ٤١
شبب بذات خمار أسود ٤١
بخله وظرفه ٤٣
الدارميّ وعبد الصمد بن علي ٤٤
الدارميّ مع نسوة من الأعراب ٤٤
الدارميّ والأوقص القاضي ٤٤
نادرة له مع عبد الصمد بن علي ٤٥
نادرة له في مرضه ٤٥
من المائة المختارة ٤٥
أخبار هلال ونسبه وهو شاعر أموي شجاع أكول ٤٧
أريحية المغيرة ٤٧
كان عادي الخلق صبوراً على الجوع ٤٨
حكايات عن قوته ٤٨
صارع في المدينة عبداً بأمر أميرها ٥٠
فراره إلى اليمن ٥١
أدى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه ٥٧

أعان قمير بن سعد على بكر بن وائل ٥٨
حبسه ٥٨
الحديث عن هلال في نهمه وكثرة أكله ٥٩
حدث أبو عمرو بن العلاء أنه لم ير أطول منه ٦٠
غنى مخارق الرشيد فأعتقه ٦١
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه ٦٢
أخبار عروة بن الورد ونسبه ٦٣
نسبه ٦٣
كان يلقب بعروة الصعاليك ٦٣
شرف نسبه ٦٤
أقوال الثناء فيه ٦٤
إنه أجود من حاتم ٦٤
مع فتاته ٦٤
كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم ٦٧
في غارة ٦٧
سبي ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعراً ٦٨
خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها ٦٩
قصته مع هزلي أغار على فرسه ٧٠
قصة غزوه لماوان ٧٢
من المائة المختارة ٧٤
ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره ٧٥
نسبه ٧٥
تفاني عدوان ٧٥
من قرعت له العصا ٧٦
استعراض عبد الملك أحياء العرب وسؤاله عن ذي الإصبع ٧٧
قصته مع بناته الأربع وقد أردن الزواج ٧٩
خرفه ٨١
وصيته لابنه عند موته ٨٣

استنشاد معاوية شعره ٨٥
شعره في ابن عمه وقد عاداه ٨٦
سبب تفرق عدوان وتقاتلهم ٨٧
قصيدته النونية ٨٨
قصيدته في رثاء قومه ٩٠
شعر أُمامة بنت ذي الإصبع ٩١
شعره في الكبر ٩٢
ذكر قيلٍ مولى العبلات ٩٣
ولاؤه وغناؤه ٩٣
أبو دهبل الجمحي ٩٤
من المائة المختارة ٩٦
خبر غريض اليهودي ٩٧
نسبه وأصل قومه ٩٧
نُسِبَ له شعر هو لورقة بن نوفل ٩٧
تمثلت عائشة أمام رسول اللَّه بشعر نزل بمعناه الوحي ٩٨
ذكر ورقة بن نوفل ونسبه ٩٩
نسبه ٩٩
رأى بلالاً يعذب لإسلامه فقال شعراً ١٠٠
مدح النبي ﷺ له والنهي عن سبّه ١٠١
خبر زيد بن عمرو ونسبه ١٠٢
نسبه من قبل أبويه ١٠٢
اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشاً ١٠٢
نفيه ١٠٢
شعره في ترك عبادة الأوثان ١٠٣
امتناعه عن الذبائح ١٠٤
اجتمع بالشام مع يهودي ونصراني وتحنف ١٠٤
بلغته البعثة فخرج من الشام فقتله أهل ميفعة ١٠٥
قال عنه رسول اللَّه: يأتي يوم القيامة أمة وحده ١٠٥

زهير بن جناب وشعره في الكبر ١٠٦
مدرج الريح وسبب التسمية ١٠٦
سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر ١٠٧
سعية بن غريض ومعاوية بن أبي سفيان ١٠٧
أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه ١٠٩
مدح يونس الكاتب غناءه: ١٠٩
غناء في المحراب: ١٠٩
من المائة المختارة التي رواها عليّ بن يحيى ١١٠
أخبار بشار بن برد ونسبه ١١١
نسبه وكنيته وطبقته في الشعراء ١١١
ولاؤه لبني عقيل ١١١
كان أبوه طياناً وقد هجاه بذلك حماد عجرد ١١٢
أنشد للمهدي شعراً في أنه عجمي بحضور أبي دلامة ١١٣
كان كثير التلون في ولائه للعرب مرة وللعجم أخرى ١١٤
كان يلقب بالمرعث ١١٥
كان أشد الناس تبرماً بالناس ١١٦
صفاته ١١٦
وُلِدَ أعمى وهجي بذلك وشعره في العمى ١١٦
كان يقول أزري بشعري الأذان ١١٧
قال الشعر وهو ابن عشر سنين ١١٧
هجا جريراً فأعرض عنه استصغاراً له ١١٧
كان الأصمعي يقول هو خاتمة الشعراء ١١٧
جودة نقده للشعر ١١٨
إكثاره ١١٨
رأي أبي عبيدة فيه وفي ابن أبي حفصة ١١٨
كلام الجاحظ عنه ١١٩
كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة ١١٩
هجا واصل بن عطاء ١١٩

هو أحد أصحاب الكلام الستة ١٢٠
رأي الأصمعي فيه وفي ابن أبي حفصة ١٢١
مقارنته بامرىء القيس والقطامي ١٢٢
مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة ١٢٣
كان شعره سياراً يتناشده الناس ١٢٣
لم يأت في شعره بلفظ مستنكر ١٢٣
هو أول الشعراء ١٢٤
نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يُغنَّى فيها ١٢٤
هجا صديقه ديسماً لأنه يروي هجاءه ١٢٥
مزاحه مع حمدان الخراط ١٢٦
مفاخرة جرير بن المنذر السدوسي له ١٢٦
نقده للشعر ١٢٦
اعتداده بنفسه ١٢٧
وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها بشعر ١٢٧
كان إسحاق الموصلي لا يعتد به ويفضل عليه مروان ١٢٨
هجوه الخليفة ١٢٨
بشار والمعلى بن طريف ١٣٠
بشار ويزيد بن منصور الحميري ١٣١
ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه ١٣١
سخره ١٣١
سمع صخباً في الجيران فقال كأن القيامة قامت ١٣٢
نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكراللَّه ١٣٢
مات ابن له فرثاه ١٣٢
نوادره ١٣٣
سُئِلَ عن شعره الغث فأجاب ١٣٤
حشوه شعره بما لا حقيقة له ١٣٤
شعره في قينة ١٣٦
مع أعرابي ١٣٧

خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول ١٣٨
بشار وهلال الرأي ١٣٨
ذمَّ أناساً كانوا مع ابن أخيه ١٣٩
كان دقيق الحس ١٣٩
حديثه مع نسوة أخذن شعره لينحن به ١٣٩
نهاه مالك بن دينار عن التشبب بالنساء ١٤٠
شعره في محبوبته فاطمة ١٤١
عبث به رجل من آل سوار فلم يجبه ١٤٢
مدح خالد البرمكي ١٤٢
بشّار وصديقه تسنيم بن الحواري ١٤٣
الملاحاة بينه وبين عقبة بن رؤبة ١٤٣
فَصَلْتَه عن ماله والوُلْدِ ١٤٦
كان يهوى امرأة من البصرة ١٤٦
بشار وأبو الشمقمق ١٤٧
بشار وأبو جعفر المنصور ١٤٧
كان له شعر غث يُعيَّرُ به ١٤٨
أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه ١٤٩
حاول تقبيل جارية لصديق له، وقال شعراً يعتذر فيه عن ذلك ١٥٠
كتب شعراً على باب عقبة يستنجزه وعده ١٥٠
نهيه عن التشبب ١٥١
عند خالد البرمكي ١٥٣
تظاهر بالحج وخرج لذلك مع سعد بن القعقاع ١٥٤
أنكر عليه داود بن زرين أشياء فأجابه ١٥٤
بشار والثقلاء ١٥٥
أنشد الوليد شعره ١٥٦
هجا جاره أبا زيد فهجاه ١٥٦
شعره في قينة ١٥٧
شعره في عقبة بن سلم ١٥٨

رواية خلف الأحمر عنه ١٥٨
قيل له إنّ فلانًا سبَّكَ عند الأمير فهجاه ١٥٩
شعر له في مدح خالد بن برمك ١٦٠
عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه ١٦١
شعره في جارية له سوداء كان يفترشها ١٦٢
ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلم فأجاب ١٦٢
طلب منه أبو الشمقمق الجزية ١٦٢
شعره في هجاء العباس بن محمد بن عليّ ١٦٣
اجتمع بعباد بن عباد وسلم عليه ١٦٤
كان إسحاق الموصلي يطعن في شعره ولما أنشد منه سكت ١٦٥
قائد المأمون يتمثل بشعره ١٦٧
غضب على سلم الخاسر لأنه سرق من معانيه ١٦٧
أنشد الأصمعي شعره فغاظه فخره بنسبه ١٦٨
حديثه مع امرأة في الشيب ١٦٩
أحب الأشياء إليه ١٦٩
دخل إليه نسوة وطلب من إحداهن أن تواصله فأبت فقال شعراً ١٦٩
اعترض مروان بن أبي حفصة على بيت من شعره فأجابه ١٧٠
مدح خالداً البرمكي فأجازه ١٧٠
مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته ١٧٠
طلب رجلاً من بني زيد للمفاخرة وهجاه فانقطع عنه ١٧١
ضمن مثلاً في شعره عند عقبة بن سلم واستحق جائزته ١٧٢
قصته مع قوم من قيس عيلان ١٧٣
بشار وجعفر بن سلمان ١٧٣
سُئِلَ عن ميله للهجاء دون المديح فأجاب ١٧٤
بشار في صباه ١٧٤
أعطاه فتى مائتي دينار لشعره في مطاولة النساء ١٧٥
عاب الأخفش شعره ثم صار بعد ذلك يستشهد به ١٧٥
ذم بني سدوس ١٧٦

ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه ١٧٧
سمع شعره من مغنية فطرب وقال: هذا أحسن من سورة الحشر ١٧٧
سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولا يعرفهم فأجابها ١٧٨
سبَّ عبد اللَّه بن مِسْوَر أبا النَّضير فدافع عنه بشار ١٧٨
هجاؤه ابن مزيد ١٧٩
قصيدته التي مدح بها إبراهيم بن عبد اللَّه فلما قتل جعلها للمنصور ١٧٩
اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول وهو سمين ١٨٠
عاتب صديقاً له لأنه لم يهد له شيئاً ١٨١
أخبر أنه غنى بشعر له فطرب ١٨١
مدح المهدي فلم يجزه ١٨١
هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنه ثم بر في يمينه فضربه بعرض السيف .. ١٨١
مدح سليمان بن هشام ١٨٢
استقل عطاء سليمان فقال شعراً ١٨٣
مدح المهدي بشعر فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب ١٨٤
وفاة ابنه ١٨٥
استنشده صديق له شيئاً من غزله فاعتذر بنهي المهديّ له عنه ١٨٦
صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر ١٨٦
امتحن في صلاته فوجد لا يصلي ١٨٧
جعل الحب قاضياً بين المحبين بأمر المهديّ ١٨٧
حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد ١٩٠
شعره في رثاء بنية له: ١٩٢
مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه ١٩٢
أجاز شعراً للمهدي في جارية ١٩٣
أنشد شعراً على لسان حمار له مات ١٩٣
وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق. ١٩٤
أبطأ سهيل القرشي فيما كان يهديه له من تمر فكتب إليه يتنجزه. ١٩٤
سأله بعض أهل الكوفة ممن كانوا على مذهبه أن ينشدهم شعراً ثم عابثوه .. ١٩٤
عشق امرأة وألح عليها فشكته إلى زوجها ١٩٥

رثاؤه أصدقاءه ١٩٦
وفد على عمر بن هبيرة فمدحه ١٩٧
شعره في العشق ١٩٨
وفاة بشار: ٢٠٤
شماتة الناس بموته وما قيل في ذلك من الشعر: ٢٠٥
ندم المهدي على قتله: ٢٠٦
أخبار يزيد حوراء ٢٠٧
ولاؤه وهو مغن من طبقة ابن جامع والموصلي ٢٠٧
حسد الموصلي له ٢٠٧
كان صديقاً لأبي العتاهية وغنى للمهديّ ٢٠٧
كان نظيفاً ظريفاً حسن الوجه جميل الخصل ٢٠٨
رثاه صديقه أبو مالك حين مات ٢٠٨
توسط لأبي العتاهية حتى ذكره للمهدي فكلم فيه عتبة ٢٠٩
مغازلته لجارية ٢١٠
من المائة المختارة ٢١١
أخبار عكاشة العِّميّ ونسبه ٢١٢
أصل قومه ٢١٢
هجا كعب بن معدان بني ناجية وشبههم ببني العم ٢١٢
أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير ٢١٢
ذكر لصديقه حميد الكاتب حبه لنعيم ٢١٣
زيارة نعيم ٢١٤
زارته نعيم وغنته ثم ذهبت ٢١٤
اغتراب نعيم ٢١٥
أنشد للمهدي قوله في الخمر فأراد حده ٢١٨
سمع له مثل ذلك مع الهادي ٢١٨
ما غني فيه من شعره ٢١٨
أخبار عبد الرحيم الدفاف ونسبه ٢٢٠
نسبه والخلاف في اسم أبيه ٢٢٠

سمعه حماد الراوية يغني ٢٢٠
كان منقطعاً إلى علي بن المهديّ ٢٢٠
تعريضه بالرشيد ٢٢٠
غنى لعليّ بن المهدي فأجازه ٢٢١
من المائة المختارة ٢٢٢
أخبار الحادرة ونسبه ٢٢٣
نسب الحادرة وسبب لقبه بذلك ٢٢٣
كان حسان بن ثابت مُعْجباً بقصيدته: بكرت سمية ٢٢٤
سبب الهجو بينه وبين زبان ٢٢٤
غزوة بني عامر وما قاله الحادرة فيها ٢٢٥
يوم الكفافة وما قاله الحادرة فيه ٢٢٦
أخبار ابن مسجح ونسبه ٢٢٨
ولاؤه وهو مغن أسود متقن نقل غناء الفرس ٢٢٨
علَّمَ ابن سريج والغريض الغناء ٢٢٩
احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير وبناؤه لها ٢٢٩
نقل غناء الفرس من بَنَّائي الكعبة الذين استقدمهم ابن الزبير ٢٢٩
كان ولاؤه هو وابن سريج لِرَجُلٍ واحدٍ ٢٣٠
ابن مسجح في حداثته ٢٣٠
غناء نافع الخير عند رجل من قريش ٢٣١
دور معاوية بمكة ٢٣٢
أخذ عنه معبد ٢٣٣
نفاه دحمان الأشقر والي مكة إلى الشام ٢٣٣
من المائة المختارة ٢٣٥
أخبار ابن المولى ونسبه ٢٣٦
نسبه وصفته ٢٣٦
قدم على المهدي ومدحه فأجزل صلته ٢٣٦
كان يشبب بليلى فَسُئِلَ عنها ٢٣٩
مدح يزيد بن حاتم فوهبه كل ما يملك ٢٣٩

كان مداحاً لجعفر بن سليمان وقثم بن عباس ويزيد بن حاتم ٢٤٠
مرض عند يزيد بن حاتم ٢٤٠
كان يمدح يزيد دون أن يراه ٢٤٠
عَنَّفَهُ الحسن بن يزيد على ذكر ليلى فقال: إنها قوسه فضحك ٢٤١
كان بالعراق وتشوق إلى المدينة ٢٤١
مدح المهديّ وعرض بالطالبيِّين فأجازه ٢٤٢
مدح الحسين بن زيد فعاتبه بالتعرض بأهله ٢٤٣
مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز وغلبته على الأزارقة ٢٤٥
استحسان شعره ٢٤٦
مدح المهدي بولايته الخلافة فأكرمه ٢٤٧
سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة ٢٤٩
وقف لجعفر بن سليمان على طريقه ٢٥٠
أخبار عطرّد ونسبه ٢٥١
ولاؤه وصفته ٢٥١
جاءه عباد بن سلمة وطلب منه أن يغنيه ٢٥١
نسبة هذا الصوت ٢٥١
غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهديّ ٢٥٢
تنادر إبراهيم بن خالد المعيطي على ابن جامع ٢٥٢
كان عطرَّد منقطعاً إلى آل سليمان بن عليّ ٢٥٣
نسبة هذا الصوت ٢٥٣
حبسه زبراء والي المدينة مع المغنين ثم أطلقه وأطلقهم ٢٥٤
استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة فغناه فطرب وألقى نفسه في بركة الخمر ٢٥٤
نسبة هذين الصوتين ٢٥٦
من المائة المختارة ٢٥٦
أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه ٢٥٨
نسبه من قبل أبويه ٢٥٨
قامر أبو لهب العاص على نفسه فاسترقه وأرسله بدله يوم بدر ٢٥٨
ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل ٢٥٨

بضائع أبي عمرو ٢٥٩
هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين ٢٥٩
تفاخر مولى له ومولى لابن أبي ربيعة بشعريهما ٢٥٩
اعتراف له بالتقدم ٢٦٠
تمثل أشعب بشعره في علو الزبيرين على العلويين ٢٦٢
كان مروانيًّا وكل بني مخزوم زبيريّة ٢٦٢
ذهب إلى الشام مع عبد الملك فحجبه وجفاه ٢٦٣
عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة ٢٦٣
نسبة ما في الأخبار من الغناء ٢٦٤
تزوج مصعب بعائشة ٢٦٤
استأذن على عائشة بنت طلحة وكتب لها مع الغريض ٢٦٥
غناها الغريض بشعر ابن أبي ربيعة ٢٦٦
غنّى الغريض عاتكة بنت يزيد ٢٦٧
لما حجت عائشة بنت طلحة فاستأذنها ٢٦٨
سألت عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعراً ٢٦٩
غَضِبَ على الغريض ٢٦٩
أُنْشِدَتْ سكينة بنت الحسين بيتاً من شعره فنقدته ٢٧١
قيل له ما يمنعك من عائشة وقد مات زوجها فأجاب ٢٧١
تنازع هو و أبان بن عثمان ولاية الحج فغلبه أبان ٢٧١
قال هشام حين سمع شيئاً من شعره هذا كلام معاين ٢٧٢
قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة فقال شعراً ٢٧٢
شبب بزوجته أم عبد الملك ٢٧٣
شبب بأم بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة وحادثها ٢٧٤
شبب بليلى بنت أبي مرة لما رآها بالكعبة ٢٧٥
غلبه أبان بن عثمان على الصلاة ٢٧٦
سأله عبد الملك عن أي البلاد أحب إليه فأجاب وقال شعراً ٢٧٧
الغناء في شعره ٢٧٧
أخر الصلاة لعائشة بنت طلحة ٢٨١

الغناء في شعره ٢٨١
جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة فلما سمعت شعر الحارث
طابت به نفساً ٢٨٣
ناضل سليمان بن عبد الملك بينه وبين رجل من أخواله ٢٨٤
أخبار الأبجر ونسبه ٢٨٥
اسم الأبجر ولقبه وولاؤه ٢٨٥
نشأته ٢٨٥
كان ولاؤه لبني كنانة وقيل لبني ليث وكان يلقب بالحسحاس ٢٨٦
ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه ٢٨٦
احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء فأمضى حكمه ٢٨٦
خرج معه إلى الشام ٢٨٧
نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر ٢٨٧
أخذ صوتا من الغريض ٢٨٧
ختن عطاء بنيه فغنى لهم ٢٨٨
نازع ابن عائشة في الغناء فتشاتما ٢٨٨
غنى الوليد وقد عرف سره من خادمه فنشط له ٢٨٨
من المائة المختارة من رواية جحظة ٢٨٩
أخبار موسى شهوات ونسبه ٢٩١
وخبره في هذا الشعر ٢٩١
نسبه وسبب لقبه ٢٩١
عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم ٢٩١
أتى سعيد بن خالد بن عبد اللَّه بن أسيد يستعينه في ثمن الجارية
فأعانه فمدحه ٢٩٢
رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميّه الذي أعانه هجواً له فشكاه .. ٢٩٢
ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد ٢٩٣
شاعر ومغن ٢٩٥
عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت إلى عبد اللَّه بن عمرو بشعر ٢٩٦
هجا داود بن سليمان لما تزوج فاطمة بنت عبد الملك ٢٩٦

مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأجازه ٢٩٦
تزوج بنت داود بن أبي حميدة ٢٩٧
هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه ٢٩٧
هجاؤه سعد بن إبراهيم والي المدينة ٢٩٨
مدح عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان حين نفحه بعطية ٢٩٨
سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة وتوليته ابنه حمزة ٢٩٩
عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه ٢٩٩
نفار النوار من الفرزدق ٣٠٠
غنّى معبد حمزة بشعره فأجازه ٣٠١
أنشد حمزة بن عبد اللَّه شعراً ٣٠٢
كان من شعراء الحجاز وكان خلفاء بني أمية يحسنون إليه ٣٠٢
هجا داود بن سليمان بن مروان الذي تزوج فاطمة بنت عبد الملك ٣٠٢
من المائة المختارة ٣٠٢
عتب عمرو بن عثمان على زوجه ٣٠٣
غاضب رجل جارية كان يهواها فغنت مغنية من شعره فاصطلحا ٣٠٤
من المائة المختارة ٣٠٤
فهرس المحتويات ٣٠٥